الجُمْهُورِيَّة الجَزائرِيَّة الدِّيمقْراطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رئَاسَةُ الجُمهُورِيَّةِ

المجلس الأعلى للغة العربية





التّعايش اللّغويّ في الجزائر

بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد

الجزء الأوّل

منشورات المجلس 2018

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائريَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة
رئَـــاسَةُ الجُمـهُـورِيَّـةِ
المجلس الأعلى للغة العربية

التّعايش اللّغويّ في الجزائر

بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد

الجزء الأوّل

منشورات المجلس 2018

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائريَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة

رِئَـــاسَةُ الجُمـهُـورِيَّـةِ

المجلس الأعلى للغة العربية

الذكرى العشرون

2018-1998

التّعايش اللّغويّ في الجزائر

بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد

الجزء الأوّل

منشورات المجلس 2018

كــتاب: التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والأمازيغيّة

في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد

أعمال ملتقى وطني

(الجزء الأول)

- إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة
- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات:464

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2018

ردمك: 978-9931-681-39-7

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: 16/17 07 23 21 213+

النّاسوخ: 07 07 23 21 213+

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz





اليوم الأوّل : 27 نوفمبر 2018

ـالنشيد الوطنيّ؛

ـ كلمة رئيس اللّجنة العلميّة: أ. ياسين بوراس؛

ـكلمة معالي رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة: البروفيسور. صالح بلعيد؛

ـ كلمة معالي رئيس المجلس الإسلاميّ الأعلى: السّيد. بوعبد الله غلام الله؛

ـ كلمة معالي رئيسة المجلس الوطنيّ لحقوق الانسان: السّيدة فافا سيد لخضر بن زروقي؛

ـ كلمة الأمين العامّ للمحافظة السّاميّة للأمازيغيّة: السّيد. سي الهاشمي عصّاد؛

ـ كلمة رئيسة المفوضيّة السّامية لحماية الطفولة: السّيدة مريم شرفي؛

ـ تكريمات.

استراحة

الجلسة العلميّة الأولى

الرّئيسة: د. فيروز بن رمضان، جامعة: المديّة

	المحاضر	عنوان المداخلة	المؤسّسة
من 10.00 إلى 13:30 سا	د. روقاب جميلة	المصطلح والمفهوم في إشكالية التّعايش اللّغويّ	ج. الشلف
	أ. د. عبد الحفيظ شريف	المسألة اللّغويّة في الجزائر القرن الواحد العشرين بين إملاءات الإيديولوجيا ومسلّمات اللّسانيات	ج. البويرة
	أ.د. عبد النّاصر بوعلي	التّنوع اللّغويّ بالجزائر -الحدود والوظائف-	ج. تلمسان
	د. لواتي فاطمة	ملامح التّعايش بين اللّغتين اللّيبيّة (الأمازيغيّة العتيقة) والبونيقيّة خلال الفترة القرطاجيّة	و.ب. تلمسان
	أ. شوبان منيرة	The officialisation of Berber language: a leading experience and a symbol of national unity	ج. الجزائر 2
	أ. ياسين بوراس	حرب اللّغات تعزف على أوتار الهويّة: دراسة في العلاقة بين اللّغة والهويّة في عصر الأوطان.	ج. برج-بوعريريج 2

المناقشة العامّة

الورشة العلميّة الأولى: من 10:00سا إلى 13:00سا	
الرّئيس: أ. عبد الرّزاق بلغيث	المقرّرة: أ. راشدة بوربابة
الأعضاء:	
أ. عبد الملك بوحجرة+ د. سمير معزوزن+أ. شعيب حبيلة+أ. صلاح الدّين يحي+ أ. فتيحة عبديش+د. عبد الحليم معزوز+أ. فوزية طيّب عمارة +د. كريمة بكّاي+ أ. ليلى قلاتي+د. يوسف يحياوي+أ. إيمان قليعي+ أ.عبد الرّحيم البار	

اليوم الثاني : 28 نوفمبر 2018

الجلسة العلميّة الثانيّة الرّئيسة: د. جميلة روقاب ، جامعة الشلف			
	المحاضر	عنوان المداخلة	المؤسّسة
من 09:00 إلى 10:30سا	د. أمينة بوكيل	آفاق التعايش اللغويّ في إسپانيا في ضوء التعدّد اللغويّ والتحدّيات	ج. جيجل
	د. عبد الرّحمن حاج إبراهيم	التعديل الدّستوريّ الجديد ودوره في الحفاظ على وحدة هويّة الجزائريّين: الميزابيّة والعربيّة أنموذجا	ج. غرداية
	د. فيروز بن رمضان	التنوّع اللّهجيّ في اللّغة المازيغيّة: مقاربة لسانيّة بين القبائليّة والشّاوية والمزابيّة، جامعة المديّة	ج. المديّة
	د. صحرة دحمان	بلد البحر تحقيق للتعايش اللغويّ أم تحقيق للغة التعايش؟	ج. الجزائر
	د. أحمد بن داود امعيز الحاج أحمد	بنو مزاب بالعاصمة بين التنوع اللّغويّ والانسجام الاجتماعيّ: 1510-1830م، جامعة الجزائر	ج. الجزائر

الجلسة العلميّة الثالثة

الرّئيسة: صحرة دحمان، جامعة الجزائر

الوقت	المحاضر	عنوان المداخلة	المؤسّسة
من 10:30 إلى 12:30 سا	أ. محمّد حرّاث	سؤال الهويّة الوطنيّة في ظلّ التعايش بين العربيّة والمازيغيّة في الجزائر.	ج. خميس مليانة
	أ. محمد كاكي	آفاق الجزائر الرّائدة في التعايش اللّغويّ	ج. الجلفة
	د. مهديّة بن عيسى	التعايش اللغويّ بين العربيّة والمازيغيّة في مؤلّفات الباحث صالح بلعيد	و.ب. تلمسان
	د. الخداوية زيدي	الجزائر تعدّد لغويّ وانسجام حضاريّ	ج. مستغانم
	أ. بوريج نجيّة	التعايش اللغويّ ما بين الأمازيغ والمعرّبين والأمازيغ في ما بينهما	الإذاعة الوطنيّة القناة الثالثة
	أ. مبتول أمين راشد	Multilingualism and Linguistic Harmony: The Case of Tamazight in Morocco	ج. وهران 2

المناقشة العامّة

الورشة العلميّة الثانيّة 10:00 سا – 13:00 سا
الرّئيس: أ. حسن بهلول المقرّرة: أ. سناء رمضاني
الأعضاء:
د. فتيحة حدّاد+د. الأخضر شريّط+د. ليلى مغيث زروقي+أ. البشير عزّوزي+ د. الطاهر عبّو+ أ. بلقاسم منصوري+أ. حذيفة عزيزي+ د. حياة خليفاتي+ د. سعاد بلعباس+ د. سمير براهم د. سليمان بوراس+ د. سليمة محفوظي+ أ. جنّان توفيق.

الورشة العلميّة الثالثة 10:00 سا – 13:00 سا
الرّئيسة: أ. خرّاز زوليخة المقرّرة: أ. أمال حمزاوي
الأعضاء:
د. نبيلة بن عائشة+أ. محمد ليشوري+أ. مراد عباس+أ. ضياء الحق مقطوف+ د. محمد مدّور+أ. ساجية بوخالفي+أ. نجوى فيران+ د. يحي سعدوني +أ. أحمد دحماني د. يوسف بن نافلة+أ. سيد علي سلمى+أ. كدواري لامية+أ. فاطمة سعدي.

الجلسة الختاميّة

برئاسة معالي رئيس المجلس: البروفيسور صالح بلعيد.

-قراءة تقرير الورشة العلميّة الأولى؛

-قراءة تقرير الورشة العلميّة الثّانيّة؛

-قراءة تقرير الورشة العلميّة الثّالثة؛

-الكلمة الختاميّة؛

-توزيع الشّهادات.

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: 16/17 07 23 21 213+

النّاسوخ: 07 07 23 21 213+

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz




فهرس

العنوان	الصفحة

الانسجام الجمعيّ في ظلّ التنوّع اللّغويّ

البروفيسور. صالح بلعيد؛

رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

ـــ **كلمة شكر:** أيّها الحضور، أحمل لكم أشواق كلّ العاملين في المجلس الأعلى للغة العربيّة وهم ينتظرون من علمكم وعلومكم ومعرفتكم واطلاعكم الكثيــر ممّــا تعطونهم، وأرى الجمال في هذه الوجـــوه، وألمـــس أخلاقَهـــا وطباعَهـــا ولطفَهـــا ويتراءى الجمال الذي يُبهر ويُسحر، فمرحباً بكم جميعاً ونجعلها إشارة إلـــى تلـــك المعاني العظيمة المستكنّة في القلوب، فلكم نقول: من ولاية إلى ولاية مرحباً بكـــم وسهلاً ومن جامعة إلى جامعة، ومن كلّ مكان أتيتمونا، حللتم وهللتم ومرحباً بهـــذا الجمال المتنوّع، وتخونني كلمات التعبير عن المناسبة، وكيف أعبّر بالمنتهي عـــن غير المنتهي، وفيكم أقول:

قـــد يُطـــاق الجمـــالُ فـــرداً، ولكـــنْ كـــلُّ هـــذا الجمـــالِ كيـــف يُطـــاق!

ديباجة: يسعد المجلسُ الأعلى للغة العربيّة أن يعقد هذا الملتقى الموســـوم بـــــ (التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والمازيغيّة في ظلّ التّعـــديل الدســـتوريّ الجديد) وقد وقع التّنصيص على هذا الموضوع نظراً للتّحوّلات الحديثـــة والمقبلـــة والتي نراها اجتماعياً واقتصادياً وتآلفياً، وما طرأ من تعديل دستوري مسّ الجانـــب اللّغويّ في منظومتنا التّشريعيّة، وهذا الجانب له انعكاس إيجابيّ علـــى المنظومـــة اللّغويّة الوطنيّة بوعي يدفعنا لنقول: إنّه **لا نهوض وطني دون هويّة وطنيّـــة، ولا تقدّم دون انفتاح، ولا انسجام دون وعيّ الذات**. ورأينا بأنّ العربيّة والمازيغيّة في خندق واحد، وهما بحاجة إلى وعيّ لغويّ يُعيد **نسجَ العلاقات التّكامليّة فـــي ظـــلّ**

الثّقافة الإسلاميّة وإنّنا –أيّها المختصّون–بحاجة إلى نظرة علميّة بغية إعادة ترميم ذلك الثّبت القديم؛ ثَبْتُ السّلف الصّالح الذي أبان عن انسجام نــوعيّ، وكــان فيــه الجمال بتنوّع مُضيف، ولم يكن تنوّعاً مُنيفاً.

إخواني الحضور، لقد دَعَونا لهذا الفعل العلميّ نخبةً من الباحثين العاملين علــى البحوث اللّسانيّة والدراسات الاجتماعيّة، ومن لهــم الدرايــة بــالتّخطيط اللّغــويّ والتّربويّ؛ بُغية الكشف عن مزيد من التّصاهر اللّغويّ بين هاتين اللغتين المنتميتين إلى أرومة واحدة (شجرة اللغات الحاميّة الساميّة) على رأي أكثر الباحثين، وهمــا من الشّجرة الكبيرة المُسمّاة (اللغات العروبيّة/ اللغات ألفروآسياوية) وقــد تكاملتــا قواعدياً من حيث المبنى، لا من حيث المعنى، فالمعنى غير ثابت وهــو يخضــع للتطوّرات وللاستعمال وللمحيط الاجتماعيّ، ويتغيّر باستمرار، وهذه سنة اللغــات. وسبق من خلال العديد من المنابر أن قلنا ما خلاصتُه: اللغة هوية تميّــز النــاطق وتجعله في خانته وتعطيه مواصفات يعرف بها، ونحن ننماز بالمحافظة على هــذه الخصلة التي جعلتنا نتموقع عالمياً ضمن تراب جغرافيّ، ولغة تراثيّة تقبل التطوّر دون أن تذوب، وبما نملك من استعمال لغوي كنّا ولا نــزال "**فالمازيغيّــة إرثنــا والعربيّة غِراء اجتماعيّ توحيديّ؛ فبالمازيغيّة كنّا وبالعربيّــة نرقــى وبالإســلام نشكّل العروة الوثقى**".

وضمن هذه المواصفات نعمل بقانون القوّة والفعل، فــي أنّنــا جســدناها مــع مؤسّسات ذات العلاقة (المجلس الإسلاميّ الأعلى+ المجلس الأعلى للغة العربيّــة+ المحافظة الساميّة للأمازيغيّة) جسّدنا التّكامل البينيّ اللّغــويّ فــي عمــل بتــاريخ 7 نوفمبر 2016م بمقرّ المجلس الإسلاميّ الأعلى ويومها ألقينا محاضرة وســمناها (التّمزيغت والعربيّة تكامل لا تنافر) في ندوة حول **التّثاقف والتّكامل بــين اللّغــة العربيّة واللّغة المازيغيّة**. كما لمّحنا إلى عِبَرٍ مستخلصة من تلك الشّــعوب التــي قامت فيها حركة اقتصاديّة بلغاتها، وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة أنّه ما من أمّة تستطيع أن تنهض إذا لم تُعنَ بلغتها؛ اليابان تعلو نانونياً بلغتها، ونهــوض كوريــة

الجنوبيّة كان بلغتها الكوريّة، والصين وحّدت لغاتها بلغة العاصمة (الهان) فقامت بعد ذلك حركة علميّة رَفَعَ اقتصادَها إلى مرتبة كبيرة في اقتصاديات العالم وإسرائيل أحيت لغتها وبها تدير التكنولوجيّة... ومن خلال هذه النّماذج نحن بحاجة إلى وعي المسألة اللّغويّة بكلّ مكوّناتها وعياً يستوعب التّكامل لمواجهة العولمة الشّرسة، والعربيّة الفصيحة وحدها –في الوقت الحاضر– التي يمكن أن تثبت واللغة المازيغيّة تأتي عضيدها في الحفاظ على الخصوصيات.

1 ـ الأحاديّة اللّغويّة والثّنائيّة من خلال الدّساتير العربيّة: تنقسم الدّساتير العربيّة في مسألة رسميّة اللغات إلى قسمين:

ـ **قسم أوّل**، يضمّ اثنتي عشرة (12) دولة عربيّة هي: الأردن+ سورية+ عُمان+ البحرين+ فلسطين+ قطر+ الكويت+ مصر+ اليمن+ السّعودية+ الإمارات العربيّة المتحدّة+ السّودان الشمالي، وتنصّ دساتيرها على أحادية اللغة العربيّة.

ـ **قسم ثان**، ويضمّ عشر (10) دول، وهي: الجزائر+ جزر القمر+ جيبوتي+ السودان الجنوبيّ+ الصّومال+ العراق+ لبنان+ المغرب+ ليبيا+ موريتانيا، وتنصّ دساتيرها على التّعدّد اللّغويّ، وتجعل اللغات المحليّة/ لغات الأقليات بأوضاع خاصّة قرينة مع العربيّة. ومعظم هذه الدول تُنزل العربيّةَ المرتبةَ الأولى تراتبياً وبعضها تتساوى في كلّ شيء. وفي القسم الثّاني تتمركز الجزائر برسميّة ووطننة لغتين هما: **العربيّة+ الأمازيغيّة**. وهذا ما نصّ عليه دستور 2016 في المادّة الثّالثة ومفادها "اللغة العربيّة هي اللغة الوطنيّة والرّسميّة. **تظلّ العربيّة اللغة الرسميّة للدولة**. وأما المادّة الرّابعة، فتنصّ تقول: "تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة. تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكلّ تنوّعاتها اللّسانيّة المستعملة عبر التّراب الوطني".

وإنّها لمن بدهيات الأمور أن يقع التّنصيص على أكثر من لغة رسميّة في بلدنا. ومن خلال هذا الفعل الحضاريّ والمصالحة مع الذات التّراثيّة والثّقافيّة ونثمّن عالياً جهد فخامة السيّد **الرئيس عبد العزيز بوتفليقة**، وكانت له جرأة كبيرة في المسألة

اللّغويّة التي تركت دون حلول وكانت جرأته في الإقرار **بالمواطنة اللّغويّة،** فــأَنْعِمْ به من رئيس جريء! فلأول مرّة في تاريخنا القــديم والمعاصــر ومنــذ المملكــة المازيغيّة الأولى يحصل للمازيغيّة أن تكون لغة رسميّة، وهذا من خــلال دســتور 2016. لقد وقع الإقرار بها؛ وها هي اليوم تُمارَس وتُدرّس ويقع البحث فيها وبها وهذا شرف عظيم أن نحتكم إلى المنطق الجــامع. وبــذلك نقــول: **إنّ المازيغيــة والعربيّة لغاتُنا، والإسلامَ ثقافتُنا، وبالعربيّة نمارس وجودنــا العلمــيّ والفكــريّ وبلغاتنا الوطنية الرسميّة نمارس وجودنا العلميّ والثّقافيّ والفنّــيّ فــي تعــايش وتكامل** وفي كلّ هذا نحن بحاجة إلى تخطيط دقيق يحمي لغاتِنا، ولا بدّ من نظــرة مستقبليّة تُراعي المتغيّرات الداخليّة والخارجيّة، وتُحدّد الأولويّات، وتُوحّد الجهــود وكلّ ذلك في إطار جدول زمنيّ يعمل على تــدبير الازدواجيّــة بســلطة ناعمــة مندمجة، يتمّ فيها بناء سياسة لغويّة وتربويّة يتحدّد على ضوئها المبدأ اللّغويّ الهامّ:

1ــ التّعدّد اللّغويّ إثراء للهويّة: وإنّ تعلّم اللسان –مهما كان–يعمــل علــى تحقيق المعالم في تجديد الذهن؛ وهو تجديد الحياة، والتّسامح وقبول الآخــر، وفيــه تغيير شبكة رؤية العالم بمنظوريْن متكامليْن. فاللغة الثّانيّــة تحمّلــك علــى خلــق تشابكات جديدة بين المعلومات، وتخلق درجة عاليّة من المرونة والنّجاعة في شبكة التّرابطات والتّفاعلات، وانكسار الطّوق اللّغويّ الذي يحاصر المرء نفسه من خلال لغة واحدة، وينفتح إدراكه أمام أمور جديدة، إضافة إلى انكسار شوكة التّعصّب للغة واحدة.

2ــ تعلّم لغة جديدة قيمة مضافة: ومن باب الزّيادة يجب العلم أنّ تعلّم لغــة غير لغاتنا الأمّ ليس ترفاً وزيادة؛ إنّما حاجة ثقافيّة وأخلاقيّة، وسوف يرى المــتعلّم أنّ كلّ لغة جديدة لها اتّساع في مساحة التّسامح اللّغويّ ولها القدرة علــى التّــأثير والحوار. وإنّه فتح لنافذة جديدة تضاهي نفسياً بدايات تعلّم لغة الأمّ اللغــة الجديــدة ولادة جديدة للذهن، وتحفيز لما خبا وفُتِرَ من ملكاته. وبكلّ ذلك يحصــل الخــروج

من ألق اللغة الواحدة، والتفتّح على هويّة جديدة، وفي ذلك يحصل تجديد الـذهن+ إثراء للهويّة+ دعوة للتسامحّ، وقبول الآخر.

3ـ إدراك القيمة المطلقة لموقع اللغات الوطنيّة: وهذا ما يمكن أن يكـون عبر التّراتبات المحليّة من مسارات تتحدّد عبر استراتيجيات وطنيّة تكـون مـدعاة للفعل السياسيّ والتربويّ يحصل من خلال التّخطيط اللّغويّ المبنيّ علـى مراحـل وخطط من مثل:

- موقع اللغتين من اللغات الأجنبيّة؛
- تقديم خطّة مستقبليّة للغتين في كلّ مرحلة من مراحل التّعليم؛
- الاهتمام بضرورة تقنين التّدوين والمقابلات اللّغويّة؛
- إعداد خطّة لغوية واضحة، والإفادة من الوسائل التّقنية المعاصرة؛
- تعاضد المؤسّسات والوزارات وكلّ الشّركاء في تنفيذ الخطّة؛
- استصحاب ذلك بالجوانب المكمّلة من: وثائق+ كتب+ مطبوعات...؛
- المتابعة المنظّمة للتنفيذ، وتعديل ما ينبغي تعديله؛
- تنفيذ خطّة شاملة لمحو الأميّة؛
- رصد ميزانيّة للتنفيذ.

4 ـ ضرورة الوعيّ بالمطلب الهوياتيّ: يبدو لنا الأمر سهلاً أن يقع الفهـم والاهتمام بأنّ الوعيّ بالمسألة اللّغويّة في بلدنا مطلب ضروريّ وحضاريّ والغايـة منه يكون ضمن محدّدات تقرّها القوانين والأعراف والسّلوك الاجتماعيّ، وما ورث من السّلف الصّالح. إنّه وعيٌّ بالمواطنة اللّغويّة الإيجابيّة ليس إلاّ، ويكون التّركيـز على **التّعايش اللسانيّ**، من خلال

-إظهار مواطن القوّة في هُوياتنا، وتكون قراءاتنا قراءات مضيفة لا تحريضيّة؛

-عدم القياس على الظّواهر الانعزاليّة الفرديّة، وأحياناً تصدر كردّ فعـل، فـلا يجوز الاتّكاء عليها لتمتين المستقبل؛

– الإقرار الحقيقيّ بأنّ ساكنة شمال أفريقيا تبنّوا الإسلام عن قناعة وتعلّموا الدين الإسلاميّ بتدبّر ورويّة، ونشروه خارج مواطنهم، وجعلوا لغة الإسلام تنال الصدارة؛

– حصول الوئام والتّناسق والتّجاور بفعل الإسلام الموحّد الذي يرفض الاعتداء مهما كان نوعه؛

– عمل التّعايش الاجتماعيّ على تمتين الرّوابط اللّغويّة إلى حدّ الاستئناس الاجتماعيّ المتصاهر؛

– إقرار المختصّين بالتّداخل والاقتراض اللّغويّين، وأثر العربيّة ظاهر في كثير من اللّغات، وهذا ما يقرّ به الباحث (سالم شاكر) بأنّ القبائلية بالخصوص تأثّرت بالعربيّة بشكل مُلفت للنّظر يصل إلى 49 % وهو من الدّخيل، فكيف الحال في اللّغات الأخر؟ وهذه النّسبة في بعض السّجلات اللّسانيّة تصل إلى 65%؛

– الاستشهاد بالقوالب العربيّة في لغاتنا الشّفاهيّة وفي المسكوكات والمتلازمات وفي الأمثال وفي الحكم، وفي بعض النّوادر، وفي القاموس اللّغويّ بصورة عفويّة.

ومن وراء كلّ هذا، إنّ العربيّة والمازيغيّة ليستا في حالة تعايش، بل في حالة تبادل دائم، وما ينقص هو العمل على تجسيد الإسمنت الوطنيّ الذي يقوّي العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد كما قال Schnaper ومع ذلك يجب تجسيد هذا المبدأ عبر التّنشئة الاجتماعيّة، وتُغذيها المدرسةُ مهما تعدّدت ألسنة تلاميذها وتضفيها جمالاً مؤسّسات الدولة مثل هذه المؤسّسات التي نمثّلها اليوم، وتسعى إلى تثبيت المكوّنات الوَحْدَويّة المجسّدة في السّلوك الاجتماعيّ؛ لأنّه عندما ترتبط اللّغة بهُويات وطنيّة لا يمكن أن تحصل الفُرقة ولا الضّغينة ولا الخلاف، وقد يحصل الاختلاف المنهجيّ، لكنّ الهدف واحد. ومن الضّروريّ المحافظة على الخريطة اللّغويّة المعاصرة بتكييف نفعيٍّ غرضه توزيع استعمال لغويّ نفْعي يَتَمَاشى وتطلّعات السّاكنة. ولذا كان لزاماً علينا إعادة النّظر في بعض القضايا التي تعمل خارج التّكامل، وعدم التّماهي في ميكيافيليّة الآخر، أو التّفاعل مع الصّراعات

المفتعلة، وهذا كلّه للوصول إلى الوعيّ بالتّكامل اللّغويّ الطبيعيّ المؤدّي إلى مزيد من الانسجام الجمعيّ.

5ــ مفخرة فِعل الأجداد: إنّ أسلافنا عملوا في إطار موحّد، رغم المنعطفات التّاريخيّة الصّعبة التي عانوها في بعض المِحَن، ولكنّهم ما مسّوا الفتن، فهي مُنْتِنَة فلقد كانت نظرتهم إلى أنّ وَحْدة اللغة من وَحْدة الفكر؛ ويعني وَحْدة المصير وعاملوا اللغة العربيّة بميزة خاصّة، لارتباطها بالوحي، وهذا ما لا يدركه كثير من النّاس ويعدون اللغة وسيلة اتّصال فقط، وهذا خطأ كبير يجب التّنبيه إليه. إنّ اللغة وسيلة اتّصال وشخصيّة وثقافة وتراث وحضارة وتفكير... فالعربيّة توصلنا بماضينا وبتراثنا الدينيّ، وتعلّم/ تعليم العربيّة يعني التقرّب إلى الله والمازيغيّة توصلنا بماضينا الكبير وبالعُمق التّاريخيّ في الزّمان. لقد ورثنا مُدوّنات عن أجدادنا الذين قالوا: "**بالعربيّة نمارس وجودنا الثّقافي والعلميّ وبلغاتنا الوطنيّة نمارس وجودنا الفنيّ والفكريّ والتّخصّصي.** من خلال مكوّنات: الإسلام+ المُزوغة+ العُروبة، هذا الثّلاثيّ الذي أنتج طارق بن زياد+ ابن خلدون+ العباس بن فرناس+ ابن بطوطة+ ابن معط الزّواويّ+ الوغليسيّ+ المشداليّ+ التّنسيّ+ الأمير عبد القادر+ الوهرانيّ+ التّلمسانيّ+ الحفناويّ الديسيّ+ ابن باديس+ الشّرفاويّ وغيرهم؛ فهو نتاج التّلاحم الأخويّ البربريّ العربيّ، ففي ظلّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة المازيغيّة ظهر هؤلاء المازيغيّون في خدمة العروبة والإسلام فلا تناقُضَ بين هُويتهم الثّقافيّة العربيّة وهُويتهم المازيغيّة.

إخواني الحضور، إنّ المازيغيّة لم تُصارع العربيّة؛ حيث تحدّدت مجالات كلّ واحدة منها بشكل طبيعيّ، كما لم يمنع القرآن ولا الإسلام استعمال اللغات والألسنة الأخرى، **وبذا عاشت العربيّة بلهجاتها، والمازيغيّة بلهجاتها وتأدياتها جنباً إلى جنب طوال القرون الماضيّة، ولم يحصل بينهما أيّ صراع، بقدر ما كان التّكامل والتّداخل تلاقحاً وتبادلاً في الأدوار والوظائف.**

ــ **الخاتمة:** في الأخير نروم من هذه النّدوة دعوة المختصّين للبحث في قضايا تجمعنا، قضايا الشّأن العامّ؛ قضايا الوَحدة، كما لا نعدم الاحتكام إلى فعل الأجداد الذين نظروا إلى المسألة اللّغويّة نظرة تكامل لا صراع. وفي هذا المجال لا نعدم تلك المقولة لأبي يعلى الزواوي تــ 1952م، الذي أشار كتابه (تاريخ الزّواوة) إلى أنّ هناك علاقةَ تقارب كبيرة بين الحميريّة والبربريّة. وهكذا ترون أنّ مسألة **الهُويّة اللّغويّة** في الجزائر مفروغ منها؛ فهناك تعايش لغويّ منذ دخول الفاتحين هذه البلاد؛ فلقد تخصّصت كلّ لغة بمجال معيّن، وما حدث صراع يمكن الإشارة إليه. فهنا نقول: إنّ **المازيغيّة والعربيّة صنوان متكاملان غير متصارعيْن يكمّلان بعضهما البعض، ويتوجّهان لمستقبل مشترك، ووحدة المصير، فـأنْعِمْ بـه من تكامل!** ومرة ثانيّة لا أطرح خطاب وعظ، وإنّما أردت تأكيد أهميّة الاهتمام بالجانب اللّغويّ لمعايشتي أحداثَه ولخطورة ما يمكن أن ينتج عن رماده، ولما يمكن أن يغرس من مساوئ في منظومة قِيَم شبابنا إذا لم يكن موضع توجيه، وما يمكن أن يؤثّر على العلاقات بين الأفراد داخل المنظومة الاجتماعيّة الواحدة. وبذا أرى ضرورة استجلاء جوانبه، والتزام فقه الدعوة المسالمة، إلى جانب وقفة جادة تضبط الأمور، وتضع الحدود الفاصلة بين ما يجوز البحث فيه وما لا يجوز، وما يمكن أن نعمل على مراجعته، وما لا تجوز فيه المراجعة، وهذا عملنا جميعاً بدءاً من شيخ الكتّاب إلى معلّم المدرسة، إلى التّاجر، إلى المسؤول، وإمام المسجد، **ويزع الله بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن**. ويجب أن يتجسّد الخطاب الدينيّ والمدرسيّ والأدبيّ والنّفسيّ والاجتماعيّ والعلميّ في أنّ المعطيات الجديدة والعولمة تفرض علينا التّعامل مع غيرنا، بَلْهَ الحديثَ عن العلاقات بيننا، وتجبرنا على إقامة علاقات صحيّة مع الآخرين المختلف معهم لغةً وتاريخاً وحضارةً وتلحّ على فتح أبواب الحوار، ورفع الحواجز، وعدم القفز على حدود الزّمان والمكان، أو العمل بطريقة إلغاء الخصوصيات. كان لا بدّ من بناء علاقات إنسانيّة، وحسن الجوار فالشّعوب تتقارب أو توشك على ذلك، وتلتقي على أمر قد قُدر، كما تعولَمَ النّسيج البشريّ

رغماً عن الانعزال في حوزات مغلقة بعيداً عن تجارب الآخرين، فلا بدّ أن ننفتح على بعضنا، ونقبل بعضنا البعض ونتكيّف بإرادتنا أفضل من أن تُفرَض علينا أشياءُ ربّما لا تليق بمقاسنا ومقامنا... وآمل أن نتعاون ونتبادل الفضل لترسيخ الوئام كما جسّده أسلافنا تجسيداً حقيقياً في المجتمع الجزائريّ، وهذا ليس صعباً علينا، فإنّه ما استعصى علينا منالٌ؛ إذا صدقتِ النياتُ، وثبتتِ العزائمُ والشّاعر العربيّ يقول:

وما استعصى على قوم منالُ   إذا الإقدامُ كان لهم منالاً

والشّاعر المازيغيّ يقول: سَداوْ أوپريذ ما شي ذاپريذ، سنيگ أوپريذ ما شي ذا پريذ، ذيثلماس أيفريذ إذا أيريذ.

والله تعالى يقول: ﴿وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملَكم ورسولُه والمؤمنون﴾. وأعلن افتتاح الملتقى الوطنيّ الموسوم (التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدستوريّ الجديد) والله المُوفّق، وبه نستعين.

كلمة معالي رئيسة المجلس الوطنيّ لحقوق الانسان

السّيدة: فافا سيد لخضر بن زروقي؛

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمد ﷺ

- **السيد صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية؛**
- **السيد سي الهاشمي عصاد، الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية؛**
- **السيدة شرفي مريم، المفوض الوطني لحماية الطفولة؛**
- **السيدات الفضليات؛**
- **السادة الأفاضل؛**
- **الأسرة الإعلامية؛**
- **الحضور الكريم**

أود في البداية أن أوجه شكرا عميقا لرئيس المجلس الأعلى للغة العربية المحترم الأستاذ صالح بلعيد على الاختيار الحكيم والصائب لهذا الملتقى الوطني تحت عنوان "**التعايش اللغوي في الجزائر بين العربية والأمازيغية في ظل التعديل الدستوري الجديد**" .

و مما لا شك فيه أن هذا الموضوع الهام له علاقة وطيدة وعميقة مع وجدان الشعب الجزائري ومع تاريخه الحافل بالنضال والتضحيات الجسام. وبالرجوع إلى بعض المحطات التاريخية، نرى بوضوح ونستشف بقوة بأن العربية والأمازيغية هما صلب الشعب الجزائري في تلاحمه وفرض وجوده أمام الاستعمار البشع الذي أراد طمس هويته وارتباطه بهذه الأرض الطيبة.

1- بيان أول نوفمبر1954: هذه الوثيقة التاريخية المؤسسة للثورة الجزائرية طالبت السلطات الفرنسية " الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية

ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي ادّعت أن الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري"

2- الدستور الذي هو القانون الأساسي للدولة أكد في ديباجته، التي تشكل جزءا لا يتجزأ منه،أن "أول نوفمبر 1954 نقطة تحول فاصلة في تقرير مصيرها وتتويجا عظيما لمقاومة ضروس واجهت بها مختلف الاعتداءات على ثقافتها والمكونات الأساسية لهويتها، وهي : الإسلام والعروبة والأمازيغية، التي تعمل الدولة دوما لترقية وتطوير كل واحدة منها...."

وأقر الدستور، لذلك، في المادة 3 منه بأن "اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية" وفي هذا الإطار أحدث الدستور المجلس الأعلى للغة العربية وكلّفه بالعمل على إزدهار اللغة العربية وتعميم استعمالها وعلى الترجمة إليها".

جاءت تدابير المادة 4 من الدستور وجعلت من تمازيغت لغة وطنية ورسمية وتعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني وذلك في إطار استكمال مكونات الهوية الوطنية.و من أجل ذلك، أحدث الدستور المجمع الجزائري للغة الأمازيغية لدى رئيس الجمهورية وكلّفه بتوفير الشروط اللازمة لترقية تمازيغت قصد تجسيد وضعها كلغة رسمية.

3- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة 2، أعطى أهمية كبيرة للغة حيث نصت هذه المادة على ما يلي : " لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي أخر......".

وعندما نتحدث عن اللغة، فهذا يقودنا حتما للهوية وللتاريخ لأن اللغة هي أساس التواصل الفكري والحضاري.

وكل عمل يراد به بصفة مباشرة أو غير مباشرة استهداف اللغة العربية أو اللغة الأمازيغية أو إضعافهما يكون بمثابة بل يعد مساسا بكيان المواطن الجزائري وتحطيما لهويته.

ويجب التنويه في هذا الصدد بما جاء به إبن حزم في مؤلفه الأحكام في أصـول الأحكام حيث كتب " .....إنما يقيد لغة الأمة علومها وأخبارها قوة دولتها ونشـاط أهلها وأن اللغة يسقط أكثرها بسقوط أهلها ودخول غيرهم عليهم".

ومما سبق، يتضح جليًّا بأن اللغة لها دور كبير في الأمة وهي إحدى أهم مكوناته والذي يجب الحفاظ عليه وترقيته.

ونحن في الجزائر، نفتخر ونعتز بالتعايش اللغوي بين العربية، لغة القرآن الكريم وأكد الله العلي في كتابه الكريم عربية القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى ".. إنـا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" و"كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقـوم يعلمـون"، واللغة الأمازيغية التي هي أيضا لغة وطنية ورسمية.

وهذا التعايش اللغوي يعتبر مكسبا كبيرا للشعب الجزائري، حيث أبناء وبنات هذا الوطن الحبيب، بتمكنهم من اللغة العربية واللغة الأمازيغيـة، يصـبحون يتمتعـون بمناعة أكبر في عصر العولمة هذا واللغة العربية واللغة الأمازيغية همـا الإسـمنت الذي يشد هوية الشعب الجزائري، هذا الشعب الحر والمصمم على البقاء حرا.

هذه بعض الملاحظات الوجيزة التي أبيت إلا وأن أشاطرها معكم في هذا الملتقى الوطني الهام والذي يتطرق إلى موضوع يتعلق بهوية وتاريخ الشعب الجزائري الذي قدم تضحيات جساما من أجل أن يتكفل بمصيره الجماعي في كنف الحرية والهويـة الثقافية الوطنية المبنية على اللغة العربية واللغة الأمازيغية مع الإشـارة أن الشـعب الجزائري عاش عبر العصور في انسجام كامل وفي طمأنينة وأن التعـايش السـلمي ليس أمرا جديدا بالنسبة إليه وأحسن محطة وأحسن مثال هـو مـا قدمـه الشـعب الجزائري أثناء ثورة التحرير الوطني المجيدة.

شكرا على حسن الإصغاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة السيدة مريم شرفي
المفوضة الوطنية لحماية الطفولة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام
على أشرف المرسلين

- **السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية،**
- **السيد الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية،**
- **السيدات والسادة الحضور الأكارم،**
- **أسرة الإعلام**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعيدة جدا أنا، بوجودي معكم اليوم للمشاركة في الملتقى الوطني حول " التعايش اللغوي في الجزائر بين العربية والأمازيغية في ظل التعديل الدستوري الجديد".

وعندما تجتمع اللغة العربية والأمازيغية معا، فإننا بذلك نجتمع بقيمنا وأصولنا ووطنيتنا، فما هذا إلا لأن للغة الفضل الكبير في تنشئتنا وتثقيفنا وتوعيتنا وإنفتاح عقولنا على العلم والمعرفة **للعيش معا في سلام.**

السيدات والسادة الأفاضل

إن الحفاظ على اللحمة الاجتماعية كانت وستظل من أولويات برنامج فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، الذي أكد في العديد من المناسبات على ضرورة التمسك بمقومات الوحدة الوطنية، وفعلا، فالعناية الفائقة الذي أولاها فخامته للغة العربية، وترسيم تمازيغت كلغة وطنية في التعديل الدستوري لسنة 2016 لتأكيده على مواصلة الدرب في السرح الوطني للمصالحة الوطنية، هذه المصالحة التي أدمجت في فحواها تاريخنا العريق والمجيد، أخرجت الجزائر إلى بر الأمان بعد عشرية سوداء، ولازالت شرايينها تنبض وتسير بخطى ثابتة في إثراء أسس هويتنا الوطنية.

السيدات والسادة الحضور الكرام

ينظم هذا الملتقى في وقت نشهد فيه تحولات وتغيرات في ظل العولمة والإنفتاح الكبير الذي أتاحته وسائلها للتواصل بين الثقافات والشعوب، وإذ لا أنكر الجانب الإيجابي لوسائل الإتصال الرقمية الحديثة، إلا أن تداعياتها السلبية في فرض ظواهر دخيلة على مجتمعنا وهي كلها أساليب للتغريب والغزو الثقافي وطمس للمعالم الحضارية ومسخ للخصوصيات الوطنية، تستوقفنا وتستدعي الاهتمام القوي لمجابهتها.

وعليه، فإن الأمر يتطلب تضافر الجهود الوطنية لترسيخ ثوابتنا والحفاظ على الموروث الحضاري والثقافي وهويتنا الدينية والوطنية، فالعربية لغتنا ويكفي أنها لغة القرآن الكريم، والأمازيغية لغتنا كذلك، ورافد من روافد الهوية الوطنية وجزء من النسق الحضاري والثقافي لمجتمعنا.

ولذلك، فإن الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة، ففضلا عن ضمانها حماية الطفل عن أي مساس بحقوقه، تعي جيدا أهمية الإنتماء الحضاري والديني في التنشئة السليمة للطفل، وتنخرط كليا في المساعي الرامية إلى ترسيخها في الطفل منذ الصغر، لأننا على يقين أن مجتمع بدون تاريخ هو مجتمع بلا ذاكرة قابل للرضوخ والاندثار.

وفي الختام، وإذ أهنئ كلتا الهيئتين، المجلس الأعلى للغة العربية و المحافظة السامية للّغة الأمازيغيّة الموضوعين لدى رئيس الجمهورية عن حرصهم وإخلاصهم في أداء رسالتهم النبيلة، فإننا نطمح إلى المزيد من العطاء والتجديد فالهدف الإستراتيجي لا أن نتوقف عند التواصل باللغة فقط، وإنما أن ننتج ونبدع بها لتتجاوز الحدود الوطنية وتتصل للعالمية وتتخذ مكانتها اللائقة بين اللغات. فمزيد من النجاح والتوفيق بإذن الله.

أشكركم على كرم الإصغاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصطلح والمفهوم في إشكالية التعايش اللغوي

د. جميلة روقاب

جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف

d.rougab@univ-chlef.dz

➢ **الملخص:**

إنّ العالم اليوم يشهد تطوّرا سريعا في شتّى ميادين المعرفة، وإذا أردنا أن نجد لأنفسنا مكانا أو موقعا في هذا العالم المتغيّر، فواجبنا الأخذ بأسباب الرقي والازدهار، بالقدر الذي يمكننا من الحفاظ على التعايش اللغوي السلمي في ظل المرجعيات الثقافية الأصيلة التي تحمل بذور بقائنا واستمراريتنا.

ويتعلق موضوع هذه الورقة الدراسة بالإشكالية المعقدة التي يطرحها توظيف المصطلح والمفهوم في بحوث التعايش اللغوي، فالدارس للعلاقات اللغوية بين الجماعات الاجتماعية والعرقية التي تختلف دينيّا وثقافيّا، يذهل بذلك الكمّ الهائل من المصطلحات من جهة، ثم بالمعاني المختلفة التي تحمل للمصطلح الواحد من جهة ثانية، فاختيار المصطلح لتعيين وتحديد نوعية التعايش اللغوي، لم يعد بهذا الشكل تسمية بريئة في كلّ الحالات، ما دام يحمل في مضمونه حكما مسبقا عن طبيعة هذه العلاقة، وتجرّ الباحث خلف ذاتيته إلى صياغة تصورات تتنافى مع مقتضيات الموضوعية والدقة العلمية.

وفي الواقع يبدو الأمر في الوهلة الأولى على درجة من السهولة واليسر، ولكن سرعان ما تتعقد الأمور إلى أقصى الدرجات عندما ننظر لهذه المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالتعايش اللغوي بين الجماعات والدول في علاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا الظروف التي أسهمت في إنتاجها وبلورتها، سواء تعلّق الأمر بالسياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي، والتهيئة اللغوية، والعدالة اللغوية

في ظل الصراع اللغوي، والوطننة اللغوية وحرب اللغات، وغيرها من المصطلحات.

➢ **مقدمة:**

صار الحديث عن مصطلح التعايش في عصرنا هذا أمرا من الأهمية بمكان باعتبار احتلاله موقع المركزية في كلّ مناحي الحياة (العلمية- السياسية- الاجتماعية- الدينية...) والبحث عن المعاني الدالة عن تلك المفاهيم المصطلحية الكثيرة، والمشابهة له على غرار: الأمن اللغوي، المواطنة والعدالة اللغوية وغيرها من المصطلحات التي تتقاطع دلاليّا فيما بينها . جعل من مصطلح التعايش اللغوي أداة معرفية مهمة لضبط التشتت اللغوي واللهجي في الجزائر وغيرها من دول العالم، ووسيلة سياسية لتنظيم المجتمعات وفق عوامل مشتركة وتأطيرها وفق نصوص دستورية معينة.

إنّ التعايش الذي نسعى إلى بيان مفهوم مصطلحاته المحايثة هو ذلك التعايش اللغوي الشامل والمتوازن، الذي تتكامل فيه الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية كافة، وإلاّ فكلّ تعايش لا يقوم على تفاعل هذه العناصر وتكاملها فهو تعايش أعرج وتجربة فاشلة، ومن يعتقد أنّ التعايش يمكن اختزاله في الجانب الاجتماعي وحده دون إعطاء الاعتبار للجوانب الأخرى السابقة الذكر فهو على خطأ.

التشريع الجزائري اللغوي:

لقد قيل عن اللغة أنّها مسكن الكائن ومثله تماما، تقع في الموت لحظة ولادتها كما يقع الإنسان في الشيخوخة، إذ يولد جاهزا للموت، وهي مقوم من مقومات الأمة العربية الواحدة، تثق شخصيتها وتؤكد هويتها وتشكل أداة اتصال بين أبنائها[1]، وفي مطلع سنة 1991م صدر أوّل قانون لتعميم استعمال اللغة العربية

[1]- ينظر: مصطفى محمد الحسناوي، واقع لغة الإعلام المعاصر، دار أسامة، ط1، 2011م، ص:28.

وينصّ على التعميم التام لاستعمال العربية في جميع المجالات في الجزائر، وهذه التجربة التي خاضتها الجزائر هي تجربة فذة بدأت توضع قيد التنفيذ إلاّ أنّها أجهضت قبل الأوان.

لقد أظهر الواقع اللغوي بالجزائر وجود أربعة أنساق لغوية هي: اللغة العربية الفصحى، اللهجة العامية، اللغة المازيغية، اللغة الفرنسية، وأثبت التاريخ أنّه لا توجد تعددية لغوية في الجزائر، إنّما تسامح وتكامل لغوي، فالعربية هي اللغة الرسمية في الجزائر، وهذا يعني أنّها لغة الدستور والإدارة والأمور الرسمية ولا يعني إقصاء اللغات الوطنية الأخرى لأنّها مساعدة لها، فالدارجة والمازيغية لهما استعمال وظيفي تخفيفي محدود لابدّ منه، وأغلب المجتمعات تضمّ الدارجة واللهجات إلى جانب اللغة الأمّ، إنّما الخطر المحدق باللغة الأمّ هو غزو اللغة الأجنبية؛ لأنّ الفرنسية تعمل على إقصاء العربية والتعالي عليها، وتحاول احتواء المازيغية وتحريضها، لذا فلا مناص من وجود المازيغية مع بقاء العربية وأولويتها[2]. لذا تلاقت وتعايشت المازيغية والعربية ما يقارب الخمسة عشر قرنا من الزمن دون مواجهة أو مضايقة من إحداهما تجاه الأخرى، ولم يحدث بينهما تمييز اجتماعي أبدا.

وقد كشف السيد أحمد أويحيى، مدير ديوان رئاسة الجمهورية في العاصمة الجزائرية، مؤخرا عن مشروع تعديل دستوري تضمن 47 مادة شملت قوانين تنظيم الانتخابات ومشاركة الأحزاب في العمل السياسي وعمل الجمعيات وحرية الإعلام.

وتعتبر هذه التعديلات باكورة مشاورات، كانت الرئاسة قد فتحتها مطلع مايو 2014، عقب إعادة انتخاب فخامة الرئيس السيد عبد العزيز بوتفليقة لولاية

[2]– محمد عرباوي، التجربة الجزائرية وتجارب الدول الأخرى في رسم سياستها اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2012م، ص:436 وما بعدها.

رابعة، مع شخصيات وطنية وأحزاب سياسية وجمعيات ومنظمات وخبراء قانون وقاطعتها أحزاب معارضة. فلأوّل مرّة نصّت الوثيقة الجديدة على ترسيم الأمازيغية، كلغة ثانية في البلاد إلى جانب العربية.

➢ **مفهوم التعايش اللغوي بين العربية والمازيغية في فكر صالح بلعيد:**

لعلّ المراد بالتعايش هو "أن يعترف كلّ طرف للآخر بحقه في التمسك بقناعاته ومعتقداته، وممارسة شعائره الدينية، والعمل وفق اجتهاداته المذهبية ويتعامل الجميع كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، متعاونين لتحقيق المصلحة العامة ومواجهة الأخطار المشتركة"[3]، هذا بالنسبة لمفهوم التعايش الذي دعانا إليه ديننا الحنيف عموما، لكن ما المقصود بالتعايش اللغوي؟

"إنّ العربية والمازيغية لغتان مشتركتان في الأرومة، ومن أصل واحد ولهما وطن واحد ومصير واحد، فهذا هو الانسجام البيني الذي يربط ويتفاعل داخل الوطن الجزائري، وهذا هو الهوية الوطنية فإذا قويت الهوية قويت اللغة والعكس يصحّ، فلا يمكن أن تحصل للمازيغية مواطنة حقيقية في ظلّ تغييب أو فصل العربية عنها، رغم كون العلاقات التي سادت بينهما لم تكن متكافئة بفعل فاعل (ولم تخل من نزاع معلن أو مضرّ للهيمنة والابتلاع من جهة اللغة والثقافة اللتين توافرت فيهما كلّ شروط السيادة اللغوية)[4]، المازيغية لغة مشتركة ومسؤولية ترقيتها وطنية، والعربية متكأ المازيغية فلهما وطن واحد، ومصير واحد، في بلد واحد، فلا يمكن الفصل بين هذا الثنائي"[5].

---

[3]– الشيخ حسن موسى الصفار، التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص:96.

[4]– عبد المجيد السخيري، القضية الأمازيغية وحقوق الإنسان في نقض النظام الرمزي السائد، مجلة نوافذ، المغرب، العدد49–50، 2011م، ص:35.

[5]– صالح بلعيد، النخبة والمشاريع الوطنية، ص:123.

لقد استطاعت المازيغية في ظل التعديل الدستوري المؤرخ 2016م، أن تحصل على مكانة في الدستور الجزائري إلاّ أنّنا نتساءل لمــاذا غابــت عــن الحضــور والتوظيف الفعلي في الواقع، هل بسبب معاناتها من التشتت اللهجي الذي صــعب من مهمة التخطيط لها، فهي تضمّ عدّة فروع لغوية وهي:

(القبائلية- الشاوية- الميزابية- الطوارقية- الشنوية- والشلحية- الزناتية فــي كورارة بولاية أدرار- وتكركرنيت في ورقلة- ولهجة الأطلس البليدي وهي لهجة أمازيغية صنهاجية في الشمال)[6]

هذه اللغة المازيغية صنّفها بعض المتخصّصين بأنّها لغة، وهناك من اعتبرهــا مجموعة من اللهجات المحلية بسبب افتقارها إلى نظام رمزي هجــائي، وقواعــد نحوية وصرفية موحدة بين جميع أنواعها الجهوية، وجــدير بالتنبــه "أنّ التمييــز الاجتماعي أحدثته الفرنسية التي خلقت نوعا من النخبة الوطنية المتعاليــة، والتــي أضحت تعتدي على الثوابت"[7]. وإذا كانت محاولات الدراســة فــي مجــال اللغــة الأمازيغية اتسمت بالفوضى وتشتت الموضوعات، وكذا هيمنة الفكر السياسي على الدراسة العلمية ممّا جعل الباحثين في اللغة الأمازيغية، يحركهم الانفعال والعاطفــة أكثر ممّا يحركهم الوعي العلمي[8].

فغياب التعايش اللغوي يعتبر كارثة في نظر المهتمين بالوضــع اللغــوي وإذا طبقنا مفهوم الأمن اللغوي واللاأمن اللغوي على واقعنا المحلــي بــالجزائر، فــإنّ النتيجة في المحصلة تعدّ كارثة بكلّ المقاييس، حيث بالقياس إلى استنتاجات الباحثة غونييه فإنّ المدن الجزائرية وفي مقدمتها العاصمة ينعدم فيها تماما الأمن اللغــوي نظرا للرطانة القبيحة التي تشــيع فــي لغــة العاصــميين، وهــي خلــيط نــادر

[6]- ينظر: عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأمّ، ص:116.

[7]- صالح بلعيد، في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، دار هومه، الجزائر، 2008م، ص:13.

8- ينظر: أيدير إبراهيم، تجربة مولود معمري في ترقية اللغة الأمازيغية، ضمن أشغال ملتقــى التخطيط اللغوي بالجزائر، تيزي وزو، 2012، ص:179.

المثال...ونفس الوضع تقريبا نصطدم به على مستوى المدن الكبرى، وقد نستثني من هذه الكارثة بعض المدن النائية في جنوبنا الصحراوي، ما عدا ذلك فإنّ لهجات مدننا وقرانا تعاني من بلبلة لغوية زادتها الأميّة والجهل تكريسا ورسوخا مع مرور الأيّام، يحدث هذا في الوقت الذي يحاول عدد من الباحثين اللغويين المحليين إضفاء نوع من التبرير على هذا الوضع بوصفه تنوّعا وثراء ثقافيّا يجب الحفاظ عليه من الاندثار، علما بأنّ هذا التنوع والثراء المتحدث عنه بالكثير من الافتخار يعاني من إقصاء شبه مبرمج الشيء الذي جعل منه ضحية موت بطيء، وتهديد بالزوال السريع[9].

- **سياسة الجزائر في توسيع نطاق استعمال اللغة المازيغية:**

إذا نفينا الجانب السياسي، يلاحظ أنّ التمازج بين العرب والأمازيغ ظلّ على مرّ التاريخ بفضل أخوّة الإسلام، ولم يشعر أحد بالغبن والحيف منذ وطئت أقدام العرب المسلمين شمال إفريقيا، فظلوا يتصاهرون وينكبون على تعلّم اللغة العربية وخدمتها، ولم يدعوا العرب إلى تعلّم اللغة الأمازيغية فرضا أو طواعية، ولكن بعد الارتماء في أحضان الفكر الليبرالي الذي يقدّس الذاتية والفردانية، بدأت فئة من الأمازيغ المتشبثين بالفكر الغربي تطالب بحقّ الأمازيغية وفي الانفصال عن العرب[10].

ومن أجل توسيع نطاق استعمال اللغة الأمازيغية سعت الدولة الجزائرية إلى اتخاذ التدابير اللغوية والسياسية التالية:

- تأسيس الأكاديمية المازيغية
- الاهتمام بالترجمة
- الاهتمام بالتقنية اللغوية

[9] على الرابط:echoroukonline.com–

[10]– أحمد عزوز، محمد خاين، العدالة اللغوية...، ص:103.

- التشريع اللغوي وهو قرار سياسي
- إنشاء منظمة ومدارس وجامعة
- توظيف وسائل الإعلام
- تخصيص الجوائز الأدبية المازيغية

➢ **التعايش اللغوي وبعض المصطلحات المحايثة:**

في بحوث حول مصطلح التعايش اللغوي ومفهومه تجد الدارس للعلاقات اللغوية بين الجماعات الاجتماعية والعرقية التي تختلف دينيّا وثقافيّا، متفاجئا أمام الكمّ الهائل من المصطلحات من جهة، ثم بالمعاني المختلفة التي تحمل للمصطلح الواحد من جهة ثانية، فاختيار المصطلح لتعيين وتحديد نوعية التعايش اللغوي، لم يعد بهذا الشكل تسمية بريئة في كلّ الحالات، ما دام يحمل في مضمونه حكما مسبقا عن طبيعة هذه العلاقة، وتجرّ الباحث خلف ذاتيته إلى صياغة تصورات تتنافى مع مقتضيات الموضوعية والدقة العلمية.

إنّ التعايش اللغوي الذي هو أحد الأسس الضرورية لضمان نجاح التنمية الشاملة والمتوازنة في بلادنا وسائر البلدان العربية، لا يمكن أن يتمّ عن طريق لغة أجنبية؛ وإنّما يرتهن على اللغة الوطنية التي تتوافر على مؤهّلات كثيرة ، "لكن هذا يعني بتاتا إقصاء اللهجات الوطنية الأخرى ومنها الأمازيغيات في حالة بلدان المغرب العربي أو تهميشها، كما لا يعني بتاتا الاستغناء عن اللغات الأجنبية إنّما لا يعني لو أردنا أن نضع خطاطة أو تصوّرا لما يمكن أن تضطلع به اللغات المستعملة في منطقتنا المغاربية، ونحاول توزيع أدوارها حسب مؤهلاتها وما يمكن لها أن تقوم به من وظائف، لما وجدنا خيرا من العربية الفصحى لتحتلّ المرتبة الأولى بكلّ تجرّد وموضوعية من بين بقية اللغات واللهجات المستعملة وطنية كانت أم أجنبية، ولا سيما في المجال العلمي والمعرفي والثقافي والديني والإداري ومجال التماسك الاجتماعي على وجه الخصوص وهذه المزايا أهلتها لتكون لغة رسمية بامتياز، وأمّا اللهجات الأمازيغية وهي متعددة في المغرب كما في الجزائر

وبقية المنطقة المغاربية، فهي بلا منازع لهجات وطنية ولا أحد يمكنه أن ينزع عنها هذه الصفة، لكنّها ما تزال في حاجة إلى مزيد من التأهيل والمعالجة، لأنّها مازالت في خطواتها الأولى نحو المعيرة والتنميط لكي تتوحّد في لغة معيارية مشتركة بين كلّ الناطقين بها المنتشرين في مناطق شتّى من الشمال الإفريقي وبعض دول جنوب الصحراء، لكن هذا لا يمنع من أن تقوم بوظائف تواصلية واجتماعية بجانب العربية، وأن يكون لها دور معيّن في التعبئة ونشر الوعي وتحريك عجلة التنمية[11].

وفي الواقع يبدو الأمر في الوهلة الأولى على درجة من السهولة واليسر، ولكن سرعان ما تتعقد الأمور إلى أقصى الدرجات عندما ننظر لهذه المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالتعايش اللغوي بين الجماعات والدول في علاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا الظروف التي أسهمت في إنتاجها وبلورتها، سواء تعلّق الأمر ب:

السياسة اللغوية ؛

والتخطيط اللغوي ؛

والتهيئة اللغوية ؛

والعدالة اللغوية في ظل الصراع اللغوي ؛

وحرب اللغات و الأمن اللغوي وغيرها من المصطلحات. فما هو القاسم والفارق بينها جميعا؟

حرب اللغات:

من اليقين الذي لا يدخله شك أنّ انتشار اللغة العربية في كثير من بلدان العالم أصبح على حساب اللغات الأجنبية الأخرى هاجسا يعكر صفو الذين يخافون على مصالحهم اللغوية في مختلف البلدان الفرانكفونية والأنجلوفونية، كما أضحوا

[11]– عبد العلي الودغيري، دور اللغة الوطنية في تحقيق الأمن الثقافي، ص: 44 وما بعدها.

يخشون على أنفسهم من هذا الخطر الذي لا يعترف بالتعددية اللغوية والثقافية، وما يزال الصراع قائما بينهما إلى يومنا هذا. يقول أحد المستشرقين:" ولم تكن غلبة اللغة العربية بعد ذلك بسلطان الحكومة، بل بالاختيار وكان انتشار اللغة العربية في الأقوام غير الإسلامية أمرا لا ترغب فيه الحكومة كثيرا، فمنع تكلّم النصارى اللغة العربية وتعلّم أولادهم في مدارس المسلمين، ورغم هذه الحال صار الإسلام دينا رغب فيه أكثر الشعب، واتخذت الشعوب غير المسلمة اللغة العربية لغة لها ويمكن تفسير رواج اللغة العربية هذا الرواج بأنّ العرب لم يعتمدوا على قوة السلاح فقط كالجرمان والمغول والإيرانيين القدماء، ولكنهم أنشأوا منذ القرن السابع الميلاد لغة أدبية متقدمة في ساحة الفكر تقدما واضحا"[12].

والسعي لإماتة العربية أمام اللغات الأجنبية الكبرى فرضت عليها الحرب؛ إذ "يسعى خصوم العربية وثقافتها إلى إذكاء نيرانها بشراسة قد لا تقلّ عن شراسة جبهة اللهجات الدارجة المتفرعة عن العربية التي يراد لها أن تحلّ محلّ الفصحى وجبهة اللهجات المحلية الوطنية الأخرى (الأمازيغيات في حالة المغرب والجزائر) التي يريد بعضهم- للأسف- أن يجعل منها أداة لمحاربة العربية"[13]. لكن التعايش اللغوي السلمي بينهما ببلادنا في ظلّ التعديل الدستوري الجديد سيجعل -عاجلا أم آجلا- هذه الخلافات اللغوية الداخلية تزول بإذن الله.

وبالرجوع إلى الوضع اللغوي بالجزائر فإنّ حرب اللغات بها تتجلّى في "اقتران المطالب الأمازيغية بالحركة الفرانكوفونية، منذ بداياتها الأولى، بحيث لم تستطع التخلّص من ترسباتها إلى اليوم، وتجلّى هذا الاقتران في معاداة كلّ ما هو عربي وتحويل درس الأمازيغية إلى درس في الفرنسية، وإنجاز البحوث عنها (الأمازيغية) بالفرنسية، وبالنظر إلى بعض جامعاتنا ...هذا كله بفعل قسم اللغات

---

[12]- بارتولد باتولد، زيغريد هونكه، تاريخ الحضارة الإسلامية، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ط2، 1969م، ص:63.

[13]- عبد العلي الودغيري، المرجع نفسه، ص:55.

الشرقية والأكاديمية البربرية في باريس اللذين يمارسان نفوذهما بصورة أو بأخرى على نخبة الجزائر الأمازيغية، إذ تعمل هذه الفئة على تغريب الأمازيغية بالعمل على تنقيتها من كلّ مقترض عربي، وكذا تبنّي رسم الخط اللاتيني وسيلة لتدوينها واتخاذ الفرنسية وسيلة لتعليمها داخل الصفوف[14].

التخطيط اللغوي:

يعدّ التخطيط اللغوي فرعا من فروع اللسانيات الاجتماعية التي تعنى بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع ومدى تأثّر كلّ منهما بالآخر، ويعنى التخطيط اللغوي بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة، سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة؛ كتوليد المفردات وتحديثها، وبناء المصطلحات وتوحيدها، أم مشكلات غير لغوية ذات مساس باللغة واستعمالها[15]، وفي هذا السياق يشير الباحث المغربي عبد القادر الفاسي الفهري إلى مفهوم التخطيط اللغوي من خلال وضع معجم ذهني وهذا في قوله:" إنّ العربية بحاجة إلى أبحاث في خصائص معجمها الذهني، ومعارضة خصائص هذا المعجم بخصائص المعجم الأجنبي أو المعجم العامي، وهي بحاجة إلى دراسات نفسية تحتسب سرعة إيجاد الكلمات أو استرجاعها عند المتعلّم العربي مقارنة مع متكلم الأجنبية أو متكلم العامية، وبخصوص وضع العربية في محيطها، ينبغي ألاّ نهمل دروس التاريخ، فمآل العربية لا يمكن أن يكون مآل اللاتينية؛ لأنّ المغربي قلبه عربي، ولغة دينه عربية، ولسانه عربي"[16].

---

[14]- ينظر: أحمد عزوز ومحمد خاين، العدالة اللغوية، ص: 95، 96.

[15]- ينظر: فواز عبد الحق الزبون، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية، الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، مؤتمر اللغة العربية في المؤسسات الأردنية واقعها وسبل النهوض بها، ط1، الأردن، 2009م، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ص:88.

[16]- عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر الرباط، المغرب، ط1، 1998م، ص:169.

إنّ التخطيط اللغوي في بلد ما يعني قوّة سياسية ومهمة حضارية أنتجهــا فعــل التنوّع والغنى اللغوي ليستغل إيجابيّا، هو علامة انتقالية للمواقف اللغوية المتغيــرة لكن على التخطيط أن يكون شاملا و لا يميّز النوع الثاني فقــط، إنّ كــلّ سياســة لغوية مؤسسة على جملة اختيارات ننتظر منها نتائج في شكل اللغات؛ أي المدونات أو في مستوى العلاقة بين اللغات وضعية اللغات في الحالة الثانية إنّ اتخاذ قــرار حول لغة ما في الوطن الواحد، سيؤثر على اللغات الممارسة علــى التخطــيط أن يكون واضحا بحيث تكون لكل لغة مكانة ووضعية تشرع السياسة وفقها قانونا لكل اللغات[17].

الأمن اللغوي:

إذا جاز أن يعرّج إشاريّا أنّ مصطلح الأمن اللغوي وضعته العالمــة اللســانية الفرنسية نيكول غونييه (Nicole Guennier) أوّل من استعملت المصــطلح فــي بحث لها عن مظاهر التعدد اللغوي فــي المجتمعــات (sécurité linguistique) في منظور التواصل والانسجام المجتمعي، وأنّ تفتت المجتمع الجزائري –علــى سبيل المثال– من الداخل يأتي من التسامح اللغوي، "فالحاكم كان عليه أن يســتمع إلى منتج الأفكار، ومن ثمّ يصنع القرار"[19]، ولمّا قدّم صاحب كتاب (يزع بالحــاكم ما لا يزع بالعالم) حكما مسبقا بأنّ القرار السياسي يحصل الأمن اللغــوي، إذ هــو الفيصل في المسألة اللغوية، وعن طريقه يحصل الأمن اللغوي الذي يعادل الأمــن المائي والغذائي، وكلّ هذا مرتبط في اعتقاده بما اصطلح عليه بالتســامح اللغــوي لأنّ العقدة والمشكلة التي تعاني منها العربية تكمن في البنية العلمية والعملية لــدى النخبة، وفي الفعل والإرادة السياسية لدى المسؤولين لحلّ المسألة اللغويــة وهــذا

[18] موضع الإحالة 18 في الأصل في بداية السطر: [18]في منظور التواصل...

[17]– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط2004م، ص:179.

[18]– ينظر: رشيد فيلالي، غياب تام للأمن اللغوي في الجزائــر، مــن يوقــف الكارثــة؟ علــى الرابط: www.echoroukonline.com

[19]– صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، ص:71.

بالفعل ما حدث فعلا في ظل التعديل الدستوري الجديد بـــالبلاد. "فـــالأمن اللغـــوي عنصر أساسي من عناصر الأمن الثقافي وشرط ضروري مـــن شـــروط التنميـــة الثقافية والاجتماعية، ويتحقق هذا الأمن من خلال التعدد اللغوي، الذي لا نعني بـــه الضياع والتشرذم، بل يراد به الاستفادة من كلّ معطيات الخصوصـــيات الثقافيـــة واللغوية والحضارية الموروثة محليّا وإقليميّا، وكذا معطيات الحضـــارة العالميـــة الجديدة والتفتح على ثقافاتها بتعلّم كلّ ما أمكن تعلمه من لغاتها لكن مع سيادة اللغة الوطنية الرسمية"[20].

العدالة اللغوية:

طرح الباحثان الجزائريان أحمد عزوز ومحمد خاين مسألةً جديدةً فـــي الثقافـــة العربية وهي "العدالة اللغوية" في مؤلف جمع بينهما تحت عنوان:" العدالة اللغويـــة في المجتمع المغاربي: بين شرعية المطلب ومخاوف التوظيف السياسوي هو كتاب يقع في 172 صفحة"، هذه العدالة اللغوية التي راحت تفرض نفسها بالتدريج علـــى الفكر العربي الحديث، بعدما أصبح مفهوم العدالة الثقافية حقلًا مهمًـــا مـــن حقـــول الاجتماع والسياسة. وقد حاول الباحثان في هذا الكتاب أن يصوغا إطارًا علميًا لهذا المصطلح ويظهرا تطبيقات العدالة على القضايا اللغوية. والغاية من هـــذا الكتـــاب هي عرض الوضع اللغوي في المغرب في سبيل مقاربة العدالة اللغوية في جذورها ومشكلاتها والحلول الافتراضية لها.

التهيئة اللغوية: هو ما يصطلح عليه بـــــ (aménagement linguistique) يطلق عليه للدلالة على المعنى نفسه للتخطيط اللغوي، وهمـــا يـــدلان علـــى كـــلّ العمليات التي تجري على لغة ما بصفة إرادية للانتقال بها من وضع إلـــى وضـــع آخر منشود. وبما أنّ العالم اليوم يشهد تطوّرا سريعا في شتّى ميـــادين المعرفـــة

[20]– عبد العلي الودغيري، دور اللغة الوطنية في تحقيق الأمن الثقافي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2012، ص:44.

وإذا أردنا أن نجد لأنفسنا مكانا أو موقعا في هذا العالم المتغيّــر، فواجبنـــا الأخــذ بأسباب الرقي والازدهار، بالقدر الذي يمكننا من الحفاظ علـــى التعـــايش اللغـــوي السلمي في ظل المرجعيات الثقافية الأصيلة التي تحمل بذور بقائنا واستمراريتنا.

السياسة اللغوية:

"السياسة اللغوية في أيّ بلد مستقل تكشف تفاعل أربعة عوامل متداخلة، وكثيرا ما تكون متجاذبة حدّ التعارض:

الوضع اللغوي الحقيقي في البلاد

مجموعة معتقدات متأثرة بمطالب الهوية القومية أو العرقية

الاستمالة التي تمارسها اللغة الانجليزية في الوقت الراهن باعتبارها لغة عالمية

الضغوط الناجمة عن أهمية الأقليات اللغوية في أيامنا هذه"[21].

اللغة تعني – بصورة مباشرة أو غير مباشرة– المعرفة والقوة والسلطة، واللغة هي مقوّم أساس من مقومات الدولة واستقلالها وسيادتها، وقد تتنازل الدولـــة عـــن بعض مزاياها، ولكنها لا تتنازل عن لغتها لوطنية، ولهذا تعزو خبيرة في شـــؤون الاتحاد الأوروبي بطء تطوّره إلى عدم استعداد الدول الأعضاء للتنازل عن سيادتها اللغوية، والقبول باستعمال ثلاث لغات أو لغتين أو لغة واحدة في مؤسساته المختلفة بدلا من 22 لغة حاليّا.

والسياسة اللغوية هي نشاط ممنهج تمارسه الدولة لتنظيم الشـــأن اللغـــوي فـــي البلاد، وتحديد وظائف ومجالات استعمال كلّ لغة، وطنية كانت أو أجنبية، وتوفير وسائل تنمية كلّ لغة وتطويرها، أو اتباع طرائق مضايقتها ومحاصرتها وتـــدميرها وتتوصل الدولة أو المؤسسة المنوط بها وضع السياسة اللغوية إلـــى هـــذا المـــنهج العلمي عن طريق ما يسمّى بالتخطيط اللغوي القـــائم علـــى دراســـات وبحـــوث

[21]– برناردسبولسكي، التخطيط والسياسة اللغوية بالجزائر، 2004م، ص:133.

اجتماعية واقتصادية ولسانية، تحدد بموجبها الأهداف المرجوة والوسائل المادية والبشرية اللازمة لتحقيقها، وطرائق التنفيذ والتقويم.

فالسياسة اللغوية لا تتوقف عند التخطيط، بل تمتدّ إلى التنفيذ أو التدبير الذي يستلزم إصدار قوانين وأنظمة، وإنشاء مؤسسات رسمية أو غير رسمية تتولّى التطبيق والتنفيذ، ومن هنا يرى علماء اللسانيات الاجتماعية الفرنسيون أنّ السياسة اللغوية politique linguistique تشتمل على التخطيط اللغوي planification linguistique والتدبير اللغوي Aménagement linguistique على حين أنّ معظم المختصين الأمريكيين يستخدمون مصطلحي السياسة اللغوية language policy والتخطيط اللغوي language planing بوصفهما مترادفين [22].

التنمية اللغوية:

اللغة الوطنية هي مكوّن أساسي لكيان المجتمع، وهي وعاء ثقافته ولسانها الناطق المعبّر، بل هي روح المجتمع وخلاصة تجربته وحضارته والمادة التي تصوغ فكره، ولذلك لا يمكن لمجتمع على هذا النحو أن يتجرّد من لغته أو يفرّط فيها إلاّ إذا كان يريد الانتحار والتخلص من ذاته وذاكرته، وكلّ ما يرتبط بانتمائه الثقافي والحضاري...فبها يتمّ نشر الوعي وتعميم التعليم وتوطين المعرفة وتعميم المشاركة وتقوية التماسك الاجتماعي والتحرر من التبعية الثقافية والاستلاب اللغوي والفكري...وتنمية اللغة الوطنية يكون عن طريقين: معنوي مادي

فالأوّل: سبيله الاعتزاز بها، وإرساخ مكانتها في المجتمع، والتمكين لها، وتربية الأجيال على حبّها واحترامها والتشبّثُ بها، والاعتراف بدورها وأهميتها في التنمية.

---

[22]– علي القاسمي، السياسة اللغوية وعلاقتها بالتخطيط التربوي والتنمية البشرية المدارس الأجنبية والخصوصية في السياسة اللغوية، الندوة الدولية التخطيط والسياسة اللغوية تجارب من الدول العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2015م، ص:8 وما بعدها.

والثاني: سبيله خدمتها والنهوض بها، وإصلاح ما يحتاج منهـا إلـى إصـلاح وتطويرها، وإغناء معجمها، وتبسيط الأنحاء الواصفة لها، وتطوير مناهج تعليمهـا وطرق تدريسها، ونشر وتعميم استعمالها في كلّ المجالات، ولاسيما كـلّ مراحـل التعليم، وكلّ المرافق الإدارية والوسائل الإعلامية[23].

➢ **مزايا التعايش اللغوي بالجزائر:**

لقد أصبح من نافلة القول أن نؤكد اليوم أنّ العبرة من التعـايش اللغـوي بـين العربية والأمازيغية ببلادنا هو التركيز على وظيفية اللغتـين ونفعيتهمـا، وتكـون بالفائدة التي تعود بها هاتين اللغتين على مجتمعنا الذي يستعملهما، والوظيفية التـي تقوم بهما وذلك هو المهم فالعربية والمازيغية وجدتا لتخدما المـواطن الجزائـري والمجتمع ككل، وليس العكس حتّى لو قمنا بمجهود كبيـر لترقيتهمـا والمحافظـة عليهما بكتابة الأمازيغية واستعمالهما في التعليم والإعلام والإدارة والاقتصاد...الخ

ومن مزايا التعايش اللغوي بالجزائر –وسائر الدول العربية والمغاربية– تحقيق التنمية اللغوية والثقافية والاقتصادية، وهذا ما يمكن أن نستشهد به في كـلام عبـد السلام المسدي حين قال:" وليس من سبيل – والنفي هنا على وجه القطع الجـازم– إلى الأخذ بأسباب التنمية عن طريق المعرفة إلاّ بالاعتماد على لغة قوميـة تجمـع ولا تفرّق، تؤصّل و لا تستأصل، تستزرع ولا تجتثّ... ومن حظّ العرب أنّ لهـم لغة قومية، وانّ لها جاهزية تؤهلها لاحتضان الثورة المعرفية العارمة، فمتى ندرك أنّ توطين العلم وما ينجم عنه من تقنيات مستحيل استحالة قاطعة خارج دائرة اللغة التي بها نكون، ومعها نتماهى والتي هي في الوعي الفردي كما في الوعي الجمعي الرمز الأعلى المعبِّر عن الهوية؟"[24]، وعليه نقول أنّ الأخذ بأسباب التنمية اللغوية

23– ينظر: عبد العلي الود غيري، لغة الأمة ولغة الأم، ص:54، 55.

24– ينظر: عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغـوي، دار الكتـاب الجديـد، بيـروت، ط2011م، ص:217.

والثقافية والاقتصادية والعلمية لا يتأتّى إلاّ من خلال دسترة التعايش اللغوي في البلاد.

➢ **سبل التعايش اللغوي بالجزائر:**

– تعزيز الانتماء؛ "لأنّ اللغات كالقبائل والشعوب يحتاج بعضها إلى بعض ولا تتكامل إلاّ بغيرها"[25]، فهذا المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله (رحمه الله) يقول:" فعلماء البربر الذين ألفوا بالعربية في مختلف العلوم لا يمكن أن نقارنهم كثرة بأجدادهم الذين ألفوا بالإغريقية واللاتينية"[26]؛ فنجد منهم الزواوي والشاوي والمغراوي والبجائي والبوني وهي كل ألقاب أمازيغية نسبة إلى قبيلة أو منطقة من مناطق بلادنا الحبيبة.

الحرص على السلامة اللغوية في الكتب والمراسلات؛ إذ تدوّن الأمازيغية في الجزائر بثلاثة خطوط: العربي، اللاتيني والتيفيناغ، ولم يبت هذا الأمر إلى الآن لدرجة أنّ أوراق الامتحانات مثلا:(في البكالوريا، وشهادة التعليم المتوسط) تقدم بالخطوط الثلاثة، وللطالب حرية الاختيار[27]. وهذا ليس غريبا عنّا فالتاريخ يشهد بأنّ الأمازيغ اتخذوا من الخط العربي قديما وسيلة لتدوين الأمازيغية وكتابتها "فرغم انتشار اللغة العربية بين البربر وتقديسهم لها باعتبارها لغة الدين، فإنّ بعضهم عبّر عن خواطره أحيانا بالبربرية، ولكن بحروف عربية، وكان هذا شائعا بين المتعلمين منهم"[28]، ولم ينظروا للخط العربي نظرة ازدراء .

---

[25]– عبد الجليل مرتاض، التنمية اللغوية من أين تبدأ؟ مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر، العدد9، ط2009م، ص:73.

[26]– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1993، ج4، ص:203.

[27]– أحمد عزوز ومحمد خاين، المرجع نفسه، ص:96.

[28]– أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص:206.

اعتماد دليل قواعد تيسير الإملاء والقرارات المجمعية في الألفـاظ والأسـاليب الصادرة عن مجمع اللغة العربية بالجزائر وتوزيعها على المجلس الأعلـى للغـة العربية والمحافظة السامية للأمازيغية والمؤسسات التربوية والثقافيـة والإعلاميـة وسائر الجهات المعنية.

تطبيق التشريع والقرار السياسي الملزم لحماية اللغتين العربية والمازيغية.

الحرص على سيرورة المازيغية في ميادين الحياة كافة (اللافتات والإعلانـات أسماء المنتجات، أسماء المحال التجارية وغيرها) جنبا إلى جنب مع اللغة العربية

جعل إتقان اللغة المازيغية مطلبا أساسيا للالتحاق بالجامعات (على غرار اللغات الأجنبية الأخرى)، وهذا يعني أنّ المازيغية لا تعامل معاملة لغة أجنبيـة، أو لغـة ثانية، وإنّما تعامل معاملة اللغة الأولى؛ أي اللغة الوطنية الرسمية سواء بسواء.

خاتمة:

وأخيرا على رجال السياسة والفكر والإعـلام أن يقومـوا بتوجيـه جهـودهم وأقلامهم لإشاعة روح التعايش والتسامح اللغوي بين المواطنين الجزائـريين، مـع ضرورة محاربة أشكال التطرف والتشدّد التي يغـذيها الأعـداء وينميهـا الجهـل والغباء، وعلى كلّ واحد منّا أن يعي ويتحمّل مسؤوليته في صنع الوحدة الوطنيـة والتعايش اللغوي بسلوكه اللغوي وتعامله السليم مـع سـائر إخوانـه المـواطنين فالصراع بين اللغتين العربية والأمازيغية هو تناحر ينخـر جسـد البلـد ويهـدّد مستقبلها، ويضرّ بمصلحة الجزائريين، وصدق المولى عز وجلّ حين قال في كتابه العزيـز: " و لا تنـازعوا فتفشـلوا وتـذهب ريحكـم واصـبروا إنّ الله مـع الصابرين"(الأنفال،الآية 46).

قائمة المراجع والمصادر

1.أحمد عزوز ومحمد خاين، العدالة اللغوية في المجتمع المغاربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2014م

2.أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط1993م، ج.4

3.إيدير إبراهيم، تجربة مولود معمري في ترقية اللغة الأمازيغية، ضمن أشغال ملتقى التخطيط اللغوي بالجزائر، تيزي وزو، 2012

4.بارتولد باتولد، زيغريد هونكه، تاريخ الحضارة الإسلامية، منشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ط2، 1969م

5.رشيد فيلالي، غياب تام للأمن اللغوي في الجزائر، من يوقف الكارثة؟ على الرابط: www.echoroukonline.com

6. الشيخ حسن موسى الصفار، التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

7.صالح بلعيد، النخبة والمشاريع الوطنية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر 2013م، جامعة تيزي وزو.

8.صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م..

9.صالح بلعيد، في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، دار هومه، الجزائر، 2008م

10.عبد الجليل مرتاض، التنمية اللغوية من أين تبدأ؟ مجلة اللغة العربية، العدد9، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009م.

11.عبد السلام المسدي، العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2011م

12.عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط2004م

13.عبد العلي الود غيري، دور اللغة الوطنية في تحقيق الأمن الثقافي، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015م.

14.عبد العلي الود غيري، دور اللغة الوطنية في تحقيق الأمن الثقافي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2012

15.عبد العلي الود غيري، لغة الأمة ولغة الأمّ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م

16.عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربـــي، دار توبقـــال للنشر، الرباط، المغرب، ط1، 1998م

17.عبد المجيد السخيري، القضية الأمازيغية وحقوق الإنسان في نقض النظام الرمزي السائد مجلة نوافذ، المغرب، العدد49-50، 2011م

18.فواز عبد الحق الزبون، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية، الموســم الثقـــافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، مؤتمر اللغة العربية فـــي المؤسســـات الأردنيـــة واقعها وسبل النهوض بها، ط1، الأردن، 2009م، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

19.مبارك حنون، الوضع اللغوي في المغرب في أفق العولمة، نحو إيكولوجيا لغوية، مجلـــة فكـــر ونقـــد المغـــرب، العـــدد24 كـــانون الأوّل ديســـمبر 1999م، علـــى الـــرابط: http://www.aljaberiabed.net/n24-09hanun1htm

20.محمد عرباوي، التجربة الجزائرية وتجارب الدول الأخرى في رسم سياســتها اللغويـــة مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2012م

21.محمود السيد، اللغة العربية واقعا وارتقاء، منشورات الهيئة العامـــة الســـورية للكتـــاب دمشق، وزارة الثقافة، 2010م

22.مصطفى محمد الحسناوي، واقع لغة الإعلام المعاصر، دار أسامة، ط1، 2011م.

وفقكم الله

المسألة اللُّغوية في الجزائر الحديثة بين إملاءات الإيديولوجيا ومسلَّمات اللِّسانيات

عبد الحفيظ شريف

جامعة آكلي محند أولحاج البويرة.

hafid@yahoo.fr

الملخَّص: [illegible]

الكلمات المفاتيح: [illegible].

المحور الثَّاني عشر: [illegible].

المداخلة:

[illegible]

1- دعوى مدرسة الاستشراق الفرنسي في الشّأن اللُّغوي الجزائري:

1-1- اللّغة العربية الفصيحة:

1-2- العاميّة الجزائرية:

[illegible]

1-3-الأداءات المحلِّية: [illegible]

1-4-اللُّغة الفرنسية: [illegible]

[illegible]

2- طبيعة النَّظرة الإيديولوجية للقضايا الإنسانية: [illegible]

3– طبيعة الدَّرس اللِّساني الحديث: [illegible]

[illegible] "[7] [illegible]

[illegible] (objectivité) فهي تلك "[illegible] "[8] [illegible]

[illegible]

[illegible]

4- المعالم الإيديولوجية للمسألة اللُّغوية في الجزائر:

(Jules Ferry) 1883

1924 (René Basset)

5- المسألة اللُّغوية بين خصائص الإيديولوجيا وخصائص اللِّسانيات:

5-1- بين عقلانية الإيديولوجيا وعلمية اللِّسانيات:

5-2- خدمة المصالح المعلومة:

5-3- ارتباط الإيديولوجيا بجملة من القيم والأهداف المرغوب تحقيقهـا:

"[10]

الخاتمة:

الهوامش

[1] [illegible]: 2007، [illegible] 10.

[2] [illegible]: 2007، [illegible] 6، 55.

[3] [illegible] 6، 55.

[4] [illegible] 1، [illegible] 1429، 2008، 1، 143.

[5] [illegible] 27.

[6] [illegible] 1، [illegible]: 2014، [illegible] 33.

[7] [illegible]: 2012، [illegible] 24.

[8] [illegible] 24.

[9] [illegible] 36.

[10] [illegible] 36.

التّنوع اللُّغوي بالجزائر الحدود والوظائف

إعداد الدكتور: عبد الناصر بوعلي

جامعة تلمسان

bouali13@live.fr

الملخّص:

التّنوع اللّغوي ظاهرة قديمة حديثة تشترك فيها جميـــع المجتمعـــات، وتقرهـــا السياسات، ولا أحد يفكّر في أن ينفرد بلغته، وتعرف الجزائر هذه الظاهرة ممثلـــة في التنوع العفوي والاختياري والضروري، الشيء الذي أفرز إلى جانـــب اللغـــة العربية التي هي لغة المركز العامية والأمازيغية والفرنسية وبقية اللغات الأجنبيـــة التي يتم تدريسها في الوطن، ويتعيّن على الجزائر اليوم أن تكون في حجـــم هـــذه التحديات عن طريق تبنّي تخطيط لغوي بناء وهادف يجعل من هذا التنوع عامـــل ثراء وقوة يحافظ على تماسك المجتمع، ويتفتح على ما فـــي أيـــدي الآخـــر مـــن تكنولوجيات وعلوم، ويدفع إلى المزيد من التعاون والحوار.

الكلمات المفتاحية:

التنوّع– التخطيط – التفتح – الهوية – الحوار.

1- تمهيد:

اللغة كائن حيّ، هكذا يرى الكثير من الدارسين وهو ما يعني أنّها اصـــطلاحية حدثت بفعل فاعل، وذلك ما رآه ابن جنّي فقد ورد عنده ما نصّه: «إن أكثـــر أهـــل النظر على اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف»[1]وفي مختصر لابن الحاجب: «حد اللّغة كل لفظ وضع لمعنى»[2]وبالتالي فهي نظام من الرموز الصوتية يحقق أغراضًا وذاك ما ذهب إليه ابن جني أيضًا في تعريفه المشهور حـــين قـــال:

«حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[3]، وهو يؤكد الطبيعة الصوتية للرموز ووظيفتها الاجتماعية المتمثلة في حمل الأفكار ونقل المعارف والتواصل بين الناس والتعبير عن المشاعر، وربط الأجيال، وبالتالي فإن اللغة في وظيفتها الاجتماعية ترتبط بالجوانب الاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية، وبذلك تكون عرضة للتغيير والتطوير والتداخل والنماء والضعف والحياة والانقراض.

تتعدد اللغات بتعدد المجتمعات، وقد قسم اللغويون المعاصرون اللغات المختلفة إلى مجموعات، فهناك مجموعة اللغات الهندية الأوربية ومجموعة اللغات السامية وقد لهم ذلك عن طريق المقارنة. الأمر الذي جعلهم يؤكدون وجود أصل مشترك خرجت منه هذه اللغات على مر التاريخ، ومنه يمكن التوصّل إلى أنّ:

تفاعل اللغات ظاهرة فكرية تواصلية كونية، ولا وجود للغة نقية صافية خالية من التداخل اللغوي، كما أنه لا تفاضل بين لغة وأخرى إلا بما تحمله من علوم وأفكار بفضل اجتهاد ناطقيها.

2- مفهوم التنوع:

لقد عدلنا عن مصطلح التعدد وفضلنا عليه مصطلح التنوع، لما قد يفهم من التعدد وجود أنظمة لغوية ترتبط بأعراق بشرية متباعدة في النسب، فالشعب الجزائري ينتسب إلى أمّة متجانسة في الدّين والنّسب والثقافة وما يجمعه أكثر بكثير مما يفرّقه، والتنوع ميزة فطرية في المخلوقات. والقرآن الكريم يؤكد ذلك في قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4] وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[5].

يقصد بالتنوع اللغوي وجود أنظمة لغوية في المجتمع الواحد تتداول على مستوى الوطني، أو في جهة معينة تقابلها أنظمة أخرى في جهات أخرى.

3- أنواع التنوع اللغوي:

أ- التنوع اللغوي العفوي: ويصدق هذا النوع على الفروع اللغوية بالنسبة لأصولها من قبيل العاميات المقابلة للتنوع اللغوي، فهذا النوع قائم على علاقة مزدوجة أو ذات مظهرين هما علاقة الفرع بالأصل من جهة، والعلاقة بالواقع من جهة ثانية.وهذان المظهران يشكلان الدينامية التواصلية للفرع. والتمييز هنا يتمثل في عمليات الاشتقاق والاختزال والترخيم والحذف والزيادة، مع مخالفة عن المعيارية المتمثلة في قواعد الضبط المتعارف عليها في الأصل اللغوي لذلك الفرع.

ب- التنوع اللغوي الطبيعي: وهو الناتج عن الثنائية التي تفرضها الأوضاع التاريخية والاجتماعية لأي مجتمع من هذه الظاهرة وقد يصل هذا التنوع إلى مستوى التنوع المكتوب، وتقنّنه الدساتير وتضبطه القوانين حتى لا يكون مطيّة للاحتقان والتعصب، وحتى يغدو هذا التنوع عامل ثراء ويسمح بالتعايش والتساكن والانصهار بين أبناء المجتمع الواحد. وهذا حال المجتمع الجزائري، فقد أدت الظروف التاريخية إلى وجود الأمازيغيات إلى جانب اللغة العربية، وتمَّ التعايش ولم يحدث في التاريخ أن وقع التطاحن والتنافر، حتى جاء المستعمر الذي انتهج سياسة "فرق تسد" فعمل على إيجاد نوع من الصراع أراده أن يكون حادّا بين أبناء المجتمع الواحد.

يتشكل التنوع اللغوي الطبيعي في المجتمع الجزائري من وضع ازدواجي أو بالأحرى تعدد لَسَني يتمثّل في اللغة العربية الفصيحة، والعاميات الجزائرية والعربية الوسيطة، ثم الأمازيغيات، وسنرصد خصوصية كل مستوى من هذه المستويات:

1- اللغة العربية الفصيحة، وهي لغة التعليم والإدارة والإعلام والكتب العلمية، وبعض التخصصات في الجامعة، يلجأ المستعمل الجزائري إليها في مباشرة المهن في شكل كتابي ولقراءة المعارف والإبداعات والعلوم.

2- اللغة العامية: وهي اللغة التي ينفتح عليها الجزائري في بداية حياته يصطلح عليها البعض باللغة الأم، وهي بالنسبة للجزائري العامية المتداولة في طول البلاد وعرضها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، يستعملها بصفة طبيعية أداةً للتخاطب اليومي وللتعبير عن حاجات الحياة اليومية، ولا يتعلمها بالتلقين والتعليم وإنّما يكتسبها من محيطه الاجتماعي.

والعامية الجزائرية تنتمي إلى اللغة العربية الفصيحة، وهي «تركيب كلامي ينتمي إلى أصل لغوي في النطق والمفردات وبعض التراكيب»[6] تشترك العامية الجزائرية مع اللغة العربية الفصيحة في عدد من الخصائص التركيبية والدلالية والمعجمية، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط اللغة العربية خلافا لما يدعيه البعض من أن العاميَّة الجزائرية لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في اللغة العربية.

3- اللغة الأمازيغية: تعد الأمازيغية لغة تواصل وتداول بين المجموعة الأمازيغية في الوطن الجزائري، وتدخل ضمن المنظومة الثقافية العامة للازدواجية بالجزائر، فهي أخت للعربية وتنتمي إلى فصيلة اللغات السامية الحامية، ظلت حيَّة صامدة رغم شفويتها، فانتقلت من جيل لآخر بطريقة شفهية، تمَّ دسترتها وترسيمها على أساس أنها لغة وطنية، وأصبح التفتح عليها ضمن الاختيارات اللغوية الأساسية المضمنة في الدستور.

وتنقسم المازيغية في الجزائر إلى:

1/ القبائلية: تستعمل أكثر في منطقة الوسط ومنطقة الشمال.

2/ الشاوية: تستعمل في مناطق من الشرق الجزائري.

3/ الميزابية: تستعمل في منطقة وادي ميزاب.

4/ الحسانية: تستعمل في مناطق من الجنوب الجزائري.

5/ الترقية: تستعمل لدى الطوارق في الجنوب الجزائري.

6/ الشلحية: تستعمل في مناطق من الغرب الجزائري خصوصا لدى سكان بني بوسعيد ولاية تلمسان.

«تشترك هذه الأمازيغيات في المعجم العام غير المتخصص، في حين تختص كل منطقة بألفاظ زائدة أو مغايرة فرضتها الطبيعة الجغرافية، والتحول الاجتماعي للمنطقة فلهجة الطوارق غنية بألفاظ الحلي والصحراء والحيوانات البرية، بينما نجد لدى سكان بجاية في منطقة القبائل ألفاظا تدل على البحر والحيتان والنباتات وتعرف اختلافا في العديد من الأصوات نتيجة تغير جزئي في مخارج أصواتها كنطق الكاف شينا، والعين قافا، والزاي هاءً، واللام راءً، أو الراء لامًا»[7].

تتمتع الأمازيغية بمكانة مهمة داخل البلاد فهي حاضرة في مجال الإعلام، وفي العديد من المجالات الثقافية منها المسرح والسينما والموسيقى والغناء، وتحضر في التعليم بالعديد من المؤسسات التربوية وفي معاهد الثقافة الشعبية.

4- وضع اللغة الأمازيغية إزاء العربية: إن وضع اللغة الأمازيغية تجاه اللغة العربية الفصيحة وضع غير مقلق ما دامت الأمازيغية لا توظف بشكل جهوي في إطار محيط سياسي واجتماعي معين، بعيدًا عن كل نزعة إلى التفرد الإقليمي المفرط الذي عرفته بعض دول العالم المتخلف، فالتعددية اللسنية العربية/الأمازيغية أنتجت تاريخا وحاضرًا غير مسبوقين للتناغم والانسجام والاستقرار، وإن التنوع المحلي مباح، تعامل معه الأجداد بشكل عفوي وتلقائي، ولم يحدث يوما أن تنكرت العربية للأمازيغية. إلا أنه لا بد من ضرورة الانتباه والتأني فيما يخص تعليم الأمازيغية بالجزائر، إذ يجب أن يعتمد هذا التعليم خطة متولدة عن تصور شمولي له في جوانبه النفسية والتدريسية والاجتماعية، يستند إلى النظر النافذ، والرؤية الواضحة، لا يجب أن يكون هناك تكريس لتعليم غير مستقر وغير منسجم قد يولد اختلالات – نحن في غنى عنها- تعطل المسار التعليمي للتلميذ الجزائري قد يجعله لا يملك لا الأمازيغية ولا العربية ولا الفرنسية. ومن جهة أخرى لا يجب أن يخلق تعليم الأمازيغية تمييزا اجتماعيا من نوع آخر.

ت- التنوع اللغوي الضروري: وهو ما يقتضيه الوضع تجاه الآخر، فالتعامل في شتى مجالات الحياة والتبادل الواسع مع الغير يفرض وجود هذا النوع من

التنوع اللغوي، وقد غدا هذا التنوع وسيلة للاندماج في المحيط الدولي والإقليمي لتحقيق المصالح الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وهو أيضا رافدًا أمنيًا وذلك ما أشار إليه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم»[8].

تشكلت معالم هذا النوع من التنوع في إطار الانفتاح على العالم، فإلى جانب اللغة الفرنسية التي وإن كانت ظروف تواجدها لم تخضع لإرادة سياسية، فإن الانفتاح على تعلمها واسع جدًا، بالإضافة إلى اللغات العالمية الحية من أبرزها الانجليزية والإسبانية والألمانية والروسية.

وتبدو مظاهر هذا التنوع الضروري في مظهرين:

1/ **المظهر المدرسي:** وهو الذي تتبناه المنظومة التعليمية على مستوى المؤسسات التعليمية، ويخضع تعلّمه للمنظور البيداغوجي المتمثل في البحث عن أجود الطرائق التعليمية بغية اكتساب المتعلمين هذه اللغة أو تلك من أجل استثمارها في جميع الأصعدة خدمة للتنمية وتحقيقا للمصالح التي تفرض الاطلاع ما في أيدي الغير من تكولوجيات ووسائل مادية ومعنوية.

2/ **المظهر التلقائي:** وهو الذي يتم عن طريق التواصل الطبيعي بين الأفراد والجماعات والذي تسبب فيه الاستعمار أو الهجرة الخارجية لليد العاملة الجزائرية في الخارج.

يتشكل التنوع اللغوي الضروري في الجزائر من لغات متعددة نذكر منها:

1/ **اللغة الفرنسية:** تمتد جذور اللغة الفرنسية في الجزائر إلى أكثر من قرن (1830- إلى 1962) حيث ظلت الجزائر لمدة 132 سنة تحت الاحتلال الفرنسي الذي حاول القضاء على اللغة العربية، وإحلال اللغة الفرنسية محلها، فغدت هذه الأخيرة بمثابة اللغة الرّسمية في جميع ميادين الحياة العملية والتواصل الفكري بين مختلف فئات المجتمع الجزائري. وقد تدعم هذا الوجود بجملة من القرارات التي سنتها فرنسا المستعمرة أبرزها قانون 08 من مارس سنة 1931 والذي تصدى له

الشيخ عبد الحميد بن باديس وسماه قانون الثامن مارس المشؤوم[9]، والــذي نــص على غلق المدارس الحرة والكتاتيب القرآنية ومنع تعليم اللغة العربية في المدارس نهائيا، وهنا عملت فرنسا على إيجاد شق بين الجزائريين بالعمل علــى اســتغلال العنصر البربري في كافة أقطار المغرب العربي التي كانت تستعمرها وهــذا مــا نستشفه من قول اليوطي:

«Notre intéret nous commande de faire évoluer les berbères hors du cadre de l'islam. Au point de vue linguistique nous devons tenter de passer directement du berbères au français. Pour cela il nous faut de berbérésants, il faut aussi créer des écoles franco berbères ou l'on appendre le français aux jeunes berbères[10]»

لقد ورد في قول اليوطي ما يعني الانتقال من ثنائية تاريخية التي تتمثــل فــي العلاقة القائمة بين اللغة العربية والأمازيغية إلى ثنائية مصــطنعة أي الفرنســية/ الأمازيغية في الظاهر ولكنها أحادية في الجوهر حيث تعتمد اللغة الفرنسية فقط. [11]

وإذا كانت فرنسا قد مكنت للغتها في فترة الاحــتلال بالحديــد والنــار، فإنهــا رسختها بعد الاستقلال بفضل أنصارها ومريديها الذين خلفتهم مــن ورائهــا فــي المناصب الاستراتيجية والحساسة ثم بفضل دهائها السياسي، وبذلك غدت الفرنسية ضمن التنوع الضروري نظرًا لاحتلالها المناصب الهامة التــي تجلــب التوظيــف ونظرًا لاحتكارها التعليم في العلوم الصلبة من طب، وصيدلة، وهندسة، وكيميــاء وميكانيك...

2/ اللغة الانجليزية: تحظى اللغة الانجليزية بمكانة مهمة فــي أهــمّ الحقــول الاستراتيجية بالجزائر ومنها التعليم والإعــلام، فقــد تقــرر إدراج تعلــيم اللغــة الانجليزية لغة أجنبية ابتداءً من السنة الثانية في التعليم المتوسط، وعرفــت إقبــالا متزايدًا لدى الطلبة الجزائريين، وأصبح يتخصص فيها الكثير فــي كليــات الآداب واللغات، وأكدت الأبحاث والدراسات أن معظــم التلاميــذ والطلبــة الجزائــريين يفضلون سنة بعد أخرى اللغة الانجليزية، ولعل هذا الإقبال جاء من اعتبار اللغــة

الانجليزية غدت اللغة الأولى في العالم، ولغة العلوم والتكنولوجيا، ولغة التوظيـف في العديد من الشركات والمؤسسات السياحية والاقتصادية.

3/ اللغات الأجنبية الأخرى: الألمانية والاسبانية: تؤمن الدولة الجزائرية بـأن الانغلاق والانعزال داخل النظام الدولي بلغة واحدة وبلغتها الوطنية أمر مرفـوض تمامًا، وحتى اللغة الفرنسية غدت لا تفي بالغرض، نظرًا لتضاؤل دورهـا داخـل الساحة الدولية، فأمام الهيمنة الأمريكية وازدياد الدور الألماني والاسباني والصيني في العالم، فإن الجزائر في إطار الشراكة الأورو متوسطية ومنطقة التبادل الحـر أصبحت مضطرة للدخول في نظام اقتصادي ومالي متعدد اللغات، فعلى الجزائـر أن تتجاوز هذا الوضع، وتسعى إلى اكتساب العديد من اللغات الأجنبيـة «فاليابـان التي تعد أكبر قوة اقتصادية حاليا والمنتجة لأهم الابتكارات التكنولوجيـة، تجـدها تفكر وتبدع باستعمال لغتها ولكنها تتاجر باللغة الانجليزية»[12].

4/ التنوع اللغوي الاختياري: وهو ذو طابع ثقافي اختياري بوجه عام، تفرضه المثاقفة والدراسات الأكاديمية المعمقة والبحث العلمي، وليس لهذا النـوع نموذجـا واحدًا فقد يفرض الحال لغة ميتة، كاللاتينية أو السريالية، أو أي لغة فـي أقاصـي الدنيا ما دام الغرض من ذلك تحقيق معرفة انسانية، وبنتشر هذا التنـوع الاختيـار لدى الأفراد أو الجمعيات.

5/ وضع اللغة العربية تجاه هذا التنوع: يعرض الوضع اللغوي فـي الجزائـر جميع هذه الأنماط، ويتوزع على ما هو مدرسي وغير مدرسي، فالمدرسي يختص باللغة العربية الفصحى، والأمازيغية، واللغات الأجنبية، ويختص غيـر المدرسـي بالعاميات والدوارج المنتشرة في ربوع المجتمع الجزائري.

وتحتكّ اللغة العربية الفصيحة بجميع هذه الأنماط على المسـتويين المدرسـي وغير المدرسي، ومن الطبيعي أن يُحدث هذا الاحتكاك تـداخلا معجميـا ودلاليـا وحتى صوتيا، الأمر الذي نتج عنه انعكاسات سلبية على الاستعمال السليم للعربية.

فالمواطن الجزائري تتجاذبه ثنائية غير متكافئة: اللغة العربية واللغة الفرنسية مما يترتب عنها نشوء ظواهر نفسية، ومشاكل اجتماعية وعقبات تربوية تنعكس سلبا على وضع اللغة العربية، كما ينعدم لديه الاحساس بالطمأنينة داخل اللغة العربية، وينتابه شعور بالحيرة والتشتت نتيجة تأرجحه بين لغة وطنية رسمية تمثل هويته وشخصيته وبين لغة أجنبية تمثل الاستعمار، وترمز إلى الغزو والقهر هي اللغة الفرنسية وهي اللغة السائدة.

وينعكس هذا الشعور بالحيرة والقلق والتشتت على البعدين الاجتماعي والاقتصادي، ويتولد عنه ظاهرتان نفسيتان، فقد ينتج لدى البعض التعصّب للغة العربية ورفض تعلم باقي اللغات الأجنبية، والانطلاق في غوغائية وأفكار ضيقة تؤدي إلى انسداد قنوات الحوار الثقافي الذي يعد إحدى القيم المستحدثة اللازمة لعصر الثقافة والعلم والاقتصاد وبالمقابل فقد يخلق لدى آخرين فقدان الثقة باللغة العربية، حيث ينظرون إليها على أنها لغة دين وأدب فقط، وتشدُّ الفكر إلى الوراء ولا طاقة لنا بمنافسة اللغة الفرنسية التي تستجيب للفكر وتسيطر على مختلف حقول العلم والمعرفة.

5- إشكالية تبني هذا التنوع:

لا يخفى على أحد أن أمر التعدد اللغوي قائم منذ القدم فالعرب في أزهى أيامهم كانوا يتعلمون إلى جانب لغتهم العربية الكثير من اللغات الأجنبية، منها السريانية والفارسية والهندية واليونانية، وفي الأندلس كانوا يعرفون القشتالية وغيرها من اللغات القومية والإقليمية قصد الاطلاع على علوم هذه الأمم وآدابها.

ولا يفكر اليوم أحد أن ينفرد بلغته، فدول الاتحاد الأوربي نصت في قانون الاتحاد بالمادة 128 على ضرورة مساهمة المجموعة الأوربية بدعم التنوع الثقافي واللغوي لدى الدول الأعضاء.

وبعد أن تم رصد خصوصية كل مستوى من هذه المستويات من تنوع طبيعي وضروري واختياري، وما نجم عنها من ثنائيات وازدواجيات وتعدد لسني على

مستوى الوظيفة التي يؤديها كل واحد على حدة بالنسبة للجزائري داخل المجتمع فإن الحفاظ على تماسك المجتمع في ظل هذا التنوع يتطلب اتباع سياسة لغوية محكمة تعتمد على تخطيط لغوي يستهدف الوضع الخارجي والوضع الداخلي للغة أو اللغات أو اللهجات السائدة.

إن هذا التخطيط يهدف إلى إبراز قيمة اللغة القومية وتوسيع دائرة استعمالها في هياكل الدولة، وتحديد مجالات باقي اللغات. وهذا ينشأ عنه اعتماد اللغة الأساسية والتي يمكن أن نطلق عليها مصطلح **اللغة المركز**، وهي اللغة الجامعة كما يسميها دومًا الدكتور صالح بلعيد في كتاباته، ونقصد بها اللغة العربية.

6- اللغة العربية لغة المركز:

إذا قاربنا وضع اللغة العربية إزاء العامية الجزائرية والأمازيغية من جهة واللغات الأجنبية من فرنسية وانجليزية واسبانية وألمانية من جهة أخرى، بدا لنا أنها لا تخضع للمنافسة لأنها تبقى لغة المركز في الوطن نظرًا لارتباطها الوثيق بأهم مقوم من مقومات الهوية الوطنية وهو الإسلام، وبفعل العلاقة العضوية الحميمية الموجودة بينهما، لقد سمت اللغة العربية بسمو القرآن الكريم، وارتفعت بارتفاع بلاغته وبيانه.

ولقد أدرك الأوربيون طبيعة هذه العلاقة، وعبروا عنها بإجلال ودهشة يقول نولدكه: «إن العربية لم تكن لغة عالمية حقًّا إلا بسبب القرآن والإسلام»[13]، ويرى القسيس رويمر أن اللغة العربية هي الرباط الوثيق الذي يجمع ملايين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وقد عبر عن هذا بقوله: «إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الإسلام الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقيا الواسعتين، وبث في مئتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية»[14].

إن اللغة العربية لغة الدين، وعماد القومية العربية، وأحد أهم مكوناتها، تسلمت سدة القيادة على صعيدي الفكر والحضارة، وهي أيضا «لغة النمو الفكري

والحضاري والمجتمعي في محيط عربي إسلامي بالأساس»[15]، ولا غرو أن يكون هذا سببا في احتفاظ العرب بها عبر العصور، وتتبوأ نفس القيمة والقدسية لدى الجزائريين لأنها لغة دينهم وهويتهم وحضارتهم، بها احتموا طيلة فترة الاستعمار الذي حاول طمسها، وهي لغة المعرفة الثقافية والفكرية، ولغة الإعلام والعلم والإدارة، وموقفهم هذا جعل منها لغة المركز عندهم.

7- التخطيط للغة العربية:

ظهر التخطيط اللغوي كعلم إلى حيز الوجود في الخمسينيات من القرن الماضي، وقدمت له عدة تسميات ودلالات وتعرض له العديد من العلماء العرب والأوربيين، ويهدف هذا العلم إلى تناول مختلف أشكال الاستعمال اللغوي في محيطه وخارج محيطه، فيتناول نسق اللغة ويتعرض للأدوات التي تسهم في ارتقائها وفي استخدامها وتعميمها وإصلاحها وتبسيط طرائق تعلمها وإعداد معاجمها المتنوعة، وشرح مصطلحاتها وتداخلها ومع بقيه اللغات[16].

فرض استقلال البلاد سنة 1962 متطلبات جديدة من أهمها تحقيق الوحدة اللغوية فعمدت الجزائر إلى التخطيط للتعريب الذي استهدف تعميم استعمال اللغة العربية في مختلف الوظائف القطاعات.

تضمن التخطيط للتعريب بالجزائر مظهرين اثنين هما:

1- تمكين اللغة العربية في محيطها.

2- تهيئة اللغة العربية وتطويرها من الداخل.

استهدف المظهر الأول تعميم استخدام اللغة العربية في جميع مظاهر الحياة العملية لتصبح العربية لغة التعليم ولغة الإدارة، قصد ارساء الهوية الوطنية بعد أن عمل الاستعمار على طمسها وترسيخ لغته بدل اللغة الوطنية.

وأما المظهر الثاني فقد استهدف تطوير اللغة العربية وتحديث قواعدها وطرق تعليمها وايجاد المقابلات الاصطلاحية في مختلف الحقول العلمية والمعرفية.

وشمل المظهر الأول للتعريب تصورين اثنين، فهناك من نادى بالإحلال الشامل للغة العربية في الإدارة والتعليم والاقتصاد والإعلام، على أساس أنها لغة الهوية ولغة الحضارة ولغة العلم لا ينبغي أن تشاركها لغة أخرى، وهناك فريق آخر رأى أنَّ التعريب لا ينبغي أن يهدف إلى الإحلال الشامل للغة العربية محل اللغة الفرنسية في جميع القطاعات، وإنما يتضمن إعادة النظر في وضع اللغة العربية في محيطها في إطار تعريب مدعوم بتعدد لغوي، وحجَّة هؤلاء أن اللغة العربية تحتاج بداية إلى تهيئة أدواتها التي تجعلها مؤهلة لأن تتمكن في وضعها المحيطي وإن عدم تنميتها داخليا قد يساعد على اضطراب وضعها وتقهقرها.

الخلاصة:

إن القصد من هذه الدراسة هو وصف الوضع اللغوي بالجزائر في إطار الازدواجية والثنائية والتعدد اللّسني، تجاه العامية الجزائرية والفصحى والأمازيغية والفرنسية، وبقية اللغات الأجنبية الأخرى، على اعتبار أن هذه اللغات تظل داعمة للغة العربية عبر الوظائف الحياتية والوجدانية.

وإن هذا التنوع واقع يفرض نفسه، ولا يمكن تجاهله، وإن السير باتجاه استثماره على نحو إيجابي يتطلب الاشتغال الجدي باستمرار، مع تبني سياسة لغوية تعتمد على تخطيط محكم يراعى فيه طبيعة التنوع اللغوي الجزائري الذي لا ينبغي أن يتحول إلى تعدد صراعي تقوم فيه العامية الجزائرية لكونها لغة الحياة بمهاجمة اللغة العربية الفصيحة، أو الأمازيغية أو العكس، وتقاوم لغة ثنائية شقيقية لفائدة اللغة الأجنبية فتتحول اللغة الفرنسية إلى لغة الاعتبار والحداثة في مقابل لغة عربية محصورة في الكلاسيكيات والتطرفات.

ينبغي أن نتجه إلى التوحيد والتجمع، لا الافراط في الخصوصية وتفتت الهوية بمعنى يجب تجنب التحجّر والاختزال الأحادي.

هوامش البحث:

1- ابن جنّي، الخصائص، 40/1.

2- ابن الحاجب، مختصر منتهى السؤال والأصل في علمي الأصول والجدل، تحقيق د نذير حمادو، دار ابن حزم، ط1، 31/1.

3- ابن جنّي، الخصائص،

4- الحجرات الآية 13.

5- الروم الآية 22.

6- آمنة ابراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب، ص26.

7- الفاسي الفهري، تعددات لسنية قاتلة، نشرة التعريب، الرباط، العدد09، ص04.

8- يُختلف في أمر هذا الحديث فهناك من ينسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وليس لــه إسناد يُروى به، فيما أعلم، على أن المتفق عليه أن الرسول (ص) أمر زيد بن ثابت تعلّــم لغــة اليهود.

9- عمار طالبي، آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الجزائرية للنشر، الجزائــر ط1 1997، 140/1.

10- جريدة المجاهد، العدد 6817، سنة 1994.

11- واحي إدريس، الازدواجية والثنائية في الوضع اللغوي بالمغرب العربي، كليــة الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ص06.

12- آمنة إبراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب، زاويــة مطبعــة الآمنــة، الربــاط، ط1 2007، ص125.

13- رشيد بلحبيب، الخلفية الاستراتيجية للدعوة إلى العامية، مجلــة الفيصــل، عــدد 250 1996، ص81.

14- نفسه، ص52.

15- الفهري الفاسي، تعدادات لسنية قاتلة، دار الأمان الرباط، ط1، 2009 ص03.

16- آمنة ابرهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب، ص 63.

ملامح التعايش بين اللغتين الليبية (الأمازيغية العتيقة) والبونيقية خلال الفترة القرطاجية

الدكتورة: لواتي فاطمة،

جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان-

altaoum@yahoo.fr

ملخص:

إن دراسة التاريخ له من الأهمية في معرفة وإدراك الحقيقة واتخاذ مواقف من تجارب السابقين والقدرة على التخطيط وربطها بالحاضر الذي نعيشه، ولولا أهمية التاريخ ما وجدنا البحث العلمي المنتظم الذي يولي الدراسات التاريخية اهتماما بالغا حتى تكون قائمة على أسس دقيقة ومتينة. ونرى أن وظيفة الدراسات التاريخية واللسانية ينبغي أن تنصب على البحث في المعطى اللغوي المحلي من خلال رصد ذلك التعايش الذي حصل بين لغة السكان الأصليين واللغات التي عايشتها.

ومجتمعنا لهو أحق بالدراسة، لو رجعنا إلى الوراء وإلى الأمم والمجتمعات التي سبقتنا. من هذا المنطلق ارتأينا أن نبحث حول التعايش اللغوي في مجتمعنا القديم واخترنا لهذا الصدد، التفاعل الذي كان حاصلا بين لغتين عايشتا حقبا طويلة.

بحيث أن اللغة الليبية (أو اللوبية) لغة محلية تكلمها سكان شمال افريقيا، ويرجح أنها ظهرت خلال الألف الأولى قبل الميلاد، أي إلى الفترة التي بدأ الفينيقيون يتوطنون المكان وينشرون فيه حضارتهم، وتعاقبت لغات وكتابات مختلفة. فاستخدمت اللغة البونيقية لغة رسمية خلال الفترة القرطاجية، ثم استخدمت اللغة اللاتينية اثر الاحتلال الروماني، وهكذا أصبح الوضع اللغوي متباينا في شمال أفريقيا وعوضت هذه اللغات وكتاباتها، اللغة والكتابة المحلية الليبية، في بعض

المناطق التي كان فيها التدخل الأجنبي قويا. أما في مناطق أخرى فقد تعايشت الكتابة واللغة الليبية معها.

ويندرج هذا البحث ضمن البحوث التي تروم إلى إبراز بعض تجليات التعايش اللغوي الذي كان قائما بين اللغتين الليبية واللغة البونيقية (لغة قرطاج) بشمال أفريقيا ولغات الشعوب الوافدة، ويعالج هذا التفاعل اللغوي بين اللغتين ورصد التأثير بينهما.

الكلمات المفتاحية: التعايش اللغوي، اللغة الليبية، اللغة البونيقية، حضارة قرطاج، شمال افريقيا.

تمهيد:

اللغة جزء مهم من تاريخ البشرية، بل هي وثيقة حية لها قيمتها التاريخية كغيرها من الوثائق، خصوصاً لدى أمة أو شعب لا وثائق واضحة له، فتكون اللغة وعلومها مجالاً خصباً لمعرفة الكثير من تاريخ تلك الأمة أو ذاك الشعب . ولعل هذا ينطبق على سكّان المغرب العربي الكبير ممن يُعرفون حاليا بالبربر أو الأمازيغ المميزين لغوياً عن بقية السكان العرب، ويُعتبر جميعهم امتداداً تاريخياً وحضارياً لما عُرف منذ القديم بقدماء الليبيين .

وتمثل اللغة إحدى أبرز تجليات الحضارة التي بلورها الأمازيغ بشمال إفريقيا القديم، باعتبارها الوعاء الذي يرتكز مجموع الأفكار والمقولات والخبرات المادية وغير المادية التي راكمتها الساكنة على مدى حقب زمنية طويلة، لقد أدخل الفينيقيون –بالطبع– لغتهم إلى البلاد الإفريقية استقروا بها، وخصوصا بالجزء الشرقي بشمال إفريقية. ونرى أن وظيفة الدراسات التاريخية واللسانية ينبغي أن تنصب على البحث في المعطى اللغوي المحلي من خلال رصد أهم ملامح التفاعل الذي حصل بين لغة السكان الأصليين واللغة التي أدخلها الفينيقيون، واستعملها القرطاجيون.

الامتزاج الفينيقي بالبربر وتأثيرهم فيهم:

لقد امتزج البربر بالفينيقيين وتفاعلوا بهم وتأثروا بعاداتهم وتقاليدهم وربما هذا الاندماج السريع وهذه القابلية الفطرية ناتجة باعتبار أن كلا الطرفين ينحدران من أصل سامي، وهذا ما أشار إليه عثمان سعدي بقوله: " إن الإمبراطورية القرطاجية هي ثمرة تزاوج الفينيقيين والبربر الذين يعودون إلى أصل واحد وهو الأصل السامي (أي العربي القديم). فالفينيقيون عندما كانوا في الساحل السوري، كانوا يسمون فينيقيين فقط، لكن عندما انتقلوا إلى الساحل المغربي وتمازجوا مع العنصر البربري (المحلي) عدّة قرون، انبثقت عن هذا التمازج حضارة جديدة، هي الحضارة القرطاجية..."[1].

إذن هذا التفاعل المتبادل بين الطرفين والعفوي لم يأت من العدم ولكنه كان نتيجة التشابه الكبير في عادات وتقاليد كلا الطرفين، وهذا ما تطرق إليه شارل أندري جوليان بقوله: "كان القرطاجيون يتكلمون لغة فينيقية محرفة إلى حد ما لسنا نعرف عنها إلا بعض النقوش، وخاصة الجمل الموجودة في كتاب لبلوط (Plaute)، وكانت لهم موازين ومقاييس ورزنامة وأقبية للموتى شبيهة بالآبار الفينيقية الأصل، وكان لباسهم شرقيا بحتا فكانوا يرتدون الجبة الطويلة ذات الأكمام الواسعة عامة، وكانوا يضعون على رؤوسهم القلنسوة ويلبسون معطف السفر، وقد وجد قوتييه شبها بينهما وبين "الكدرون " والطربوش والبرنس التي يلبسها المغاربة في عصورنا هذه وكانت عاداتهم شرقية أيضا..."[2].

إذن هذا الاندماج وهذا التأثير للبربر مع الفينيقيين لم يكن مع مستعمرات أخرى كالرومان والوندال والبيزنطيين وإنما هذا الانسجام كان فقط مع إخوانهم الساميين وكأنما الروح عرفت الروح وهذا ما أكده عثمان سعدي: "فأثروا في البربر –الفينيقين–بحيث ساعدوهم على الخروج من العصر الحجري الحديث وتأثروا بالبربر فاكتسبوا عادات وتقاليد بل ومعتقدات منهم. ويكاد سائر المؤرخين يجمعون على أن البربر في الوقت الذي كانوا يرفضون فيه التفاعل مع روما كجسم غريب

عن كيانهم، تفاعلوا وانفعلوا مع سائر العناصر السامية مثل الفينيقين والمصريين القدماء "[3].

فهذه العوامل التي ساعدت الفينيقيين للاندماج بالبربر سهلت لهم الأمور في نشر حضارتهم ومدنيتهم حيث قال عثمان الكعاك "انتشرت الحضارة البونيقية في الجزائر بواسطة التجار الذين كانوا ينقلون البضاعة والمدنية في آن واحد. وعلى طريق الجنود الذين كانوا يتعلمون الفنون الحربية بالثكنة ويتدربون بالميدان فيتعودون بالعادات البونيقية ويتخلقون بأخلاق الفينيقيين فيمزجون ما تخلد منها بطباعهم ربما كان لهم من قديم العادات والتقاليد، ثم ينشرونهم في أحيائها عند رجوعهم إلى جبالهم الراسيات"[4].

وهذا الجانب كذلك تطرق إليه شارل أندري جوليان بقوله: "فالليبيون المنخرطون في الجيوش القرطاجية كانوا يحملون معهم عند الرجوع إلى أوطانهم شيئاً من المدنية القرطاجية التي عاشوا في ظلها، ولم يحمل التجار البونيقيون معهم البضاعة التي اشتروها فقط، بل حملوا كذلك جملة من العادات والصناعات والأفكار والمعتقدات استساغها الأهالي شيئا فشيئا وأثروا بها مدنياتهم البدائية"[5].

وهذ التأثير القرطاجي الذي طبع المدنية و الحضارة، امتد حتى التصاهر بين البربر والقرطاجيين" وقد كان تأثير المدنية البونيقية أقوى بطبيعة الحال في بلاد البربر الشرقية، فقد بهرت الأمراء النوميديين الذين أقام العدد الكبير منهم في قرطاج، وتزوجوا بنات طبقتها النبيلة وسموا أبناءهم بأسماء قرطاجية، ومنحوا مدنهم دساتير منسوخة عن دساتير المستعمرات الساحلية، و عبدوا الآلهة السامية وحرضوا رعاياهم على العمل بأساليب ماغون الفلاحية"[6].

وهذه النقطة تطرق إليها كذلك عثمان الكعاك بقوله: " وكانوا يسمون بأسمائهم ويتكنون بكناهم ويتزوجون بناتهم فقد وعد عملقرصنرواز البربري ببنته لما كان له من الأيادي البيضاء والبلاء الحسن في ثورة المرتزقة، وقد تزوج أوزليسل سلف

مسينيسا أحد سراة القرطاجيين كل ذلك عدا ما أخذوه عنهم من أسباب الحضارة والعمران والنظام"[7].

I-الكتابة واللغة الليبية:

1-الكتابة الليبية:

وتعرف ايضا بالكتابة النوميدية، حيث كانت مستخدمة من طرف النوميديين والموريتانيين، وقد عثر على كتابة شواهد نذرية تدل على أنها أبجدية ذات هدف واحد يسخرها للنوع الجنائزي، وعليه فإن الكتابة الليبية هي تلك الرموز المدونة التي وضعها سكان بلاد لوبة للتعبير عن لغتهم المحلية، وتعرف ايضا بطبيعتها المحلية، واتقان الاهالي لها دون غيرهم من الدخلاء.[8]

كانت الكتابة الليبية قد استعملت من قبل السلالات المحلية الحاكمة تماما مثلما استعملت من طرف الناس البسطاء، وهذا في النقوش الرسمية (الاهدائية في المعابد مثلا)، مثلما استعملت في شواهد القبور، وقد استمر احد أشكالها المتطورة إلى يومنا هذا هند الطوارق، وهو الخط التيفيناغي، فالخط القديم يسمى عادة الخط الليبي وأحيانا الخط النوميدي.[9]

إن أول اشارة لوجود كتابة ولغة لوبية تعود الى القرن السادس قبل الميلاد حيث قال القس (روسبي Ruspé)، (فلوجانس، Fulgence)، "أن الألف الليبية لها 23 حرفا أما الالف باء العبرانية فلا تعد سوى 22 حرفا، ولا ينبغي أن ننازع فلوجنس في هذا الرقم (23)، فإذا اقتصرنا على الحروف (caractéres) التي اثبتتها النصوص المزدوجة البونية- الليبية التي مكنت في الأساس من قراءة الكتابة الليبية، نكون قد تحصلنا على مجموع (24) حرفا، على أن هذا الرقم ليس سهلا ضبطه خاصة إذا أخذنا في الاعتبار النصوص المكتوبة عموديا، حيث يبدو التمايز يبدو القائم بين الأبجديات السامية القديمة والكتابة الليبية واضحا، انه التمايز الذي يطابق الواقع".[10]

وقد قسم الباحثون الأجانب، الذين تصدوا بالدراسة لمسألة الكتابة عند سكان شمال إفريقيا القديم والصحراء، الكتابة الليبية إلى ثلاثة أنواع استنادا في الغالب لمعايير جغرافية:[11]

-كتابة ليبية غربية(Lybique occidental):

استعملت في الجزء الشرقي لشمال إفريقيا القديم، أي الأنحاء التي كانت إما تابعة لقرطاج، أو متأثرة بها، أو متاخمة لمجالها الإفريقي. وقد أمكن التعرف على عدد من حروفها بفضل نقيشة مزدوجة: بونية(كتابة القرطاجيين)-ليبية، وهي نقيشة دقة أو ثوغا(Dougga-Thougga) قديما، أي دقة حديثا بالوسط الغربي لتونس الحالية. المفيد في النقيشة التي لا يتعدى تاريخها 139 ق.م أن النص الليبي هو بمثابة ترجمة للنص البوني الذي أمكن قراءته، ما أسعف المتخصصين في التعرف على أهم حروف الكتابة الليبية الغربية.

-كتابة ليبية شرقية(Lybique oriental):

وجدت آثارها بمواقع أثرية بسواحل المغرب والجزائر، دون أن يتم لحد الآن تفكيك رموزها ومعرفة عدد حروفها، ولا حتى التوصل إلى تاريخ مؤكد لأقدم آثارها. ولعل نقيشة عزيب نكيس بالأطلس الكبير بالمغرب تمثل أقدم بقايا تلك الكتابة المجهولة لحد الآن، والتي أرخت بما بين 700 و 1000 سنة ق.م.

-كتابة ليبية صحراوية(Lybique saharien):

تتميز هذه الكتابة التي عثر على بقاياها بالصحراء بما يلي:

1-من ناحية الحوامل(Les supports): منقوشة ومرسومة على الصخور.

2-من ناحية الموقع الجغرافي: عثر عليها بمواقع بالصحراء بعيدا عن السواحل الشمال إفريقية، حيث تركزت التأثيرات الأجنبية الوافدة على المنطقة في عدة نواحي، ومن بينها الكتابة.

3-من ناحية التأريخ: تعقد مسألة تأريخ الرموز الليبية وتفكيكها، والتأكد من علاقتها بباقي أشكال الكتابة الليبية التي عثر عليها بسواحل شمال إفريقيا.

2-اللغة الليبية أو اللوبية:

يظهر ان اللغة اللوبية أو الليبية لغة محلية تكلمها سكان شمال افريقيا ويرجح أنها ظهرت خلال الألف الاولى قبل الميلاد، أي إلى الفترة التي بدا الفينيقيون يستوطنون المكان.

فلم يترك لنا قدماء الليبيين آثارا كتابية كافية لترشدنا إلى لغتهم القديمة. فمعظم الوثائق التي تحدثت عنهم كانت اما بلغة غير مفهومة، كالرسوم الكهفية التي لم تصل إلى مرحلة النضج اللغوي وتحلل الرموز إلى كلام. وإما باللغة المصرية القديمة عندما تهاتف الليبيون على مصر ناقلين معهم عقائدهم وأفكارهم التي مكنتهم من سرعة التأقلم مع الثقافة المصرية قرونا طويلة من الزمن. وإما باللغة البونيقية بعد استقرار الفينيقيين بالشمال الافريقي فتأثر قدماء الليبيين بثقافتهم القرطاجية المشهورة. إلى جانب بعض المؤثرات الطفيفة الاخرى التي لا بد أنها دخلت على اللغة الليبية القديمة من الاغريق (في منطقة برقة)، ثم من الرومان بعد ذلك. وفي المقابل قد لا تخلو الآثار الكتابية الاغريقية من أي أثر لغوي ليبي محتمل.[12]

واعتمد سكان شمال افريقيا اعتمادا كبيرا على المشافهة، حيث يقول شارل اندري جوليان:" والواضح أن المعلومات قليلة جدا حول اللغة الليبية، ويمكن بواسطتها تسجيل المعلومات أو الآداب اللوبية مشافهة عن طريق التوارث، ولم يكن يعترف بالمعاملات اللوبية في المعاملات الرسمية".[13]

واللغة الليبية لم يتح لها الارتكاز على قاعدة ثابتة تنطلق منها وتتطور على أساسها. ولا يمكننا أن نسمي اللغة الليبية لغة بمفهومها المطلق، لأنها كانت لهجات تقترب وتبتعد عن بعضها البعض بحسب قرب وبعد القبائل الليبية. ولكنها رغم كل ذلك فهي متشابهة تماما مثل لهجات العرب الأخرى قبل الإسلام. يقول جوليان:" ولا شك أن هذه الوحدة قد ظهرت قديما في ميدان اللغة، وقد لا يكون ذلك

باستعمال لغة واحدة في البلاد كلها، في أغلب الظن باستعمال لهجات متقاربة تكون مجموعتها المسماة اصطلاحيا: الليبية".[14]

II-الكتابة و اللغة البونية وانتشارهما بالشمال الافريقي

أولاً:الــكــتــابــة الــبــونــيــة

تعد الكتابة البونية تنوعا جديدا للكتابة الفينيقية في غربي المتوسط وبذلك فهي لا تختلف عنها إلا قليلا، لا سيما تلك الكتابة التي وجدت في جزر البحـر المتوسـط مثل قبرص ومالطة وسردينيا[15]. فقد تطرق إليها جيمس فيفري James Février بقوله: إذا كانت الكتابة التي أشرنا إليها الآن لا زالـت تحمـل الطـابع الفينيقـي المجلوب من شرقي المتوسط، فإنه نشأت هناك كتابة في المغرب موازية لها فـي الوقت عرفت بالكتابة البونية"[16] ثم يضيف بوصفها قائلا: "الكتابة البونية هي نوع من الكتابة الفينيقية، ولكنها تختلف عنها بشكلها أقل بساطة، فأذيال الحروف تبـدو طويلة، قليلا ما منعطفة[17].

وأشار إليها محمد الصغير غانم بقوله: فالحروف فيها تظهر أكثر حجما مـن تلك التي وجدت في الوطن الأم و لن تخرج من هـذا السـياق حـروف الكتابـة القرطاجية العائدة إلى القرن السادس ق م[18]. "فالكتابات البونيـة، سـهل التعـرف عليها، فالأبجدية البونية لا تختلف كثيرا عن الأبجدية الفينيقية ،فهي تختلف عنهـا فقط في الشكل، حيث أن شكلها يبدو أكثر جمالا ،فرؤوس الحروف تبدو صـغيرة وأذيالها طويلة ومنحنية..."[19].

وقد تواجدت الكتابة البونية في معظم النقوش المكتشفة فهي بـذلك تظهـر لنـا بعض الشخصيات البارزة والمعالم الدينية الممارسة في تلك الحقبـة مـن الـزمن وخاصة الآلهة المعروفة والمعبودة لدى البونيين كتانيت بني بعل و بعل حمون.

فقد كانت الكتابة البونية هي الكتابة التي تؤدي بها اللغة الرسمية في قرطاجـة العاصمة وكامل مستوطناتها في غربي المتوسط حتى تاريخ سقوطها سنة 146 ق م، واستمرت في الاستعمال من طرف الأمراء المغاربة وهذا ما أشار إليه جـامس

فيفري...وبعد سقوط قرطاج وتهديمها كليا من طرف الرومان، هذه الكتابة بقيت مستعملة من طرف أمراء إفريقيين، مثلا إهداء معبد مسينيسا بدوقة سنة 139 تحت حكم مسيبسا...[20].

ثانياً: اللغة البونية:

اللغة البونية هي عبارة عن لهجة فينيقية، وجدت في غربي المتوسط، أضيفت إليها بعض الكلمات المحلية[21]، ويعتقد المختصون في ميدان اللغات السامية بأن التعابير التي تسربت إلى اللغة الفينيقية في المغرب لم تبق سطحية فقط، بل تناولت التراكيب ومخارج الأصوات التي تؤديها[22].

وقد تطرق إليها أحمد الفرجاوي بقوله: إن جميع المميزات التي درسناها تخول لنا الاعتقاد بأنها كانت لهجة فينيقية وذلك راجع لندرة ضعف نظامها الصوتمي والصوتي، ولعله حسن تسميتها لسانا فينيقيا[23]، إذن فمن اللغة الفينيقية اشتق هذا اللسان القرطاجي الذي هو عبارة عن مزيج من اللغة الفينيقية واللسان المحلي.

فاللغة الفينيقية لغة سامية أخت العربية و العبرانية، وهي تشابهها مشابهة كلية حتى يكاد الإنسان أن يفهم بعض المفردات بالتنظير وقد كانت لغة تأليف وعلم لكنها لم تكن لغة أدب، ولما انتقلت إلى المغرب أخذت تنمو قليلا بامتزاجها باللوبية إلا أنها أصبحت تبتعد عن الأصل شوطا ما فلقبت بالبونيقية[24].

والسؤال المطروح كيف وصلت إلينا اللغة البونية ؟

لقد تم التعرف عليها عن طريق الاكتشافات لبعض النصوص والنقوش ببعض من مناطق الشمال المغاربي وهذا ما تطرق إليه عبد الواحد وافي بقوله: وقد وصلت إلينا اللهجة البونية عن طريق نقوش عثر عليها في منطقة قرطاجنة يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الرابع ق م[25].

وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الأكبر من النقوش البونية كان قد اكتشف مكتوبا على النصب النذرية في قرطاجة حيث بلغ حوالي 6000 نقيشة..تأتي بعد

قرطاجة من حيث عدد النصب مدينة سيرتا التي قارب تعداد نصبها حتى الآن ما يزيد عن ألف نصب جلب الكثير منها من معبد الحفرة البوني[26].

وقد وصفها عبد الواحد وافي: وطريق رسمها تختلف بعض الاختلاف عن طريق الرسم الفينيقي الأصلي، ولكنها تتفق معها في الشكل العام للحروف وفي أنها تقتصر على الرمز إلى الأصوات الساكنة، ولذلك لم نقف عن طريقها إلى على أصول المفردات [27].

ثالثاً: <u>استعمال اللغة البونية وانتشارها:</u>

لقد انتشر اللسان البوني بشمال إفريقيا واستمرت هذه اللغة متداولة من طرف الأهالي حتى القرن الخامس ميلادي وهذا ما أكده جل الباحثين اللغويين والمؤرخين أمثال قوتتيه، قزال، ورينان...

ويقول رشيد الناضوري: ولكن الصلات البربرية القرطاجية في المغرب كانت أوثق منها في المشرق فقد اتصل البربر بالقرطاجيين اتصالا وثيقا في مجالات التعامل الاقتصادي والفكري وكان من الطبيعي أن يشمل هذا الاتصال الجانب اللغوي المدون.

فقد بدأ البربر في تسجيل لهجاتهم في القرن الثاني قبل الميلاد متأثرين باللغة البونية الفينيقية الأصل والتي نجح الفينيقيون في التوصل إلى اختراع خطها لأول مرة في حياة الإنسانية بصورة نهائية"[28].

ويضيف محمد الهادي حارش ...وفي هذه الكتابات حجة على أن الأرستقراطية البربرية كانت تستعمل اللغة البونيقية في النقوش الحجرية، وأحيانا تنافس بها اللغة الليبية...[29].

وهكذا فقد نقلوا -الجنود- اللغة البونيقية وبنوا دعايتها وكانت لغة الملك الطاغية مسينيسا. وكان القوم يكتبون بها في نوميديا، وقد وزعت عليهم رومية المكاتب القرطاجية التي ورثتها من تراب الكنعانيين[30] والملفت للانتباه أن مسينيسا

ملك الماسيل والذي كان حليف روما و معاديا للقرطاجيين كان يستعمل اللغة البونيقة في معاملاته الرسمية.

فاللغة الرسمية للممالك النوميدية والمور كانت لغة قرطاج، يظهر هذا في بعض النصوص المكتشفة والمكتوبة بالخط البوني... فنقود الممالك النوميدية كانت بالخط البوني وحتى نقود الممالك المازليس بالغرب (صيفاقس وفارمينيا ونقود ماسينيسا بالشرق...وما دمنا قد ذكرنا ملك الماسيل عدُو قرطاج، لاننسى أن نذكر كحجة ودليل لاستعماله لغة قرطاج...[31].

ويضيف عثمان سعدي بقوله: كان البربر قبل تدمير قرطاج، يتكلمون اللغة البونيقية، أي الفينيقية أو القرطاجية، وكانت هذه اللغة هي التي تسير بها دواوين وإدارات الممالك البربرية بما فيها مملكة (ماسيليه)نفسها التي كان على رأسها ماسينيسا...[32].

ويؤكد مؤرخ فرنسي آخر هو سانتاسP.Cintas) فيقول: أريد التحدث عن استمرار البونيقية، فقد بقيت منتشرة بالمغرب بعد تدمير قرطاج وفي العهد الروماني وحتى عهد القديس أوغستين الذي ذكر مرارا أن السكان الذين كانوا يحيطون به يتكلمون البونيقية، إذ اللغة البونيقية استمرت بين بعض البربر كلغة ثقافة...ويقول غوتييه، أن أوغستين عندما كان يسأل هؤلاء الأهالي في دروسه الواعظة ما هو أصلكم ؟كانوا يجيبونه: نحن كنعانيون[33].

والشيء الملاحظ والمتفق عليه مع جل الباحثين والمؤرخين أن استمرار اللغة البونية قد دام حتى بعد تدمير قرطاج. "اللافت للانتباه، أن سقوط قرطاج لم يعنِ أبدا نهاية تأثيرها بل بالعكس فالرومان في بادئ الأمر لم يبحثوا عن التوسع الكامل في البلاد، بحيث أن الممالك البربرية استطاعت استمرار حياتها بدون الخضوع للتأثير اللغوي والحضاري الروماني"[34].

ويؤكد الأستاذ غوتييهE.F.Gautier "الشيء الذي يمكن التمسك به هو أنه مابين منتصف القرن 12 ق م، وتدمير قرطاج سنة 146، التأثير الفينيقي بإفريقيا

وبالأخص بالمغرب دام ما يقرب عن 1000 سنة يعني أكثر من مرتين الاستيطان الروماني"[35].

ويجنح بعض المؤرخين وأشهرهم أمثال قوتييه وقزال وغيرهم أن هذه اللغة قد سهلت أو بالأحرى أعطت الأرضية الخصبة للانتشار السريع للغة العربية ومنهم نستطيع ذكر ما قاله غوتييهGautier "النتيجة التي تطرق إليها قزال كانت واضحة. سانت أوغستين كشف لنا أن اللغة البونية كانت جد منطوقة بها حتى القرن VI...إذن من الممكن أن نفترض أن أكثرية البربر قد تعلموا اللغة العربية بسهولة وذلك لأنهم كانوا يتقنون البونية"[36].

من هذا القول يمكننا أن نستنتج أن اللغة البونية هي لغة سامية تشبه اللغة العربية في كثير من الجوانب الصوتية، لهذا تمكن سكان شمال إفريقيا من الاستجابة للفتح الإسلامي وقد أظهر هذه النقطة André Basset بقوله: "و لكن اللغة البونية تجاوبت أكثر وأوسع بشمال إفريقيا وانتشرت حتى خارج الحدود الجمهورية، فالممالك النوميدية الثلاث كانت تستعملها وكانت لغتها الرسمية حتى الاستعمار الروماني... فالمناطق التي كانت مستعملة بها اللغة القرطاجية –البونية– كانت المناطق الأولى التي تعربت كليا. فاللغة البونية هي لغة سامية جارة اللغة العربية وهذه الأخيرة عند غزو العرب لهذه المنطقة تجاوبت بكل سهولة للبونية. وهذا ربما ما يظهر الانتشار للغة العربية بالشرق وحتى الآلهة القرطاجية قد مهدت لانتصار الدين الإسلامي في هذه البلاد، فاللغة القرطاجية قد مهدت الطريق للغة العربية"[37].

وكذلك قول محمد الهادي الحارش: "ويظهر أنها ظلت حية بهذه المناطق أمداً طويلاً بعد سقوط قرطاجة في أيدي الرومان (146ق م) فلدينا من الأدلة ما يحمل على الظن أنها بقيت لغة حديث بين السكان حتى القرن الخامس الميلادي أي بعد الاحتلال الروماني بأكثر من ستة قرون بل لدينا من الأدلة ما يحمل على الظن أنها

بقيت في بعض المناطق حتى الفتح العربي لشمال إفريقيا (القرن السابع الميلادي) ثم صرعتها اللغة العربية مع ما صرعته من اللهجات في هذه البلاد"[38].

وقد أدى هذا التجاوب للّغة العربية بالشمال الإفريقي بعض الباحثين إلى القول أن اللغة الكنعانية هي البنت البكر للغة العربية: "فلما توطد قدم الكنعانيين بهذه الديار وكثر امتزاجهم بالبربر تكونت في هذه البلاد، لغة مختلطة تدعى اللغة البونيقية وكانت لغة علم و تأليف، ولو أنك أخذت لوحا من الألواح التي سجلت بها تلك اللغة والتي أبقت عليها عوادي الزمان لكنت تستطيع فهمها بدون عناء أكثر مما تستطيع فهم اللغة العامية في مصر أو في اليمن، ذلك لأن اللغة الكنعانية الأصلية ثم اللغة اللوبية كانتا لغة عربية في تراكيبهما، وأغلب مفرداتها، كثيرة الشبه بالعربية التي تتكلمها العامة عندنا، وهي البنت البكر للعربية الفصحى بحيث لا تجد لفظا فيها ليس عربي، أو محرف قليلا عن لفظ عربي، إنما هي لغة لا تعرف قواعد الاعراب"[39].

وفي هذا السياق دائما يكشف لنا غوستاف لوبون عن إعجابه من تعريب البربر فيقول: "وتعربت البربرية كما تعرب البربر أنفسهم، فيتألف نحو ثلث البربرية التي يتكلم بها سكان منطقة القبائل الكبرى -الزواوية بالجزائر- من كلمات عربية فأمر طريف مثل هذا يبين لنا مرة أخرى مقدار تأثير العرب العظيم الذي لم يكتب مثله لأي أمة أخرى، ومن هذه الأمم الإغريق والرومان الذين دام سلطانهم في شمال إفريقيا دوام سلطان العرب من غير أن يتفق للغتهم أي أثر في اللغة العربية"[40].

لكن هناك من الباحثين من نفى أن اللغة البونية بقيت مستعملة ومهدت السبيل لانتشار اللغة العربية أمثال شارل أندري جوليان حيث قال:"ولا سند متينا لرأي أ.رينان الذي تبناه قزال القائل بأن بقاء اللغة البونيقية مهد إلى انتشار اللغة العربية،فقد انتهى استعمال اللغة البونيقية في تواريخ اختلفت طبعا باختلاف

الجهات، ولكنها لا تتجاوز في أغلب الظن آخر القرن الثاني وأول القرن الثالث بعد المسيح..."[41].

فهناك من الباحثين من يجنح إلى القول بأنه رغم سقوط قرطاج، اللغة البونية استمرت حية صوتياً ومن هؤلاء الباحثين نذكر سارج لانسالSerge Lancel "حقيقة أن سقوط قرطاج أدى إلى الانقطاع المفاجئ لاستعمال الخط الرسمي للبونية ولكن بعض النصب التذكارية تبين تواجد استعمال لغة بونية جديدة، لكتابة جارية محرفة ويصعب تفكيكها وقد استمرت في الاستعمال حتى أواخر القرن الأول أو حتى قرنين و نصف بعد سقوط قرطاج وموتها سياسيا. فالاستعمال الخطّي بدأ يتلاشى، ولكن صوتيا اللغة بقيت حية ومستعملة حتى ولو أنها لم تكتب أو بالأحرى استمرت في كتابتها ولكن بحروف لاتينية..."[42].

إذن فجلّ الباحثين والمؤرخين سواء العرب أم الأوروبيين متفقين من خلال استقراءاتهم المستوحاة من الآثار و النقوش المكتشفة، أن الاستيطان الفينيقي بشمال إفريقيا وتأسيسهم لحضارة قرطاج منذ 3500 سنة، هي اللّبنة التي مهدت لانتشار الدين الإسلامي وتجاوب البربر لتعلم اللغة العربية والسبب الوحيد الذي أدى إلى هذا التجاوب عن غيرهم من المستعمرات هو انتماء البربرية إلى أسرة اللّغات السامية، حيث وجدت الثقافة العربية بصورة عامة وأن البيئة البربرية ليست غريبة عنها وحتى وقتنا الحالي حيث أكدها غوتييه بقوله: "وبعد مرحلة معتبرة من الوقت بالمغرب، وبعد هذا التلاقي من المغاربة الدائم مع فرنسا مازال المغاربة يتكلمون لغة سامية جارة اللغة العربية يلبسون ويفكرون ويحسون مثل المشارقة بعد 3000 آلاف سنة"[43].

ويعبر البشير الإبراهيمي عن هذا كله بحدسه و إحساسه، لأنه لم يكن مطلعا على هذه الكتابات، منطلقا من ثقافته العربية القديمة الواسعة، ومن اطلاعه بل وحفظه عن ظهر قلب لمعجم اللغة العربية، فيقول: "إن عروبة هذا الشمال الإفريقي، جرت في مجاريها طبيعية مناسبة لم يشبها إكراه، وإنما على الروح

عرفت الروح، والفطرة سايرت الفطرة، والعقل أعدى العقل، وكأن هذه الأمم التي تغطي هذه الأرض قبل الاتصال بالعرب، كانت مهيأة للاتصال بـــالعرب أو كـــأن وشائح من القربى، كانت مخبوءة في الزمن فظهرت في وقتها، وكانت نائمة فـــي التاريخ فتنبهت لحينها"[44].

III-العلاقة اللغوية بين اللغتين، الليبية القديمة والقرطاجية:

تصطدم دراسة العلاقات اللغوية بين البونية والليبية القديمة بعدة مصاعب، من أهمها ضعف معرفتنا بالمكونات اللغوية لكلتا اللغتين. إذ رغـــم كثـــرة النقـــائش البونية، يبقى من الصعب التوفر على عدد مهم من ألفاظ وتعابير تلك اللغة فـــي حين تطرح معرفة المعجم الليبي صعوبات أكثر حدة. يضاف لذلك عـــدم اهتمـــام الكتاب القدامى بالحديث عن لغة السكان الأمازيغ بسبب جهلهم بهـــا لـــذلك تبقـــى النقائش الليبية هي المصدر الأساسي لدراسة اللغة الليبية القديمـــة وفهـــم علاقتهـــا باللغة البونية.

خلاصة:

يستفاد من خلال هذه المعطيات التي تعرضنا إليها بشأن العلاقات بين اللغتـــين البونية والليبية، أنهما قد استعملتا جنبا إلى جنب خلال الفترة البونيقية مع تســـجيل السبق الذي حازته اللغة البونيقية في تدوين الوثائق الإدارية والدينية مقابل ضـــيق استعمال اللغة الليبية في تلك الأغراض، رغم استمرارها كلغة للتداول والتخاطـــب الاجتماعي بالنسبة للغالبية العظمى من السكان المحليين. وقـــد ســـجلت النقـــائش المزدوجة الليبية- البونية بعض الظواهر اللغوية، ولم يمنع هذا كله مـــن أن كلتـــا اللغتين عايشتا هاته الحقبة الطويلة والمهمة من الزمن في امن واستقرار.

قائمة المصادر والمراجع:

[1]– عثمان سعدي "الأمازيغ "البربر" عرب عاربة " ، ص 132

[2]– شارل اندري جوليان "تاريخ إفريقيا الشمالية "،ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة الدار التونسية للنشر 1969 ص 117

[3]– عثمان سعدي "الأمازيغ "البربر" عرب عاربة " ، ص 132– 133

[4]– عثمان الكعاك "موجز التاريخ العام للجزائر "، دار الغرب الاسلامي ، بيــروت، ط1، 2003 ص 47.

[5]– شارل اندري جوليان "تاريخ إفريقيا الشمالية "، ص 125

[6]– نفسه ص 125

[7]– عثمان الكعاك "موجز التاريخ العام للجزائر "، ص 47.

[8]–مها عيساوي، "النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم"، جسور للنشر والتوزيــع، الجزائــر 2009، ص64.

[9]– العربي عقون، "القاعدة المشتركة للغات والكتابات، مقاربة في أصول الكتابة الليبية"، مجلــة كان التاريخية، العدد24، 2014، ص31.

[10]– نفسه ص 31.

[11] – https://www.hespress.com/opinions/331002.html

[12]–عبد العزيز سعيد الصويعي،"عروبة اللغة الليبية القديمة وكتابتها"، أطروحة الدكتوراه، جامعة St Clement العالمية، 2009، ص 81.

[13]–مها عيساوي، " "النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم"، ص72.

[14]– العزيز سعيد الصويعي،"عروبة اللغة الليبية القديمة وكتابتها"، ص105.

[15] – محمد الصغير غانم "المملكة النوميدية و الحضارة البونية " ، ص 149

[16]– James Février"Histoire de l'écriture", payot, paris, 1959 page 221

[17] نفسه ص 221.

[18] – محمد الصغير غانم "معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر " ،ص 125

[19]Recherche des Antiquités dans l'Afrique du nord C.T.H.S Paris 1890 ,Ernest Leroux Editeur–

[20] -James Février"Histoire de l'écriture", , p 221

[21] – محمد الصغير غانم "المملكة النوميدية و الحضارة البونية " ، ص 149

[22] – محمد الصغير غانم "معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر "، ص 125

[23] – أحمد الفرجاوي "بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة " ، ص 155

[24] – عثمان الكعاك "موجز التاريخ العام للجزائر " ، ص 45

[25] – عبد الواحد وافي "فقه اللغة" ، ص 38

[26] – محمد الصغير غانم "المملكة النوميدية و الحضارة البونية " ، ص 149.

[27] – عبد الواحد وافي "فقه اللغة" ، ص 37

[28] – رشيد الناضوري "المغرب الكبير 1" ، ص 225

[29] – محمد الهادي حارش "دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة"دار هومة ،الجزائر،2006 ص 126

[30] – عثمان الكعاك"موجز التاريخ العام للجزائر "، ص 47

[31]- Serge Lancel "CARTHAGE" p 374,375

[32] – عثمان سعدي "الأمازيغ "البربر" ، ص 101

[33] –نفسه ص 101

[34]- G.H.Bousquet "LES BERBERES" Que sais-je? 3eme Edition, paris 1967 p 33

[35]- Gautier "le passé de l'afrique du nord"payot, paris 1952 p 124

[36]- Ibid p 130

[37]- Renet Basset :les influences puniques chez les berbères" revue africaines v 62 1921 p 373,374

[38] – محمد الهادي حارش "دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة"،   ص 39 40

[39] – أحمد توفيق المدني "كتاب الجزائر" المؤسسة الوطنية للكتاب ،الطبعة الثانية ،1984 ص 75،76

[40]- Gustave Le Bon "la civilisation des arabes" Imprimé par Imag p 187

[41] - شارل اندري جوليان "تاريخ إفريقيا الشمالية "، ص 126

[42]- Serge Lancel "CARTHAGE" , p 455-456

[43]- Gautier "le passé de l'afrique du nord", 1952 p 157

[44] - عثمان سعدي "الأمازيغ "البربر" عرب عاربة "، ص 22

حرب اللّغات تعزف على أوتار الهويّة: دراسة في العلاقة بين اللّغة والهويّة في عصر الأوطان

أ. ياسين بوراس،
ج/ محمّد البشير الإبراهيميّ، برج-بوعريريج.
yacineyh25@gmail.com

مقدّمة: تُعَدُّ اللّغة جزءا من حياة الفرد، تحيا بحياته وتموت بموته، ما يجعلُه يدافع عنها دفاعه عن أرضه وعرضه، معتبرا أنّ كلَّ تَعَدٍّ عنها هو تَعَدٍّ عن هويته ولهذا تجد معظم المجتمعات الموسومة بالتّعدّد، تعيش هذا النّوع من الحروب اللّغويّة الّتي تعزف على أوتار الهويّة. وإذا ما أمعنّا النّظر في العلاقة الّتي تجمع بين اللّغة والهويّة في عصر الأوطان، وجدناها علاقة وهميّة أو زائفة ليصبح بذلك دفاع الفرد عن لغته أمام وحدة وطنه نوعا من الانتحار الجماعي، أمام ما يُمْكِنُ أنْ يُثِيرَهُ هذا النّوع من الحروب اللّغويّة من نعرات طائفيّة، تتحوّل معها الأوطان من فضاء للتّعايش السّلميّ بين هذه اللّغات، إلى ساحة للحروب اللّغويّة والصّراعات الدّاخليّة. و بناءً على هذا الإشكال الّذي يُمْكِنُ أنْ يطرحه التّعدد اللّغويّ في المجتمعات الموسومة بالتّعدّد، تعالج هذه المداخلة علاقة اللّغة بالهويّة في عصر الأوطان، من خلال تحديدها مفهوم الهويّة بين اللّغة والوطن والدّين، ورسميّة اللّغة في المجتمع بين التّعبير عن الهويّة والتّعبير عن الوحدة الوطنيّة، والمكسب الحقيقيّ للجزائريّين من ترسيم المازيغيّة وكذا رسميّة العربيّة والمازيغيّة في الجزائر بين السّياسة الرّمزيّة والسّياسة الفعليّة، والعدالة اللّغويّة للسّياسة والتّعايش السّلميّ بين اللّغات.

أوّلا- مفهوم الهويّة بين اللّغة والوطن والدّين: يعتمد مفهوم الهويّة على ثلاثة عناصر أساسية في تحديدها، وهي: اللّغة، والوطن، والدّين. وإذا ما نظرنا في هذه

العناصر الثلاثّة، وجدناها لا تدلّ سوى على تلك القّوة الّتي ظلّ الإنسان في حاجة إليها، وهي القوّة الجماعيّة أو قوّة الجماعة الّتي يمكن أنْ تحدّد المعنى الحقيقيّ لمفهوم الهويّة، بعيدا عن الأشكال الأخرى لمعانيها، وهي الانتماء إلى اللّغة أو الوطن، أو الدّين؛ فحينما ينتمي الإنسان بلغته أو وطنه أو دينه إلى مجتمع من المجتمعات؛ فهو لا يبحث في هذا المجتمع إلاّ عن هذه الحقيقة الّتي تشكّل سرّ حياته في هذا المجتمع أو ذاك. وإذا كانت كلّ من اللّغة والوطن والدّين، يشكّل بدوره مصدرا لهذه القّوة الجماعيّة عند الإنسان، ومن ثمّة رمزا للهويّة؛ فإنّه لزاما علينا أنْ نحدّد أيّ هذه العناصر أكثر تمثّلا لهذه القّوة الجماعيّة وتعبيرا عن الهويّة في حياة الإنسان المعاصر أو عصر الأوطان، هل اللّغة أم الوطن أم الدّين؟

تستلزم الإجابة عن هذا السّؤال، الوقوف على مختلف المراحل الّتي مرّ بها الإنسان في تعبيره عن الهويّة، والتي تُثْبِتُ أنّه بعد طوفان سيّدنا نوح عليه السّلام الّذي يعود تاريخه إلى خمسة آلاف قبل الميلاد (5000ق.م) أوّلَ ما انتسب إليه الإنسان في بحثه عن قوة الجماعة، هو جنسه الأوّل من أبناء نوح عليه السّلام فانتسب العرب إلى سام، وشعوب إفريقيّا إلى حام، وشعوب أوربا إلى يافث، ثم لمّا تفرعّت هذه الأجناس البشريّة الثّلاثة وتفرّقت لغاتها، انتسب الإنسان إلى لغته فسُمِّي بها عربيّا وفارسيّا، ومازيغيّا، وتركيّا، وكنعانيّا، وآراميّا، وآشوريّا، وعبريّا ...إلخ. ولمّا نزل الإسلام في شبه جزيرة العرب وانتشر في مشارق الأرض ومغاربها، حَدَّتْ جُغرافيَّة هذه الأمم العقائدُ، فانتسب الإنسان إليها مسلما، ومسيحيّا ويهوديّا، ومجوسيّا، وبوذيّا... إلخ، ولمّا انحصر الإسلام في شبه جزيرة العرب وما جاورها من دول المشرق والمغرب، حدّت جغرافيّةُ هذه العقائدِ الأوطانُ فانتسب الإنسان إلى الأوطان الّتي تأويه، وسمّي بها جزائريّا، وفرنسيّا، وإنجليزيّا ويابانيّا، وصينيّا... إلخ.

وتعكس بهذا مختلف هذه المراحل الّتي مرّ بها الإنسان في تعبيره عن الهويّة المعنى الحقيقيّ للهويّة بشكل عامّ، وهو الانتماء إلى الجماعة كمصدر قوّة، والمعنى

الحقيقي للهوّية في عصر الأوطان؛ وهو الانتماء إلى الوطن، قبل اللّغة أو الدّين الّتي شكّلت في مرحلة من تاريخ البشريّة هوية الإنسان؛ أمّا ونحن في عصر الأوطان، فإنّه في اعتماد الإنسان في إثبات هويته على لغته أو دينه، ودفاعه عنهما أمام وحدة وطنه؛ أشبه بالانتحار الجماعيّ أمام ديانات أو لغات هي أكبر منها في العُدَّة والعدد؛ ليتحوّل بذلك الوطن من فضاء للتّعايش السّلمي بين هذه اللّغات أو الدّيانات إلى ساحة للحروب اللّغويّة أو الدّينيّة والصّراعات الدّاخليّة، ويكون بهذا الأولى في الدّفاع عنه هو وحدة الوطن؛ باعتباره الأكثر تمثّلا لهذه القوّة الجماعيّة وتعبيرا عن الهويّة في عصر الأوطان؛ حيث تصدق بذلك مقولة: إنّه لا هوية للفرد في عصر الأوطان إلاّ الوطن.

ثانيا- رسميّة اللّغة في المجتمع بين التّعبير عن الهويّة والتّعبير عن الوحدة الوطنيّة: ترتبط عادة الحروب اللّغويّة في المجتمعات الموسومة بالتّعدد، برسميّة اللّغة أساسا؛ حيث يُعَدُّ فيها اعتلاء لغة من اللّغات هذه المنزلة دون غيرها، بمثابة إقصاء للغة الآخر أو إنكار لهويّته؛ تحت اعتقاد أنّ الاعتراف برسميّة لغة من اللّغات هو اعتراف بالهويّة؛ ما قد يَجُرُّ هذا النّوع من المجتمعات إلى الحروب اللّغويّة الّتي تعزف على أوتار الهويّة. وإنّ الحلّ -الوحيد والأوحد في اعتقادنا- الّذي يمكن به إخماد نار هذه الحرب اللّغويّة التي تعزف على أوتار الهويّة، هو إقناع النّخبة بأنّ صفة الرّسميّة في أيّ سياسة لغويّة ليس اعترافا أو إنكارا للهويّة وإنّما هو اعتراف بالوحدة الوطنيّة؛ حيث تلعب اللّغة الرّسميّة دورا مُهمّاً في ضمان هذه الوحدة في هذا المجتمع على اختلاف لغاته، نظرا للخصائص الّتي تتميّز بها هذه اللّغة عن غيرها من اللّغات المتعايشة على أرض الوطن، فالإنجليزيّة في الولايات المتحدّة الأمريكيّة، والفرنسيّة في فرنسا، والألمانيّة في سويسرا، والعربيّة في المغرب العربيّ، وغيرها من اللّغات الرّسميّة في بلدانها، لم تعبّر ولن تعبّر يوما عن الهويّة الحقيقية لمجتمعها، إلاّ في حدود ضيّقة، ولكنّها ضلّت لغاتها الرّسميّة على مرّ التّاريخ. أمّا ما يمكن اعتباره في السّياسة اللّغويّة للحكومات في

هذا النّوع من المجتمعات الموسومة بالتّعدّد، اعترافا أو إنكارا للهويّة فهو صفة الوطنيّة في اللّغة باعتبارها رمزا للهويّة، والّتي تتطلّب من الحكومة اعترافا بوطنيّة كلّ اللّغات المتعايشة على أرض الوطن، باعتبارها إحدى الحقوق اللّغويّة المشروعة فيه، والّتي تستلزم من السّياسة اللّغويّة وضع خطط استراتيجيّة لحماية هذه اللّغات، وذلك بتعليمها، وإنشاء المؤسّسات اللّغويّة التي تعمل على حمايتها وترقيتها، والتّشجيع على التّرجمة منها وإليها، باعتبارها ثروة لغويّة، يمكن أنْ تؤدّي إلى صناعة الحراك العلميّ بين هذه اللغات داخل هذا المجتمع.

وانطلاقا من هذا الحلّ يمكن اعتماد المؤسّسات التّعليميّة، والسّياسيّة والاقتصاديّة، والعسكريّة، والاجتماعية، والصحيّة، لغرس هذا المبدأ الذي يُعتَمَد في النّظر إلى اللّغة في السّياسات اللّغويّة للحكومات، ونقصد بذلك مبدأ اللّغة الجامعة في إلحاق صفة الرّسميّة باللّغة، ومبدأ الهويّة في إلحاق صفة الوطنيّة بها كذلك. وبعبارة أخرى إذا كانت صفة اللّغة الجامعة تنطبق على لغة من اللّغات المتعايشة على أرض الوطن دون غيرها، فهي أحقٌّ بأخذ صفة الرّسميّة من غيرها، وإذا كانت لغة مجتمع من المجتمعات الّتي نتعايش معها في هذا الوطن رمزا للهويّة فهي الأحق بأخذ صفة الوطنيّة من غيرها، وهكذا يتمّ وضع السّياسات اللّغويّة الرّاشدة في الدّول الّتي تعمل على ضمان الحقوق اللّغويّة لمواطنيها.

وينطبق هذا الأمر على ترسيم كلّ من العربيّة في الجزائر بعد الاستقلال والمازيغيّة بداية من الاعتراف بها لغة رسميّة ثانيّة في هذا البلد سنة 2016؛ حيث ساد الاعتقاد باعتلاء العربيّة منزلة اللّغة الرّسيمة في الجزائر، أنّه يتضمّن اعترافا بالهويّة العربيّة للشّعب الجزائريّ، وإنكارا لهويّته الحقيقيّة المازيغيّة، لهذا ظهرت المناداة في المؤسّسات الحكوميّة التّنفيذيّة والتّشريعيّة منها، بترسيم المازيغيّة جنبا إلى جنب مع العربيّة في هذه الدّول تحت هذا المُعْتَقَد. والحقيقة إنّ ما أُتِيحَ للعربيّة من فرصة اعتلاء هذه المنزلة في الجزائر ذات الأصول المازيغيّة، لَمْ يُتَحْ لغيرها من قبلُ، إذا ما استثنينا العامل التّاريخيّ؛ حيث "كانت اللّغة العربيّة هي اللّغة

الرّسميّة في الدّولة الإسلاميّة، لغة التّعليم، ولغة الخطابات، والمراسلات والمعاملات، والدّواوين لا تزاحمها أيّة لغة أخرى، وبعد الفتوحات الإسلاميّة تمّت عمليّة تعريب البلدان المفتوحة طواعيّة على المستوى الرّسميّ، وذلك بتعريب الدّواوين وقد حدث ذلك بالفعل في فارس، ومصر، والمغرب العربيّ، وكذلك على المستوى الشّعبيّ؛ حيث بدأ النّاس يُقْبِلون على تعلّم العربيّة وذلك لارتباطها بالإسلام."[1] الدّين الجديد لهذه الدّول وما جاورها.

كما ساد الاعتقاد بأنّ ترسيم المازيغيّة في الجزائر يتضمّن اعترافا بالهويّة المازيغيّة للشّعب الجزائريّ ذي الأصول المشتركة بين المازيغ والعرب، وبالتّالي فهو يتضمّن اعترافا بالهويّة المازيغيّة للشّعب الجزائريّ، وإنكارا لهويّته العربيّة. والحقيقة إنّ ترسيم المازيغيّة لا يمكن أنْ يتضمّن اعترافا بهويّة الشّعب المازيغيّ في الجزائر المعاصرة، بقدر ما يتضمّن اعترافا بالوحدة الوطنيّة للشّعب الجزائريّ عن طريق هذه اللّغة الرّسميّة الثّانيّة؛ ولهذا فإنّ على اللّغة المازيغيّة أنْ تخرج من بوتقة التّاريخ في تعبيرها عن هويّة الشّعب المازيغيّ إلى التّعبير عن وحدة الشّعب الجزائريّ، وإلا بقي ترسيمها مجرّد سياسة رمزيّة جاءت كردّ فعل على ضغوطات جهويّة؛ مع العلم أنّ " اللّغة كلّما ابتعدت اللّغة عن إثنيّة أو ترابيّة ضيّقة، حملت مشروعا ثقافيّا-حضاريّا عامّا، ومشروعا مجتمعيّا سياسيّا واقتصاديّا، قد تنخرط فيه أكثر من جنسيّة. لقد تشكّلت الأمم-الدّول الحديثة، تاريخيّا عبر اللّغة وتوحّدت بها كما حدث للأمم-الدُّول الألمانيّة، أو الفرنسيّة، أو الإيطاليّة، قبل أن يوحّدها الدّين أو العرق... إلخ. ولم يَشُذْ اللّسان العربيّ عن هذا في أطواره وتجاربه، حين لعب دور اللّحام الجمعيّ للأمّة قُطريّة كانت أو اتّحاديّة، أو عالميّة."[2]

ولا يمكن أنْ يشذ اللّسان المازيغيّ عن هذا الدّور باعتلائه منزلة اللّغة الرّسميّة في معظم بلدان المغرب العربيّ؛ لأنّ ما سعت إليه الحكومات من خلال ترسيمها العربيّة بعد الاستقلال وهو المحافظة على الوحدة الوطنيّة لمجتمعاتها، يجب أنْ تسعى إلى تحقيقه هذه الحكومات من خلال ترسيمها هذه اللّغة داخل أوطانها

بالعمل الدّائم على ترقيّتها، لممارسة مختلف الوظائف الرّسميّة في هذه الدّول الحديثة؛ وإلا تحوّل معها ترسيم هذه اللّغة في هذه المجتمعات إلى مجرد سياسة رمزيّة، تطفئ غضب الجماهير تارة وتشعله تارة أخرى، في الوقت الّذي "تقتضي فيه علاقة اللّغة بالدّولة في العصر الحديث، من تنظيمات الدّول الحديثة تدخلها في تنظيم إداراتها وإعلامها، ومؤسّساتها التّعليميّة والقطاعات الخاصّة داخل حدودها وهذا في الغالب الأعمّ. أمّا الّتي تسير بغير هدى أو الّتي لا تولي هويّتها وثقافتها الاهتمام؛ فإنّ الأمر فيها مختلف؛ حيث تكون لكلّ مؤسّسة نظامها اللّغويّ، ولكلّ منبر لسانه دون رقابة أو محاسبة. ولعلّ من أهمّ الإشكالات الّتي تواجه اللّغة العربيّة داخل أوطانها غياب هذه القضيّة عن صنّاع القرار، وهي وإنْ نُصَّ عليها في الدّستور فإنّها لا تعدو تلك الدّيباجة، ولا تتجاوزها إلى حيّز التّطبيق، والعمل على تمكينها ونشرها وترسيخها."[3] وهو ما يمكن أنْ تعاني منه المازيغيّة في حال ما إذا تمّ التّنصّل من المسؤوليّة اتّجاه ترسيمها في هذه المجتمعات إلى جانب العربيّة، مع العلم أنّ كلّ سياسة لغويّة تهدف إلى تحقيق مشروع ترسيم لغة من اللّغات الوطنيّة، يجب أنْ تسعى إلى تحقيق هذا الهدف، وهو إخراج هذه اللّغة من حدودها الضيّقة في الجغرافيا أو الإثنيّة إلى جعلها لغة مشتركة تحمل مشروعا وطنيّا وحضاريّا، وهو ما ينطبق على المازيغيّة الّتي بترسيمها في مختلف بلدان المغرب العربيّ، لا بدّ أنْ تحمل الهمّ ذاته، الذي تحمله كلّ لغة تتّجه نحو الرّسميّة أو العالميّة. ومع العلم كذلك أنّ مسألة اللّغة في المجتمع هي مسؤوليّة الجميع ولكن بالتّراتب من أعلى سلطة وهي السّلطة السّياسيّة إلى أدناها وهي النّخبة ثمّ المجتمع.

ثالثا- المكسب الحقيقيّ للجزائريّين من ترسيم المازيغيّة: يعتقد الكثير من أفراد المجتمع الجزائريّ، أنّ ترسيم المازيغيّة يحمل في مضمونه اعترافا بمازيغيّة الشّعب الجزائريّ أو بهويّة الشّعب المازيغيّ في هذا الوطن، وهو بذلك يُعَدُّ مكسبا مازيغيّا لا غير، والحقيقة أنّنا إذا ما أمعنّ النّظر في حقيقة هذا المشروع، وجدناه يحمل في مضمونه بعدا وطنيّا؛ يتمثّل في المحافظة على الوحدة الوطنيّة لأفراد هذا

المجتمع عن طريق هذه اللّغة، ليتحوّل بذلك مشروع ترسيم المازيغيّة في الجزائر من مكسب مازيغيّ إلى مكسب وطنيّ، وهذا باعتبار أنّ اللّغة المازيغيّة في الجزائر مِثْلُها مثل اللّغة العربيّة هي ملك الشّعب الجزائريّ عامّة، وما حقّقه ترسيم العربيّة في الجزائر بعد الاستقلال من وحدة وطنيّة يمكن أنْ يحقّقه ترسيم المازيغيّة بداية من الاعتراف بها لغة رسميّة ثانيّة في هذا الوطن؛ ليكون بذلك أكبر مكسب للجزائريّين من ترسيم المازيغيّة هو المحافظة على الوحدة الوطنيّة لأفراد هذا المجتمع عن طريق هذه اللّغة الرّسميّة الثّانية. ومن بين المكاسب الّتي يمكن أن يحقَّقها ترسيم هاتين اللّغتين معا (العربيّة والمازيغيّة) بالنّسبة للجزائريّين، ما يلي:

– إمكانيّة التّصدّي لأيّ غزو لغويّ للغات العولمة الّذي يجتاح معظم الدّول الموسومة بالتّعدّد اللّغويّ؛ بما فيها دول أفريقيا، وفرنسا في أوربا، والهند والصّين في آسيا.

– استعادة المكانة الحقيقيّة للّغة العربيّة لغة رسميّة أولى، في ظلّ استحواذ اللّغة الفرنسيّة على الوظائف الرّسميّة الأساسيّة للّغة العربيّة: كالتّعليم، والإدارة؛ حيث يقتضي ترسيم المازيغيّة إلى جانب العربيّة، توجيه الدّولة كلّ مساعيها نحو تطوير هاتين اللّغتين؛ لممارسة مختلف الوظائف الرّسميّة للدّولة، إنْ عاجلا أو آجلا.

– خلق روح التّنافس بين هاتين اللّغتين (العربيّة والمازيغيّة) للعمل على تطوير مختلف العلوم ومن ثَمَّةَ الإسهام في تطوير الحضارة الإنسانيّة.

– إمكانيّة استفادة هاتين اللّغتين من بعضهما البعض في تطوير معجمهما اللّغويّ، أمام حاجتهما المستمرّة في التّعبير عن مستجدات العصر.

وتأكيدا على المكسب الرّابع والأخير للجزائريّين من ترسيم المازيغيّة؛ حول إمكانية تطوير إحداهما للأخرى في معجمها اللّغويّ، وفقا لما تقتضيه مستجدات العصر؛ فإنّه بغض النّظر عن العوامل التّاريخيّة الّتي أدّت إلى تمازج هاتين اللُّغتين العريقتَيْن العربيّة والمازيغيّة، في هذا الوطن الجزائر منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، فإنّ اللّسانيات الجغرافيّة أثبت قابليّة تعايش لغتين فأكثر ضمن رقعة

جغرافيّة واحدة، مثلما أكّده دي سوسير حين اعتبر أنّ اللّغات يمكن أنْ تتعايش في ما بينها، دون أنْ تؤثّر إحداهما على الأخرى بشكل سلبيّ، يجعل إحداهما تذوب في الأخرى "فمنذ قديم الزّمان شهد التّاريخ أُمَمًا تختلط دون أنْ تمتزج ألسنتها بعضها ببعض. ويكفي لنكون على بيّنة من الأمر أنْ نُلْقِيَ نظرة على خريطة أوربّا الحاليّة؛ فإنّك تراهم في إيرلندا يتكلّمون السّلتيّة والإنجليزيّة، وكثير من الإيرلنديّين يتقنون اللّغتين معا. أمّا في مقاطعة بروطونيا الفرنسيّة؛ فإنّهم يتكلّمون البروطونيّة والفرنسيّة. وفي منطقة الباسك تراهم يتكلّمون إلى جانب لغتهم الباسكيّة الفرنسيّة والإنجليزيّة، وفي فنلندا تتعايش السّويديّة والفنلنديّة منذ عهد بعيد نسبيّا، ثم انضافت إليهما الرّوسيّة منذ عهد قريب، وفي كورلندا وليفونيا يتكلّم النّاس اللّغة اللّتيّة والألمانيّة والرّوسيّة. أمّا الألمانيّة وقد جلبها المعمّرون الوافدون عليها في العصر الوسيط، تحت رعاية الرّابطة الهنسياتيّة؛ فهي لغة طبقة خاصّة من السّكّان. وأمّا الرّوسيّة فإنّها قد دخلت هنالك بعد ذلك عن طريق الغزو. أمّا بلاد ليتوانيا فقد شهدت انغراس البولونيّة إلى جانب اللّغة اللّيتوانيّة، وكان ذلك نتيجة لاتّحادها قديما مع بولونيا، كما شهدت انغراس الرّوسيّة نتيجة لاندماجها في الإمبراطوريّة الموسكوفيّة. وقد كانت اللّغتان الصّقليّة والألمانيّة حتّى القرن الثّامن عشر مُستعملتَيْن في كامل المنطقة الشّرقيّة من ألمانيا بداية من نهر الألب. أمّا في بعض البلدان فإنّ اختلاط اللّغات الأعظم من ذلك بكثير؛ فأنت واجد في مقدونيا كلّ ما يمرّ بخلدك من اللّغات، من تركيّة، وبلغاريّة، وصربيّة، ويونانيّة، وألبانية ورومانيّة وغيرها، وهذه اللّغات متداخلة تداخلات شتّى بحسب المناطق."[4] وكلّ هذه الأوضاع اللّغويّة للتّعدّد في مختلف البلدان الأوربيّة، تؤكّد بشكل قطعيّ هذه العلاقة الّتي يمكن أن تقوم بين لغتين فأكثر داخل بلد ما، ليصير بذلك تعايش كلّ من العربيّة والمازيغيّة في الجزائر أمرا هيّنا، مقارنة بدول تعيش التّعدّد بشكل أكبر، لدرجة يتعذّر فيها مجرّد تعليم هذه اللّغات أو حمايتها داخل أوطانها.

رابعا- رسميّة العربيّة والمازيغيّة في الجزائر بين السّياسة الرّمزيّة والسّياسة الفعليّة: يحتاج ترسيم أيّ لغة من اللّغات الوطنيّة في المجتمعات الموسومة بالتّعــدّد إلى تخطيط لغويّ محكم يدعم هذه السّياسة؛ بحيث إنّه في كلّ الحالات الّتي يضطرّ فيها المجتمع الموسوم بالتّعدّد اللّغويّ إلى ترسيم لغة من اللّغات الوطنيّة، يضــطرّ فيها إلى الاعتماد على خبراء لتنفيذ هذه السّياسة، وإلا تحوّلت إلـــى مجــرّد قــرار رمزيّ؛ لتظهر بذلك العلاقة بين التّخطيط اللّغويّ والسّياسة اللّغويّة، في شكل علاقة استلزام بلغة الرّياضيّات؛ باعتبار أنّ كلّ قرار سياسيّ يستلزم بدوره التّنفيذ لارتباط هذا النّوع من القرارات بمصير الأمّة، وهذا "على اخــتلاف وجهــة النّظــر بــين الباحثين الأمريكيّين والباحثين الأوروبيّين، في هذه العلاقة بين المصطلحين؛ حيــث يميل الباحثون الأمريكيّون إلى التّشديد، على الجوانب التّقنيّــة لهــذا التّــدخّل فــي الأوضاع اللّغويّة الّتي يمثّلها التّخطيط، ولا يعبأون كثيرا بمسألة السّلطة الموجــودة وراء أصحاب القرار، ويُخيَّل إلينا أحيانا بأنّهم مقتنعون بإمكانيّة وجود تخطيط دون سياسة ... في مقابل ذلك يبدو الباحثون الأوربيّون (الفرنسيّون، الإسبان، الألمــان) أكثر عناية واهتماما بمسألة السّلطة."[5] وعلى اختلاف وجهة النّظر بــين البــاحثين الأوربيّين والباحثين الأمريكيّين، حول إمكانية وجود تخطيط لغوي من دون سياسة يبقى التّخطيط اللّغويّ السّبيل الوحيد لتنفيذ أيِّ سياسة لغويّة لبلد ما.

ويمكن أنْ يؤكّد هذه العلاقة بين السّياسّة والتّخطيط اللّغويّ كما ذهب إليه لويس جان كالفي الإجابة عن سؤال: هلّ يمكن للّغة أن تكون موضــوع قــانون؟ وهــذا باعتبار أنّ القوانين التّنظيميّة هي من وضع السّياسة، ثمّ إجابته عن هــذا السّــؤال بقوله: إنّ الأمر المُؤكَّد هو أنّ الدّولة تتدخّل باستمرار في المجال اللّغويّ وبالتّحديد في السّلوكات اللّغويّة واستعمال اللّغات؛ لأنّ السّياسات اللّغويّة هي في الغالب الأعمّ إكراهيّة؛ ولهذا السّبب فهي بحاجة إلى قانون لتفرض نفسها: فلا يُوجَــدُ تخطــيط لغويّ دون وجه قانونيّ. مع تحديد لويس جان كالفي المجالات اللّغويّة الّتي تُعْنَــى بها هذه القوانين الّتي تنظّم عمل السّياسة اللّغويّة في ثلاثة مجالات رئيسيّة هي:[6]

– قوانين تُعْنَى بحلّ المشاكل اللّغويّة على مستوى المتن: كتحديد طريقة الكتابة أو وَضْعِ المعاجم اللّغويّة للمفردات الّتي تحتاجها اللّغة في التّعبير عن مستجدّات العصر.

– قوانين تُعْنَى بتحديد منزلة اللّغات استنادا إلى وظائفها في المجتمع: كالرّسميّة، والوطنيّة والمحليّة، والأقلّيّة، والأجنبيّة.

– قوانين تُعْنَى بحماية اللّغات على المستوى المحليّ والعالميّ: كقانون الاعتراف بعالميّة اللّغة واحترامها في الاجتماعات الرّسميّة والمعاهدات الدّولية، أو حماية لغات الأقلّيات في المجتمعات الموسومة بالتّعدّد، ويصدر هذا النّوع من القوانين عن المنظّمات الدّوليّة والمؤسّسات الحكوميّة، بخلاف النّوعين الأوّلَيْنِ اللّذَيْن يَصْدُرَانِ عن المؤسّسات الحكوميّة للدّولة فقط.

ويمكن التّمييز في التّخطيط اللّغويّ باعتباره أداة لتنفيذ السّياسة، بين نوعين من التّدخل في اللّغات سواء داخل المجتمعات الموسومة بالتّعدد أم المجتمعات الأحاديّة اللّغة، وهي أوّلا تخطيط المتن المتعلّق بالتّدخّل في اللّغة على مستوى قواعدها نطقا وكتابة: كطريقة الكتابة، والتّوليد المعجميّ للألفاظ، والتّنميط/ التّقييس ...إلخ. والثّاني تخطيط المنزلة المتعلّق بالتدّخل في اللّغة على مستوى الوظائف الّتي تؤدّيها داخل المجتمع رسميّة، وطنيّة، محليّة/ أقلّية. وهكذا يسمح هذا النّوعان من التّخطيط اللغويّ بزيادة مفردات اللّغة أو توليد ألفاظ جديدة، لمكافحة الاقتراض، كما يمكن أيضا تغيير منزلة اللّغة وترقيّتها إلى مصاف اللّغة الرّسميّة، وتعليمها في مختلف مؤسّسات التّعليم ...إلخ."[7] وإنّ حاجة المجتمعات الدّوليّة بهذا إلى هذا النّوع من التّدخل في اللّغات، سواء على مستوى السّياسة اللّغويّة التي تحدّدها السّلطة أم على مستوى التّخطيط اللّغويّ الّذي يضعه الخبراء، مرتبط بمدى حاجة هذه المجتمعات إلى هذه اللّغات من جهة، وإلى تنظيم دورها داخل المجتمع من جهة ثانية، أمام الغزو اللّغوي للغات العولمة، أو الحروب اللّغويّة الّتي يمكن أنْ تنشب بين هذه اللّغات حول اعتلاء أعلى منزلة يمكن أن تحققّها اللّغة؛ بحيث يصير فيها مع هذه

الحاجة إلى التّدخل في اللّغات، عدم تدخّل السّياسة الّتي تمثّلهـا السّـلطة، بمثابـة التّنصّل من المسؤوليّة اتجاه الوضع اللّغويّ للبلد، أمام واجبها في تنظـيم شـؤونه الدّاخليّة. كما يصير معها عدم شعور النّخبة السّياسيّة والخبراء من أبنـاء الـوطن بالمسؤوليّة تجاه الوضع اللّغويّ للغاتهم بمثابة التملّص من المسؤولية تجاه القضـايا اللّغويّة للوطن.

وينطبق الأمر على اللّغة العربيّة في الجزائر، وكـذا المازيغيّـة بدايـة مـن الاعتراف بها لغة رسميّة ثانية في هذه الدّولة بداية من شهر مارس 2016؛ حيـث تعاني هاتان اللّغتان داخل أوطانهما الأمرّين معا، وهمـا الغـزو اللّغـويّ للغـات العولمة (الفرنسيّة) لسوق اللّغات في الجزائر، والّذي "تحوّلت معه هذه اللّغـة إلـى منافس حقيقيّ للّغة العربيّة، بعد دخول الاسـتعمار الفرنسـيّ، وتخـرّج بـاكورة المدارس الفرنسيّة ونظيراتها الفرنكوعربيّة ليبدأ الصّراع بين نخبتين: واحـدة ذات تكوين فرنسيّ تنظر إلى العربيّة على أنّها عتيقة متخلّفة، غير قادرة على أن تكون حمّالة للعلوم العصريّة، وأخرى ترى في العربيّة لغة مقدّسـة."[8] وكـذا الصّـراع المفتعل بين العربيّة والمازيغيّة حول صفة الرّسميّة، أمام صمت السّياسـة اللّغويّـة للبلد، وتملّص النّخبة من مسؤوليتها تجاه الوضع اللّغويّ الّذي آلـت إليـه هاتـان اللّغتان والعربيّة على وجه الخصوص؛ حيث تحوّلـت معهمـا السّياسـة اللّغويّـة للجزائر من سياسة فعليّة تحمل أبعادا وطنيّة وحضارية، تنشد من خلالهـا تحقيـق النّهضة بلغاتها، وكذا تحقيق التّعايش السّلميّ بين هذه اللّغات داخل أوطانهـا، إلـى سياسة رمزيّة تهدف إلى تحقيق مطالب اجتماعيّة لا غير، وهذا في عدم اسـتكمالها لمشروع التّعريب الشّامل لمؤسسّات التّعليم؛ بلْ وتراجعها في الآونة الأخيرة عـن تعريب بعض المواد العلميّة في مختلف مراحل التّعليم. وإذا ما استثنينا المازيغيّـة الّتي يعود اعتلاؤها لمنزلة الرّسميّة في الجزائر إلى عهد ليس ببعيد أو حديثا؛ فـإنّ الأسباب الّتي تقف أمام عدم استكمال هذا المشروع في الجزائر، بشكل يجعلنا نرى

هذه السّياسات اللّغويّة للحكومة سياسة رمزية لا فعليّة، تنحصر في سببين رئيسين أحدهما تاريخيّ والثّاني اجتماعيّ:

1- السّبب التّاريخيّ: يتمثّل السّبب التّاريخيّ الّذي يقف أمام استكمال مشروع التّعريب في الجزائر، في التّبعيّة اللّغويّة للمستعمر الفرنسيّ، بالشّكل الّذي تعذّر فيه على أصحاب القرار الاعتماد على الواقع في فرض سياسة لغويّة مغايرة، أمام حاجتها إلى هذه السّياسة في تسيير الوضع اللّغويّ للجزائر المستقلّة. ويُعَدُّ هذا السّبب في نظر علماء اللّسانيات الاجتماعيّة، تاريخيّا بالدّرجة الأولى؛ حيث يرتبط بالسّياسة اللّغويّة لفرنسا في الجزائر خلال الفترة الاستعماريّة "والّتي لم تكتف فيها بممارسة الحظر اللّغويّ على مواطنيها، بل نقلته إلى مستعمراتها، فعملت على نشر لغتها وفرضها بقوّة الحديد والنّار، والقوانين المجحفة، فحاربت بجميع الأساليب والطّرائق اللّغات الوطنيّة للمستعمرات واستخدمت جميع صور الإقصاء والتّهميش، وسعت إلى محوها من التّداول والوجود، مثل اللّغة العربيّة في الجزائر حين اعتبرتها لغة أجنبيّة، وسخّرت جميع طاقاتها للقضاء عليها، وعلى من ينطقون بها، ما بقيت آثاره مترسّبة إلى يومنا هذا، فتكوّنت لوبيات (جماعات ضغط) نافذة عملت بكلّ ما أُوتِيَتْ من قوّة وسلطة؛ لإبقاء هيمنة الفرنسيّة على مشاهد الجزائر المُستقلّة."[9] ولكن يبقى هذا السّبب واهيّا أمام عجز دولة الاستقلال عن تنفيذ سياستها اللّغويّة، كبرنامج لتحقيق التّنميّة في هذا الوطن.

1- السّبب الاجتماعيّ: يتمثّل السّبب الاجتماعيّ الّذي يقف أمام استكمال مشروع التّعريب في الجزائر، في حرص النّخبة السّياسيّة على الموقع الاستراتيجيّ لها في السّلطة، وهذا عن طريق اللّغة الفرنسيّة الّتي تشكّل عائقا أمام بقيّة أفراد المجتمع لاعتلاء هذه المناصب، واضعة بذلك هذه النّخبة بينها وبين المجتمع حدودا لغويّة عن طريق هذه اللّغة (الفرنسيّة) الّتي يتمّ من خلالها النّظر إلى بقيّة أفراد المجتمع على أنّها لغة للتّمايز، دون أنْ يكون لهذه النّخبة التّمايز الحقيقيّ عن المجتمع باستثناء اللّغة. "فهذه الفئة إذن بحاجة إلى التّباهي، ووسيلتها إبعاد الآخرين

–ما أمكن ذلك– عن دائرة النّخبة الممتازة بالتّبخيس بهم والاستعلاء عليهم وتُستخْدَمُ من بين الوسائل اللّغة الأجنبيّة كدليل على التّمايز والاستعلاء على عامّــة النّــاس فاللّغة الأجنبيّة هي لغة المجتمع المتقدّم والدّول القويّة، وهي لغة العلــم والمصـــالح التّجاريّة والصّناعيّة، وهي لغة التّكنولوجيا، وهي لغة المال والأعمال في نظــرهم. من هنا نجد عددا كبيرا من مختصّينا الّذين تتمتّع مهنــتهم بشـــيء مــن الوجاهــة الاجتماعيّة، يجنحون نحو التّمسّك باللّغة الأجنبيّة، كأداة يتميّزون فيها على غيــرهم ولا يلجؤون إلى لغتهم الأمّ إلاّ في مسائل حياتهم اليوميّة، وفي لقــاءاتهم السّياســيّة وخطبهم الرّنانة في الجماهير، حينما تستهويهم السّياسة، بعد أنْ اطمأنّوا لانتســابهم للنّخبة الممتازة."[10]

ويُعَدُّ بهذا هذا السّبب الّذي يقف أمام استكمال مشروع التّعريب فــي الجزائــر اجتماعيّا بالدّرجة الأولى؛ لارتباطه بفئة محددّة من أفراد هذا المجتمع، وهي النّخبة السّياسيّة الّتي تحوّل معها مشروع التّعريب إلى خوف على المصالح الشّخصيّة لهذه الفئة من المجتمع؛ مع ما لها من تأثير في القرارات السّياسيّة؛ مما يجعل المعـــادين للتّعريب داخل هذا المجتمع يُصنَّفون إلى صنفين، "معارضو تعريب التّعليم العـــالي من ذوي النّيات الحسنة، ومعارضو تعريب هذا المستوى مــن التّعلــيم مــن ذوي النّيات غير الحسنة وهي الّتي تُعارض التّعريب في عدد من القطاعات، بمـــا فيهـــا التّعليم، حفاظا على مصالحها الاحتكاريّة للسّلطة السّياسيّة والاقتصاديّة، خاصّة في بلدان المغرب العربيّ، الّذي تنخره التّبعيّة الفرنكفونيّة (المتطرّفة أحيانا) ومصـــالح أخرى غير وطنيّة. وهذا الموقف يتمثّله المعادون للتّعريب من منطلــق المصــلحة غير الوطنيّة مع قدرتهم على التّأثير في القرار السّياسيّ والاقتصاديّ وسوق الشّغل وإذكاء العداء غير المسبوق للّغة العربيّة، وهو العداء الذي يجب أن تتولّى الأمّــة محاربته بالوسائل القانونيّة، والسّياسيّة، والدّيموقراطيّة.[11] وكلا الصّنفين يقف أمـــام مشروع حضاريّ، ستجنيّ عواقبه الأجيال القادمة في هذا الوطن، أمام إمكانيّــة أنْ تَفْقِدَ العربيّة جاهزيتها، لتعليم أدنى مستوى من هذه المراحل، في حالّ ما تمّ الإبقاء

على مشروع تعريب التّعليم العاليّ على حاله من التّجميد إلى وقت بعيد أو التّراجع عن تعريب بعض المواد العلميّة في المراحل الأولى من التّعليم.

خامسا- العدالة اللّغويّة للسّياسة والتّعايش السّلميّ بين اللّغات: يعتقد كذلك الكثير من أفراد المجتمعات الموسومة بالتّعدّد، أنّ العدالة اللّغويّة لسياسة ما، تنطلق من المساواة بين هذه اللّغات في المنزلة الّتي يمكن أن تمنحها هذه السّياسة للغة من اللّغات المتعايشة على أرض الوطن، أو في القوانين الدّاخليّة الّتي تقوم بحمايتها داخل أوطانها. والحقيقة إنّ هذا النّوع من السّياسة يقوم أساسا على إلغاء دور الحكومات في تنظيم دور هذه اللّغات داخل هذه المجتمعات (رسميّة، وطنيّة محليّة) إستنادا إلى وظيفتها (لغة مشتركة، لغة أغلبيّة، لغة أقلّيّة، لغة دينيّة، لغة تعليم، لغة إعلام، لغة تجارة... إلخ) أمام التّفاوت الحاصل بينها في مختلف الوظائف الّتي يمكن أنْ تؤدّيها عل مستوى المجتمع؛ وهو ما يستلزم من السّياسة اللّغويّة إعادة النّظر في مفهوم العدالة اللّغويّة استنادا إلى وظيفة هذه اللّغات داخل هذه المجتمعات، بحيث تُمْنَح صفة الرّسميّة للغة الأكثر وظيفيّة، والوطنيّة للّغة الأقلّ وظيفيّة، وهكذا نزولا عند صفة المحلّية الّتي لا تقتصر وظيفتها سوى على تواصل الأقلّيات فيما بينهم. وهو ما يؤكّده فشل معظم الدّول الكبرى الّتي حاولت تحقيق العدالة اللّغويّة في مجتمعاتها، استنادا إلى مبدأ المساواة بين هذه اللّغات، في المنزلة والقوانين الدّاخليّة الّتي تقوم بحمايتها داخل أوطانها: كسوسيرا، وكندا وبلجيكا، وروسيا، وتركيا، وإسبانيا، وغيرها، مثلما توصّل إليه الباحثان أحمد عزّوز ومحمّد خاين في كتابهما (العدالة اللّغويّة في المجتمع المغاربيّ بين شرعيّة المطلب ومخاوف التّوظيف السّياسويّ) حول صُعُوبَة تحقيق هذه الدّول للعدالة اللّغويّة في سياساتها؛ فهي وإنْ نجحت في تحقيقها على مستوى هذه السّياسة، إلاّ أنّها فشلت في تحقيقها على أرض الواقع؛ حيث بقيت صعوبة تحقيقها إجرائيّا/ عمليّا، أمام تفاوت هذه اللّغات في الوظائف أمرا لا مفرّ منه "لذا فرغم وفرة النّصوص القانونيّة المنظّمة للفضاء اللّغويّ في هذه الدّول؛ فإنّ هيمنة لغة واحدة

على اللّغات الأخرى، بقيت واقعها معيشا لا يمكن إنكاره."[12] ممّا قد يتحوّل بهذه السّياسة من آلية لتحقيق العدالة اللّغويّة والتّعايش السّلمي بين هذه اللّغات إلى أداة لخلق الحروب اللّغويّة بينها، في محاولتها ممارسة أكبر عدد من الوظائف الرّسميّة للبلد. ولعلّ هذا ما يضطرّنا إلى إعادة صياغة السّؤال حول طبيعة العدالة اللّغويّة والتّعايش السّلميّ بين هذه اللّغات، من (كيف يتمّ تحقيق العدالة اللّغويّة؟) إلى (كيف يتمّ تحقيق بيئة لغويّة عادلة؟).

خاتمة: تناولت هذه المداخلة من خلال موضوعها (حرب اللّغات تعزف على أوتار الهويّة) علاقة اللّغة بالهويّة في ما يُسَمَّى بعصر الأوطان، من خلال وقوفها على مفهوم الهويّة بين اللّغة والوطن، والدّين، ورسميّة اللّغة في المجتمع بين تعبيرها عن الهويّة أو تعبيرها عن الوحدة الوطنيّة والمكسب الحقيقيّ للجزائريّين من ترسيم المازيغيّة، وأخيرا رسميّة العربيّة والمازيغيّة في الجزائر بين السّياسة الرّمزيّة والسّياسة الفعليّة، والعدالة اللّغويّة للسّياسة والتّعايش السّلميّ بين اللّغات ومن جملة ما توصّلت إليه هذه المداخلة ما يلي:

- يُعَدُّ الوطنُ من بين عناصر الهويّة (اللّغة، والوطن، والدّين) أكثر قدرة على تمثّل القوة الجماعيّة، وتعبيرا عن مفهوم الهويّة في المجتمعات الموسومة بالتّعدّد ليتحوّل بذلك دفاع الفرد عن لغته أمام وحدة وطنه في هذا النّوع من المجتمعات نوعا من الانتحار الجماعيّ للأمّة، أمام ما يمكن أنْ تثيره الحروب اللّغويّة من نعرات طائفيّة.

- لا تُعبِّر رسميّة اللّغة في المجتمعات الموسومة بالتّعدّد عن هويّة هذا المجتمع، بقدر ما تعبّر عن وحدته الوطنيّة؛ حيث تكتسب اللّغة صفة الرّسميّة من مدى قدرتها على المحافظة على الوحدة اللّغويّة لهذا الوطن، لا من قدرتها على الاعتراف بهويّة هذا المجتمع المتعدّد، وينطبق هذا على رسميّة كلّ من العربيّة والمازيغيّة في الجزائر، كلغتين مشتركتين بين مختلف الجزائريّين تعبرّان عن وحدته اللّغويّة.

– يجسّد الاعتراف برسميّة لغة من اللُّغات في المجتمعات الموسومة بالتّعدّد الاعتراف بالوحدة اللّغويّة لهذا المجتمع، لا الاعترافَ بهوياته المتعدّدة، ليشكلّ بذلك الاعتراف برسميّة المازيغيّة إلى جانب العربيّة في الجزائر، اعترافا بالوحدة اللّغويّة لهذا المجتمع عن طريق هاتين اللّغتين.

– تُعَدُّ المحافظة على الوحدة الوطنيّة المكسب الحقيقيّ للجزائريّين من ترسيم المازيغيّة إلى جانب اللّغة العربيّة، إلى جانب مكاسب أخرى مادّية ومعنويّة.

– تعيش الجزائر التّعدّد اللّغويّ بشكل أقلّ حدّة مقارنة بدول أخرى تعيش هذا التّعدد بشكل أكبر كدول آسيا، وأفريقيا، وأوروبا؛ ممّا يجعل السّياسّة اللّغويّة الّتي انتهجتها الحكومة الجزائريّة بداية من التّعديل الدّستوريّ الجديد القاضيّ بترسيم المازيغيّة إلى جانب العربيّة، كفيل بجعل هذا البلد بيئة لغويّة متعايشة.

– تظلّ السّياسة اللّغويّة للجزائر الّتي رسّمت العربيّة بعد الاستقلال والمازيغيّة بعدها بنصف قرن، في غياب تخطيط لغويّ محكم يُمكِّن هاتين اللّغتين من ممارسة جميع وظائفهما الرّسميّة في البلد تخطيطا رمزيا لا فعليّا، أمام حاجتهما الدّائمة إلى دعم أكبر لتحقيق هذه السّياسة.

– تتجسّد العدالة اللّغويّة للسّياسة في المجتمعات الموسومة بالتّعدّد، في بحثها عن بيئة لغويّة عادلة، تستند في إعطاء كلّ لغة منزلتها الحقيقيّة على وظيفتها الأساسيّة في المجتمع، لا بالتّسويّة في ما بينها في المنزلة، لأنّ في الأولى عدالة مستمدّة من التّفاوت الطّبيعيّ لهذه اللّغات في الوظائف مثلما سنّه قانون الطّبيعة والّذي يستلزم بدوره إعطاء كلّ لغة منزلتها استنادا إلى وظيفتها، وفي الثّانية إلغاء لدور هذه السّياسة في تنظيم دور هذه اللّغة في المجتمع، أو اعتماد سياسة لغويّة غير عادلة، تجرّ المجتمع نحو الحروب اللّغويّة الّتي تعزف على أوتار الهويّة.

الهوامش:

[1]– مقبل بن عليّ الدّعديّ، أثر السّياسة في اللّغة: العربيّة نموذجا، ط1. (بيروت: مركز نماء للبحوث والدّراسات، 2016)، 175.

[2]– عبد القادر الفاسي الفهريّ، السّياسة اللّغويّة في البلاد العربيّة: بحثا عن بيئة طبيعيّة، عادلة ديموقراطيّة، وناجعة، ط1. (بيروت: دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2013)، 36.

[3]– مقبل بن عليّ الدّعديّ، أثر السّياسة في اللّغة: العربيّة نموذجا، 186–187.

[4]– فردينان دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامّة، تر. صالح القرمادي، ومحمّد الشّاوش ومحمّد عجينة، ط1. (الجماهيريّة العربيّة اللّيبيّة: الدّار العربيّة للكتاب، 1985)، 290.

[5]– لويس جان كالفي، السّياسات اللّغويّة، تر. محمد يحياتن، ط1. (الجزائر: منشورات الاختلاف 2009)، 12.

[6]– المرجع نفسه، 65–66.

[7]– المرجع نفسه، 23.

[8]– سالم لبيض، المسألة اللّغويّة في تونس من أجل مقاربة سوسيو لسانيّة، نقلا عن: مقبل بن عليّ الدّعديّ، أثر السّياسة في اللّغة: العربيّة نموذجا، 189.

[9]– أحمد عزّوز ومحمّد خاين، العدالة اللّغويّة في المجتمع المغاربيّ بين شرعيّة المطلب ومخاوف التّوظيف السّياسويّ، نقلا عن: مقبل بن عليّ الدّعديّ، أثر السّياسة في اللّغة: العربيّة نموذجا 189.

[10]– نزار الزّين، تعريب التّعليم وتعلّم اللّغات الأجنبيّة: مدخل إلى نهضة الوطن، نقلا عن: مقبل بن عليّ الدّعديّ، أثر السّياسة في اللّغة: العربيّة نموذجا، 190.

[11]– عبد القادر الفاسي الفهريّ، السّياسة اللّغويّة في البلاد العربيّة، 58.

[12]– أحمد عزّوز ومحمّد خاين، العدالة اللّغويّة في المجتمع المغاربيّ بين شرعيّة المطلب ومخاوف التّوظيف السّياسويّ، ط1. (قطر: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، 2014) 48.

التعدد اللّغوي في المجتمعات بين التنوع والإنسجام:
الوضع اللّغوي في الجزائر وانعكاساته
على تعليمية اللّغة العربية

أ.إيمان قليعي

جامعة حسيبة بن بوعلي شلف

imane.kolei@gmail.com

مقدمة:

أصبح الوضع اللغوي في الجزائر يعيش أوضاعا انتكاسية وغلب عليه طابع التعدد والهجين اللغوي، بحيث أصبحت العاميات الجزائرية واللغة الفرنسية تهيمنان على السوق الشفوية وتحققان تواصلا بين المجتمعات اللغوية المختلفة، وأصبح الفرد الجزائري يتكلم خليطا بين الفرنسية والعربية واللهجات المحلية، ويخلط اللغة العربية ببعض الكلمات الأجنبية الدخيلة، وأضحت هذه المشكلة تجعل من متعلم اللغة يعيش حالة من الازدواجية بين ما يسمعه وما يتلقاه والذي ينعكس أثره سلبا على تعليمية اللغة لأبنائها ولغير أبنائها وبهذا يعد التعدد اللغوي من أكبر المشكلات اللغوية التي تجعل اللغة العربية الفصحى غريبة في أوطانها ومضطهدة في ديارها حين أخذ لها بديلا وهو العاميات واللغة الأجنبية.

لذا سنقف في هذه الورقة البحثية على تبيان: هل توجد لغة جامعة في بلد تعددت فيه الألسن؟ وما هو موقف المنظرين في ظل حرب اللغات من الهيمنة اللغوية؟ وهل التواصل بالعامية ينعكس على التفكير وعلى طرق اكتساب الفصحى وهي لغة العلوم والحضارة والتقنيات؟ وهل الواقع اللغوي ينبئ بضرورة الإسراع لمعالجة المشكلة أو الحد منها قبل أن يزيد الأمر استفحالا؟ وكيف يتم ذلك؟

- **مفهوم اللغة العربية الفصحى: la langue arabe classique .**

1- لغة: " الفصاحة في لسان العرب: فصح: الفصاحة: البيان ونقول رجل فصيح وغلام فصيج أي بليغ ولسان فصيح أي طليق "[1]

2- إصطلاحاً: " هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ودوّن بها التراث العربي جملة والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري "[2] .فاللغة العربية الفصحى هي: " توافق المشهور من الكلاب العرب وسلمت من اللحن والإبهام وسوء الفهم "[3].

ومن خلال هذه التعريفات يتضح لنا أن الفصحى هي طلاقة اللسان وقدرة الفرد على التعبيرو التكلم بفصاحة وطلاقة ووضوح دون أي عقدة.

- **مفهوم العامية:** إن للعامية عدة تعريفات: "هي اللهجة المنطوقة في عصرنا الحالي المنحدرة من الفصحى المنطوقة بها في عصر الفصاحة العفوية ولهجاتها وأصابتها تغيرات كثيرة بعد اختلاط العرب بغيرهم، كسقوط الإعراب في جميع الأحوال وغيرها لأن لغة التخاطب اليومي في النثر عرضة للخطأ بخلاف لغة التحرير وبالتالي هي أسرع المستويات إلى التحول البنيوي من لغة الكتابة، وقد احتلت مكانة الفصاحة في تبليغ الأغراض اليومية وفي التعبير الإسترسالي".[4]

لذلك فالعامية هي الجانب المتطور للغة، الذي يشمل البعد عن اللغة الأم ويستخدمه أفراد المجتمع وطبقاته المختلفة في الاستعمال اليومي[5]، كما يعرفها عبد الرحمان الحاج صالح أنها: " اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد، في الحاجات اليومية وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفوية ... " [6].

بذلك فاللهجة أو العامية: هي التي تستخدم في الشؤون العادية والتي يجري بها الحديث اليومي، فهي عبارة "عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة "[7].

وعليه يتضح أن مجمل التعريفات تتفق على أن العامية هي اللغة التي يتواصل ويتكلم بها الناس في حياتهم اليومية وتعد اللغة الثانية بعد الفصحى بل إنها هي اللغة الأم التي يكتسبها المرء عندما يبدأ الكلام، فهي لغة كل فرد جزائري.

- مفهوم الإزدواجية اللغوية:

لغة: فقد جاءت الازدواجية في التعريف اللغوي لإبن منظور جاء في لسان العرب بابن منظور الزوج: خلاف الفرد، يقال زوج أو الفرد، وكان الحسين يقول في قوله تعالى: " ومن كل شيء خلقنا زوجين"، قال: السماء زوج، والنهار زوج ويجمع الزوج أزواجا وأزاويج[8].

إصطلاحا: يعد شارل فرغيسون من بين اللسانيين الذي بحثوا في هذه الظاهرة اللغوية معرفاً إياها "بأن الإزدواجية، وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة التي قد تشتمل على لهجة واحدة او لهجات إقليمية متعددة لغة تختلف عنها وهي مقننة بشكل متقن إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيداً من قواعد اللهجات، وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق. أم إلى جماعة حضارية أخرى ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الإعتيادية"[9] .

كما أن الإزدواج اللغوي في نظر ميشال زكاريا: " هي الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون وبالتناوب حسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين فهي الوضع اللغوي لشخص ما أو جماعة بشرية معينة تتقن لغتين، وذلك دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما في اللغة الأخرى"[10].

لذلك فالإزدواجية اللغوية نلاحظها في حياتنا اليومية بين الفصحى والعامية، وهذه الظاهرة موجودة في كل لغات العالم، بحيث إن أغلب اللغات، نجد فيها لغة يتحدث بها العامة في مخاطباتهم ومعاملاتهم، وأخرى خاصة وهي لغة التأليف والتدوين[11].

- التعدد اللغوي multilinguisme:

إن التعدد اللغوي ظاهرة حتمية ظهرت نتيجة تداخل اللغات واللهجات وتنوع الأنظمة اللغوية وأنساقها داخل المنطقة الواحدة، فقط شمل التعدد اللغوي عدة تعريفات فقد عرفه صالح بلعيد بأنه: "ما يوجد في الدول التي عرفت الاستعمار، وبالخصوص استعمال لغة المستعمر إلى جانب اللغة الوطنية "[12] كما قد عرفه جو ديبوا في قاموس اللسانيات" على أن التعدد اللغوي عندما تجتمع اكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف انواع التواصل "[13] ويتضح مما سبق أن التعدد اللغوي متعلق بظواهر اجتماعية، أي ضمن علم الاجتماع اللغوي ويحتمل كون هذه الازدواجية لها تأثير على عملية تعليم اللغة العربية الفصحى، ونجد أن حتى الإسلام أكد على قيمة التعدد اللغوي حين ربط القرآن باختلاف الألسنة في قوله تعالى: " ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" [14] وبهذا أصبح الوضع اللغوي غير منتظم بحيث أصبحت اللغة العربية الفصحى هي لغة التواصل الرسمية في الوثائق والمرافق العمومية، ونجد لغات أجنبية وعاميات قد طغت على اللغة المحلية وأصبحنا نجد لغات أجنبية وعاميات قد طغت على اللغة المحلية وأصبحنا نجدها في كل بيت والمرافق العامة والإعلام والمؤسسات والتعليم العالي، ما أدى إلى تدهور اللغة العربية وضعفها، بحيث أصبحة العربية في عقر دارها وفي وسط أهلها، وهذا ما أثر سلباً على لغتنا فأصبحنا نجد الفرد الجزائري مزدوج اللغة ويخلط بين العربية والفرنسية في حديثه اليومي وكذلك خليط من الألفاظ العامية والفرنسية، ما أدى إلى وجود أكثر من لغة لأمة واحدة، وعليه فإن هذا التعدد اللغوي يعد معضلة لسانية ومشكلة صعبة تؤدي باللغة العربية إلى التهميش والضعف، وتعتبر بالنسبة لمتعلمي اللغة عائقاً في تعليم العربية واكتسابها، لأن تعلم اللغة الصحيحة مشروط بإعداد ذلك في المراحل الأولى لتعلم الطفل وتعليمه، وإن كان المعوّل عليه في الوسط الاجتماعي الجزائري يمتاز بطابع التعدد الإزدواجية، طبيعي يؤثر على تعلمي الطفل تكوينيا ومنهجيا وتعليميا وتربويا واجتماعيا وحتى نفسياً، لأن الواقع اللغوي المتعدد للطفل يمكن أن يتنتظم بتغليب الأصل

في خيارات اللغة لحسب التفاوت والترتيب، لأن الطفل لا ينمو من تلقاء نفسه فهو يتغير ويرتقي لغويا بقدر ما يوفر له في هذا الوسط من ظروف محيطة.

- **التهجين اللغوي:**

لغة: إن مادة (هجن) في معناها المعجمي لها عدة معانٍ فمنها: قبح دعاب ويقال " قال ابن حمزة: الهجين: مأخوذة من الهُجنة، وهي الغلظ، الهجنة في الكلام: ما يلزمك منه العيب وتهجين الأمر تقبيحه"[15].

أما اصطلاحا: " هو استيلاء لغة لا هي بالعربية ولا بالأعجمية، بالمزج في الخطاب بين كلمات عديدة من اللغات، ويحصل هذا التهجدين أحيانا بتعمد، وأحيانا عن غير تعمد وتتم عملية التهجين بشكل منهجي لتصبح نمطا مميزاً لأسلوب الخطاب والكتابة، اللغة الهجينة هي تلك الألفاظ المستغبة والتي توحي بوضع لغوي لدى جيل بأكمله "[16].

- **التداخل اللغوي:**

لغة: جاء في لسان العرب لإبن منظور: " أن تداخل الأمور تشابهها والتباسها ودخول بعضها البعض[17] .

إصطلاحا: التداخل يعني أن: يتلاقى أصحاب اللغتين، فسمع هذا لغة هذا، وهذا لغة هذا، فأخذ كل منهما لغة من صاحبه ما ضمه إلى لغته فتركبت هنا لغة ثالثة [18] كما ورد التداخل في كتاب التعريفات " بأنه عبارة عن دخول الشيء في شيء آخر بلا زيادة حجم مقدار "[19].

- **مفهوم التعليمية:**

لغة: علمته الشيء فتعلم، ويقال، تعلم في موضع أعلم، وعلمت الشيء أعلمه علما عرفته وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)﴾[20]، معنى سيره، لذلك فالتعليمية هي مصدر صناعي لكلمة تعليم من علم أي وضع علامة على الشيء[21]ويكون معنى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ في سورة الرحمن الآية (04) بمعنى جعله مميزا أي الإنسان[22].

أما اصطلاحا: إنّ كلمة التعليمية هي ترجمة لكلمة **didactique** المشتقة من الكلمة الإغريقية **didaktikus** التي تعني فلنتعلم، وهي أيضا نوع من الشعر يدور حول عرض

مذهب متعلق بمعارف علمية أو تقنية[23] وترجم هذا المصطلح إلى اللّغة العربية وأخذ العديد من الكلمات، ومن أبرزها التعليميات /علم التدريس/ علم التعليم/ التدريسية/ الديداكتيك[24].

وقد عرف جون كلود غاينون (**gagnon**) في دراسة له أصدرها بعنوان ديداكتيك المادة سنة 1973 التعليمية إشكالية إجمالية تتضمن:[25]

– تأملا وتفكيرا في طبيعة المادة الدراسية وكذا في طبيعة وغايات تدريسها.

– إعداد الفرضيات النصوصية انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعلم النفس والاجتماع...إلخ.

– دراسة نظرية وتطبيقية الفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها، ولذلك فالتعليمية علم مستقل بذاته ومرتبط بعلاقة وطيدة مع علوم أخرى وموضوع التعليمية يبحث في أمرين وسؤالين مهمين هما: ماذا ندرس؟ وكيف ندرس؟ ومن خلال هذه التعريفات المقدمة نستنتج أن التعليمية هي شق من البيداغوجيا موضوعه التدريس وهي الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلم التي يعيشها المتعلم لبلوغ هدف عقلي (معرفة، علم) أو (وجداني) قيم، مواقف[26]، كما قد تعددت الدراسات في حقل التعليمية وارتكزت التعليمية على تأسيس الأرضية العلمية للمادة الأساسية في حقل التربية والتعليم بغية تدريسها[27].

كما يعرفها أحمد حساني: "أنها تهدف إلى إكساب المتعلم مهارة التعبير الشفوي لأنه هو الطاغي على ما سواه في الممارسة الفعلية للحدث اللّغوي والكفاية اللّغوية مهارتين إحداهما: مهارة شفوية تعول أساسا على الأداء المنطوق، والأخرى مهارة كتابية تعول على العادات الكتابية للّغة معينة". [28]

– التهجين اللغوي وأثره على تعليمية اللغة العربية:

تعاني اللغة العربية اليوم في الجزائر ضعفا كبيرا من جميع جوانبها ومستوياتها واستفحل في كل ميادين استخدامها، وذلك لأن الفرد الجزائري أصبح متأثراً ببيئته وبلغة محيطه الذي يعيش فيه هذا ما أدى إلى التأثير في لغة المدرسة واستعمال العامية محل الفصحى، بحيث حلت اللهجات العامية" محلها وأخذت مكانها في ألسن الناطقين

الجزائريين، وأصبح الفرد الجزائري يتكلم العامية ويخلط العربية ببعض المصطلحات الأجنبية الدخيلة والهجينة، ليست بالعربية ولا بالفرنسية بل هي خليط بين لغتين إضافة إلى ضعف الأداء اللغوي، وشيوع الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية وعدم سلامة النطق والازدواجية اللغوية، ولعل هذا الوضع اللغوي راجع إلى المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة التي زادت من انتشار ظاهرة الهجين اللغوي، لأن استخدام أكثر من لغتين في آن واحد يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة، لأن "الوضع الازدواجي ذو أثر سلبي على تعلم الطفل لمهارات القراءة والكتابة، وعلى تحصيله العلمي بشكل عام[29]. لأن ما يتلقاه الطفل في مجتمعه من صيغ تعبيرية عامية يجعله يخلط في حياته العلمية بين ما يقابله من تعابير تؤدي معناها في اللغة الفصحى وبهذا يصبح الطفل يميل إلى اعتبار العامية نموذجاً يقارنون به نطقاً وكتابة كل اللغات الطارئة عليهم بما فيها الفصحى[30]. لأن الطفل ينشأ في وسط متعدد اللغات، ويتطور اجتماعيا ولغوياً نتيجة تفاعله مع اللغات الموجودة فيه[31] لذلك فإن وجود لغتين أو أكثر لأمة واحدة مشكلة صعبة ومعقدة وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه في مستوى أضعف.

– واقع تعليمية اللغة في ظل التعددية اللغوية:

تعيش اللغة العربية واقعا لغويا حرجا تتجاذبه أطراف ثلاثة:

اللغة العربية الفصحى، العامية، اللغة الفرنسية، فهي تواجه مشكلة كبيرة تمثلت في إهمال اللغة العربية الفصحى، وزحف العامية في المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية، بالإضافة إلى الفرنسية نفسها في ميدان التعليم وفي الاستعمال اليومي عند فئة مثقفة من الشعب، وهكذا نجد أنفسنا أمام أربع مستويات[32].

1– مستوى التواصل الرسمي: وهي المقامات التواصلية الرسمية التي تستعمل فيها اللغة العربية وهي لغة الإدارة والمؤسسات التعليمية، وتسمى كذلك ب: اللغة العربية الكلاسيكية la langue arabe classique وهي لغة القرآن الكريم والتراث العربي.

2- مستوى التواصل اليومي: ويقصد به التواصل الغير رسمي، أي استخدام اللغة العربية للتواصل اليومي، ويتشكل أساسًا من اللغة الأمازيغية (القبائلية، الميزابية الشاوية الترقية).

3- التواصل العامي الجزائري: وهو التواصل الأساسي في الجزائر ويستعمل كأداة للتواصل اليومي في وسط العائلة ومع الأصدقاء وفي جميع المناسبات والوضعيات الغير رسمية.

4- مستوى التواصل الوظيفي: ويستخدم لأغراض اقتصادية والانفتاح على العالم الخارجي ويمثله استعمال اللغة الفرنسية بالدرجة الأولى واللغة الإنجليزية بالدرجة الثانية كما يستعمل لأغراض خاصة.لذلك فإن واقع الجزائر اللغوي أصبح يحدث ارتباكا على مستوى التعبير فأصبحنا نجد أغلبية المتعلمين لا يتحكمون في أية لغة من اللغات فالمعرب لا يتقن العربية والمفرنس لا يجيد الفرنسية على وجهها الصحيح[33] وأصبحت اللغة العامية الجزائرية " هي لغة الأمي والمتعلم، ولغة الفقير والغني، أي أنها لغة كل الفئات الاجتماعية لأنها تضم اصلاحات لهجية مختلفة ترتبط بالموقع الجغرافي، لهذا نقول عاميات الشمال وعاميات الجنوب وعاميات الغرب"[34] وعليه فإن الثنائية اللغوية التي تعاني منها الجزائر تتمثل في استخدام الفرنسية والعامية: هي السبب الأول في هدم العربية الفصحى وانتشار العامية لأن الإنسان مهما بلغ من مهارة لا يمكنه إتقان لغتين إتقانا تاما فإذا كان هدفه إتقان اللغة الأجنبية لأمور نفسية أو اجتماعية فإن قناعته هذه تستعمل على إهمال الفصحى، وبالتالي هدمها نهائيا[35].

وفي هذه الوضعية نجد الطفل الجزائري يكبر بهذه التعقيدات اللغوية ويصبح غير قادر على التفريق بين ما هو عربي فصيح وعربي عامي، وبين ما هو بربري وفرنسي وفي الأخير يتعلق لسانه باللغة التي تعوّد عليها لسانه[36].

لذلك فإن سبب مأساة الواقع اللغوي في الجزائر راجع إلى التحديات التي يواجهها لساننا وهي المتمثلة في كل من التعدد اللغوي، الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية بالإضافة إلى التداخل اللغوي، وماله من انعكاسات على المجتمع واللغة بصفة عامة[37].

الحلول المقترحة لترقية اللغة العربية والنهوض بها:

❖ تفعيل دور الأسرة إلى تعليم الأطفال اللغة العربية السليمة، سواء بحثهم على استعمال العربية في تعاملهم اليومي، أم تشجيعهم على حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة لأن ذلك سيجعل العربية الفصحى حاضرة على ألسنتهم وأسمائهم وسيكتسبون ملكة لسانية سليمة ؛

❖ إنشاء لجان وهيئات تهتم بالمصطلحات ومراقبة السلوك اللغوي اليومي وبخاصة الهجين، وإصدار قانون لا يجيز نشر إعلان بلغة هجينة أو عامية بل ينشر باللّغة العربية الفصحى ؛

❖ ضرورة حضور اللغة العربية الصحيحة في المدارس والجامعات، وأن تكون هي لغة التدريس، فيما يدرس بالعربية، أي على المعلم والأستاذ أن ينطقا باللغة العربية السليمة، أياًّ كانت المادة التي يدرّسانها ؛

❖ الاستعانة بمعاجم اللغة الفصحى المعاصرة العامة، ومعاجم المصطلحات العلمية والفنية العربية الخاصة والموحدة المفاهيم، والتي تصدرها المؤسسات اللغوية العربية في مختلف التخصصات ؛

❖ وضع قواعد اللغة العربية المنطوقة ويراعي فيها الرخص التي يتيحها مواقف الخطاب الشفوي[38] ؛

❖ وضع سياسة لغوية واضحة وموحدة، تحتل فيها اللغة العربية مكان الصدارة سواء في المستوى السياسي، ام الاجتماعي، أم التعليمي التربوي، دون إهمال تعليم اللغات الأجنبية باعتبارها نافذة على العالم ؛

❖ ضرورة الاعتماد على لغة وطنية جامعة تتضمن وحدة الأمة وتبعد شبح الصراع اللغوي بين أنصار اللغات المختلفة، وذلك باعتمادها في جميع المرافق العمومية والقطاعات الإنتاجية، والتعاملات الإدارية، والمناهج التعليمية ؛

❖ السعي إلى تعريب الجامعة الجزائرية فيما يخص العلوم التكنولوجية والطبية وتشجيع البحث العلمي باللغة العربية ؛

❖ الكشف عن الدور المشبوه الذي تلعبه كذلك بعض وسائل الإعلام المرئي والمقروء في مسسخ الهوية العربية والإسلامية، وخطر استبدال العامية بالفصحى والذي يستخدمه الإعلام بشكل كبير، فضلا عن استخدام مصطلحات أجنبية أثناء الحديث، ما زد الأمر استفحالا في ضعف اللغة العربية وتهمشيها في وسط أهلها وفي عقر دارها.

خاتمة:

توصلنا من خلال هذه المداخلة: أن الحالة المزرية التي آلت إليها اللغة العربية وتدني مستوى اللغة العربية يتقاسمه الجميع الأفراد والمؤسسات الرسمية، سواء كانت وسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة، المنظومة التربوية التعليم الجامعي والإدارة، ولعل ذلك راجع إلى غيابها على مستوى التداول اليومي وضيق حدود استعمالها الشفوي بحيث أصبح المجتمع الجزائري يمتاز بتعدد اللغات أو اللهجات أو الدارجات التي تحتك وتتصارع بعضها البعض، وأضحت مشكلة الازدواجية والتعدد في اللغة العربية من أهم المشكلات اللغوية التي تشكل عائقًا للتعليم والتطور التربوي، لذلك فحاجتنا اليوم ليس إلى لغة عصرية فحسب، بل إلى تدبير عصري للتخطيط اللغوي، فاللغة قد تكون عصرية علمية عالمية حية فيقتلها التدبير الضعيف لشؤونها، وقد تكون ميتة جامدة فيحييها من يحسن التخطيط للإحياء اللغوي[39] لذلك إذا أردنا أن نصلح من شأن هذا الزحف الجارف الذي يهدد ويهاجم لغتنا العربية في عقر دارها يجب علينا وضع مخطط لغوي عربي سليم، يركز على التعليم باللغة العربية في مراحل التعليم كلها، لأن واجبنا بالنسبة لهذه اللغة هو الحفاظ عليها ونشرها لأنها إرث عظيم تركه أجيالنا الأمس إلى أجيالنا اليوم والغد، وبهذا فإن الإسهام في الحفاظ على لغتنا هو الحفاظ على تاريخنا وهويتنا وقرآننا لأن اللغة العربية هي محضن ثقافتنا ووعاء مقاوماتنا الحضارية والعلمية والثقافية.

قائمة المراجع:

أولا-باللغة العربية:

- إبراهيم عايد، العربية الفصحى، الازدواجية اللغوية والثنائيـة اللغويـة، المحليـة العلمية لجامعة الملك فيصل، الجزء 1، مجلد3، 2002.

- إبن منظور : لسان العرب تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعـارف، كورنيش السبيل القاهرة، ط1، ج3.

- إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، د ط ، القاهرة : 2003، ج9 مادة: هجين.

- ابن منظور: لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان ط1، 1990م، مج 2، مادة (زوج).

- ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيـروت لبنـان، المجلـد2 (د.ت) (د.ط).

- إبن منظور، لسان العريب، مادة فصح 3419/2 .

- أبو فتج العثماني ابن جني، الخصائص، محمد علي نجار، دار الشـؤون الثقافيـة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1990.

- أحمد بناني، حتمية التخطيط اللغوي لصيانة اللسان العربي في الجزائـر، أعمـال الملتقى حول التخطيط اللغوي، ج 2 المركز الجامعي تمنراست 2012.

- أحمد حساني، دراسات في اللّسانيات التطبيقية، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة الجزائر، 2000م، (د.ط).

- باديس لهويمل وأنور . الهدى حسيني- مظاهر التعدد اللغوي وانعكسـاته علـى تعليمية اللغة العربية. مجلة الممارسات اللغوية – جامعة محمد خيضر بسكرة العدد (30) 2014.

- بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتب الحديث ط1، 2007.

- ج. إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت ط1 1985.

- جيلالي بن يشو، التعدد اللغوي في الجزائر مظاهره وانعكاسه، أعمال الملتقى الدولي، التعدد اللغوي واللغة الجامعة 2014، ج2/.

- حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصبة للنشر الجزائر، 2003.

- رضا جوامع، استثمارات تعليمية اللغات التي تدرس البلاغة العربية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، ع14، 2006.

- صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، الطبعة 2009، دار هومة الجزائر.

- صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، ط الثانية، 2012.

- عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتقرير، مجلة مجمع اللغة العربية العدد 66.

- عبد الفتاح الزين، قضايا لغوية في ضوء الألسنة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1، 1978.

- عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب.

- عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية ومصطلحات البيداغوجيا الديداكتيك، ج1، ط1، المغرب.

- عبد المنعم إبراهيم، تقويم التعلم اللغوي والأدبي، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، 1999.

- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، بيروت، مكتبة لبنـــان ناشـــرون، ط3 .2004

- علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، د ط، 2000.

- علي ناصر غالب، اللهجات العربية، لهجدة قبيلة أسد، دار حامد للنشر والتوزيـــع عمان، ط1، 2010.

- كريمة أوشيس، أثر اللسانيات في النهوض بالمستوى اللغـــة العربيـــة، ، شـــهادة ماجيستار، التداخل اللغوي في اللغة العربية 2002-2003.

- مادن سهام بين الفصحى والعامية، (دراسة مقارنة لتراكيب اللغة العربية رســالة ماجستر غير منشورة. جامعة الجزائر 1997.

- المجلس الأعلى للغة العربية، التعدد اللساني واللغة الجامعة، الجزائر، 2014 ج2.

- محمود عكاشة/ علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشـــر للجامعـــات القاهرة، ط1، 2006.

- مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية.

- ميشال زكاريا، قضايا أسنة تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مـــع مقارنـــة تراثية دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

- نهاد الموسى، ثنائيات في قضـــايا اللغـــة العربيـــة، د ط، 1 عمـــان 2003، دار الشروق.

ثانيا-باللغة الأجنبية:

- j. dubois et autres: dictionnaire de linguistique, paris, larousse 1973.

ثالثا-من الأنترنيت:

- www.azzahfalakhder.com

الهوامش:

---

[1]– إبن منظور، لسان العريب، مادة فصح 3419/2 .

[2]– ج. إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايــين، بيــروت، ط1 1985، ص96.

[3]– محمود عكاشة/ علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، دار النشر للجامعات، القــاهرة ط1، 2006، ص 96.

[4]– ينظر: كريمة أوشيس، أثر اللسانيات في النهوض بالمستوى اللغــة العربيــة، ، شــهادة ماجيستار، التداخل اللغوي في اللغة العربية 2002–2003 ص42.

[5]– إبراهيم عايد، العربية الفصحى، الازدواجية اللغوية والثنائية اللغويــة، المحليــة العلميــة لجامعة الملك فيصل، الجزء 1، مجلد3، 2002.

[6]– عبد الرحمان الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتقرير، مجلة مجمع اللغة العربية العدد 66، ص 117.

[7]– علي ناصر غالب، اللهجات العربية، لهجدة قبيلة أسد، دار حامد للنشر والتوزيع، عمــان ط1، 2010، ص 33..

[8]– ابن منظور: لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان ط1، 1990م، مج 2، مادة (زوج).

[9]– علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، بيروت، مكتبة لبنــان ناشــرون، ط3، 2004 ص 40.

[10]– ميشال زكاريا، قضايا أسنة تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 53.

[11]– المجلس الأعلى للغة العربية، التعدد اللساني واللغة الجامعة، الجزائر، 2014، ج2، ص 55.

[12]– صالح بلعيد: في الأمن اللغوي، دار هومة، طبعة 20/2، الجزائر، 224.

[13] – j. dubois et autres: dictionnaire de linguistique, paris, larousse 1973 , P 368.

[14]– سورة الروم، الآية 21.

[15]– إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العــرؤب، د ط ، القــاهرة : 2003، ج9، مادة: هجين.

[16]– صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، ط الثانية، 2012، ص 224.

[17]– إبن منظور : لسان العرب تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، كورنيش السبيل القاهرة، ط1، ج3، ص 3419.

[18]– أبو فتج العثماني ابن جني، الخصائص، محمد علي نجار، دار الشؤون الثقافيــة، الهيئــة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1990، ص 377.

[19]– علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، د ط، 2000، ص 56.

[20]– سورة الرحمن الآية (1. 2).

[21]– ينظر عبد المنعم إبراهيم، تقويم التعلم اللغوي والأدبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 1999، ص122.

[22]– لسان العرب لابن منظور، دار لسان العرب، بيــروت لبنــان، المجلــد2 (د.ت)، (د.ط) ص870-871.

[23]– رضا جوامع، استثمارات تعليمية اللغات التي تدرس البلاغــة العربيــة، مجلــة العلــوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، ع14، 2006، ص41.

[24]– ينظر بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، دار عالم الكتــب الحــديث ط1، 2007، ص9.

[25]–ينظر، عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربيــة ومصــطلحات البيــداغوجيا الديداكتيك، ج1، ط1، المغرب، ص156.

[26]–ينظر، عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربيــة ومصــطلحات البيــداغوجيا الديداكتيك، المرجع السابق، ص69.

[27]– ينظر، عبد اللطيف الفارابي وآخرون، المرجع نفسه، ص69.

[28]– ينظر، أحمد حساني، دراسات في اللّسانيات التطبيقية، ديــوان المطبوعــات الجامعيــة الجزائر، 2000م، (د.ط)، ص132.

[29] –www.azzahfalakhder.com

[30]– ينظر : عبد الفتاح الزين، قضايا لغوية في ضوء الألسنة، دار الكتاب اللبناني، بيــروت ط1، 1978، ص 73.

[31]– حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفــل الجزائــري، دار القصــبة للنشــر الجزائر، 2003، ص 40.

[32]– ينظر، جيلالي بن يشو، التعدد اللغوي في الجزائر مظاهره وانعكاسه، أعمـــال الملتقـــى الدولي، التعدد اللغوي واللغة الجامعة 2014، ج2/ ص57. 58.

[33]– ينظر: مظاهر التعدد اللغوي وانعكساته على تعليمية اللغة العربية. أ. بـــاديس لهويمـــل وأنور . الهدى حسيني– مجلة الممارسات اللغوية – جامعة محمد خيضر بســكرة العـــدد (30) 2014 ص916.

[34]– مادن سهام بين الفصحى والعامية، دراسة مقارنة لتراكيب اللغة العربية رسالة ماجســـتر غير منشورة. جامعة الجزائر 1997 ص36.

[35]– مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية 99، 100.

[36]– صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة الأم، الطبعة 2009، دار هومة الجزائر ص 09.

[37]– أحمد بناني، حتمية التخطيط اللغوي لصيانة اللسان العربي في الجزائر، أعمال الملتقـــى حول التخطيط اللغوي، ج 2 المركز الجامعي تمنراست 2012 ص 26.

[38]– نهاد الموسى، ثنائيات في قضايا اللغة العربية، د ط، 1 عمـــان 2003، دار الشـــروق ص 137 – 136.

[39]– عبد القادر الفاسي الفهري، أزمة اللغة العربية في المغرب ص68.

المثاقفة اللّسانية بين العربيّة والمازيغيّة
– دراسة في الصّوت والتّركيب-

أ. سمير معزوزن

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة-

samirmazouzen@yahoo.fr

وأخال نفسي صائبا – بداية– إن قلت أنَّ الأصل في مصطلح المثاقفة(**Acculturation**) هو التفاعل الطوعي الخيري والمباشر الذي لا يحدث إلا برغبة من المتثاقفين في تبادل المعارف والاحترام والاعتراف بالآخر وحقه في الاختلاف. وعليه، يمكننا اعتبار– حسب تصورنا الخاص– المثاقفة اللُّغوية التي حدثت ولا تزال تحدث بين العربية والمازيغية بمثابة إضافة لغوية لنظام اللُّغتين وليس استلابًا وتبعيةً ونقلاً. فلا مجال – إذن– للحديث عن مثاقفة لغوية ترتبط فقط بالأخذ والعطاء، بل المسألة أبعد من ذلك تتعدى إلى عملية التمازج والانصهار. ثم أزيد على ما تقدم، فأقول، أنَّ اللُّغة العربيَّة واللُّغة المازيغيَّة تشكلان لحمة لغوية مترابطة ومتشابكة يظهر أثر تشابكها على مستويات اللُّغة(الصوت – المعجم– التركيب – الدلالة).

وأضف إلى كل ما سبق ذكره، فاللُّغتان تدخلان ضمن فصيلة اللُّغات السامية الحامية، وهو ما يدعم فكرة الانصهار والتشابه بين نظام اللغتين. بين هذا وذاك تروم مداخلتنا هذه إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات نجملها في النقاط الآتية:هل توجد حقيقة مثاقفة لغوية بين اللُّغة العربيَّة واللُّغة المازيغية؟ وما هي أبعاد هذه المثاقفة اللُّغويَّة؟ ما هي طبيعة العلاقة الموجودة بين نظام اللُّغة العربيَّة ونظام اللُّغة المازيغيَّة على المستويين: الصَّوتي والتَّركيبي؟ ما هي أوجه التشابه

والاختلاف الموجودة بين أصوات وتراكيب اللُّغة العربيَّة وأصوات وتراكيب اللُّغة المازيغيَّة؟. تلكم أهم التَّساؤلات التي نسعى للإجابة عنها في هذه المداخلة معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي الأنسب لمثل هذه الدراسة.

1 – المثاقفة في حدها اللُّغوي والاصطلاحي:

1 – 1 – المثاقفة في حدها اللُّغوي:

نرى أنَّه من الضَّرورة القصوى قبل الحديث عن مفهوم المثاقفة في بعدها الاصطلاحي، وكل ما يرتبط بها من أسس ومنطلقات، ضرورة ولوجنا أولاً – ولو باقتضاب مُوجز– عن المفهوم اللُّغوي للفعل "ثقف" في معاجم اللُّغوَّة والقواميس وذلك لأنه – حسب تصورنا واعتقادنا الخاص– المادة اللُّغوية للكلمة تقربنا كثيرًا من معناها الاصطلاحي. ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة "ثقف":"المصادفة، والظفر بالشيء، وأخذه على سبيل الغلبة، كما تعني أيضا الخصام، ولها معنى آخر ألا وهو الحبس والقيد(01) ". وعليه، فالمثاقفة في مدلولها اللُّغوي تحمل عدة مدلولات مختلفة، تعني في مجملها معنى التلاقي والاحتكاك والتمازج والتفاعل.

1 – 2 – المثاقفة في حدها الاصطلاحي:

قد يكون من الصعب الوقوف على تعريفٍ جامعٍ مانعٍ للمثاقفة يُوحِّد التَّعريفات المتدَّاولة، يأخذ بعين الاعتبار التَّعريفات الاصطلاحية المقدَّمة في هذا السِّياق، ويكفينا في الوقت نفسه، هم الانتصار لهذا التعريف أو ذاك. نرى أننا في هذا المقام، لسنا في حاجة كبيرة أن نعرض الكثير من التعاريف حول مفهوم المثاقفة، لهذا نحاول في هذه المداخلة التركيز على أهم التعريفات.

وحسبنا في مستهل هذه المداخلة أن نشير إلى التعريف الذي قدمه منير بعلبكي حيث عرَّف المثاقفة بقوله:" **مجموعة من الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية الأولية لهذه المجموعة أو تلك(02)** ". وفي هذا التعريف تعني

المثاقفة تلاقح ثقافات مختلفة، يستقي فيها الفرد من ثقافة معينة جانبًا معينًا من ثقافة شعب آخر ليلحقه بثقافة شعبه الخاصة، بغية الاحتكاك وتبادل الثقافات واكتساب العلوم والمعارف وتبادل الخبرات والتجارب.

وفي سياق آخر يُعرفها عزالدين المناصرة بقوله:" **هو تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة أو هي تعديلات تطرأ على ثقافة بدائية نتيجة لاحتكاكها بمجتمع أكثر تقدمًا، أو تأقلم ثقافي يفضي إلى رفع مستوى فرد أو جماعة أو شعب**(03)". ومن هنا، فالمثاقفة –حسب تصور عزالدين المناصرة– تحمل معنى الاندماج والانصهار في ثقافة الآخر والتبادل الثقافي الإيجابي والاندماج فيه. وبالنظر إلى المسوغات الآنفة الذكر، لا يمكننا تصور تبني مجتمع ثقافة مجتمع آخر دون تعالي وتفوق ذلك المجتمع في جميع المجالات.

2 – الجذور اللُّغوية المشتركة بين العربية والمازيغية:

وغني عن البيان، أنَّ معظم الدِّراسات الحديثة والمعاصرة تتفق على أنَّ اللُّغتين العربيَّة والمازيغية تنحدران من أسرة لغوية واحدة، وهي أسرة اللُّغات السامية الحامية، وهو الأمر الذي تجلى في أعمال العالم اللغوي **م كوهن(M.Cohen)** الذي أدمج اللُّغة المازيغية ضمن عائلة لغوية كبيرة هي العائلة السامية الحامية، والتي" **تشمل السامية(الأكادية، الكنعانية، الفينيقية، العبرية الآرامية، العربية،الخ)، وتتضمن الحامية اللغات المصرية القديمة واللغات البربرية، واللغات الكوشية التي تشمل لغات صومالية، ولغات الجالا ولغات البدجان ولغات دنقلة، ولغات السيداما، الخ، والشادية(أهم لغاتها الهوسا،كتوكو الخ)**(04) ". ثم أزيد على ما تقدم، فأقول، أنَّ اللُّغة العربيَّة الفصحى تبقى من اللُّغات السامية الحية، بينما اللغة المازيغية تبقى هي اللغة الحامية الوحيدة التي لا تزال تستعمل إلى يومنا هذا.

ومما يجدر التنويه به، أنَّ العائلة اللُّغوية التي تنحدر منه كل من اللُّغة العربيَّة والمازيغية قد ساعدت كثيرا الناطقين باللُّغة المازيغية في تعلُّم اللُّغة العربيَّة

والانصهار فيها وحفظ القرآن الكريم، وهذا ما أشار إليه رابح كحلوش بقوله:" **من المحتمل أن يكون الانتماء اللُّغوي الموجود بين الأمازيغية والعربية دور في تعلُّم لغة القرآن وتسهيله، وكذا تسريع سيرورة الاستبدال اللغوي(Substitution linguistique)**[05] ".

وعليه، فالعرب والأمازيغ –حسب تصور بعض الدراسات– ينحدرون من نفس الجذور اللُّغوية، ومن موطن واحد هو شبه الجزيرة العربية، وهو ما ذهب إليه "ليون الافريقي"في كتابه " وصف إفريقيا":" **لم يختلف مؤرخونا كثيرًا في أصل الأفارقة، فيرى البعض أنهم ينتمون إلى الفلسطينيين الذين هاجروا إلى إفريقيا حين طردهم الأشوريون، فأقاموا بها لجودتها وخصبها، ويزعم آخرون أن أصلهم راجع إلى السبئيين(أي الحميريين) الذين كانوا يعيشون في اليمن قبل أن يطردهم الأشوريون أو الإثيوبيون منها، بينما يدعي فريق ثالث أن الأفارقة كانوا يسكنون بعض جهات آسيا، فحاربتهم شعوب معادية لهم، وألجأتهم إلى الفرار إلى بلاد الإغريق الخالية آنذاك من السكان، ثم تبعهم أعداؤهم إليها، فاضطروا إلى عبور بحر المورة واستقروا بإفريقيا، بينما استوطن أعداؤهم بلاد الإغريق. كل هذا خاص بالأفارقة البيض القاطنين في بلاد البربر ونوميديا.أما الأفارقة السود بمعنى الكلمة فإنهم جميعا من نسل كوش بن حام بن نوح. ومهما اختلفت مظاهر الأفارقة البيض والسود، فإنهم ينتمون تقريبا إلى نفس الأصل، ذلك أن الأفارقة البيض، إما أتوا من فلسطين – والفلسطينيون ينتسبون إلى مصرائيم بن كوش– وإما من بلاد وسبأ بن هامة بن كوش**[06] ".

وفي اتجاه آخر، نجد مجموعة من الباحثين من يدافع عن فكرة الأصول الإفريقية للسكان الأمازيغ ويعتبرونهم من السكان الأقدمين الذي سكنوا شمال إفريقيا، وهو الرأي الذي أخذ به محمد شفيق بقوله:" **إنَّ المؤرخين العرب كادوا يجزمون، في العصر الوسيط، أن "البربر" من أصل يماني، أي من العرب العاربة الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة؛ وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار**

الفرنسي الاستيطاني في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فأخذوا يتمحلون البراهين على أن البربر أورپيو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم. ومن الواضح أن الحافز في الادعاءين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان .ومع تراجع الاستعمار الأوروپي عن إفريقية الشمالية، أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين كل تحفظ لازم، لاسيما تجاه المصادر المكتوبة، مالم تدعهما معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية. وقد عمل بجد، خلال الأربعين سنة الأخيرة، على استغلال الإمكانيات الأركيولوجية والأنتروپولوجية واللسانية في البحث عن أصل الأمازيغيين، أو عن أصول المغاربة على الأصح. والنتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان أفريقية الشمالية الحاليين في جملتهم لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ماقبل التاريخ، أي منذ ما قدر بـ 9.000 سنة[07] ".

وأضف الى كل ما سبق ذكره، هناك فريق ثالث يرى أن الشعب الأمازيغي شعب جاء من أوروبا ودليلهم على ذلك شعرهم الأشقر، وفي هذا التوجه ذهب عثمان الكعاك، حيث يقول:" **يذهب البعض من العلماء إلى أن البربر من أصل هندي أوروپي،أي من الأصل اليافتي المنسوب إلى يافت بن نوح عليه السلام خرجوا في عصور متقادمة من الهند ومروا بفارس ثم بالقوقاز، واجتازوا شمال أوروپا من فينلاندا إلى إسكنديناڤيا ثم بريطانيا الفرنسية ثم إسپانيا، ويستدلون على ذلك بالمعالم الميغالينية أو معالم الحجارة الكبرى من المصاطب(الدولمين) والمسلات(المنهيد) والمستديرات(الخرومليكس) التي بثوها على طول هذه الطريق وهي توجد بشمال أفريقيا وتنتهي بالمفيضة. كما يستدلون بأسماء قبائل الكيماريين بفينلاندا والسويد وبني عمارة في المغرب وخميس بتونس فالأسماء متشابهة جدا؛ أو بالحرف الروني المنقوش على المعالم الميغالينية، فإنه يشبه الخط اللوبي المنقوش على الصخور بشمال أفريقيا، ولبعض الخصائص البشرية كبياض القوقازي وزعرة الشعر المتصف بها الشماليون[08] ".**

3 – التقاطع الصوتي بين العربية والمازيغية:

من المتعارف عليه من خلال الأبحاث والدراسات التي أجريت في هذا السياق أنَّ معظم اللغات، إن لم نقل كل اللغات– إن لم نكن طبعًا مبالغين في ذلك– لم تكن تعتمد في بداية وجودها على الصوائت في والكتابة. وعليه، أخذت اللغة المازيغية المنحى نفسه، فاكتفت في بدايتها بالصوامت، وهذا التوجه أكده الباحث اللساني الجزائري محمد أكلي حداد بقوله:" **إن الأبجدية الليبية التي لا تسجل الصوائت لا تشتمل إلا على الصوامت، مثلما عن دراسته الأعلام الأمازيغية. ولقد لحقت بها الصوائت في زمن متأخر... سميت "تيدباكين" تقابل الفتحة والكسرة والضمة" وتسمى الأبجدية في مجموعها " أكاماك"** [(09)] ".

3 – 1 – مقارنة بين حروف اللُّغة العربيَّة وحروف اللُّغة المازيغية:

تظهر أوجه التقاطع في بعض الحروف من مثل الهاء في قولنا: هدرغ (تحدثت)، والقاف في قولنا:قربغ (اقتربت) والغين والخاء من مثل: خرفغ(تهت) غوري (عندي)... وفي سياق آخر، لا نجد حرف(G) في اللغة العربية، فهو من الحروف التي نجدها في اللغة الأمازيغية مثل قولنا: أرقاز(الرجل) وثاقورث (الباب).

3 – 1 – 1 – المازيغية والهمزة:

يجدر التنويه أنه، إن كانت الهمزة في بداية الكلام تظهر في كلمة أزقاغ(أحمر) إلا أنها تختفي عند وصله ذازقاغ(إنه أحمر)خلافا للغة العربية فهي ثابتة فيها مثل قولنا: سأل، يسأل...إذ تحتفظ همزة القطع في الفعلين الماضي والمضارع بخصائصها سواء سبقت بحرف أم أداة أم لم تسبق، بينما في اللغة المازيغية تحذف الهمزة إذا سبقت بأداة أو حرف.

ولا يختص هذا الحرف بقسم من أقسام الكلم دون غيره، فهو يأتي في طليعة الأسماء المذكورة إفرادا وجمعا مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة كما في أخام (البيت) وئغزر(واد) ؤول(القلب) كما يطال القرائن في الاسم الموصول(ئ) ئني

آمين(قل آمين)[10]. وإن كانت مفتوحة كتبناها على الألف أفقوس(البطيخ) أفوس(اليد) وأقشيش(الطفل)أسرذون(البغل)، وإن كانت مضمومة كتبت على الواو ؤوذم(الوجه) ؤوشن(الذئب)، وإن كانت مكسورة كتبت على الياء مثل ئذريمن(الأموال) ئيشطيطن(الثياب) ئوزان(الدقيق الخشن).

3 – 1 – 2 – المازيغية والأصوات الحلقية:

تجمع دراسة بعض اللسانيين أنَّ الحاء والعين صوتان طارئان على المازيغية وسندهم في ذلك أنه لم يعثر لهما على أثر في النقوش المازيغية القديمة، وهو ما يلاحظ من عجز الناطقين بالمازيغية عن تحقيق صوت العين، وهو ما نلاحظه لدى الناطقين باللهجة القبائلية؛ إذ نسمعهم عند نطقهم إياه ساكنا يطيلون الاعتماد على مخرجه من غير تشديد. وقد تبين لنا أنه يتميز بخصيصتين: الإطالة والتخفيف في نحو تحقيقه علي(Li) علي، أعرور(الظهر) إطالة الصامت الأول في المثال الثاني وقد تختفي العين بعد الإطالة، كما في تأدية(آث واسيف) مقابل تحقيقها في تأدية (ذراع الميزان)[11].

3 – 1 – 3 – الأصوات التي تختص بها المازيغية:

ولاشك أن الناظر في نظام اللغتين العربية والمازيغية يدرك بجلاء أننا نجد مجموعة من الأصوات اللغوية في اللُّغة المازيغية لا نظير لها في اللُّغة العربيَّة ومثال ذلك حرف الزاي في قولنا بات الرجل يصلي(ئسانس ؤرقاز تزالا) والذبابة(ئزي) مني(زي). كما يرد هذا الصوت المفخم صوتا أساسيًا مطردًا نحو: أزطا:نسيج، أزطاي: طحن، مازوز: الابن الأصغر، ئزرا: رأى[12]. ثم نزيد على ما تقدم، فنقول، أن الكثير من المخطوطات التي ترتبط بالتراث اللغوي الأمازيغي نشرت أغلبيتها بالخط العربي، رغم أن بعض أصواتها غير مطابقة للغة العربية مثل الزاي المطبقة، إلا أن الخط العربي أدى دورا كبيرا في حفظ اللغة المازيغية وتناقلها بين الأجيال.

4 – التقاطع التركيبي بين العربية والمازيغية:

لابد من التأكيد –ههنا– أنه رغم أن الباحثين في المازيغية لم يتكمنوا حتى يومنا هذا من توحيد نمط كتابتها، وهو ما أشارت إليه خولة طالب الابراهيمي بقولها:" **لم تحظ البربرية بالتقعيد والتوحيد، لاسيما في الكتابة ولا يوجد معيار ولا صورة "وسطى" مشتركة لمجموع العالم البربري بطبيعة الحال**[13] ". ورغم كل هذا التنوع في لهجاتها والتقلبات والظروف التي مرت عليها اللغة المازيغية، إلا أنها في عمقها النحوي تمتاز بمستوى نحوي موحد. يقول في هذا السياق الباحث في اللغة المازيغية سالم شاكر:" **ولكن رغم هذه الوضعية المتمثلة في التجزئة القصوى، فهذا لم يكن من الأسباب الحقيقية التي صرفت العلماء عن ألا يتحدثوا عن لغة أمازيغية واحدة، مجزأة إلى لهجات، والتي تتكون بدورها من تنوعات محلية مطابقة تماما بالتقريب للوحدات القبلية القديمة. فإنه رغم التشتت الجغرافي وغياب هيئة لتنميط اللغة ورغم ضعف التبادلات، تبقى المعطيات التركيبية الأساسية نفسها في كل مكان**[14] ".

4 – 1 – التركيب الجملي:

يتشابه كثيرا التركيب الجملي للغة المازيغية مع التركيب الجملي للغة العربية وهو ما أكده الباحث المازيغي محمد شفيق بقوله:" **نلاحظ أن التركيب الأمازيغي والتركيب العربي متشابهان، إلا أن الأمازيغية ليس فيها مثنى...(15)** ". وعليه فالجملة في المازيغية فعلية واسمية كما في العربية، ولنا أن نسوق المثالين التاليين: فعلية:إرول ؤوقجون(هرب الكلب) (إرول) فعل و(ؤوقجون) الفاعل. والاسمية:أرقاز أحوري(الرجل الحر) أرقاز(المبتدأ) أحوري(الخبر).

4 – 2 – الاسم المذكر:

من المتعارف عليه، أن الأسماء المازيغية بصيغة التذكير تبتدئ بالهمزة على أوزان عدة مثل[16]:

أمغار:الشيخ	أركاز: الرجل	أسغار: عود من خشب

أو بهمزة مكسورة، نحو:

إخف: الرأس	إمذانن:الناس	إحفوفن: التين

أو بهمزة مضمومة، نحو:

أُذم: الوجه	أوشن: الذئب	أوسان : الأيام

4- 3 – الاسم المؤنث:

من المتعارف عليه، أنَّ الاسم المؤنث في اللُّغة العربيَّة يرتبط بآخر الكلمة للتفرقة بين المذكر والمؤنث نقول: تلميذ – تلميذة. وعليه، نجد القاعدة نفسها في اللُّغة المازيغية، حيث يؤنث الاسم في المازيغية بوضعه بين تاءين، نحو[17]:

أمتشوك/تامتشكوت= طفل طفلة	أمغار/ تامغارت عجوز عجوزة	أوثم/ تاوثمت ذكر أنثى

وأحيانا في بعض المناطق القبائلية مثل خراطة، تبدل التاء ثاء، نحو:

أمتشوك/ثامتشوكث	أمغار/ثامغارث	اوثم/ ثاوثمت

وأحيانا يكون اللفظ المؤنث من غير لفظ المذكر، نحوك

أيوغ/ثافونست الثور البقرة	أركاز/ تامطوث الرجل المرأة	إكري/ تيخسي الكبش النعجة

4 – 4 – التثنية:

لا توجد تثنية في اللُّغة المازيغية، وتمس في ذلك جميع اللهجات المازيغية، كما الشأن نفسه في العامية الجزائرية. فإذا كان المثنى في العربية يرتبط بالألف والنون في حالة الرفع مثل قولنا:جاء الرجلان، وبالياء النون في حالة النصب والجر مثل

قولنا:رأيت رجلين، ومررت برجلين. بينما التثنية في اللُّغة المازيغية ترتبط أساسًا بالاشتقاق من سين= اثنان وتتقدم على كل كلمة نريد تثنيتها، فنقول مثلا: سين يمغارن(شيخان) وسناث الخلاث(امرأتان).

4 – 5 – الجمع:

وإذا كان الجمع في اللغة العربية يرتبط بثلاث حالات(جمع مذكر، جمع مؤنث جمع تكسير)، فإنه في اللغة المازيغية نجد الحالة نفسها، وتكون علامات الجمع: النون في قولنا:إشتيتن(الملابس)، أو الألف والنون ألغم(إلغمان) الإبل أو الألف في قولنا:أنقار (الأخير) إنقورا أو الواو والنون في قولنا:إقاوا المتجول إقاواون (المتجولون). والأمر نفسه فيما يخص جمع المؤنث" وهو بدوره يكون على نوعين؛ ما كان من لفظه، مثل:(تيط/تيطوين) على لهجة خراطة وذراع القائد حتى منطقة أوقاس، أو (تيط/ تيطاون) على اللغة الأمازيغية، أو ما كان من غير لفظ المفرد، نحو:(تيط/ ألن) وهي كلها بمعنى(العين الباصرة/ عيون) في المناطق الداخلية وبوخليفة وبوادي وتيزي نبربر، وقس على ذلك باقي جموع المؤنثين[18]". والملاحظات نفسها يمكننا أن نبديها عن جمع التكسير،مثل:(أغبالو/ إغبولا)؛ بمعنى العين الجارية، وإذا كان المفرد مختوما بـ(الياء) فغالبا ما تبقى هذه الياء على حالها في الجمع، مثل:(أعجمي/ إعجمين) بمعنى (الثور/ الثيران) أما إذا كان ما قبلها (الذال) فغالبا ما تنقلب إلى (الطاء) مع قلب (الياء) ألفا نحو:(أيذي/ إيطان): كلب كلاب[19].

4 – 6 – الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول:

تجدر الإشارة –ههنا– أنَّ الفعل في اللغة المازيغية كالفعل في اللغة العربية يكون إما ثنائي كقولنا:(بد) بمعنى انهض أو ثلاثية كقولنا:(يطس) بمعنى نام أو رباعية كقولنا:(يستحى) من الحياء بمعنى يستحي. وفيما صياغة الفعل المبني للمجهول في الأمازيغية، يكون ذلك بإضافة السابقة(إ) أو (يو/تو) التي يقابلها في

اللغة العربية الضمة، نحو قولنا:(كُتب /إكتب) ، و(سُرق/ يوكر) للمذكر و(توكر) للمؤنث.

4 – 7 – الضمائر:

يرتبط ضمير المتكلم "أنا" بالضمير "نك" بالمازيغية وضمير الجمع "نحن" بالضمير" نكني" للمذكر و(نكونتيث) للمؤنث، في حين ضمير المتكلم" أنت" بالضمير "شك" للمذكر و(شمِ) للمؤنث (أنتِ) من ذراع القائد ووصولا إلى منطقة أوقاس، بينما من منطقة تيشي إلى بجاية وكل المناطق المجاورة لواد الصومام فينطق الضمير "أنت" (كتشيني) للمذكر و(خميني) للمؤنث. وضمير الغائب "هو" يستبدل بـ(نتا) للمذكر و(نتاث) للمؤنث. وفيما يلي نذكر الضمائر المتصلة بالفاع[20]:

لسيغ	لبست	تشيغ	أكلت	سهيغ	نسيت	سليغ	سمعت	///
تلسيت	لبست	تتشيت	أكلت	تسهيت	نسيت	تسليت	سمعت	التاء/الثاء
إلسا	لبس	إتشا	أكل	إسها	نسي	إسلا	سمع	للمذكر
تلسا	لبست	تتش	أكلت	تسها	نسيت	تسلا	سمعت	للمونث
نلسا	لبسنا	نتشا	أكلنا	نسها	نسينا	نسلا	سمعنا	نحن
تلسام	لبستم	تتشام	أكلتم	تسهام	نسيتم	تسلام	سمعتم	أنتم
تلسامت	لبستن	تتشامت	أكلتن	تسهامت	نسيتن	تسلامت	نسيتن	أنتن
لسان	لبسوا	تشان	أكلوا	سهان	نسوا	سلان	سمعوا	هم

4 – 8 – أزمنة الفعل:

يجدر التنويه، أن أزمنة الفعل الموجودة في اللغة العربية في نفس الأزمنة الموجودة في اللغة المازيغية، مثل قولنا في الفعل الماضي:(إطاس/ نام) و(إرول/ هرب) والفعل المضارع(يطاس/ ينام)و(يرول/ يهرب) بينما فعل الأمر(أطس/ نم) و(أروال/ اهرب).

5 – الخاتمة:

وصفوة القول في الأخير، أنَّ اللغة العربيـــة واللغـــة المازيغيـــة – كانتـــا ولا تزالان– تشكلان أسرة لغوية واحدة مترابطة ومتجانسة تتعايشـــان مـــع بعضـــهما البعض على المستوى اللساني(الصوت– التركيـــب– الدلالـــة). حيـــث لا تـــزال الدراسات التي تجرى في هذا السياق تؤكد حقيقة التعايش اللغوي الحاصـــل بـــين العربية والمازيغية على مستوى الأصوات والتراكيب والدلالة وأصـــول الكلمـــات. ومن هنا ، وجب علينا نحن كباحثين أن نؤسس لمصالحة لسانية تخـــدم عناصـــر الهوية في المجتمع الجزائري وتبعدنا عن كل التأويلات السياســـية والإيـــديولجيات الهدامة التي تشتت صفوة المجتمع الجزائري ولحمته. ثم أزيد على ما تقدم، فـــأقول أنَّ الاستثمار في الخصائص المشتركة الموجودة بين نظام اللغتين بحكم أن اللغتين العربية والمازيغية تنحدران من سلالة لغوية واحدة سيجنبنا الكثير مـــن المعيقـــات والمشاكل المطروحة في تعليم اللغتين ، خاصة أن أوجه التماثل والتشابه بين نظام اللغتين كثيرة ومتعددة، مما يساعد المتعلم في الأخير على تعلم اللغتين معا دون أية صعوبة تذكر.

[16]– عثمان سعدي، معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية، مجمع اللغة العربية طـرابلس ليبيا، ط1 ، 2007 ، ص10

[17] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[18]– عبد الغاني قبايلي، الاختلافات الصوتية وأثرها في إثراء المعجم القبائلي، العدد الخاص أعمال ملتقى: الممارسات اللغوية: التعليمية والتعلمية، مخبر الممارسـات اللغويـة، تيـزي وزو الجزائر، 2011 ، ص87

[19] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[20]– عبد الغاني قبايلي، الاختلافات الصوتية وأثرها في إثراء المعجم القبائلي، ص88

التعايش اللغوي بين المالطية والإنجليزية

دراسة في التجربة المالطية

أ. شعيب حبيلة

جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل

Choaybibnarabi@gmail.com

مقدمة:

تعد جمهورية مالطا الدولة الأوربية الوحيدة التي تتخذ من لغة ساميةِ الأصول لغةً رسمية للدولة، إضافة إلى اللغة الإنجليزية، مع حضور اللغة الإيطالية وإن لم تعد رسمية بعد سنة 1934، وقد أرجع الرحالة أحمد فارس الشدياق في القرن التاسع عشر (ت 1887) تعلمَ المالطيين للطليانية والإنجليزية لاحتياجهم للأولى في المعاملات والتجارات وكتب الشرع وغيرها، ولتنافسهم في الثانية لكونها لغة أرباب الحكم[1]. اللغة المالطية المشتقة من العربية الصقلية هي إحدى لغات الاتحاد الأوربي، وتكتب حروفها الثلاثون وفق أبجدية مأخوذة عن الأحرف اللاتينية وأسس لأجلها مجلس وطني سنة 2004، ونسب المتكلمين باللغتين المالطية والإنجليزية متقاربة، وتأتي اللغة الإيطالية بعدها بنسبة أقل، مثل هذا الاختلاف ألزم المالطيين جهودا كبيرة من أجل تحقيق التعايش اللغوي.

التجربة المالطية من الأهمية بمكان بالنسبة لدول تسير نحو إحلال ثقافة التعايش اللغوي، ومنها الدولة الجزائرية، وتبرز أهمية هذا الموضوع بداءة في تشابه الأوضاع التاريخية للبلدين، وتعاقب حضارات مختلفة عليها، ظروف تاريخية أسلمت الجزائر إلى واقع لغوي متنوع، حيث تقابل اللغتان العربية والمازيغية

اللغتين المالطية والإنجليزية في مالطا، وكذلك الأمر مع الفرنسية إذا قوبلت بالإيطالية، مع قرب جغرافي وتشابه كبير بين اللغة المالطية والدارجة الجزائرية وكما أسس المجلس الوطني للغة المالطية إثر قانون وافق عليه البرلمان المالطي رسمت اللغة الأمازيغية في الدستور الجزائري، واتخذت التدابير الممكنة لتعزيز تدريسها في المدارس الوطنية؛ لأجل هذا كله تعد دراسة التجربة المالطية على مستوى علم اللغة الاجتماعي أمرا ضروريا لنجاح التجربة الجزائرية الناشئة.

نالت مالطا استقلالها عن بريطانيا سنة 1964، الأمر الذي طرح سؤال الهُوية والسياسة اللغوية التي ينبغي أن تتبع إحقاقا للتعايش اللغوي، فما الجهود التي بذلت من قبل مؤسسات الدولة في خدمة اللغتين المالطية والإنجليزية جنبا إلى جنب؟ وما دور المؤسسات التعليمية والجامعات ومراكز الأبحاث والإعلام في ذلك؟ وما العقبات المعرفية والسياسية التي واجهت المالطيين وكيف عولجت؟ وكيف عولجت إشكالية التناوب اللغوي؟

1. مفهوم التعايش اللغوي:

التعايش لغة: مصدر من العيش، وتعايشوا عاشوا على الألفة والمودة[2].

اصطلاحا: فرع عن علم اللغة الجغرافي Geolinguistics... الذي يعطي اهتماما لمشكلة التعايش السلمي بين لغتين "أو أكثر" في مكان واحد، symbiosis أو احتكاكهما وتبادل التأثير والتأثر بينهما[3].

2 . نشأة اللغة المالطية وتطورها:

اللغة المالطية سامية من المجموعة الجنوبية الوسطى، يتحدث بها في جمهورية مالطا، تطورت من لهجة عربية وترتبط ارتباطًا وثيقًا باللهجات العربية الغربية للجزائر وتونس. تتأثر اللغة المالطية تأثرًا شديدًا باللغة الصقلية، وهي الصيغة الوحيدة للغة العربية التي تكتب بالأبجدية اللاتينية[4]. تعرف محليا بالمالطي **(il–Malti)**[5] أو لغة المطبخ **the language of the kitchen**.

شمل تاريخ مالطا المتقلب بين مستعمريها العديـدين، العـربَ (870-1090) والنورمان (1090-1266)؛ والأنجويون (1266-1283) والأراغون (1283-1410)، والقشـتاليين (1412-1530)، وفرسـان الإسـبتارية (1530-1798) والفرنسيين (1798-1800) والبريطانيين (1800-1964). حصلت مالطة على استقلالها عامَ 1964 وأصبحت اللغة المالطية اللغة الرسمية للسكان الأصليين إلـى جانب اللغة الإنجليزية[6]. وظلت المالطية أداة شفوية طوال عشرة قرون، أمـا لغـة التجارة والثقافة والفنون فكانت اللاتينية بداءة ثم الصقلية ثم الإيطاليـة وأصـبحت معقلا للمسيحية سنة 1530[7].

لاحظت **ليديا سكريحا** أن الهيمنة الاستعمارية لم تؤثّر على اللغة المالطية، عدا ما تعلق باللغة العربية؛ لأن أصول المالطية الحديثة تعود إلى الوجود العربي، ومع إخراج العرب سنة 1224 كانوا قد تركوا أثرا لا يمحى في جزيرة مالطا. تقـول **ليديا سكريحا:** فزلي **Vassalli** هو أول من اقترح أهمية اللغة المالطيـة لتحقيـق مآرب القوميين في الجزيرة **the islanders' nationalism** وسـنة 1796 رأى أن مالطا بحاجة إلى لغـة وطنيـة " **lingua nazionale** " لا ينبغـي أن تكـون إيطالية[8].

فزلي المتوفى سنة 1829، كان كاتبا لغويا وفيلسوفا، نشر عديد الكتـب عـن اللغة المالطية، منها معجم إيطالي مالطي، وهـو مـن ابتـدع علامـات خاصـة بالأصوات المالطية، وكتب المالطية بالحروف اللاتينية، وقد اعتمد فرضية مواطنه السـابق المـؤرخ واللغـوي **آغيـوس دو سـولدنيس** **Agius de Soldanis** (ت 1770)، الذي رأى أن المالطية أصولها بونيـة* Punique، وجـاء **يوهـان يواقين بلرمن** (ت 1842) وأخذ بالفرضية ذاتها في كتابه المدرسي: نمـوذج مـن بقايا اللغة البونية في اللغة المالطية، وحاول أن يفسر بعض الألفاظ المالطية عـن طريق اشتقاقها من اللغة العبرية، فرد عليه عالم العبرية **جيزينيـوس** **gesenius**

(ت 1824) في بحث بعنوان: محاولة في اللغة المالطية، وأثبت بطريقة حاسمة أن المالطية ترجع إلى اللغة العبرية[9].

سؤال اللغة في مالطا ظل مشكلة حوالي 140 سنة[10]، مع حلول 1900 صار التعداد السكاني في مالطا أكبر*، والنفوذ الإيطالي أقوى، بعد الحرب العالمية الثانية، اعتمدت اللغتان المالطية والإنجليزية رسميا في مالطة بموجب دستور استقلالها عام 1964. استغلت مالطا موقعها الجيوسياسي المميز، واستثمرت مكاسب اللغة الإنجليزية، يقول **martin scicluna**: أعطت اللغة الإنجليزية مالطة القدرة على إجراء وجذب الأعمال والتجارة والزوار إلى هذه الجزيرة، لصالح كبير من اقتصادنا وإثراء ثقافتنا. أظهرت استطلاعات الرأي الدورية للشركات الأجنبية العاملة في مالطا أنها تنجذب إلى حد كبير هنا لأنها كانت دولة ناطقة بالإنجليزية[11].

لاحظ **شكيب أرسلان** (ت 1946) أنه منذ 1850 أخذت مسألة اللغة المالطية شكلا سياسيا، وذلك لأن الإنجليز أحبوا أن يعززوا اللغة المالطية العربية لعدم رغبتهم في نشر اللغة الإيطالية التي كانت لغة الطبقة المثقفة، ولغة رجال الكنيسة في مالطا[12]، وفي بدايات القرن التاسع عشر كانت اللغة والثقافة الإيطاليتان حاضرتين في مالطا، فكانت لغة القوانين والمحاكم إيطالية، والجامعات والوثائق الإدارية أيضا[13] ولم يتغير الأمر إلا سنة 1934 أين أحلت الحكومة البريطانية اللغة الإنجليزية بدل الإيطالية جنبا إلى جنب مع اللغة المالطية كلغتين للتعليم والإدارة والخدمات المدنية[14]، ومما له تعلق بموضوعنا كون الوجود العربي في مالطا جلب متكلمين من الأمازيغ أكثر من العرب كما يرى **راي فابري** **Ray Fabri** [15] * وقد تعززت السياسية اللغوية في مالطا بمجلس وطني يختص بشؤون اللغة.

3. مجلس اللغة المالطية ومشاريعه[16]:

تأسس مجلس اللغة المالطية الوطني (**Kunsill Nazzjonali ta' l-Ilsien Malti**) في أبريل 2005 مع سن قانون اللغة المالطية الذي أقره البرلمان المالطي*؛ والغرض منه تنظيم اللغة المالطية والسيطرة على الكلمات المالطية الجديدة والترويج لهذه اللغة القياسية في التعليم والقطاعات الجديدة الأخرى.

يتكون المجلس من خمس لجان وهي: الإعلام، والتعليم، والبحث اللغوي والترجمة، والمصطلحات. ويهدف إلى تحسين اللغة عن طريق تحديث هياكله وتطوير اللغة المالطية فيما يختص بتكنولوجيا المعلومات، وحماية اللغة المالطية والترويج لها. المجلس الوطني للغة المالطية هو عضو في الاتحاد الأوروبي لمؤسسات اللغة الوطنية (**FEILIN**) في الاتحاد الأوروبي.

إلى جانب المالطية اللغة الرسمية في مالطا بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية نجد لغات أخرى تمارس في مالطة بالإضافة هي الإيطالية والفرنسية والألمانية والإسبانية، مع أن الإيطالية كانت الأكثر شعبية بين الثلاثة في أوائل 1900 ولا سيما عند الأرستقراطيين أكثر من اللغة الإنجليزية وأكثر من اللغة المالطية الأصلية.

حسب مجلس اللغة فإن أصل اللغة المالطية يعود إلى الاحتلال العربي للجزر عامَ 870 م. ومن المفترض بشكل عام أن اللغة قد تطورت من شكل من أشكال اللغة العربية، إما من المغرب العربي أو – كما توحي بعض الوثائق التي تم تحليلها مؤخرًا – من صقلية خلال الاحتلال العربي. بعد أن غزا النورمان الجزيرة عامَ 1090، وعلى وجه الخصوص، بعد [إخراج] العرب من مالطا (حوالي 1245)، تطورت اللغة والثقافة المالطية بشكل مستقل عن اللغة العربية*، ومرت بعدد من التغييرات من خلال الاتصال بشكل رئيسي مع الصقلية أولا، ثم الإيطالية (توسكان)، ثم الإنجليزية أيضًا (خلال القرن التاسع عشر)[17].

يمكن أن نجمل مهام المجلس في هدفين:

– الترويج للغة المالطية في مالطة وفي بلدان أخرى من خلال المشاركة بنشاط لتعزيز الاعتراف باللغة الوطنية واحترامها.

– تحديث لغة التهجئة باللغة المالطية حسب الضرورة، ومن وقت لآخر، تحديد الطريقة الصحيحة لكتابة الكلمات والعبارات التي تدخل اللغة المالطية من اللغات الأخرى.

وينفذ هذا عن طريق:

– تطوير وتحفيز وتعزيز الاعتراف باللغة المالطية والتعبير عنها.

– تعزيز التطور الديناميكي لخصائص المالطية اللغوية، بالتشاور مع الأجهزة المنشأة بموجب قانون اللغة المالطية، واعتماد سياسة لغوية مناسبة مدعومة بخطة استراتيجية، والتأكد من تطبيقها وتنفيذها في جميع قطاعات الحياة المالطية.

– تقييم وتنسيق العمل الذي تقوم به الجمعيات والأفراد، في قطاع اللغة المالطية وتعزيز مناخ من التعاون من خلال خطة توافقية.

– لفت انتباه جميع الذين قد يسهمون في تطوير المالطية إلى العمل المنجز تنفيذاً لسياسة اللغة، وعند الضرورة لتقديم المشورة لوزير التعليم للاضطلاع بأي مهام ضرورية.

– السعي للحصول على الموارد المالية محليا وعبر البحار؛ من أجل أن تكون قادرة على تعزيز أنشطتها، وخاصة الموارد التي يمكن بالفعل الوصول إليها من قبل المنظمات المحلية والدولية لأغراض البحث، والترويج للغات المنطوقة من قبل الدول الصغيرة، وغيرها من المشاريع المتعلقة بالتبادل بين الخبراء وبرامج البحث.

– التعاون مع الأشخاص والهيئات والمنظمات في مختلف مجالات الحياة؛ من أجل زيادة الاعتراف والتقدير للأنشطة اللغوية والثقافية، ومن أجل مزيد من التقدم في اللغة المالطية.

– إنشاء مركز وطني للغة المالطية يوفر – إلى جانب عمله كمكتب للمجلس – الموارد المطبوعة والسمعية البصرية اللازمة لأعضاء جمعيات ومؤسسات اللغات المالطية والأشخاص المهتمين الآخرين.

– ضمان الوصول الكامل إلى البيانات والمعلومات الإحصائية المتاحة؛ من أجل استخدامها من قبل المجلس وأجهزته في تنفيذ واجباتهم بموجب هذا القانون.

يقيم المجلس الوطني للغة المالطية اتصالات منتظمة مع المنظمات المحلية والوطنية والدولية التي لها وظائف مماثلة أو مكملة لوظائف المجلس ويتبادل وجهات النظر والموارد معها.

مشاريع المجلس:

1- المشروع الأول: أغانٍ للأطفال باللغة المالطية:

أنشأ المجلس وقسم المناهج الدراسية والتعلم الإلكتروني ضمن مديرية الجودة والمعايير في التعليم معا سنة 2012 مشروعا لأغاني الأطفال باللغة المالطية للترويج للغة المالطية بطريقة غير رسمية ومسلية للأطفال الرضع والأطفال الصغار.

دعت لجنة أنشئت لهذا الغرض، أي شخص لديه قصائد، كلمات أو أغاني أطفال بالمالطية للأطفال الذين لم يتجاوز سنهم خمس سنوات للمشاركة. تقوم لجنة الموسيقى بتقييم الكلمات المرسلة، وتنشئ الموسيقى للأغاني المحددة التي يتم تحميلها على YouTube ثم تجميعها في قرص مضغوط. وتوزيعها مجانا على الفصول الدراسية الابتدائية في رياض الأطفال.

الكلمات المرسلة لها مواضيع أساسية تهدف إلى تعريف الأطفال بالعالم والحياة الاجتماعية من حولهم. وتشمل هذه المواضيع: المواسم، أسماء الشهور وأيام الأسبوع، الطقس، الملابس، الإجازات (مثل عيد الميلاد، الكرنفال وعيد الفصح) احتفالات القرية، الأرقام، الحروف الأبجدية وأصواتها وأجزاءها وحركاتها والألوان والأشكال والأبعاد والحيوانات وأفراد العائلة والوظائف والشخصيات

الحقيقية أو الخيالية التي تروق للأطفال، ولعب الأطفال والأدوات الموسيقية والنقل والألعاب.

ومن شروط الصياغة المرسلة:

- أن تكون أصلية ومسلية.
- أن تكون مرتبطة بعالم أطفال اليوم.
- أن تنظر إلى الأشياء من خلال عيون الأطفال، وليس انعكاسا لحياة الكبار على الطفولة.
- أن تشمل عنصرا من الخيال.
- الاستخدام السليم للغة المالطية.
- أن تشتمل على موقف منفتح تجاه الثقافات الأخرى، مع احتضان مبادئ المساواة الاجتماعية[18].

المشروع الثاني: عبارات كرة القدم للصحافيين الرياضيين:

تستقطب الرياضة عموما وكرة القدم خصوصا عددا معتبرا من المتابعين؛ لأجل ذلك أطلق ونشر المجلس الوطني للغة المالطية، بالتعاون مع جمعية مالطا للصحفيين الرياضيين، كتاب **Ballun Pinġut** بواسطة **كيث أتارد**، ودعي الصحفيون الرياضيون إلى حفل الإطلاق.

Ballun Pinġut هي مجموعة من 930 تعبيرا متعلقًا بكرة القدم، جمعت فيه التعبيرات المدرجة في الترتيب الأبجدي، من المتكلمين الشباب من المالطيين الذين يلعبون اللعبة ويتابعونها بشغف؛ الهدف الرئيسي للمجموعة هو مساعدة الصحفيين والمعلقين الرياضيين في العثور على أفضل تعبير لوصف العمل في ملعب كرة القدم، وشهدت مجموعة من الخبراء التعابير المدرجة وأكدتها، بما في ذلك الحكم واللاعب والمدرب وعضو في لجنة كرة القدم...الخ، كانت مهمة المجموعة إعطاء إشارة إلى مدى استخدام التعبيرات الفعلية من قبل الأشخاص المشاركين بطريقة ما في كرة القدم.

علاوة على ذلك وبما أن الكتاب موجه أساسا إلـــى الصـــحفيين، فـــإن رابطـــة الصحفيين الرياضيين في مالطا، بناءً على طلب المجلس الوطني للغـــة المالطيـــة اختارت ممثلاً لتشكل جزءاً من هيئة التحرير التي شارك أعضاؤها في مجموعـــة التعبيرات، وإزالة أي تعبيرات مسيئة قد يشعر الصـــحفيون أنهـــا غيـــر مناســـبة للاستخدام في وسائل الإعلام.

4. إشكالية التعايش اللغوي في مالطا:

يرى مجلس اللغة أن الوضع اللغوي الحالي في مالطة معقد، خاصة أن كلا من اللغتين المالطية والإنجليزية تستخدمان من قبل معظم المتحدثين إلى درجات مختلفة من الكفاءة وفي سياقات مختلفة، تؤثر على بعضها البعض بطرق مختلفة، وغالبًـــا ما يؤدي إلى الازدواجية*. تمنح المالطية متحدثيها إحساسًا قويًا بالهوية والانتمـــاء مما يساعدهم على النظر في "الداخل" وتعطيهم إحساسًـــا بالتقاليـــد والاســـتمرارية والتاريخ، بينما تساعدهم اللغة الإنجليزية على الظهور "خارجًا"، مما يســـمح لهـــم بالتواصل المباشر مع بقية العالم، ومنعهم من أن تصبح دولتهم معزولة ثقافيا[19].

معظم المالطيين يتكلمون المالطية في المنزل وبين بعضـــهم الـــبعض، اللغـــة الإنجليزية من ناحية أخرى، هي اللغة المستخدمة في السياق المكتوب للتعليم العالي وللتواصل مع الأجانب[20].

مثال عن اللغة المالطية:

Il-kelb gidem il-qattus ilbierah

الكلب قضم القط البارحة

يمكن أن يعبر عنها أيضا بطرق مختلفة:

Ilbierah il-kelb gidem il-qattus

Gidem il-qattus il-kelb ilbierah

Il-qattus gidem il-kelb ilbierah

عادة ما يمثل النظام الصرفي للمالطية بالجذر كتب: الجــذر ك ت ب يحتــوي على كل ما يتصل بالكتابة[21]. ومن أمثلة هيمنة اللغة الإنجليزية بعد الحرب العالمية الثانية كلمة مطار Mitjar التي حلت مكانها كلمة ajruport من الإنجليزية airport [22]، بعد الاعتراف بها كلغة أوربية يواجه المترجمون تحديات عــدة، العديــد مــن المصطلحات التقنية والقانونية بحاجة إلى توليدها في المالطية، وهذا ما يعتني بــه المجلس الوطني للغة المالطية[23].

تستعمل اللغتان في التعليم ما قبل الجامعة، وحسب الحكومة المالطية: " فإنه من المسلم به أنه على الرغم من التحدث باللغتين الإنجليزية والمالطية فــي المدرســة تميل المدارس المختلفة إلى تفضيل إحدى اللغتين. في المدارس الحكوميــة، اللغــة الرئيسية للتعليم هي المالطية، باستثناء دروس اللغة الإنجليزية. المالطية تميل إلــى أن تكون اللغة المفضلة خارج الطبقات أيضا.

في المدارس الخاصة، تكون الدروس باللغة الإنجليزية، باستثناء اللغة المالطيــة يتكلم الطلاب مزيجًا من الإنجليزية والمالطية خارج الفصل، اعتمادًا علــى اللغــة التي يتحدثونها في المنزل أو ما يتحدث به أقرانهم، ويختار بعض آبــاء الأطفــال غير المالطيين لأطفالهم الانسحاب من دروس اللغة المالطية، على الرغم من أنهــم مرحب بهم عادة للحضور "[24].

توجد جامعة واحدة في مالطا، على الرغم من إنشاء عدد قليل مــن الجامعــات الأجنبية، واللغة الأساسية للتعليم في الجامعة هي اللغة الإنجليزية[25]. توفر جامعــة مالطا دروسا في اللغة المالطية للأجانب أو لمن لا يتقنونهــا، مستحضــرة البعــد الاجتماعي لهذه الدروس، وهذا ما نقرؤه في إعلانها:

" تعلم المالطية هو أكثر من مجرد دفعة للسيرة الذاتية الخاصة بك، وأكثر مــن وسيلة للتواصل مع شريكك المالطي، والأقارب والأصدقاء وزملاء العمــل! إنــه يقربك من طريقة التفكير المالطية، إنه يساعدك على المجازفــة خــارج المنــاطق السياحية الشعبية، مما يشكل طريقك اللغوي الخاص بك حول جزيرة غنية بالتاريخ

والفولكلور. تعلم المالطية يساعدك على الانتماء إلى ثقافة حية، وإلى الأدب والمجتمع، كما سيكشف عن روابط مفاجئة بين اللغة المالطية واللغات الأخرى – ربما، حتى تاريخ مشترك مع لغتك الأم – "[26].

تطور الدرس اللساني وتوجهه نحو اللسانيات الحاسوبية كان سببا في تغيير اسم معهد اللغويات بجامعة مالطا الذي تأسس سنة 1988، حيث حول سنة 2017 إلى معهد اللغويات وتكنولوجيا اللغات؛ ليعكس تطور اهتماماته وكفاءاته، يهتم المعهد بالحقول المعرفية التالية[27]:

- اللسانيات العامة والتطبيقية.
- العلامة اللغوية والقصور اللغوي.
- اللغويات الحاسوبية ومعالجة اللغات الطبيعية.
- علم اللغة النفسي التجريبي.
- الانجليزية الأكاديمية.

لا تقتصر جهود تنمية اللغة المالطية على المؤسسات، إذ نجد عددا معتبرا من المؤلفات – التي تعنى بتعليم اللغة المالطية سنويا – كتبت باللغة الإنجليزية، نذكر منها:

- المالطية للأجانب أكثر من 700 كلمة وعبارة يومية لتعلم المالطية، آلان دو رايموند، 2017.

-Maltese for Foreigners: 700+ Everyday Words and Expressions to Learn Maltese, Alain de raymond, CreateSpace Independent Publishing Platform, 2017.

- اللغة المالطية في العصر الرقمي، جورج ريهم، هانز أوسزكوريت، 2012.

- The Maltese Language in the Digital Age, Georg Rehm, Hans Uszkoreit, Springer, 2012.

ومن الأعمال المتقدمة التي اهتمت بالأسلوب الصحفي كتاب:

- مالطية (اللغة) الصحافة المعاصرة، دراسة تحليلية مقارنـــة، ادوارد فينـــيش بريل، 1978.

- Contemporary Journalistic Maltese: An Analytical and Comparative Study, Edward Fenech, BRILL, 1978.

قد لا تعكس الدراسات الأكاديمية واقع اللغة في مالطا بدقة؛ لذا لجأنا إلى موقـــع كورا **quora** الاجتماعي، وأخذنا بعض الشهادات، يقول أحدهم:

" كنت في بنك محلي هذا الصيف، وكان هنالك ذلكم الرجـــل المســـن يشـــتكي (باللغة المالطية) من أن الرسالة التي تلقاها من البنك كانت باللغة الإنجليزية، لذلك لم يستطع فهم أي شيء. "هل تتوقع مني أن أبدأ بتعلم الإنجليزية في سن الثمـــانين؟ قال بصوت عال لأمين الصندوق.

لذا نعم، إذا كنت قادمًا إلى بلدنا، فلا تتوقـــع أن يعـــرف كبـــار الســـن اللغـــة الإنجليزية (على الرغم من أن بعضهم يفعل ذلك)، لكـــن الغالبيـــة العظمـــى مـــن الأشخاص المالطيين الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و60 عامًا يفهمون على الأقـــل بعض الإنجليزية؛ لذلك إذا كانت لغتك الأولى هي الإنجليزية، فستكون على ما يرام هنا "[28].

ويقول شاهد في موقع آخر:

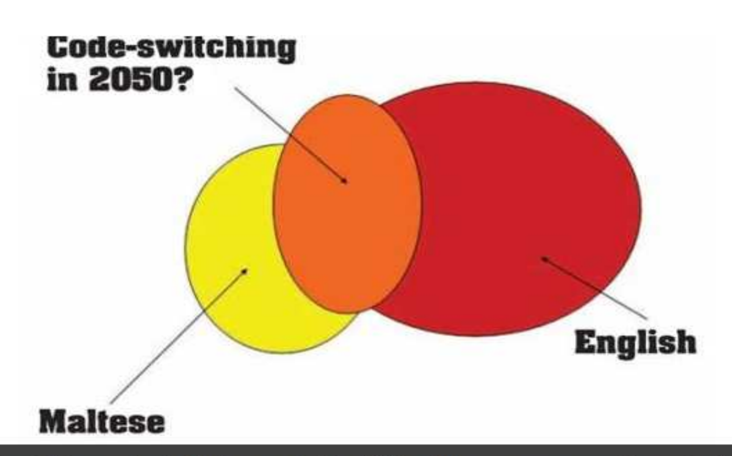
" لست متأكدا من كون اللغة المالطية تتلاشى ... من خلال تجربتي [لاحظـــت أنه] عندما يكون الكثير من المالطيين يفضلون " لغتهم" دون اللغة الإنجليزية، مـــن المؤكد أنهم جميعا يفهمون اللغة الإنجليزية، لاحظت أيضًا أن هناك اختلافًا كبيـــرًا بين المناطق المركزية، حيث تسمع اللغة الإنجليزية في معظم الأوقـــات، وأمـــاكن أصغر خاصة في الجنوب أو الشمال (مثل Zejtun أو Mgarr، في مالطا – وليس في غوزو)، حيث تبدو المالطية سائدة "[29].

حسب راي **فابري Ray Fabri** فإن من محاسن وجود اللغة الإنجليزية كون المالطيين ثنائيي اللغة، وتختلف الإحصاءات حسب السنوات والدراسات، ولكنها في الغالب تبين أن اللغة المالطية تستعمل بنسب تتجاوز 95%، ويختلف استعمال اللغة حسب المقامات والميادين، وحسب النطق والكتابة، فمتوسط اللغة المنطوقة أساسا يكون بالمالطية، في حين يغلب متوسط الكتابة بالإنجليزية[30].

يعرض راي **فابري Ray Fabri** إشكالا متعلقا بتعدد اللهجات المالطية والاختلاف بين هذه اللهجات صوتي أساسا، مع اختلافات صرفية ونحوية، ومثل هذه الاختلافات لم تحظ بالدراسة اللازمة[31]، وحسبه فإن إنشاء اتحاد الكتاب المالطيين سنة 1920 ونشر نظام إملاء رسمي* سنة 1934 كلاهما كان خطوة مهمة نحو تطوير اللغة المالطية بوصفها لغة رسمية[32] وعدا مجلس اللغة الوطني الحكومي فهنالك مؤسسات ترعى اللغة المالطية مثل أكاديمية اللغة المالطية، وكلية اللغة المالطية في جامعة مالطا، ومجلس الكتاب الوطني[33].

رغم الجهود المبذولة في خدمة اللغة المالطية، والتعايش الظاهر سواء في التعليم أم الشارع المالطي، فإن سؤال الأزمة والهوية يظل قائما، مثال ذلك مقال نشره الأستاذ بجامعة مالطا **جوزيف م برنكت Joseph M. Brincat** في جريدة المستقلة المالطية سنة 2015 بعنوان: أزمتنا اللغوية – الاعتناء بالطريقة التي نتحدث بها والطريقة التي نكتب بها – جاء فيه[34] أن النشر المحلي باللغة المالطية جيد وصحي، وكذلك الأمر بالنسبة للقنوات التلفزيونية والراديو وحضور المالطية في محركات البحث مثل غوغل، بالإضافة إلى زيادة ملحوظة في الطلبة الدراسين للغة المالطية مقارنة بالعقود الماضية، ولكنه يشير إلى الضغوط التي تتعرض لها المالطية من قبل الصحافيين والمدرسين والمترجمين، ويعرض لإشكالية النطق التي انحرفت عن اللهجات المالطية المعيارية، وغلبة المصطلحات الإنجليزية على التركيب المالطي، الأمر الذي يتجلي في البرامج التلفزيونية، وفي الإملاء الملاحظ في مواقع التواصل الاجتماعي، هي حسبه معركة صعبة ولكن الحلول متوفرة

منها اتباع المعايير القياسية أثناء الكتابة قــدر الإمكـــان، وتجنـــب الخطـــر غيـــر الضروري لاستبدال الكثير من المفردات الأصلية مع لغة أخرى **Relexification** داعيا إلى الاحتذاء باللغات الأوربية العظيمة بالحفاظ على التهجئة الأصلية عنـــدما تكون الكلمات غير قابلة للاستبدال أو التعـــديل، مثلمـــا فعلـــت الإنجليزيـــة مـــع **bourgeois** سنة 1604، و**boutique** سنة 1767، و**queue** (طـــابور) ســـنة 1918، والعبارة الإيطالية **sine qua non** بمعنى: شرط لا غنـــى عنـــه، ســـنة 1602، و**spaghetti** سنة 1845، و**festschrift** (كتاب تذكاري) ســـنة 1898 من غير أن تحس بالحاجة إلى تحويلها للصياغة أو النطق الإنجليزي، ثـــم نـــاقش **جوزيف م برنكت** قضايا أخرى متعلقة بشروط قبول الدخيل، وأورد هـــذا الشـــكل الذي يبين تنبؤا بنسب استعمال اللغتين الإنجليزية والمالطيـــة والتنـــاوب اللغـــوي **Code-switching** سنة 2050:



Will code-switching overshadow the language in future? Although the average person only uses about 7,000 words, mostly belonging to the core vocabulary, in code-switching any word from any language is possible. Note that Joseph Aquilina's Maltese-English Dictionary has 41,016 entries, its Concise edition has 22,649, Tullio De Mauro's Grande Dizionario Italiano dell'Uso has 251,209 and the Oxford English Dictionary has no less than 616,500.

خاتمة:

بعد أن درسنا طرفا من تاريخ اللغة المالطية، وواقعها المعاصر، يمكن أن نخلص إلى جملة نتائج:

- الوجود البريطاني في مالطا كان سببا رئيسا في إحلال اللغة الإنجليزية بدلا عن اللغة الإيطالية، وسببا في ازدواجية اللغة.

- اجتهد المالطيون جماعات وفرادى في الحفاظ على لغتهم الأم، وفي حمايتها وتطويرها، تجلى ذلك في الإرادة السياسية وفي القوانين التي أعطت هذه اللغة طابعا رسميا، فأسست مجلسا وطنيا للغة، وأكاديمية، وكلية تختص بها في جامعة مالطا، واتحادا للكتاب المالطيين.

- حضور اللغة في مناهج التعليم المالطية قائم على التخيير، وواقع اللغة في مالطا يوحي بأن المالطية لغة الثقافة المنطوقة، والإنجليزية لغة العلم – خاصة في الجامعة – المكتوبة.

- اجتهد اللغويون المالطيون في التعريف بلغتهم بمستوياتها المختلفة، وعادة ما يؤلفون باللغة الإنجليزية؛ رغبة منهم في بيان موقعها الإقليمي والدولي.

- اعتمد مجلس اللغة المالطية الوطنية مشاريع واقعية براغماتية تستجيب لمتطلبات العصر.

- انفتحت كلية اللسانيات على التكنولوجيا وعلى لسانيات الحاسوب وما تعلق بها، خاصة ما تعلق بالدراسات العليا.

- يجتهد اللغويون المالطيون – إضافة إلى دراساتهم الأكاديمية – في بيان واقع اللغة المالطية وترسيخ التعايش اللغوي بالنشر في المجلات والجرائد اليومية.

- التعايش اللغوي في مالطا مثال يحتذى من قبل الدول التي تسعى إلى إحداث سياسة لغوية جديدة، قائمة على الاعتراف بالهوية والانفتاح على لغات لها أثر في البحث العلمي.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية:

- أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998.
- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، شكيب أرسلان، دار الكتب العلمية، [د ط]، [د ت].
- المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد ألتونجي وراجي الأسمر، دار الكتب العلمية بيروت، [د ط]، [د ت].
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، [د ط]، [د ت].
- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [د ط]، 2003.
- الواسطة في معرفة أحوال مالطة، أحمد فارس الشدياق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، [د ط]، 2014.
- علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربية، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006.

المصادر الأجنبية:

- Introducing Maltese Linguistics, Bernard Comrie and othersAmsterdam, Philadelphia, John Benjamins Pub, Co, 2009.
- La langue maltaise et le passage à l'écriture, Martine Vanhove, Codification des langues de France, Paris, France, 2003.
- Languages in the European Information Society, Early Release Edition, Budapest, Hungary, 2011.
- Maltese Linguistics: A Snapshot in Memory of Joseph A. Cremona (1922-2003), Ray Fabri, Bochum: Brockmeyer, 2009.
- Maltese, Ray Fabri, revue belge de philologie et d'histoire, 2010.
- Performing National Identity: Anglo-Italian Cultural Transactions, Manfred Pfister, Ralf Hertel, amsterdam – newyork Ny: Rodopi, 2008.

- The Rise of Maltese in Malta: Social and Educational Perspectives, Lydia Sciriha, Intercultural Communication Studies XI: 3, 2002.

- Loan Verbs in Maltese: A Descriptive and Comparative Study, Manwel Mifsud, Leiden : New York: E.J. Brill, 1995.

المواقع الشبكية:

- https://www.britannica.com/topic/Maltese-language.

- https://www.timesofmalta.com/articles/view/20160608/opinion/The-language-question.614662.

- https://www.um.edu.mt/linguistics/people/rayfabri.

- Constitution of malta arrangement of articles https://psc.gov.mt/en/Pages/Legislation/Constitution-of-Malta.aspx.

- http://www.kunsilltalmalti.gov.mt/eng.

- https://www.gov.mt/en/Life%20Events/Moving-to-Malta/Pages/Education.aspx.

- https://www.um.edu.mt/arts/malti/avvizi/foreigners.

- https://www.quora.com/Are-there-Maltese-that-dont-speak-any-English.

- http://www.worldometers.info/world-population/malta-population/.

- http://www.expat.com/forum/viewtopic.php?id=645119.

- Our language crisis - looking after the way we speak and the way we write, Independent, Joseph M. Brincat, 21/07/2015.

http://www.independent.com.mt/articles/2015-07-21/local-news/Our-language-crisis-6736139221.

الهوامش

[1] – ينظر: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، أحمد فارس الشدياق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، [د ط]، 2014، ص 62.

[2] – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، [د ط]، [د ت]، (639/2).

[3] – أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998، ص ص 64-65. المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد ألتونجي وراجي الأسمر، دار الكتب العلمية بيروت، [د ط]، [د ت]، (428/1).

[4] – See: https://www.britannica.com/topic/Maltese-language.

[5] – See: Maltese, Ray Fabri, revue belge de philologie et d'histoire; 2010, p 791.

[6] – The Rise of Maltese in Malta: Social and Educational Perspectives, Lydia Sciriha, Intercultural Communication Studies XI: 3, 2002, p 96.

[7] – La langue maltaise et le passage à l'écriture, Martine Vanhove, Codification des langues de France, Mar 2003, Paris, France, p 1.

[8] – Lydia Sciriha, Op cit, p 96.

* لغة كنعانية سامية استخدمها الفينيقيون في شمال إفريقيا، تأثرت باللاتينية في مرحلتها الثانية. ينظر: علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربية، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة ط1، 2006، ص 254.

[9] – ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [د ط] 2003، ص 398.

[10] – The language question, Martin Scicluna, time of Malta, 8/6/2016.
See: https://www.timesofmalta.com/articles/view/20160608/opinion/The-language-question.614662.

* يقدر عدد سكان مالطا بحوالي نصف مليون نسمة.
See: http://www.worldometers.info/world-population/malta-population/.

[11]The language question, Martin Scicluna, time of Malta, Op cit.

[12] – ينظر: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، شكيب أرسلان، دار الكتب العلمية، [د ط]، [د ت]، ص 286.

[13] See: Performing National Identity: Anglo-Italian Cultural Transactions, Manfred Pfister, Ralf Hertel, amsterdam – newyork Ny: Rodopi, 2008, p 171.

[14] – See: Introducing Maltese Linguistics, Bernard Comrie and othersAmsterdam ; Philadelphia : John Benjamins Pub. Co., c2009, p 395.

[15] – Maltese Linguistics: A Snapshot in Memory of Joseph A. Cremona (1922-2003), Ray Fabri, Bochum: Brockmeyer, 2009, p 8.

* راي فابري أستاذ مشارك في علم اللغة ورئيس معهد اللسانيات بجامعة مالطا، ومؤلف كتاب عن الاتفاقية النحوية في المالطية سنة (1993)، فضلا عن عدد من الأوراق التي تتناول مختلف الجوانب التركيبية في المالطية بالتعاون مع مايكل روزنر Michael Rosner من قسم علوم الكمبيوتر والذكاء الاصطناعي في جامعة مالطا، يرأس حاليًا مشروع MLRS (خادم موارد اللغة المالطية)، الذي يهدف إلى تطوير معجم إلكتروني للمالطية. وهو أيضا عضو في المجلس الوطني المشكل حاليا للغة المالطية ويرأس لجنة داخل المجلس تركز على المالطية وتكنولوجيا المعلومات.

See: https://www.um.edu.mt/linguistics/people/rayfabri.

[16]– http://www.kunsilltalmalti.gov.mt/eng.

* إذا راجعنا الدستور المالطي فإن اللغة الرسمية للدولة هي المالطية، ثم يقرر أن المالطية والإنجليزية وأي لغة يقرها البرلمان بموجب قانون يوافق عليه في الأقل ثلثا أعضاء مجلس النواب هي اللغات الرسمية للدولة والتي يصح استعمالها في الإدارة، ويجب على الإدارة أن ترد على مراسلة المواطن باللغة الرسمية التي كتبت بها الرسالة وجوبا، في حين تكون لغة المحاكم هي المالطية وقد يجيز البرلمان استعمال الإنجليزية في ظروف خاصة ووفق شروط معينة.

Constitution of malta arrangement of articles, p 7.

See: https://psc.gov.mt/en/Pages/Legislation/Constitution-of-Malta.aspx.

* قال الأستاذ بجامعة مالطا إيمانويل ميفسود: أحدث العرب تغييرا مهما في الزراعة والدين وفي عاصمة المدينة، ولكن أهم إسهام كان في اللغة المالطية.

See: Loan Verbs in Maltese: A Descriptive and Comparative Study, Manwel Mifsud, Leiden : New York: E.J. Brill, 1995, p 23.

[17] – Ibid.

[18] – Ibid.

* يمكن أن نقارن واقع التعايش اللغوي بين المالطية والإنجليزية في مالطا، بـــاللغتين الملغاشـــية والفرنسية في مدغشقر، فالمالغاشية هي اللغة الرسمية للدولة وتكتب بأحرف لاتينية بعد أن كانت تكتب بأبجدية عربية تسمى سورابي، ومن أوجه التشابه بين مالطا ومدغشقر كونهما جزريتين.

[19] – Ibid.

[20] – Languages in the European Information Society, Early Release Edition, 2011, Budapest, Hungary, p 10.

[21]– Ibid.

[22]– Ibid, p 11.

[23] – Ibid, p 12.

[24] – https://www.gov.mt/en/Life%20Events/Moving-to-Malta/Pages/Education.aspx.

[25] – Ibid.

[26] – https://www.um.edu.mt/arts/malti/avvizi/foreigners.

[27] – See: https://www.um.edu.mt/linguistics.

[28] – https://www.quora.com/Are-there-Maltese-that-dont-speak-any-English.

[29] – http://www.expat.com/forum/viewtopic.php?id=645119.

[30] – See: Ray Fabri, Op cit, pp 801-802.

[31] – Ibid, p 804.

* لدراسة المشكلات التي عرفها الإملاء المالطي:

- See: Martine Vanhove, Op cit, pp 5-6.

[32] – See: Ray Fabri, Op cit, p 805.

[33] – Ibid, p 806.

[34] – Our language crisis – looking after the way we speak and the way we write, Independent, Joseph M. Brincat, 21/07/2015.

See:http://www.independent.com.mt/articles/2015-07-21/local-news/Our-language-crisis-6736139221.

جهود ومشاريع رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة صالح بلعيد في ترقيّة اللّغتين العربيّة والمازيغيّة في الجزائر

صلاح الدين يحي

جامعة مولود، معمري تيزي وزّو

salahyahia299@gmail.com

أ. لامية قداش

جامعة أمحمّد بوقرة بومرداس

□□□□: تعدُّ مشاريع وجهود البروفيسور صالح بلعيد اللّسانيّة من بنك الـذّخيرة اللّغويّة للتّراث الجزائريّ، فقد ألف مؤلفات ضخمة عظيمة تُبَـيِّن مصـادر اللّغـة الجزائريّة اللّغويّة الثقافيّة، وأصولها التاريخيّة لثنائيّة لغويّة جامعة موحّدة، تجمـع بين لغتّين تقترب أكثر ما تبتعد في جذر لغويّ واحد من حيث نبتا منـذ نشـأتهما ومن حيث ثبتا بالأصول اللّغويّة القديمة قدم الإنسان العربيّ والمازيغيّ القديم.

وتبيّنُ منشورات مختبر الممارسات اللّغويّة في الجزائـر نجـاح العديـد مـن المشاريع اللّغويّة الجامعة بين اللّغتّين المازيغيّة والعربيّة، وتثبت هـذه المشـاريع والمؤلفات اللّسانيّة العلميّة العظيمة نجاح ونجاع التّعدديّة اللّغويّـة الجامعـة فـي الجزائر بين المازيغيّات واللّغة العربيّة، ما جعلت الجزائر تصنف في صنف الدول الرائدة في التّعدّد اللّغويّ الجامع بين تعدديّة لغويّة عربيّة مازيغيّـة تجمـع أبنـاء الوطن الواحد مقوّمات لغويّة جامعة، يقول الدكتور صالح بلعيد في كتـاب (كنـز القبائل- أچرُّوجْ انلَقْبِايَلْ): "ويبارك المختبر هـذا المولـود الجديـد فـي إطـار المصالحة اللّغويّة، وفي البحث في التّعدّديّة الجامعة الموّحدة ويبارك للفريق العامل

على إخراج هذا العمل، وسيكون لهم الذّكر في لاحق من الزّمان، لما يقومون بــه من خدمة الشّان العام.

ولقد شرّفتني هذه اللّجنة الموقّرة بكتابة هذا التّقديم، وأنا ممنــون لهــم وســعيد بجهدهم، وفرح ببصماتهم الّتي وضعوها في الهويّة الوطنيّة؛ هويّة تعدّديّة موحّــدة هويّة محافظة على ثقافة السّلف، هويّة التّكامل والتّصاهر ومواصــلة التّحــديث."[1]

ويعتبر هذا المُؤَلَف الّذي يُثمن معطيات عمليات لسانيّة سابقة من البحث اللّغويّ في اللّغتين المازيغيّة والعربيّة؛ حيث سبقت هذا الكتاب مؤلفــات ومشــاريع ضــخمة عظيمة أبانت بوضوح وبيان تصاهر تعدّديّة لغويّة ضمن هويّة وطنيّة هويّة تعدّديّة موّحدة، وهويّة تراثيّة محافظة على ثقافة ما تركه السّلف للخلف ضــمن مــوروث لغويّ موحّد، وهويات لغويّة تكامليّة.

ولعلنا نبارك في هذا العمل الّذي أسس له وبدأه أستاذنا، وله فــي ذلــك فضــل السبق لهذه المشاريع الوطنيّة الراميّة والساميّة للجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّــة الشعبيّة، وله في ذلك فضل علينا في توحيد وحدة البحث العلميّ اللّغويّ واللّســانيّ العربيّ المازيغي، فنحن أبناء الجزائر تجمعنا لغتان موحّــدّتان عربيّــة مازيغيّــة يجمعها مختبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، والّذي انفرد به –صــالح بلعيــد– وانقادت لتخيلته طباعه وجذبت النبهاء حوله وأتباعه ومريديه، وهو صاحب تعــدّد وثنائي لغويّ فصيح للغتين العربيّة والمازيغيّة يتقنهما أيَّمَا اتقان في علوم اللّســان العربيّ الفصيح والمازيغي الفصيح؛ وهو عالم اللّغة العربيّة المازيغي كغيره مــن علماء اللّغة من غير العرب، وهو زبدة علوم اللّغة العربيّة والمازيغيّــة فــي هــذا العصر وخلاصّة جوهرهما، وصفوتهما وتصاهرهما ومواصلة التحديث فيهما وهو من العلماء الّذين أغرب بهم أهل المغرب العرب والغرب والشرق، وفاق بها علماء العصر من أقرانه في مشارق الأرض ومغاربها ولعلّ الشاهد على ذلك في هذا ما نذكره من مؤلفات تشهد بهذا فنذكر منها:

1- المازيغيات، صالح بلعيد، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر 2012م يقول في الكتاب: "أقدّم للقارئ مجموعة من الأعمال الّتي سبقت لي أن أنتجتها ذات وقت بخصوص المازيغيات، ... وفي ذات الوقت هناك بعض المستجدّات الّتي عملتُ على إدراجها في الكتاب ولكنّها تدور في خصوص المازيغية.

هي مقاربات/ مقالات بعضها سبق أن رأت النور في مجلاّت وطنيّة من مثل مجلة (معالم) الّتي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربيّة، وقد عهدت نفسي أن أتكفّل بموضوع دقيق وسمته (حكمة الأجداد) وإنّي في إطار البحث والتقصّي حول الموضوع، ولا أروم عنه ابتعاداً، وأسعى لجمع المادة اللازمة لاستكناه الموضوع المادي وإخراجه للقراء والباحثين.

وعبر هذه المقالات الست يعيش القارئ زخما معرفيا من الطروحات ذات العلاقة باللّغة الوطنية والتداخل اللّغويّ الحاصل بين المازيغية والعربيّة في غابر الزّمان، والّتي تزداد في الوقت الحالي بشكل مطّرد بفعل لغة المدرسة وهي العربيّة."[2] بهذه الأخيرة الّتي تتلمذ عليها وتعلَّم بها أبناء اللّغة المازيغيّة في كلّ مراحل التّعليم المختلفة من الابتدائي والإكمالي والثانوي والتّعليم العالي انتعشت هذه اللّغة بعدما كانت من قبل تكاد تضمحل وتندثر وتضيع بموت أهلها الأقحاح. وابتعادها عن النهج العلميّ الّذي اتسمت به بالوحدة اللّغويّة مع العربيّة "ولا يعني هذا أنّ المازيغيّة في انقراض، بل إنّ المازيغية تعيش مرحلة البعث بعدما أضحت لغة وطنيّة بحكم الدستور؛ وهي الآن تدرّس في المدارس والجامعات ولغة البحث في مراكز البحث، ولا شكّ أنّها تعرف الكثير من النقلات النوعية."[3] واللافت للانتباه أنّ اللّغتين العربيّة والمازيغيّة تعايشتا منذ أزل قديم في وحدة لغويّة متلائمة من التداخل اللّغويّ الجامع الموحّد بينهما إلى الخصائص اللّسانيّة والجغرافيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة والدّينيّة والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعيّة فإنّ البحوث اللّسانيّة المعاصرة باختلاف تخصُّصاتها وتنوُّعاتها أثبتت ذلك كعلم

الأنثروبولوجيا والمورفولوجيّة اللّغويّة للأجناس البشريّة والأطالس اللّسانيّة في اللّسانيّات الجغرافيّة وغيرها من العلوم المعاصرة الّتي أثبتت الانصهار اللّغويّ وكذلك اللّسانيّات الاجتماعيّة، والأنثروبولوجيا اللّغويّة الّتي تبحث في أثر اللّغة على الحياة الاجتماعيّة بما في ذلك علم الإنسان، والتطوّر البيولوجي له.

وفي ذلك الطلاسم اللّغويّة المازيغيّة؛ لأنّها لغة شفاهيّة لم تدون ولم تكتب ولم تجمع بحرفها الأصيل التيفيناغ وبقيت لغة تداول واستعمال شفاهيّة من القديم إلى اليوم" والّذي يهم في هذا هو مراعاة الموروث الثقافي المازيغيّ في شتّى جوانبه (المادي والمعنوي) ومراعاة مقام اللّغتين؛ كلّ لغة حسب مقامها الّذي أنزلها الاستعمال العفوي للمجتمع الجزائري؛ لغة عالمة=العربيّة، وهي اللّغة الجامعة الّتي لا تنفي وجود اللّغات الوطنيّة (المازيغيات) عبر التّراث الوطني بما تحمله من أداءات مختلفة."[4] ويظهر ههنا أنّ اللّغة العربيّة واللّغات المازيغيّة[5] تتحدّ ولا تتنافر تتفق ولا تختلف عكس ما يتوهم الكثير من الباحثين والعوام الّذين لا يفقهون في اللّغتين العربيّة والمازيغيّة شيئا يذكر لهم فسحقا لهذه السفاهة.

ويذكر البروفيسور صالح بلعيد هذه الحقائق العلميّة بين اللّغتين العربيّة واللّغات المازيغيّة، وهذه اللّغات وظيفيّة محليّة تُستعمل في مناطقها بصورة طبيعيّة، ولم تشكّل قضية ذات يوم، بل إنّا من روافد العربيّة، كما لم تشهد صراعاً مع العربيّة بتاتاً، ولكنها الآن هي لغات محليّة ضيّقة تحتاج إلى الترقيّة فما هي السبل الكفيلة بها."[6] وأتوقف عند هذا الّذي ذكره شيخنا-حفظه الله تعالى-فهذا التساؤل يَسْتَفِزُ القلوب الحية والضمائر القويّة والنفوذ الإراديّة لشحن الهمم وبعث همم الباحثين الغيورين على اللّغتين العربيّة والمازيغيّة في التعدّديّة اللّغويّة الوطنيّة الجامعة الموّحدة في مجتمع ذو ثنائيّة لغويّة.

ولعلنا لا نبالغ إذ نقول: إنّ الباحث صالح بلعيد أول لساني أمازيغي معاصر عرب اللّغة المازيغيّة بالحرف العربي؛ أي كتب اللّغة المازيغيّة بالحرف العربيّ وانتصر إليه على الحرف اللاّتينّي، وهناك من يشير إلى أعمال مولود معمري هذا

الّذي حاول جمع التّراث الأمازيغي في معجم موحّد فقد طاف أنحاء التّراب الجزائري لجمع اللّغات المازيغيّة على اختلافها لكنه لم يحقّق الغاية الّتي رغب فيها في إحياء هذا التّراث وبعثه من جديد، كان شغله الشاغل هو إحياء التّراث وبعثه من جديد بالحرف اللاتيني لا العربيّ كما يذكر الباحث إيدير إبراهيم: " وسنشير في مقالنا هذا إلى شخصية مولود معمري، الّذي يعدّ من أهم الشّخصيّات السبّاقة إلى إحياء التّراث أعاد الاعتبار له من خلال استنباط قواعد النّحو لهذه اللّغة ليخرجها من مجالها الشعبي إلى إطار أسمّى ألاّ وهو الإطار الأكاديمي لينفض عنها غبار النّزعة اللّهجيّة حتّى تصبح لغة أكاديمية مدرسية."[7] وعمل الباحث في التّراث المازيغي مولود معمري على بناء هيكل علمي أكاديمي للنّحو المازيغي بالمازيغيّة، وهذا العمل يعتبر مجازفة كبيرة؛ لأنّ اللّغة المازيغيّة لم تثبت بأي حرف تكتب ولا يعرف المازغيُّون كيف يكتبون المازيغيّة بحرف التيفيناغ المازيغي الأصيل الّذي لم يبق منه إلاّ الطلاسم، وحاول مولود معمري كتابة المازيغيّة بالحرف اللاّتينيّ الّذي بينَّ قواعد النّحو المازيغي ولم يكتبها مولود معري بذلك الحرف الأصلي، وحاول أن يصل إلى الغاية الّتي أرادها من وضع قواعد النّحو المازيغي، واستعمل مصطلحات نحويّة جديدة لم يستوعبها الباحثون والعامّة من الناس، يقول إيدير إبراهيم: " وقد حاول تسهيل القواعد كما ذكره في صدر كتابه **Tajerrumt** والّذي حث فيه القرّاء على الصّبر والتّمعّن حتّى يتمكّنوا من استيعاب هذه المفاهيم الجديدة، ومن أمثلة النقل الدلالي استعماله لكلمة **Afeggag** للدّلالة على الجذر **(Radical)** وكلمة **Afeggag** لغة: يطلق على إحدى العارضتين الأفقيتين من المنوال القائم **(Afeggag n uéeîîa)** كما نقل لفظة **Tameskata** التّرقيّة للدّلالة على مفهوم الكمّ، واستعمل كلمة **Iwûilen** للدّلالة على العناصر الظرفيّة المتّصلة بعلامات الجنس والعدد. وأما في مجال الاشتقاق نورد مثلا الاشتقاقات الميمية كما في: **Amaruz** بمعنى مقيّد، **Amarnu** بمعنى الإضافة **Ameqim** بمعنى الضّمير، **Amyag** بمعنى الفعل... الخ."[8] والملاحظ في قواعد

النّحو المازيغي استعمال مولود معمري بعض حروف التيفيناغ كـــالحرف $ و £ **ar$wli** و **a$warb** و **a$wrum**. والاسم في القبائليّة ذو نوعين اسم مذكر واســم مؤنث وأعطى مولود معمري بعض الخصائص الّتي تميز الاســم المؤنّــث فيبــدأ بحرف (t) قبل الحرف الصّائت مثل الحرف: **tafat** (ثَفَاثْ الضــوء) و **tili** (ثِيلِــيْ الظّل) و tu$mest (ثُوغْمْسْثْ سن جمعها أسنان) كما أنّ الأسماء المؤنّثة في كثير من الأحيان تنتهي بحرف (t) في حالة الإفراد..."[9] وهنا اقترب مولود معمري من أقسام الاسم وخصائصه في العربيّة (الاسم المؤنث وعلامته تاء التأنيث).

وأما الاقتراض اللّغويّ للغة المازيغيّة من اللّغة العربيّة فيقول مولود معمري: " أما الأسماء المقترضة من العربيّة ففي حين إخضاعها لنظام اللّغة الأمازيغيّة فإنّهــا تتبع قواعد الأسماء الأخرى مثل: **Ibir** (لْبِير البئر) **Ddin** (دِينْ الــدّين) فبقيــت بصيغتها الأصلية ويضاف إليها في القبائلية الصوت العربيّ (ال) التعريف كقولنــا: **Lwaqt** (لْوَقتْ الوقت) ويصبح الصّوت الأول مشدّدا بالنّسبة لـــ (ال) التعريــف كقولنا مثلا: **dduê** (دوح الدوح) **ssuq** (سوگ السوق) **rruê** (روح بعنى اذهب) بينما خُصّت أشكال أسماء القرابة وجميعها تنتهي بحــرف i و a مثــل: **baba** (پاپا أبي) و **mmi** (مِّي ابني) و **yelli** (يِّلي ابنتي) و **weltma** (وُتْمَا أختي)."[10] فيتبــين من هذا الاقتراض اللّغوي للمازيغيّة من العربيّة منذ القديم، ولم يظهر ذلك من اللّغة اللاّتينيّة. ويقسم مولود معمري الفعل في المازيغيّة إلى نــوعين: الفعــل العــادي **(amagnu–amyag)** مثل: **zmer** (إِزْمرْ) وفعل النّوعيّة (**amyag n t$ra**) مثل: meééi والفعل له ستة هيئات وهي:

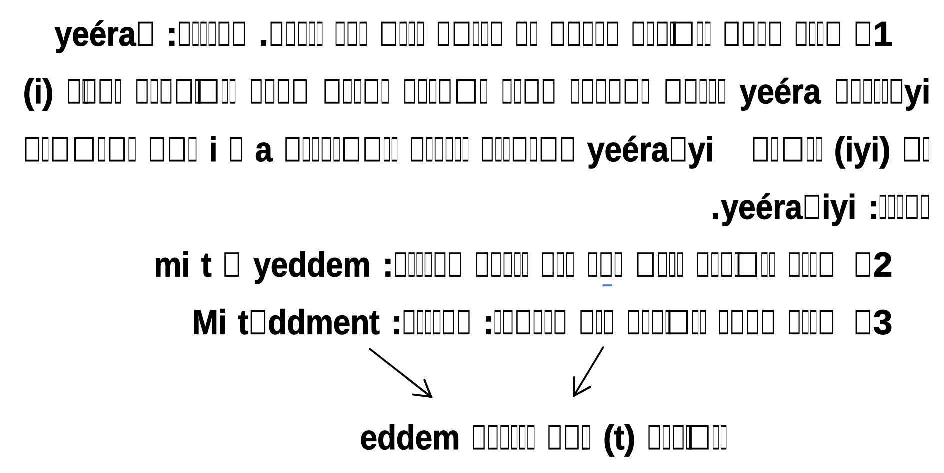
1- الأمر **(anav)** مثل: **afeg**.

2- الماضي غير المعيّن: **(tigawt taêerfit)** مثل: **afge$** فهو واقــعٌ بــين الماضي والمستقبل.

3- الماضي: **(izri)** مثل: **ufge$**.

4- صيغة تؤكد الكلام: **(ussid)** مثل: **ttafge$**.

5 اسم الفعــل: **(ama$un)** مثــل: yufgen ومثــل: **argaz amusnaw** ومثل: **argaz issnen**."[11] ونلاحظ تقسيم الفعل وهيئاته في اللّغة المازيغيّة يطابق تقسيمه في اللّغة العربيّة في فعل الأمر، وفي الفعل الماضي غير المعيّن الواقع بين الماضي والمستقبل؛ أي الحاضر، وهو الفعل المضارع في العربيّة، وفـــي الفعــل الماضي، وأكبر رهان تقارب في اسم الفعل لعلّ هذا ما تتماز به العربيّة والمازيغيّة عن اللّغات الأخرى. وهكذا في وضع النّحــو المـــازيغي فـــي تصـــريف الفعــل واشتقاقات الفعل في اللّغة المازيغيّة، ويوجد في المازيغيّة ثلاثة أنواع من الضّمائر: ضمائر تعود على المتكلّم وضمائر تعود على المخاطب، وضـــمائر تعــود علـــى الغائب، وتنقسم كما في اللّغة العربيّة إلى: ضمائر منفصـــلة، وضـــمائر متصـــلة وضمائر مستترة، وذكر موقع الضّمائر في أربع حالات:



4 في حالة وقوع الضّمير مفعولا به غير مباشر يأتي بعد الفعل وقبله ومثاله: **txav iyi abernus**."[12] وتتأكد العلاقة بين النّحو المازيغي والنّحو العربيّ بطريقة مباشرة في قاعدة استحالة التقاء ساكنين. والتداخل اللّغويّ بين العربيّة والمازيغيّـــة فيقول مولود معمري: "وما لاحظناه أنّ الضّمير يأتي دائما بعد الاسم كما هو الشأن في اللّغة العربيّة، ولا يقع أبدا قبله."[13] وهذه صلة القرابة بين اللّغة العربيّة واللّغـــة المازيغيّة القديمة قدم عصور الأولين من العرب والأمازيغ.

وتعدُّ تجربة مولود معمري في النّحو المازيغي التجربة الأولى؛ لأنّه لم يسبقه أحد بهذا الوضع وحيث كتب المازيغيّة بالحرف اللاتيني، ولكن أيمكن أن نضع قواعد لغة من اللّغات ما لم تكتب بحرفها الأصلي. والحقيقة أنّه كان يحاول التخلص من التبعيّة المازيغيّة للغة الفرنسية فهو في تسميته لبحثه استند إلى مصطلحات التّراث المازيغي لكنّه مكتوب بالحرف اللاتيني فيقول إيدير إبراهيم: "نستنتج أنّ مولود معمري أكثر استقلالية، وحتّى مصطلح **Tajerrumt** (تَجْرُومث) قد أُخذ من صميم التّراث كما ندرج استلهامه من التّراث العربيّ استعماله لمصطلح **Iskkilen n waggur** ؛ أي الأحرف القمريّة، و **Iskkilen n yiîj** ؛ أي الأحرف الشّمسية فالثقافة الغربيّة الواسعة للمؤلف لم تستطع أن تحجب معالمه واتصاله بالتّراث."[14] أي التداخل اللّغويّ الموحّد بين التّراث المازيغي والتّراث العربيّ وهذا وإن دلّ فإنّما يدلّ على ضرورة كتابة اللّغة المازيغيّة بالحرف العربيّ وتعريبها ما لم تكتب بحرف التيفيناغ، فثقافة مولود معمري الغربيّة الواسعة وكتابته المازيغيّة بالحرف اللاتيني لم يستطع بها فصل وحدتين لغويتين متداخلتين ومتكاملتين بين العربيّة والمازيغيّة، وإتقانه للفرنسيّة هو الّذي جعلّه يكتبها بالحرف اللاتيني لا الحرف العربيّ، وأشار إيدير إبراهيم: " ومن أهمّ ما يجلب الانتباه في التّصوّر التّركيبيّ في كتاب **Tajerrumt** هو جانب تبويب الكلم فالكتاب يخلو من أي استبداد للثقافة الغربيّة، ومولود معمري لم يطبِّق أحكام النّحو الفرنسي، على القبائليّة، فنجده يصنّف أبواب الكلم في القبائلية على الشّكل التّالي: الاسم أو ما قام مقامه والفعل والحرف.

- الاسم الدّال على المحسوسات مثل: **asif□ avar** .
- الاسم الدّال على المجرّدات مثل: **tamusni□ taguni**.
- أمّا الفعل فيدلّ على الحدث **(tigawt)** مثل: **Lêu** و **uzzlen**.

وعلاقة الفعل تتغيّر بحسب المتكلّم، أمّا الحرف فهو ليس باسم ولا بفعل مثل: **zik □mi keÇÇ** و **netta**."[15] فمولود معمري هنا لم يطبّق النّحو الفرنسي الّذي

يحوي تسعة أبواب بل ومال أكثر إلى نحو الألفيّة العربيّة."[16] فأشير وأقــول مــرة أخرى لما لم يوضع النّحو القبائلي بالحرف الأصلي لها التيفيناغ، وإلاّ أمكن ذلــك في حدود استنطاق واستقراء واستنباط البنية والوحدة اللّغويّة النّحويّة القبائلية ضمن البنيّة والوحدة اللّغويّة النّحويّة التيفيناغ، وبعيدا كلّ البعد عــن كتابتهــا بــالحرف اللاّتينّي وبما اقترب منه مولود معمري في ذلك من تقسيم أبواب الكلم في القبائليّــة ومال إلى الألفيّة في النّحو العربيّ.

وتبيَّنَ أنّ مولود معمري في دراسته للنّحو القبائلي اقترب من النحو العربيّ ولو بشيء ضئيل، وهذا ما اتضح في تقسيم أبواب الكلم في القبائليّة، وبَيَّنَ هذا اطلاعــه على النّحو العربيّ، وليس من الخطأ أن يُعَرِبَ صالح بلعيد القبائليّــة كمــا فعــل الباحثون أمثاله ممن كتب اللّغة المازيغيّة بالحرف العربيّ في دول المغرب العربيّ (المغرب، ليبيا، تونس، الجزائر)، وهذا الّذي اقترب منه مولود معمري في النّحــو القبائلي، وتقسيم أبواب الكلم في القبائلية، وميله إلى الألفية العربيّة من دون قصــد أراده هو لأنّه كان يبحث في أصول اللّغة المازيغيّة وقضايا الأصـــالة (ثاجــديث) وهذه الأخيرة أثبتت ذلك في المخطوطات الّتي كتبها القبائليون قديما فـــي الزوايــا والمساجد وفي كلّ مناطق الزواوة وغيرها قبــل أن تعــرف المازيغيّــة الحــرف اللاّتيني كتبت بالحرف العربيّ، وينادي صالح بلعيد صراحة إلى تعريب القبائليــة: "مرة أخرى أُعلمُ القارئ بأنّ بعض الأفكار والمقاربات كانت من تعريبـــي، وقــد نقلتها من اللّغة القبائلية وذيّلت ما هو يعود إلى الراوي/الرواة حفاظا على الأمانــة العلميّة الّتي درجت عليها في البحث العلمي النزيه. والبعض منها خلاصة لقــاءات متكرّرة مع كبار السنّ أكتب عنهم ما يخدم الموضوع الّذي أريد استخلاصه، كمــا أنّ بعض الأعمال تطلّبت منّي أكثر من 12 جلسة مع من يهمّه الأمر، وقد أَتْعبــتُ نفسي في الرحلة والتنقل بغية الوصول إلى الحقيقة والتثبت من قضايا علميّة تحتاج إلى تحرّج وتحرّز."[17] بعد هذا الجهد الفردي يسعى صالح في جهد جماعي يجمــع كنز القبائل فيقول فيه: " فإنّ هذا العمل يأتي في مرحلة الإقرار باللّغة المازيغيّة لغة

رسميّة، ولا بدّ لها من تهيئة قاعديّة، ومتن هذا العمل يدخل في مهيآت أوّليّة تخصّ الشّعر والأمثال والمسكوكات في منطقة القبائل الكبرى، كما يأتي هذا العمل مكتوبا بالحرف العربيّ؛ فإنّه ينتصر للحرف العربيّ إذا حصل تفاضل بينه وبين الحـــرف اللاّتينيّ، بمعنى أنّ العمل يميل إلى استخدام الحرف الأول للغة، وإذا جاء البـــديل فإنّ معركة الحرف تميل إلى تزكية الحرف العربيّ الّذي وقع تنميطه ومعيرته في مختبر الممارسات اللّغويّة."[18] ونبارك لوحدة وطننا وشعبنا الجزائري بقرار ترسيم اللّغة القبائليّة لغة رسميّة في الجزائر بعد اللّغة العربيّة في التّعدّديّة اللّغويّة الجامعة الموحّدة الّذي أصدر بتاريخ 06 مارس 2016م. بترسيم اللّغة المازيغيّة جنبا إلـــى جنب للغة العربيّة.

4- المعجم العربيّ المازيغي للشيخ محمّد أمزيان الحـــداد، تـــح: أ. د صـــالح بلعيد، بلقاسم منصوري، منشورات مخبـــر الممارســـات اللّغويّـــة فـــي الجزائـــر 2012م. وهذا أول معجم مازيغيّ عربيّ مخطوط حققه صـــالح بلعيـــد وبلقاســـم منصوري وهو يؤسس لبناء تكامل لغوي يجمع بين اللّغتّين العربيّة والمازيغيّة فلقد ذكر فيه :"وإن المعجم يعد لبنة طيبة يؤسس لبناء صرح معجمي للغتـــين العربيـــة والمازيغية ؛إذ رغم التاريخ الطويل والمشترك الّذي جمع بين اللغتـــين ؛إلاّ أنهمـــا تبقيان تفتقران الى معاجم تدرس مختلف الظواهر اللغوية التي أفرزها هذا التزاوج الذي جمع بينهما على مدى قرون طويلة، وهذا الامر وإن حصل سيكون بمثابة رد قاطع على كل مشكك يحاول افتعال وجود تصادم بين هاتين اللّغتّين"[19] أثبت هـــذا المخطوط القديم للشيخ محمد أمزيان الحداد التعايش اللغوي الجامع بـــين اللغتـــين المازيغية والعربية منذ زمن قديم، وقد حقق هذا التعايش اللغوي توافقا بين اللغتـــين وكان ردا قاطعا على كل مشكك في هذا التعايش اللّغويّ.

ونورد فيما يلي بعض النماذج الدالة على التعايش اللغوي في المعجم العربي المازيغي[20]: في الحقل الدّلالي (الوحوش).

□□□□□	الكلمة الأصلية كما وردت	معناها بالعربية الفصحى	معناها بالقبائلية
01	الْصد–السَبْعْ السبوع إذا كثروا	مذكر: الأسد–السبع جمع: أسود مؤنث: اللبؤة	اَيزَمْ–بلحارث إزماون إمشسن:شدَّ
02	النمر–النمور إذا كثرو	النمر: الليث	أغيلس
03	الضبع–الضبوع	الضبع:حيوان أعرج	أذبو–اسقض إثدو فثلاثة إضران
04	الذيب–الثعلب الذياب–الثعالب	الذئب–الثعلب: حيوانان متشابهان الذئاب–الثعالب	أوشن–إكعب ذلوحش إتشبهن أشانن–إكعبن
0 5	الحلوف جمع: لحلالف	خنزير جمع: خنازير	إلف إلفوان–إيلفن مؤنث: ثيلفث

يؤرخ المعجم العربي المازيغي لوثيقة تاريخيّة، وهي شهادة للشيخ محمّد أمزيان الحداد لتلك الحقبة التاريخيّة المهمة الّتي عرفت تعايشا لغويا بين اللّغتّين العربيّة والمازيغيّة، وقد رصد الشيخ الحداد المصطلح المستعمل من اللّغة الشفويّة والجدول أعلاه يبيِّن المفردات المتداولة في حقل الحيوانات المتوحشة منها، فالمتأمل في بعض تلك المفردات يجد استعمالا لمفردات بالعربيّة كما يظهر ذلك في أسماء الحيوانات: النمر، الذيب، السبع، فرغم اختلافها في النطق المازيغي إلا أنّها كانت مستعملة جنبا إلى جنب مع نظيرتها المازيغيّة: أغيلس، أوشن، إيزم، فهذا دليل على ذلك التأثير والتأثر الّذي عرفته اللّغتّان وقدرة الخط الخطي العربيّ على

احتواء أصوات المازيغيّة "برهن معجم الشيخ الحداد على قدرة الخط العربيّ في استيعاب كتابة المازيغية وذلك بإجراء تحويرات على بعض الحروف العربيـة"[21] ومن بين تلك التحويرات الّتي مست بعض الحروف العربيّة من خلال الجدول السابق ففي لفظ الذيب أصلها بالفصحى الذئب فالحرف الّذي تم تحويره هو الهمزة حيث أصبحت ياء وكما توجد في قبيلة من القبائل العربيّة تقرأ الذيب نفس الشّيء مع لفظ النمر أين نجد اختلافا في النطق بين اللّغتين ففي الفصحى تنطق النون مشدّدة أما بالمازيغيّة فتنطق ساكنة.

ونورد نموذجا ثانيا للمعجم في الحقل الدلالي (الحبوب والبقول)[22]: يوضّح الاقتراض اللّغويّ من اللّغة العربيّة إلى اللّغة المازيغيّة.

□□□□□	الكلمة الأصلية كما وردت	معناها بالعربيّة الفصحى	معناها بالقبائلية
01	قَمْحْ	القمح الشعير الذرة	إِرْذَنْ ثِمْزِينْ لْبَشْتَنْ
02	الفول الروز الجلبان(ة) العدس الحمص	الفول الأرز الجلبان(ة) العدس الحمص	إِبوَانْ الرُّوز أَجِلبَانْ–تَجِلْبَانْتْ الْعَطْسْ الْحَمْزْ

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه اختلافا في نطق الأصوات في بعض الكلمات كما في كلمة الحمص فينطق الحرف الأخير من الكلمة باستبداله بحرف الزاي فتصبح (الحمص=الحمز) وهناك في بعض المناطق ينطق بالصاد والأمر شتان مع كلمة (الرُّوز=الأرز) الّتي أصلها (الأرز) بالعربيّة الفصحى تم تحويرها فحذفت

الهمزة وأضيف للكلمة الواو من دون الإخلال بالمعنى طبعا، أما بالنّسـبة لكلمـة العدس تنطق الدال طاء أو ذالا في بعض المناطق، في حين نجد أن كلمة قمح الّتي تعني بالمازيغيّة (إِرْذَنْ- تنطق قمح بحذف الألف واللام ونطق القاف مفخّمة وهذا خير دليل على الاقتراض اللّغويّ للمازيغيّة من العربيّة. وقـدَ تـمَّ تحـوير تلـك الخصائص اللّغويّة في العربيّة: مثل الصّوتيّات المازيغيّة فـي التفخـيم والتشـديد والترقيق والادغام والنبر والمد والقبض... وغيرها من الظواهر الصّـوتيّة وكـذا النّحويّة والصّرفيّة والمعجميّة الدّلاليّة.

[illegible]: [illegible] ([illegible])[23]

[illegible]	الكلمة الأصلية كما وردت	معناهـا بالعربيّـة الفصحى	معناها بالقبائليّة
01	الفارس جمع: فرسان	الفـارس: راكـب الجواد جمـع: فرسـان السلطان أو القايد	أمناي جمع: إمناين خـدم القايـد أو السلطان
02	القوم	العساكر المرتزقة جزائريون عمـال فرنسا	أقـومي جمـع: إقومين العسكر نفرنس ذنسلمن
03	أطويل# قصير خشن #رقيق	الطويل #القصير الخشين# الرقيق	كميل # وزيل زور# رقيق
04	لوصيف جنس لكحولا	أوصاف الجـنس الاسود	أكـل: الجـنس أبركان-إفريقيا وادا

ونلاحظ من الجدول أعلاه التصاهر والاقتراض اللّغـويّ مـن العربيّـة إلـى المازيغيّة كلمة (القوم=أقومي) ولا ننكر مـا دام بحثنـا العلمـيّ للغـات يوضّـح خصائص كلّ لغة لذاتها ومن أجل ذاتها فإنّ المازيغيّة لغة تنفرد عن كـلّ اللّغـات بخصائها الجوهريّة، وأثبتت تقاربها اللّغويّ وتكاملها مع العربيّـة وهـذه شـهادة تاريخيّة قديمة حدث فيها تكامل لغويّ قبل أن تدخل لغة المستعمر الفرنسـي علـى اللّغة المازيغيّة فرضا قهريا.

5- هل تشتعل حرب الحروف، صالح بلعيد منشورات مختبـر الممارسـات اللغويّة في الجزائر2016: احتوى هذا المؤلَّف موضوعا شائكا؛ حيث حاول فيـه المؤلِّف حل هذه الإشكالات والتساؤلات الّتي أحدثت تعايشاً فكرياً وعلمياً جدلياً بين اللّغتّين العربيّة والمازيغيّة فتميزت دراسات هذا المؤلف بالانتصار للحرف العربيّ يقول صالح بلعيد: "حانت ساعة الحرب، ولتـدق المحـارف أجراسـها ولترفـع الأصوات في المنابر وتباع الصحف بالجملة في أرصفة المعابر وتختلط الأفكـار في مراكز البحوث، وتتناطح الحجَّجُ في ماضي الجوث وقد يحصل فرض الـرأي في السطور، وتنهار مملكة المأمور أقم الحُجَّة أيّها المختص، أيـن برهانـك أيهـا اللّساني؟ أبرز مقدرتك العلميّة أيّها الباحث وأظهر استباناتك الّتي تـدمغ المخـالف لتشتعل حرب الحروف في الجزائر"[24] فتتصارع الحروف وتنتصر لقوى التعـايش اللّغويّ بين اللّغات، وينتصر الحرف العربيّ على الحرف اللاّتينيّ في كتابة اللغـة المازيغيّة.

ويقول صالح بلعيد :"نرى أن القضية الان هي مسألة الصـراع بـين العربيّـة واللاتينية فإذا كان المكتوب باللّغة الأصل ينبئ عن الهويّة الحضاريّة فإنّ التيفينـاغ هو خير من يجسد هذه الهوية، واذا كان ولابدّ من بديل نظرا للمعطيـات العلميّـة وللتأخر الّذي شهدته هذه اللّغة؛ فإنّه يجدر بي أن أقول علينا التّفكير فـي مشـروع ملتقى مغاربيّ حول التّراث المازيغي المكتوب بالحرف العربيّ باعتباره مقوما من مقومات الثقافة الوطنيّة، ولا يزال معظم هذا التّراث لا يُعرف عنه الا القليـل"[25] إذ

لابدَّ من وحدة مغاربيّة عربيّة تتحد (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا) في اتخاذ القرار المناسب والأرجح في كتابة اللّغة المازيغيّة بالحرف العربيّ، إذا لم نتمكن من كتابتها بخطها الأصلي التيفيناغ. وهذا هو مسعى صالح بلعيد من خلال مشروعه المغاربي الكبير في توحيد اللغات المازيغية لتصبح لغة مازيغية واحدة في الوطن المغربي العربي، وتتّحد في كتابتها بحرف واحد إما بالتيفيناغ أو بالعربيّ؛ لأن اللّغة العربية أثبتت تعايشها مع اللّغة المازيغية، "ويجب ان نعلم أن الحرف العربيّ أعطى شكله لكثير من اللّغات العالميّة، وكتبت كما نطقت به كثير من لغات البلاد الإسلاميّة، وتمثّلته المازيغيّة مع الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا تمثّلا جادا لدرجة أن تركت حروف التيفيناغ واستخدمت الحرف العربي في المخطوطات الّتي وصلتنا من تلك الفترة؛ بل أخذت شكلها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا إلى غاية الاحتلال الكولونيالي الّذي أبعد العربية كما أبعد المازيغية من الكتابة والتدريس والاستعمال والتعامل"[26] وتبين مما سبق ذكره: التقارب اللّغوي بين العربيّة والمازيغيّة؛ لأنّ الحرف العربيّ أعطى شكله ورسمه لكثير من اللّغات العالميّة وبالخصوص اللّغة المازيغيّة الّتي كانت لغة المشافهة ليست لغة المكتوب وفي زمن الفتوحات الإسلامية عرفت هذا الشكل والرسم لدرجة أن تركت حروف التيفيناغ وارتكزت على الحرف العربيّ في المخطوطات، كما أثبت ذلك مخطوط (المعجم العربيّ المازيغيّ للشيخ محمد أمزيان الحداد) الّذي وصلنا من تلك الفترة (الفتوحات الإسلامية الّتي أثبتت أسبقية كتابة المازيغيّة بالحرف العربيّ على الحرف اللّاتيني قبل الاستعمار الفرنسي الّذي أبعد العربيّة كما أبعد المازيغيّة عن أصولهما.

6- الأمثال والحكم المازيغية المتداولة في بلدية معاتقة، كاهنة محيوت منشورات مختبر الممارسات اللّغوية في الجزائر 2012م، وهذا المؤلَّف أحد المشاريع الناجحة لمختبر الممارسات اللغوية في الجزائر ومن الأعمال العملاقة التي أشرف عليها صالح بلعيد، الّذي عنى فيه بجمع الأمثال والحكم المازيغيّة

المتداولة في منطقة معاتقة إحدى مناطق القبائل الكبرى هذه الأخيرة التي تكشف عن الموروث اللغوي والشعبي المازيغي ويعتبر هذا المشروع من الأعمال الّتي جمعت بين الجمع والتحقيق والترجمة ورد في مقدمة الكتاب :"ولقد رتبت هذه المادة ترتيبيا ألفبائيا، بالنظر الى القراءة الصوتية المازيغية وبالتالي اشتمالها على الحروف المفخمة أو المخففة أمثال: ث– ژ – چ...الموجودة في العربيّة الدارجة وحسبي أني قد زاوجت بين اللّغتين : العربيّة والمازيغيّة"[27]

[illegible]:

[illegible]	الأمثال والحكم	اللفظ بالمازيغية	اللفظ بالعربية
01	وُرتثْساوْضَضْ سَايَنْ يَلْهَان،أَلَمَّا ثَارْوِيحْثْ ثْهَانْ	ثْهَانْ	تُهَانْ
02	أُورْخدّمْ لْخِيرْ إِوِينْ اِثْتِسُّونْ،أُورْخذّمْ شّار إِوِينْ اِشفُّونْ	لْخِيرْ، شّار	الخير، الشر
03	ثَدَّارْثْ أُورنْسْعِي لْمَعْقُولْ،وَايْثَتنْ وَايْسْمُقُولْ	لْمَعْقُولْ	المعقول
04	دَعْوَاثْ نَالْوَلْدِينْ أَمُو مَسْمَارْ ذِي اللُّوحْ	دَعْوَاثْ، نَالْوَلْدِينْ، مَسْمَارْ	دعوات، الوالدين، مسمار
05	ذِي لْوَقْثْ نْدِّيقْ ،إِد يتْسقنْ وَرْفيقْ	لْوَقْثْ،نْدِّيقْ وَرْفيقْ	الوقت، الضيق، الرفيق
06	رَبِّي يجَّدْ أَفْدَّلْ،نَكْ قْرِيفْ مُّثَاغْ ذِي دَّلْ	رَبِّي، قْرِيفْ، دَّلْ	ربي، قريب، الذل
07	زْواجْ غارْ لْمَغْرفْ ،طْلاَمْ يقْرفْ	زْواجْ، لْمَغْرفْ، طْلاَمْ، يقْرفْ	الزواج، المغرب، الظلام، يقرب..

08	سي لَمَانْ إِدْ يكَّا الْخُوفْ	لَمَانْ، الْخُوفْ	الأمان، الخوف
09	عزْرايْنْ،مَدَّنْ آكْ يمُّثْ ،نكّْ مزَالَيثْ اِلَحُّو غَفْ ثْمُورثْ	عـــــزْرايْنْ، مزَالَيثْ	عزرائيل، مازال
10	فْكِيِي لَهْنا ،أَذْ تَشَاغْ أَكَالْ	لَهْنا	الهناء
11	لْخِير آقْدِيمْ يكْفا ،أَجْدِيذْ أو لاَنْسِي دْيِينولْفَا	لْخِير، آقــدِيمْ، أَجْدِيذْ	الخيـــر، القــديم، الجديد
12	لْهَمّْ بُومْغَار ذَاًصغار	لْهَمّْ	الهم
13	لَهْنَا ثْغَلْفْ لَغْنَا	لَهْنَا، ثْغَلْــفْ، لَغْنَا	الهنـــاء، يغلـــب، الغنى
14	ييرْ سْلْعَا ثْرنَا لَغْلاَ	سْلْعَا، لَغْلاَ	السلعة، الغلاء
15	يير لَجْرُوحْ حَلُّونْ ،يير لَهْــذُورْ قَــازنْ رنُّونْ	لَجْرُوحْ	الجروح

وتنتأ هَهُنَا صلة القرابة بين المازيغيّة والعربيّة قديما من رحم واحد، وهذا مــا يبرزُ في الامثال والحكم المتداولة في منطقة معاتقة الّتي تمثّل لغة القبائل الأقحاح غير المختلطة ألسنتهم باللّغات الأخرى كاللاّتينية وحتّى العربيّة بالخصـــوص و لا ينطقون بها؛ والحقيقة رغم كلّ هذه الأدلّة حول المازيغيّة الفصيحة بمنطقة معاتقــة إذ يثبت في أمثالهم وحكمهم تعايشا وتصاهرا لغويا فيقول صالح بلعيد :"إن اللّغــة المازيغيّة هي تلك اللّغة الّتي نحتاج إلى قاعدة خصوصيّة لقراءة تراثها والدفع بــه للتقعيد والوعي بثقافتها الّتي احتكت باللّغة العربيّة إن لم أقل تصـــاهرت معهـــا"[28] والشاهد التاريخي يثبت الاحتكاك اللّغويّ مع الفتوحات الإســـلامية بـــين العربيّـــة والمازيغيّة إلى أن أصبح تصاهرا لغويا وصلة قرابة لا يمكن أن ينكرها أحد قبـــل الاحتكاك الاستعماري الفرنسي وليد البارحة فيقول صالح بلعيد: "إن كتابة المازيغيّة بالحرف اللاّتيني زيادة لتوسيع الفرنسية في بلدنا لا غير فهو لا يعمل على ترقيـــة المازيغيّة بقدر ما يجرّها إلى حضارة غربيّة وهي ليست منها، بـــل يعمـــل الخـــط

اللاّتيني على إضعافها، وإن كتابتها بخطها الأصيل التيفيناغ هو العودة إلى الأصل"[29] وبالعودة إلى الأصل تتبيّن إرادة الشعب الأمازيغي في التصاهر اللّغوي بين اللّغة العربيّة والمازيغيّة مع الفتوحات الإسلامية، ويظهر غير ذلك مع الاستعمار الفرنسي الّذي فرض اللّغة الفرنسية فرضا قهريا.

7- كتاب القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللّغة الأمازيغيّة (اللّهجة القبائليّة) مجمع الملك فهد لطباعة المُصحف الشريف، لُقْرَانْ الْعَظِيْمْ ذُتَرْجَمَ الَّمَعَايْنِيسْ غَاللُّغَه اَتْمازِيغْتْ (اَسْتُقْبَايْلِيث) يَتْرَجْمِيثْ الشِّيخْ سي الحاج محند طيب، يعدُّ هذا العمل أكبر مشروع ضخم قدِّمَ في خدمة اللّغة المازيغيّة فليس من السهل ترجمة معاني القرآن الكريم، ولا يمكن مقابلة أي عمل من الأعمال في خدمة المازيغيّة بهذا العمل العظيم والكبير، والّذي بفضله ارتقت اللّغة المازيغية لتصل قلوب كلّ المسلمين في البلاد العربيّة وغيرها العالميّة، والّتي تسعى بها العمل العظيم إلى توحيد اللّغة المازيغيّة في دول المغرب العربي الجزائر والمغرب، وليبيا، وتونس وإلى غيرها من الدول، فبلغ عدد صفحات الكتاب (1143) صفحة هذا وإن دلّ فإنّما يدلّ على عظمة هذا العمل. وهذا أصدق مشروع في التعايش اللّغويّ بين اللّغتّين المازيغيّة والعربيّة.[30] وللشيخ أعمال كثيرة في ترجمة اللّغة العربيّة إلى اللّغة المازيغيّة[31]. وتعتبر هذه الترجمة من الترجمات العلميّة الأكاديميّة بحكم انتماء الشيخ سي حاج محند طيب إلى جامعة مولود معمري، وإلى المخبرين مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، ومخبر تحليل الخطاب أيضا بجامعة مولود معري تيزي وفي أحد الملتقيات الوطنيّة حول (الخطاب الدّيني بين إشكالات التمثّل وآليات التجديد) ألقى الأستاذ قاسي سعدي من قسم اللّغة المازيغيّة في اليوم الثّاني مداخلة في الجلسة العلميّة الثّانيّة يوم الثلاثاء 16 أكتوبر 2018م، موسومة بـ: (**La traduction saint coran de renouvellement du discours religieux**) (ترجمة معاني القرآن المقدس في ظل تجديد الخطاب الدّيني) تكلّم في هذه المداخلة عن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى المازيغيّة، وكان يحضر هذا المحفل والجمع العلمي شيخ المترجمين (سي حاج محند طيب) تكلّم قاسي

سعدي عن ترجمة سورة الإخلاص، وقال: لا يمكن اعتبار ترجمة القرآن الكريم إلى المازيغية بدلالته في العربيّة، ولا يمكن مقابلة ألفاظ عربيّة بالألفاظ المازيغيّة، ذلك لصعوبة الترجمة من أي لغة أكانت إلى لغات أخرى، وناقش مسألة تأخر ترجمة معاني القرآن الكريم إلى المازيغيّة، وقال بأنّ هذه النوع كان موجودا في المساجد والزوايا. إذ كان مشافهة يقرأ الإمام القرآن بالعربيّة ويترجمه ترجمة آنية فورية بالمازيغيّة، وهذا سبب تأخر الترجمة الكتابيّة؛ حيث كان يكتفي الناس بالترجمة الشفهية.

وفي نفس السياق ذكر الدكتور عبد العزيز نعمان في تعقيب له عن ترجمة قديمة لمعاني القرآن في سورة النّصر، قوله تعالى: ﴿إنّه كان توّابا﴾ وقال: بأنّ لفظة (توّابا) في العربيّة ترجمة بثلاث كلمات في المازيغيّة بـ (**Iwi le Grand Pardon accueillant**). وتكلّم شيخ المترجمين (سي حاج محند طيب) قال: ترجمة القرآن الكريم إلى المازيغيّة بالحرف العربيّ لا الحرف الأصلي؛ لأنّه لا يعرف القبائليون خط التيفيناغ ولا يقرأ عندهم ولا يكتب، ولا يعرفونه، وإذا حاولت البحث فيه والترجمة إليه ستكون هذه المحاولة الّتي أقوم بها هي محاولة الاتيان بحرف جديد في أبجديّة جديدة في التيفيناغ؛ لأنّه وجد حرف التيفيناغ ناقصاً ثمانية عشر فقط، وثمانيّة حروف مشتركة بين المازيغيّة والعربيّة، وتوجد خمسة أصوات فقط في المازيغيّة لا توجد في اللّغة العربيّة، ويمكن إصلاحها بالحروف الموجودة مع التعديل؛ بحيث لا نأتي بحرف جديد.

وأما اختياري للحرف العربيّ كذلك؛ لأنّه أثبتت بعض الدراسات أنّ التلميذ يتعلّم المازيغيّة مع العربيّة أو العربيّة مع المازيغيّة، تعلم اللّغتين معاً، وهذا ما أثبته علم النفس التربوي الحديث. وقال الأستاذ قاسي سعدي: " نعم عُرفت هذه الترجمة منذ عهد قديم مع المرابطين، فالحرف العربيّ موجود في بلاد القبائل منذ ذلك العهد ولكن لم تحدث الترجمة مع كونها كانت مشافهة في المساجد والزوايا عند الأئمة وعرفت بالترجمة الأنية.

والمحاولة الحقيقية والعلميّة الأكاديميّة الحديثة للغة المازيغية تمثّلت في تقعيد قواعد النّحو المازيغي محاولة (مولود معمري) الّتي كانت بحثا علميا جادا أكاديمياً كتبت فيه باللّغة اللاتينيّة ولم تكتب بالحرف العربيّ؛ لأنّ كلّ لغات العالم تكتب بالحرف اللاتيني كالإنجليزية والفرنسية.... الخ

وأما الدول العربيّة فإنّه لا توجد دولة عربيّة تقرأ المازيغيّة من غير الدول العربيّة المغاربيّة، فلا معنى لترجمة القرآن الكريم للمازيغيّة، إلاّ في لبنان فهذه الدولة لها من أصول اللّغة المازيغيّة قدم أصل نشأة اللّغات الساميّة والحاميّة؛ فهي من حام بن نوح. والشاهد على ذلك كتاب (الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة)[32]. وسُئل الأستاذ قاسي سعدي عن ترجمة القرآن الكريم في قوله تعالى: (واللّيل إذا عَسْعَسَ) في سورة التكوير فكلمة عسعس في العربيّة اختلف فيها المفسرون لدلالتها على معنيين فكيف نترجم هذه الكلمة؟ قال قاسي سعدي: هذه من خصائص اللّغات لكلّ لغة خصائصها، أقول لك كلمة بالقبائلية لم يستطع ترجمتها أحد بالعربيّة وهي (ثَبُوغَنِيْمِثْ) مُفردها (ثَغَانِيمْثْ) وتعني هذه الكلمة في القبائلية نوع من التين.

وكما يمكن اعتبار اللّغة العربيّة لغة جامعة ففي القرآن الكريم كلمات وألفاظ من لغات أخرى (كإستبرق، وفردوس، وقسطاس...) من الفارسية والرومانيّة والهندية... وغيرها من اللّغات."[33] ويقول صالح بلعيد: "لستُ هنا في موقع تبجيل القرآن الكريم أو لغة القرآن؛ فهما أشرف وأعلى من كلّ تعظيم ووصف؛ لغة انحنى لعظمتها المشاهير ومجّدها المستشرقون وقال فيها الشّعراء شعرا كبيرا، لغة لا تنازعها فيه لغة أخرى."[34] ويقول صالح بلعيد نقلا عن طالب عبد الرّحمن: "ترجمة معاني القرآن لا تُسمَّى قرآنا ولا متّسع لأن نؤكد أنّ الترجمة بشكل عام مهما كانت دقيقة وحاذقة لا يمكن أن تحقّق الأبعاد المطلوبة وأن ترجمة الألفاظ يمكن أن توقع بكثير من المخاطر وتزداد المخاطر أكثر فأكثر عند ترجمة النص الدّيني، هذا إضافة إلى ما يصطلح عليه عند علماء فقه اللّغة من ارتباط الأصوات بالمعاني، ودلالات الأصوات على المعاني."[35] ولهذا يجب العلم بأنّ التّرجمة لا تعني البديل عن القرآن كما أنّ

ترجمة معاني القرآن ليس ترجمة للقرآن الّتي لا يمكن أن تحصل فتصعب المحاكــاة والتماثل لاختلاف الخصوصيّات اللّغويّة بين اللّغات."[36] وإذا كانت أغلب لغات العالم قد ترجم إليها القرآن الكريم كالإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللّغات، ولماذا نفتخر ونعتز بترجمته إلى المازيغيّة؟

وأما الحديث عن اللّغة اللاتينية باعتبارها لغة كلّ لغات العالم فهي لغــات حديثــة النشأة تولّدت من لغات قديمة كانت أصلا لها، وهي قابلة للتغيّر والتحديث والتجديــد فقد تغيَّرت هذه اللّغات في أصواتها وتركيبها ونحوها وصرفها ومعجمهــا وألفاظهــا بفعل تغيُّر الزمان والمكان، فليست اللّغة الانجليزيّة الأمريكية ولا البريطانية الحديثــة هي اللّغة الإنجليزية القديمة، فلا يمكنها أن تحافظ على نفسها فكيف لهــا أن تحــافظ على لغة أخرى كتبت بحرفها كالمازيغيّة، ولعلّ الأقرب للصواب أن تكتب بــالحرف العربيّ لأن الحرف العربيّ لم يتغير من القديم إلى اليوم وإلى المستقبل. وهــل تقــرأ الدول الغربيّة اللّغة المازيغيّة إذا كتبت بالحرف اللاّتينيّ؟ ويرجــع الســبب الــرئيس لكتابة المازيغيّة بالحرف اللاتيني عند أغلب الّذين يميلون إلى الحرف اللاتيني لعــدم معرفتهم للغة العربيّة، ولعدم قوة إدراكهم واستيعابهم لعلومها كعلم النّحو أو الصّــرف أو البلاغة أو علم الدّلالة، والعربيّة في نظرهم أصعب اللّغات تعقيدا من اللاتينيّة فــي تعليمها وتعلم علومها. والبحث في حرف التيفيناغ أصبح شــبه مســتحيل ذلــك لأنّ التيفيناغ لم توجد حروفها الهجائية القديمة تامّة ووجدت ناقصــة، وأصــبحت بــذلك حروف التيفيناغ نماذج مختلفة بين الباحثين كنموذج الأوّل للأســتاذ محمّــد شــاكر والنموذج الثّاني (حاج باي) وكلٌّ من هذه النماذج اتخــذ لوضــعه نموذجــا خاصّــا ومختلفا عن الآخر خاصّة الأستاذ محمّد شاكر الّذي بحث في حرف التيفيناغ وقــال بأنّ أصل التيفيناغ من أصل اللّغة اللبيبية القديمة، وأما الحاج باي فقد اقترح التيفينــاغ النموذجيّة والمنظمة انطلاقا من الكتابة الصّوتيّة **A P I**: وهذا المقترح يقال إنّ جزءا منه استنبطه من التيفيناغ القديمة وجزءا آخر من التيفينــاغ الّتــي عُمــل بهــا فــي الأكاديمية البربرية بباريس."[37] والنموذج الثّالث النمــوذج الّــذي وضــعه (مولــود

معمري) و(رمضان عشاب)[38] النموذج الحديث بالحرف اللاّتيني الّذي جمع عدد قليل من حروف التيفيناغ والحرف اللاّتينيّ. ويقول صالح بلعيد: "ومن هنا رأينا أنّ المازيغية كتبت بالعربيّة في عصر الحضارة العربيّة (الموحّدون مثلا) وقبلها كتب التوارق التيفيناغ من اليمين إلى اليسار اقتداء بالعربيّة وحاليا عند أهل السوس في المغرب، كما كتبت بالحرف اللاّتيني في العصر الحاضر نظرا للمعطيات العصريّة وذلك ما لا نجده مثلا عند (مولود معمري) وجماعته والأكاديمية الفرنسية، وأهل الريف في الغرب."[39] فمنذ القديم ظهرت صلة القرابة بين اللّغة العربيّة واللّغة المازيغيّة قبل أن تكتب المازيغيّة بالحرف اللاّتيني كُتِبَتْ بالحرف العربيّ، وأثبتت صلة القرابة اللّغويّة بينهما منذ القديم، وفي النّحو المازيغي لمولود معمري ظهرت هذه القرابة في قواعد نحو اللّغتين.

ويبقى البحث عن حروف التيفيناغ أمرا محكوما عليه بالنهاية، ومن حيث وجدت البداية فهناك نهاية، وإن كانت البداية مجهولة، فالبحث عن المجهول معلوم والبحث عن المعلوم يبقى مجهولا فليس وراء المعلوم إلاّ المجهول.

□□□□□□: من خلال تحليلنا لبعض المؤلّفات اللّسانيّة الّتي تعبِّر عن مشاريع وجهود صالح بلعيد وغيره من اللّسانيّين والباحثين في اللّغتّين العربيّة والمازيغيّة توصّلنا إلى النّتائج التاليّة:

□ إنّ التعايش اللّغويّ بين اللّغتّين المازيغيّة والعربيّة حقيقة لا ريب فيها، إن لم نقل انصهارا لغويًّا كلّياً وخلاصّة جوهرهما، وصفوتهما وتصاهرهما ومواصلة التحديث فيهما التّأثر والتّأثير المتبادل منذ زمن الفتوحات الإسلاميّة؛ أي في عهد المرابطين الأمازغيِّين الّذين اعتنقوا الإسلام فكتبوا المازيغيّة القبائليّة بالحرف العربيّ، وتركوا مخطوطات ضخمة مغاربيّة مازيغيّة عربيّة في الزّوايا والمساجد في القرى والمداشر.

□ إنّ المشاريع والجهود اللّسانيّة المعاصرة الّتي سعت لكتابة اللّغة المازيغيّة بالحرف العربيّ ليست وليدة اليوم بل هي إرث الأجداد للأبناء خير ما ترك السلف

للخلف من مخطوطات قديمة كتبت بالحرف العربيّ في الزوايا والمساجد في زمن انفتاح الحضارة العربيّة على كلّ الشعوب؛ حيث تمثّلت هذه المشاريع والجهود في رغبة الأجداد للأبناء اليوم، وبعثه رسالة إسلاميّة لكلّ أجيالهم، ولا يظن ظان أنّ السلف تركوا للخلف الحرف العربيّ لغرض الدّين فقط بل لغرض العلم والمعرفة والحضارة ومعرفة علوم الحضارات؛ حيث كانت آنذاك اللّغة العربيّة لغة علوم الحضارات كلّها من اليونانيّة والفارسيّة والرومانيّة والهنديّة وكتبت اللّغة الفارسيّة بالحرف العربيّ، واختارت إيران الحرف العربيّ وتخلّت عن حروفها، واليوم هي دولة من الدول المتقدّمة وليست من الدول النامية، ولم تكن رغبة مفروضة فرضها أحد عليهم كما فعل الاستعمار الفرنسي بفرض اللّغة الفرنسيّة قهريا على أبناء الوطن الجزائري.

 يعود التعايش اللّغويّ بين اللّغتين العربيّة والمازيغيّة إلى صلّة القرابة الموحّدة بينهما فأصل اللّغات من سيدنا نوح عليه السلام، ومن أبنائه سام وحام ويفث تبدأ كلّ لغات العالم، وعلى رأسها اللّغات الساميّة والحاميّة من جذر لغويّ واحد فالعربيّة من اللّغات الساميّة وأختها البربرية من اللّغات الحاميّة.

 ترك الاستعمار الفرنسي في الجزائر نزعة غربيّة، وثقافة فرنسية على العالم والمثقف والجاهل والأمي، وألف مولود معمري تراثا ضخما للغة المازيغيّة تمثّل في كتابين: قواعد **Tajarumt n** النّحو القبائلي **Tamazir$t**، والثّاني في: معجم **précis de grammaire berbère** في قواعد لغة البربر. مكتوبين بالحرف اللاتيني غير معهود عند القدماء، وقد سبق إلى التأليف بهذا العديد من الباحثين الفرنسيين اللّسانيين الأنثروبولوجيّين الّذين جاءوا مع الاستعمار الفرنسي لمعرفة لغة البربر، ومن أجل السيطرة عليهم بمعرفة اللّغة الّتي يتواصلون بها. ورغم كتابة مولود معمري المازيغيّة بالحرف اللاتيني إلاّ أنّ تجربته أثبتت التعايش اللّغويّ بين اللّغتين العربيّة والمازيغيّة. فمولود معمري هنا لم يطبّق النّحو الفرنسي الّذي يحوي تسعة أبواب بل ومال أكثر إلى نحو الألفيّة العربيّة.

 لا يمكن أن نكتب اللّغة المازيغيّة بحرف التيفيناغ الأصلي؛ لأنّ حرف التيفيناغ الأصلي وجد حروفا معدودة لا تتجاوز ثمانية عشر (18) حرفا، ومن هنا ظهرت المحاولات والنماذج التجريبيّة المختلفة لكتابة المازيغيّة بحروف التيفيناغ كالنموذج التّجريبي الأوّل للأستاذ (سالم شاكر) وسميَّ (); وبعد ذلك أتى النموذج الثّاني للشيخ (حاج باي) في اقتراح التيفيناغ النموذجيّة والمنظمة انطلاقا من الكتابة الصّوتيّة الدولية A P I وهذا المقترح يقال إنّ جزءا منه استنبطه من التيفيناغ القديمة وجزءا آخر من التيفيناغ الّتي أخذ بها في الأكاديمية البربرية بباريس. وهكذا رغم هذين النموذجين التجريبيين في اللّسانيّات البربريّة لم يستطع أو يحاول أحد من الباحثين المحدثين العودة بها إلى الأصل. ولكن بعدهما جاءت محاولات أخرى للنموذج اللاّتينّي اعتمد اللّغة اللاتينيّة متمثلة في محاولة مولود معمري ورمضان عشاب الّتي أحيت بحث الفرنسيين اللّسانيّين الأنثروبولوجيين في اللّغة المازيغيّة وجاء بعد هذا النموذج الأمثل للمازيغيّة صالح بلعيد لما خلف السلف للخلف وهو إحياء الحرف العربيّ المبثوث في المخطوطات وثنايا الخطابات الشفاهيّة في الناس وفي أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم الّتي تصاهرت فيها اللّغتان، وحقّق المؤلفات الضخمة الشاهد على نشر اللّغة المازيغيّة في العالم وأمام كلّ اللّغات بترجمة معاني القرآن الكريم إلى المازيغيّة وبرمجتها في اللّسانيّات الحاسوبيّة ككلّ لغة من اللّغات العالميّة.

 أثبتت نتائج التحليل والدراسة في الدراسات اللّسانيّة المعاصرة لمختبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر للغتين المازيغيّة والعربيّة استنادا للبحوث الميدانيّة والدراسات الإحصائيّة وأبحاث الاطالس اللّسانيّة كما تمثل ذلك في كتاب (الأمثال والحكم المازيغية المتداولة في بلدية معاتقة)، وتتنأ هَهُنَا صلة القرابة بين المازيغيّة والعربيّة قديما من رحم واحد، وهذا ما يبرزُ في الامثال والحكم المتداولة في منطقة معاتقة الّتي تمثّل لغة القبائل الأقحاح غير المختلطة ألسنتهم باللّغات الأخرى كاللاّتينية وحتّى العربيّة بالخصوص و لا ينطقون بها؛ والحقيقة رغم كلّ هذه الأدلّة

حول المازيغيّة الفصيحة بمنطقة معاتقة؛ إذ يثبت في أمثالهم وحكمهم تعايشا وتصاهرا لغويا وتناسبا جنسيا بين الجنسين.

 شكلّ التقارب اللّغوي بين العربيّة والمازيغيّة نمطا موحّداً؛ لأنّ الحرف العربيّ أعطى شكله ورسمه لكثير من اللّغات العالميّة، وبالخصوص اللّغة المازيغيّة الّتي كانت لغة المشافهة، وليست لغة المكتوب، وفي زمن الحضارة العلميّة العربيّة الثقافيّة من كلّ الحضارات تعرفت المازيغيّة على هذا الشكل والرسم لدرجة أن تركت حروف التيفيناغ، وارتكزت على الحرف العربيّ في المخطوطات وغيرها من المؤلفات.

 اندرج الاقتراض اللّغويّ موضوعاً كبيرا في اللّسانيّات المازيغيّة؛ حيث نتأ الاقتراض اللّغويّ من العربيّة إلى المازيغيّة بقدر لا يمكن أن يعدُهُ الحاصون ولا يبلغه العادون، ولا ننكر ما دام بحثنا العلميّ موضوعيا للغات أن نوَضِّح خصائص كلّ لغة لذاتها ومن أجل ذاتها؛ فإنّ المازيغيّة لغة تنفرد عن كلّ اللّغات بخصائصها الجوهريّة، وقدَ تمَّ تحوير تلك الخصائص اللّغويّة في العربيّة للمازيغيّة لأنّ الحرف العربيّ أعطى شكله ورسمه وخصائصه لكثير من اللّغات العالميّة: مثل الصّوتيّات المازيغيّة في التفخيم والتشديد والترقيق والادغام والنبر والمد والقبض... وغيرها من الظواهر الصّوتيّة وكذا النّحويّة والصّرفيّة والمعجميّة الدّلاليّة. ورغم ذلك أثبتت تقاربها اللّغويّ وتكاملها مع العربيّة وهذه شهادة تاريخيّة قديمة حدث فيها تكامل لغويّ قبل أن تدخل لغة المستعمر الفرنسي على اللّغة المازيغيّة فرضا قهريا.

[illegible]:

---

[1]- صالح بلعيد، كاهنة محيوت، سي الحاج محند الطّيب، فؤاد لعربس، حياة بنـاجي، سـامية محيوت، حسيبة العربيّ، ورديّة قلاز، كهينة لرول، أحلام بن عمـرة عمـل جمـاعي، أجرُّوجْ انلَقْپايَلْ، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر 2016م، تصفيف وإخراج دار الأمـل تيزي وزّو، ص8.

[2]- صالح بلعيد، المازيغيات، ص3.

[3]- المرجع نفسه، ص3.

[4]- المرجع نفسه، ص4.

[5]- اللّغات المازيغيّة أو اللّهجات المازيغيّة في الجزائر (1-[illegible]: تيـزي وزّو/ بجايـة/ بويرة/ جزء من سطيف/برج بوعريريج/ بومرداس/ جيجل/. -2[illegible]: /باتنة /تبسة/ خنشـلة/ أم البواقي/ بسكرة/ ميلة/ سطيف/ قالمة/ سوق أهـراس/ **3**[illegible]: غردايـة/. 4-[illegible] (توارق): تمنراست/ إليزي/ أدرار/. **5**[illegible]: بليدة/ المدية/ البيض/ نعامة/ ترتكز أكثر فـي بشار/ تلمسان/ عين الدفلى/ تسمسيلت/ شلف/. **6**[illegible]: [illegible] **(**[illegible]**)** [illegible] **(**[illegible]**)** [illegible] /تيبازة/ المدية/ عيد الدفلى/ شلف/ شرشال/ قوراية/ وداموس والأرهاط/...الخ).

[6]- صالح بلعيد، المازيغيات، ص4.

[7]- إيدير إبراهيم، تجربة مولود معمري في ترقية اللّغة الأمازيغيّة، كتـاب أعمـال الملتقـى الوطني حول: التخطيط اللّغويّ 03-04-05 ديسمبر 2012م، منشـورات مخبـر الممارسـات اللّغويّة في الجزائريّ، ج3، ص167-181.

[8]- المرجع نفسه، ص169.

[9]- المرجع نفسه، ص172-173.

[10] - Mouloud Mammeri, précis de grammaire berbère, édition Ennas, 1992, p; 28.

[11] - Ibid, p; 28.

[12] - Mouloud Mammeri, Tajarumt n Tamazir$t, Bouchane, Alger, 1990, p; 37-38.

[13] -Ibid, p; 39. ينظر: إيدير إبراهيم، تجربة مولود معمري في ترقية اللّغة الأمازيغيّة، ص .170

[14]- إيدير إبراهيم، تجربة مولود معمري في ترقية اللّغة الأمازيغيّة، ص 170.

[15] - Mouloud Mammeri, Tajarumt n Tamazir$t, Bouchane, Alger, 1990, p; 21.

[16]- إيدير إبراهيم، تجربة مولود معمري في ترقية اللّغة الأمازيغيّة، ص 171.

[17]- صالح بلعيد، المازيغيات، ص4−5.

[18]- صالح بلعيد وآخرون، أجرُّوجْ انلَقْپايَلْ، ص7−8.

[19]- صالح بلعيد، بلقاسم منصوري، المعجم العربي المازيغي للشيخ محمّد أمزيان الحداد منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر 2012، ص7.

[20] - المرجع نفسه، ص 36

[21]– المرجع نفسه، ص 96.

[22]– المرجع نفسه، ص59.

[23]- المرجع نفسه، ص51.

[24]- صالح بلعيد، هل تشتعل حرب الحروف، منشورات مختبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر2016، ص7.

[25]- المرجع نفسه، ص155.

[26]- المرجع نفسه، ص155−156.

[27]– كاهنة محيوت، الأمثال والحكم المازيغية المتداولة في بلدية معاتقة، منشورات مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر 2012م، ص14.

[28]- صالح بلعيد ،المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة ،2011، ص19.

[29] – المرجع نفسه، ص49.

[30]- سي حاج محند طيب، القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللُّغة المازيغيّة (اللّهجة القبائليّة) مجمع الملك فهد للطباعة المُصحف الشريف، المدينة المنورة، 1433ه.

[31]- سي حاج محند طيب، مريم وعيسى عليهما السّلام في القرآن لاَلاَ مَرْيَمْ ذِلْقْــرَان، نَتَّـــاثْ اَدْسِذْنَا عيسى، ماذا قالوا في الإسلام ونبي الإسلام...؟ ذَاشُــو إِذَنَّـــانْ ذِ الإِسْــلام يُــوك ذَنْبِـــي الإسلام...؟.

[32]- أمين معلوف، الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة: نبيــل محســن، دار الهلال، مصر.

[33]- مخبر تحليل الخطاب ينظم الملتقى الوطني حول: الخطاب الدّيني بين إشــكالات التمثّــل وآليات التجديد، يومي 15و16 أكتوبر 2018م، في اليوم الثّاني الثلاثاء 16 أكتوبر 2018م، في الجلسة العلميّة الثّانيّة ألقى الدكتور قاسي سعدي مداخلته الموسومة بــ: **La traduction saint (coran de renouvellement du discours religieux)**.

[34]- صالح بلعيد، المازيغية في خطر، ص233.

[35]- عبد الرّحمن طالب، العربيّة تواجه التحديات، قطر، 2006م، مطبوعات وزارة الأوقــاف والشؤون الإسلاميّة، سلسة كتاب الأمّة العدد 116، ص9.

[36]- صالح بلعيد، المازيغية في خطر، ص237-238.

[37]- صالح بلعيد، في المسألة المازيغيّة، الجزائر: 1998م، دار هومة، ص..

[38]- إيدير إبراهيم، تجربة مولود معمري في ترقية اللّغة الأمازيغيّة، ص 179.

[39]- صالح بلعيد، هل تشتعل حرب الحروف، ص134.

أثر ترقية الأمازيغية في تنمية الرصيد اللغوي والمعرفي للفرد

أ. عبد الحليم معزوز
أستاذ محاضر قسم ب
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة
abdelhalimmazouz@ymail.com

الملخص:

تعد الجزائر من الدول الأكثر تنوعا جغرافيا وثقافيا، إذ تمتزج فيها أصناف ثقافية متنوعة في مكوّن واحد متناسق الأبعاد تتعايش فيها لهجات عديدة تختلف في بنياتها السطحية، لكنّها تتناغم فيما بينها لتشكل هوية واحدة غنية في محتواها قوية بتنوعها.

وقد ساعد الاعتراف بهذا التنوع وإثراؤه في إضفاء صفة تميز المجتمع الجزائري عن كثير من المجتمعات، إذ أسهم تعايش المكونات المتنوعة للهوية الجزائرية في تكوين مجتمع فريد بتاريخ ضارب في القدم تعاقبت عليه ثقافات مختلفة وكثيرة أثرت في تكوينه وأسهمت في إثرائه.

عرفت السياسة اللغوية في الجزائر تطورات ومستجدات كثيرة منذ الاستقلال إلى الوقت الحاضر، حيث تفاوتت بين الازدواجية اللغوية بين العربية والفرنسية بتأثير الاستعمار الفرنسي للبلاد، ثم تلاه اتجاه نحو سياسة التعريب وترقية اللغة العربية وجعلها مهيمنة على معظم مناحي الحياة دون التخلص تماما من استعمال اللغة الفرنسية، وأخيرا كان التوجه إلى الاعتراف بأحد أهم مكونات المجتمع الجزائري وهي اللغة الأمازيغية وترقيتها إلى لغة وطنية أولا ثم جعلها لغة رسمية بجانب اللغة العربية.

تحاول هذه المداخلة ملامسة الآثار الإيجابية لترقية اللغة الأمازيغية في تنمية الرصيد اللغوي للفرد، وكذا النظر في تأثير ذلك على تحفيز الفرد للتعرف أكثر على ثقافته والوقوف على كل الجوانب التي تكوّن هويته وبالتالي إثراء الرصيد المعرفي له وتعزيز شعوره بالانتماء إلى هذا المجتمع بتنوعه.

مقدمة:

تعد الأمازيغية اللسان الأصلي لشعوب شمال أفريقيا وهي من الألسنة القديمة التي عمرت طويلا، وحافظت على كثير من خصائصها رغم ما عرفته هذه المنطقة من حملات استعمارية والتي استمرت قرونا عديدة، فكما قاوم الأمازيغ من أجل العيش في حرية قاوموا أيضا من أجل الحفاظ على لسانهم، إلى أن حلّ المسلمون فيها ناشرين للدين واستقروا في تلك البلاد، فانتشر بذلك اللسان العربي فيها كونه اللسان الناطق بهذا الدين، ومع احتضان الأمازيغ للإسلام والعرب إلا أنهم حافظوا على لغتهم، وظلت أقطار كثيرة في شمال إفريقيا تستعمل اللسان الأمازيغي.

والجزائر – كونها جزءا من بلاد شمال إفريقيا– قد عرفت نفس الوضع السابق، إذ يعد الواقع اللغوي فيها غاية في التعقيد، وترجع خولة طالب الإبراهيمي هذا الأمر إلى "وجود لغات أو بالأحرى عدّة تنوعات لغوية variétés linguistiques... واقع متقلب تتخلله صراعات خفية (وأحيانا ظاهرة)، في طور التغيّر الجمّ بسبب آثار السياسة الثقافية (...) وكذلك بسبب تشابك وتداخل عدّة مجتمعات متعايشة لها تصوراتها ومجالات استعمال بعينها، وكذلك من حيث الممارسات الحقيقية للناطقين، وهاهنا نلمح إلى ظواهر التعاقب اللغوي/ التناوب اللغوي (code switching الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء الكلام) أو l'alternance codique والاقتراض وظواهر الاحتكاك اللغوي بوجه عام"[1].

1 الواقع اللغوي في الجزائر:

ظهر التنوع والتعقيد والاضطراب في الواقع اللغوي في المجتمع الجزائري بشكل أكثر وضوحا غداة استرجاعه حريته من الاستعمار الفرنسي، إذ ظهرت طبقات مختلفة في المجتمع الجزائري توظف كلّ واحدة منها نمطا لسانيا خاصا، إذ أسهم تواجد الفرنسيين في الجزائر لفترة طويلة تجاوزت القرن من الزمن في تراجع استعمال اللسانين العربي والأمازيغي وهيمنة اللسان الفرنسي الذي انتشر استعماله في كل مظاهر الحياة اليومية ومختلف التعاملات، حيث سعى الفرنسيون إلى طمس الهوية الجزائرية تمهيدا لجعلها تابعة لها وامتدادا لأراضيها، وكانت السبيل إلى ذلك هي محو مقومات تلك الهوية من دين ولسان وثقافة.

وبعد الاستقلال حاولت الجزائر إعادة بناء هويتها من جديد وذلك من خلال محاولة إعادة الاعتبار لتلك المقومات التي عكف الشعب الجزائري في الدفاع عنها إلى حد التضحية بالنفس وكل ما يملك من أجل الحفاظ عليها، حيث "أجمعت أحزاب الحركة الوطنية على التعريب وفي مقدمتهم القيادات الثورية الأمازيغية. لكن عملية التعريب لم تكن ناجحة، مع هذا لم تفشل، لأسباب عديدة، أهمها عدم جدية الدولة في التعريب حيث تركت المجال قويا للفرنسية التي أصبحت أقوى في عهد الاستقلال. كذلك تخلف آليات التعريب"[2].

وكان من نتائج فشل عملية التعريب التي انتهجتها الجزائر أن فتحت المجال لظهور صراع لغوي بين تيارات متطرفة في بعض أشكالها تسعى كل واحدة منها إلى فرض رأيها وتوجيه الرأي العام نحو ما تدعو إليه، وقد صنّفها عزالدين المناصرة إلى أربعة تيارات هي[3]:

التيار الأول: عروبي ديمقراطي، يرى أن الأمازيغ (البربر) هم عرب هاجروا من فلسطين إلى أفريقيا الشمالية بعد هزيمة (جالوت الفلسطيني). واللغة الأمازيغية هي إحدى فروع اللغة الكنعانية القرطاجية. ويرى هذا التيار أن اللغة العربية هي الموحدة للأقطار المغاربية، ويمكن تدريس الأمازيغية بصفتها لغة ثقافية قديمة في

الأقسام المتخصصة في الجامعات، وفي المدارس كلغة وطنية ثانية على أن تُكتب بالحروف العربية أو تحتفظ بشكلها الأصلي بعيدا عن محاولات ربط الأمازيغية باللاتينية لأنها محاولات مفتعلة.

التيار الثاني: عروبي ديكتاتوري، يوجه تهمة (الخيانة العظمى)، للعرب الأمازيغ وتهمة التبعية لفرنسا، ويرفض هذا التيار خصوصية الثقافة الأمازيغية ضمن مفهوم وحدة المغرب العربي الكبير. دون معالجة للمشكلة، والغريب أن هذا التيار لا يعترف أصلا بوجود مشكلة.

التيار الثالث: تيار أمازيغي ديمقراطي يؤمن بالإسلام والعروبة كعنصرين هامين من عناصر الشخصية البربرية. لكنهم يقترحون هامشا من الحرية للتعبير عن هذه الخصوصية الأمازيغية في إطار التعددية الثقافية ضمن وحدة المغرب العربي الكبير. ويؤمنون باللغة العربية كلغة موحدة ورسمية وقانونية.

التيار الرابع: تيار أمازيغي غرائزي، يؤمن بالنزعة الأمازيغية التي تعني جعل الأمازيغية لغة موازية للغة العربية الرسمية. وهم يقولون أنهم أصحاب الأرض الأصليين وأن العرب كانوا (غزاة) وأن جذور اللغة الأمازيغية مرتبطة باللغة اللاتينية. ويقود هذا التيار عملية كتابة اللغة الأمازيغية بحروف لاتينية بتشجيع فرنسي واضح ومفهوم.

ظل هذا الواقع المضطرب سائدا في الجزائر إلى الوقت الحاضر، وازدادت حدته بمرور الزمن، إذ تحوّل في بعض الأحيان إلى نزعة متطرفة إقصائية للآخر تسهم آراؤها في توسيع الهوة بين أبناء الوطن الواحد، وشمل هذا الاتجاه كلاًّ من التيار العروبي الذي يقصي العنصر الأمازيغي، و التيار الأمازيغي الذي يرى في العنصر العربي تهديدا لهويته ولقيام القومية الأمازيغية ويذهب إلى حد تقبله للسان الفرنسي على حساب اللسان العربي كردة فعل على تعنّت التيار الأول.

ويمكن أن نورد بعض الأمثلة حول هذين التيارين المتنافرين في الجزائر، إذ يبرز ضمن التيار الأول رأي محمد العربي ولد خليفة الذي يعتبر الأمازيغ أقلية في

المجتمع الجزائري، ويسميهم مزدوجي اللغة، وأن أغلبهم "يتكلمون العربية بحكم أنها لغة التعليم ابتداءً من الطور الأول كباقي الجزائريين، كما أنها لغة العبادة بها يصلون ويقرأون كتاب الله، وتمثل نسبة هؤلاء المزدوجي اللغة (عربية – أمازيغية) من 5 إلى 6٪"[4]، ويعتبر عمر ديدوح اللغة العربية في الجزائر بمثابة "وعاء حفظ شخصية الشعب الجزائري من الاندماج في الشخصية الفرنسية فقاومت عوامل المسخ، والتدجين اللذين خططت لهما السلطات الاستعمارية ضمن مخططاتها الواسعة، من تنصير، وتدمير للمقومات الأساسية، الدينية، والاجتماعية والتاريخية، والنفسية، والاندماجية مع دعاة الإدماج"[5].

وكغيره من العروبيين، فإن عمر ديدوح يعتبر أن المساس باللسان العربي هو مساس بالدين وبالقرآن الكريم، وواضح أنه تبرير يقصد منه استمالة العاطفة الشعبية التي تعدّ الإسلام من أهم مقومات الهوية الجزائرية، إذ يقول: "لقد ظهرت على أرض الواقع اللغوي في الجزائر أصوات ناشزة لم تنل وفاق كل الجزائريين بمن فيهم الأمازيغ الخلص المؤمنون بوحدة الجزائر وبقداسة اللغة العربية المرتبطة برسالة النور فهي قائمة مستقرة ما أقام القرآن واستقر، وهي راحلة مستنفرة ما ارتحل القرآن الكريم"[6]. ويتهم من يطالب بالأمازيغية أنه عميل لفرنسا وأن مطالبه تلك كانت بإيعاز من الفرانكفونيين الذين يبطنون حقدا للعربية وما يرتبط بها، يقول في ذلك: "مع كل ذلك تطفو على سطح الواقع شعارات زائغة تحنّ إلى لغة المستعمر حيناً، وتطالب بترسيم اللغة الأمازيغية حيناً آخر ليلتف ما يعرف بالفرانكفونيين بالأمازيغيين وكلما شعر الفرانكفونيون بانحسار وجودهم لدى الطبقات الشعبية طلبوا المدد من التيار الأمازيغي بدعوى وطنية اللغة الأمازيغية ولسان حالهم يقول ابقوا على الفرنسية نرفع أيدينا عن العربية"[7].

ومن التيار الثاني تبرز آراء الداعين إلى جعل الأمازيغية لغة رسمية بالموازاة مع العربية، ويتجاوزون ذلك في بعض الحدود للدعوة إلى استقلال الأقطار التي يسود فيها اللسان الأمازيغي والمطالبة بحكم ذاتي في تلك المناطق، وهي مطالب لا

شك أنها نابعة عن تعصب مبالغ فيه للأمازيغية وإقصاء لمكوّن أساسي للمجتمع الجزائري.

ونتيجة لذلك، فإن المجتمع الجزائري في أيامنا يشهد تمايزا واضحا في مستواه اللغوي، إذ يتكوّن من فئات لغوية متفاوتة من حيث توزعها الجغرافي وكثافتها العددية. يلاحظ صالح بلعيد أن الخريطة اللغوية في الجزائر "توضّح لنا أنّ درجة استعمال اللغات في الجزائر ليس متماثلا، فالدارجات الجزائرية تهيمن عل السوق الشفوية، وتحقّق تواصلا بين المجموعات اللغوية المختلفة فالعربية الفصيحة والفرنسية لا تستعملها إلاّ أقلية من المثقفين، والأمازيغية أمازيغيات؛ وهي شتات لها مناطقها النافذة وتأدياتها المختلفة التي لا تتفاهم مع بعضها البعض. ومن هذا التقسيم يمكن إجمال الوضع اللغوي الجزائري كما يلي:

1-اللغات ذات الانتشار الواسع: العاميات أو الدارجات العربية، وهي متنوّعة ولكنها تتحكم إلى قواسم مشتركة ؛

2- اللغات المحلية: الأمازيغية بمختلف تأدياتها ولهجاتها؛

3- اللغات الكلاسيكية: العربية الفصيحة واللغة الفرنسية"[8].

فنلاحظ أن صالح بلعيد يعد الأمازيغية لغة محلية تختلف تأدياتها حسب المناطق التي تستعملها إلى درجة عدم التفاهم بين مستعملي تلك الأشكال اللغوية المختلفة كما أنها تشغل منطقة جغرافية ضيقة إذ تنتشر في مناطق محدودة في الجزائر إلى حد وصفها بالشتات، وقد أسهم التهميش الذي تعرضت له بعد الاستقلال في حالتها هذه.

2 السياسة اللغوية في الجزائر:

تعد السياسة اللغوية "مجموع المبادئ والمعايير التي يراعيها نظام البلد في بناء الخطة المعتمدة في تحديد وظائف الاستعمال اللغوي في المجالات المختلفة، وترقية الاهتمام بشأن اللغة الوطنية وتنظيم التعامل الإيجابي معها ومع اللغات المساعدة مع إبراز الاتجاهات العملية التي تضبط وضع اللغة ودرجة الاهتمام بها في كل مجال من مجالات الحياة داخل أنظمة المجتمع ومؤسساته"[9].

فغداة الاستقلال كان لزاما على الجزائر إعادة بناء الدولة من جديد من خلال إعادة الاعتبار لمقوماتها، وما ترتكز عليه الهوية الجزائرية، فعمدت إلى سياسة "التعريب ولا غير في المنظومة التربوية لكن في الواقع اللغة الفرنسية لم تختف من التعليم و المدرسة الجزائرية ، وهو ما جعل السياسة اللغوية في الجزائر تعطي الأولوية لأحادية اللغة وهي العربية دون إقصاء اللغات كاللغة الفرنسية، لاختيارات سياسية محضة"[10].

كان هذا الوضع المتذبذب في الجزائر، والذي ينبني على رغبة في محو الماضي الاستعماري بكل مظاهره من جهة والواقع الذي يمثله مجتمع أغلبية مثقفيه فرانكفونيين جعل أمر تحديد سياسة لغوية مبنية على لغة واحدة أمرا يصعب تحقيقه، حيث إن "أغلبية النخبة كانت مفرنسة، ولما كان على النخبة المهيمنة التي سيّرت فترة ما بعد الاستقلال والتي كانت مهووسة بكسب المعركة الكبرى ضد الاستعمار من خلال محو لغته من المشهد الجزائري، فقد واجهت صعوبة في تحقيق ذلك لأن الواقع كان غير ما توقعته نخبة الحزب الوحيد آنذاك مما جعلها تسقط في نفس الترتيلة الإيديولوجية لما قبل الحرب وتفرض على مجتمع متعدد اللغات سياسة أحادية اللغة والمبنية على عربية المدرسة وهو ما يشكل التناقض الأساسي في الحكم اللغوي والثقافي لما بعد الحرب"[11].

والملاحظ في المشهد اللغوي بعد الاستقلال مباشرة هو تغييب اللسان الأمازيغي عن السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر، واعتبار اللسان العربي الوريث الوحيد والشرعي للهيمنة الفرنسية إبان الاستعمار، وقد فرض هذا التوجه مجموعة من المثقفين المتعصبين للعربية بحجة أن اعتماد سياسة التعريب خدمة للقومية العربية التي لا يمكن تصوّرها دون هيمنة اللغة العربية والإسلام في المجتمع. كما يعد التعريب أيضا "إنهاءً للاستعمار الثقافي واستبعادا نهائيا للوجود الفرنسي على الأراضي الجزائرية،(رغم أن النموذج القومي الجزائري قد تمّ استنساخه عن النموذج القانوني الفرنسي وباتصال مع الفرنسيين). حيث تعتبر لغة المستعمر

تهديدا للهوية العربية، الإسلامية في جوهرها، بمعنى تحقيق الاستقلال الوطني هو مرادف لسيادة اللغة العربية باعتبارها وسيلة فعّالة لصياغة وتشكيل الهوية الوطنية"[12].

وبهذا فقد تمّ تضييق المجال على الأمازيغية ممّا تسبب في تشتت المجتمع الجزائري، وظهور صراع لغوي وتعصّب جهوي وصلت حدّته إلى درجة إحساس مستعملي اللسان الأمازيغي بالتهميش ممّا ولّد عند المتعصبين منهم شعورا بالعداء للعربية والإسلام، واعتبارهما عنصرين دخيلين يهددان الهوية الأمازيغية الأصيلة للجزائر، إذ إن "المفارقة أن الدولة الجزائرية عمدت لتكون متجذرة في زاوية من التاريخ لم تكن موجودة عندما تشكّلت، مهملة في المقابل العديد من اللغات الأصيلة للبيئة المغاربية، أهمها الأمازيغية، في نفس الوقت الذي لا يفرض الانتماء القومي إلى أمة معيّنة التعبير بنفس اللغة، فليست كل الدول الإسلامية عربية اللغة، كما أن اعتماد لغة واحدة سوف يؤدي إلى زوال الفضاءات اللغوية الأخرى، إذا لم يتم تنظيمها وتسجيلها. لقد أدّت هذه الممارسة إلى تكريس الإقليم الجزائري المشترك اللغة، مقابل شعب مشتت الانتماء والهوية الثقافية واللغوية، التي تحوّلت إلى تعصّب للجهة واللغة في كثير من الأحيان"[13].

ومن مظاهر هذا الصراع اللغوي الذي طبع المجتمع الجزائري بفعل تهميش الأمازيغية، فقد "حاولت الحركة الأمازيغية بناء ذاتها وإثبات وجودها، فتحولت من حركة مهتمة بالإرث الثقافي في السبعينات إلى تيار سياسي بامتياز وجد لنفسه تعبيرات إيديولوجية وثقافية خاصة بنشوء نخب أمازيغية مثقفة ودخول الدولة الجزائرية مرحلة الانفتاح السياسي والديمقراطي الأمر الذي أتاح فرصة بروز مطالبها إلى العلن. فالحركة البربرية حاولت إثبات وجودها وتبيان تميزها من خلال إعادة تأهيل الثقافة واللغة الأمازغيتين وترقيتهما مع إعطاء اللغة الأمازيغية الصفة الوطنية والرسمية، وقد كانت هذه المحاولات مرتبطة بالمطالبة السلمية أحيانا والعنيفة أحيانا أخرى"[14].

ومن هنا كان لزاما على الحكومة أن تتّبع سياسة لغوية من شأنها تحقيق التوازن في المجتمع من خلال إعادة الاعتبار لمختلف المقومات التي تشكل المجتمع الجزائري، وترقيتها لضمان الأمن اللغوي، وتفادي كل أسباب الصراع والتشتت الذي قد ينجم عن عدم الاعتراف بالتعدد اللغوي.

3 كرنولوجيا السياسة اللغوية في الجزائر:

إذا تتبعنا التشريعات الخاصة باللغة في الجزائر منذ الاستقلال إلى الآن، نجد أن السياسة اللغوية عرفت تطورات وكانت مراعية في كثير من محطاتها لظروف خاصة شهدتها البلاد في مراحل متعاقبة، ولعلّ أهم تلك المعطيات التي وجّهت السياسة اللغوية في الجزائر هي أزمة الهوية، وهي أزمة أسهمت فيها بشكل أساسي عوامل كثيرة كان أهمها عدم القدرة على التخلص نهائيا من اللغة الفرنسية الموروثة من الحقبة الاستعمارية، إضافة إلى تغييب وتهميش اللغة الأمازيغية استجابة لخيار التوجه نحو القومية العربية الإسلامية، إذ "تمتد جذور أزمة الهوية في الجزائر إلى مرحلة الاستعمار الفرنسي الذي أنتج مأزق الهوية وتسبب في تشويه البنية الاجتماعية والثقافية بممارسته لما يسميه "أحمد طالب الإبراهيمي" المحو والطمس للشخصية والثقافة وكلاهما عنده هو تعبير عن الهوية في بعدين نفسي وعائدي أو إيديولوجي، واستمرت أزمة الهوية إلى ما بعد الاستعمار ولعل اعتماد سياسة التعريب منذ سنة 1967 هو ما زاد من حدة الخلاف والتناقض الثقافي بفعل الشعور بالغربة، والإحساس بالتهميش لا سيما منطقة القبائل الي تقيم بها الأقلية البربرية أو الأمازيغية التي تعتبر حسب سعد الدين إبراهيم أكبر الجماعات اللغوية في الوطن العربي، والتي ترتكز في دول المغرب العربي ومن بينها الجزائر حيث يمثل البربر المتكلمون بالأمازيغية (20-25٪) من سكانها في منتصف التسعينات، و (40- 75٪) من الجزائريين المقيمين بفرنسا"[15].

وعلى هذا شهدت السياسة اللغوية في الجزائر المحطات الآتية[16]:

الدساتير الجزائرية ثابتة منذ الاستقلال، الاسلام دين الدولة والعربية لغة وطنية.

دستور 08 ديسمبر 1963: أقرت المادة الخامسة منه بأن اللغة العربية هي اللغة القومية (الوطنية) والرسمية للدولة. أما (المادة 76) فقد أكّدت على ضرورة تفعيل عملية التعريب، يجب أن يتم في أقرب وقت ممكن على أراضي الجمهورية مع تمديد العمل باللغة الفرنسية مؤقتا إلى غاية إعادة تأهيل الدولة.

(المادة 76):يجب تحقيق تعميم اللغة العربية في أقرب وقت ممكن في كامل أراضي الجمهورية.

بيد أنه، خلافا لأحكام هذا القانون، سوف يجوز استعمال اللغة الفرنسية مؤقتا إلى جانب اللغة العربية.

دستور 08 أفريل 1967: ورد في 'المادة الثالثة) منه أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وتعمل الدولة على نشر استخدام اللغة الوطنية على المستوى الرسمي.

دستور 23 فبراير 1989: (المادة الثالثة) وحيدة، اكتفت بالإشارة إلى أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية.

دستور (أو تعديل) 1996:نصّ أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية.

(المادة الثالثة مكرر) (تمّ إضافتها في 19 أفريل 2002)، أصبحت بموجبها اللغة الأمازيغية لغة وطنية "**تمازيغت هي كذلك لغة وطنية**"، بناء على الفقرة الأولى منها. أما في الفقرة الثانية فتم التأكيد على أن الدولة تعمل على ترقيتها وتطويرها، في جميع الأصناف المستخدمة في البلاد "عمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني". مع ضرورة التنبيه أنها "كذلك لغة وطنية" مقابل صفة "الوطنية والرسمية" التي منحت للغة العربية، والتي تجعل منها لغة العمل الوطني في جميع المجالات، مع تعزيز الدولة "لترقية" وليس لانتشار وتعميم استخدام هذه اللغات.

لم تتوقف الاصلاحات عند هذا الحد، فد جاء التعديل الدستوري في سنة 2016م، ليحدد بشكل واضح البعد الوطني والرسمي للأمازيغية، حيث تضمنت

المادة الثالثة مكرر منه عبارة " **تمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية** تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني يحدث مجمع جزائري للغة الأمازيغية يوضح لدى رئيس الجمهورية" حيث يستند هذا المجمع إلى أشغال الخبراء، ويكلف بتوفير الشروط اللازمة لترقية تمازيغت قصد تجسيد وضعها كلغة رسمية فيما بعد"[17].

أما في مجال التعليم فقد تمّ إدراج الأمازيغية في المدرسة الجزائرية في مناطق محدودة في تيزي–وزو وبجاية، وكان ذلك استجابة لضغوط الحركات البربرية التي فرضت سنة بيضاء في منطقتي تيزي–وزو وبجاية خلال السنة الدراسية 1995/1994م كورقة ضغط على الحكومة التي استجابت بإدماج الأمازيغية بشكل محدود في بعض مدارس تلكما المنطقتين، "فيؤكد رابح كحلوش أن هناك تمركز شديد لدراسة وتعلم اللغة في المناطق القبائلية بلغت نسبته 86,53٪ في سنة 1996/1995، واهتمام ضعيف بها في باقي المناطق"[18]، لكن تطورت الأوضاع فيما بعد، خاصة بعد ترقية الأمازيغية إلى لغة وطنية ورسمية، حيث شُرع في تعميم تدريسها في مختلف المناطق في الوطن، وفيما يلي أهم المحطات التي شهدتها الأمازيغية:

–1990: عرفت اللغة إنشاء فرع اللغة والثقافة الأمازيغية بجامعة مولود معمري بتيزي–وزو بمرسوم وزاري لتكوين طلبة بمستوى ماجستير.

–1991: إنشاء فرع آخر للغة والثقافة الأمازيغية بالمركز الجامعي ببجاية بمرسوم رئاسي.

في البداية تمثلت مهمة هذين الفرعين بتكوين طلبة الماجستير في ثلاثة تخصصات: اللسانيات، والأدب، والحضارة الأمازيغية.

–1995/ 1996: إدماج اللغة الأمازيغية في النظام التربوي الجزائري باعتبارها مادة اختيارية في السنوات الأخيرة من التعليم (المتوسط والثانوي) في

بعض المؤسسات التعليمية بمنطقة القبائل خاصة. ولم يعمم تعليمها على المستوى الوطني.

1997: يرتقي الفرعان إلى معهدين جامعيين لاستقبال الطلبة لتحضير شهادة الليسانس منذ أكتوبر 1997.

كما تتوفر في الوقت الراهن أربعة أقسام في جامعات كل من تيزي-وزو وبجاية والبويرة، ومنذ 2003 أنشئ قسم آخر بجامعة باتنة، وهي متخصصة في اللغة والثقافة الأمازيغية توفر تكوينا في الليسانس والماستر وحتى الدكتوراه، وعلى هؤلاء تراهن الدولة من أجل تعميم تدريس الأمازيغية عبر التراب الوطني.

لكن العائق أمام تحقيق ذلك هو كون الأمازيغية مادة اختيارية في كثير من المدارس الجزائرية، وهو ما يجعل أمر انتشارها صعبا، إذ إن التلاميذ يميلون إلى تعلم لغات أجنبية بداعي أنها توفر لهم فرص التطور والعمل.

4 أثر تعلم الأمازيغية على المستويين اللغوي والمعرفي:

الحقيقة أن التنوع اللغوي الذي يميز كثيرا من الدول هو في ذاته نعمة وأن انتهاج سياسة لغوية مبنية على التعدد اللغوي يفضي إلى إحساس جماعي بالانتماء ويعزز سبل "التعايش بين اللغات، وتعزز روح التفاهم والتسامح تجاه الآخرين سواءً أعضاء الجماعات اللغوية (الأقليات، أو الجماعات المهمشة) التي تشعر بالقبول والفهم من قبل الآخرين. أما في مستوى الإطار الوطني فهي تتمثل في الحفاظ على البيئة اللغوية والبشرية، إلى جانب تحقيق التوازن وتعزيز المن في ظل الواقع الوطني"[19].

وعليه فإن تعميم تعليم الأمازيغية في المدارس والجامعات الجزائرية يؤدي إلى ترسيخ الشعور بالانتماء إلى مجتمع واحد ويساعد على تقبل واحترام كل الفئات بخصوصياتها الثقافية واللغوية، كما يؤدي إلى إثراء الرصيد الفردي، إن إدماج اللغة الأمازيغية في قطاع التعليم بصفة خاصة، وإعادة الاعتبار لها في جميع المجالات بصفة عامة، يمكن القول بأنه في حد ذاته غاية سامية لحماية التعدد

اللغوي والثقافي الذي يشكل إرثا للإنسانية جمعاء، كما تندرج عملة الإدماج هاته في صميم القانون الدولي المعتمد على الكثير من الإعلانات والعهود والاتفاقيات الدولية في مجال حقوق الإنسان.

من هنا سنحاول تبيان مزايا تعلم الأمازيغية على الفرد وذلك من الأبعاد الآتية:

أولا: تنمية الرصيد اللغوي للفرد:

إن تعلم أية لغة لا بد أن يمرّ عبر مراحل تمكنّه من تعلّم المستويات اللغة التي تكون في الغالب متظافرة ممزوج بعضها مع بعض في الاستعمالات اللغوية ويكون فصلها خدمة للغاية التعليمية، خاصة إذا كانت عملية تعليم اللغة لغير الناطقين بها، وعلى ذلك يحدد تمّام حسّان في مقدمة كتاب "التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها"، يحدد ثلاث مراحل أساسية تتم فيها عملية اكتساب أية لغة، وتتمثل هذه المراحل في: التعرّف، الاستيعاب، والاستمتاع.

فأما التعرّف، فهو "إدراك العناصر اللغوية والتفريق بينها، وربط كل عنصر بوظيفة خاصة تبدو واضحة عند إنشاء التقابل بينها وبين وظائف العناصر الأخرى. وذلك كإدراك السين في «سار» بمقابلتها بالصاد في «صار»، وربط كل من الصوتين بوظيفة خاصة هي بيان الكلمة التي هو فيها، والتفريق بينها وبين أختها، وكإدراك الفرق بين المقصود بصيغتي «فاعل» و«مفعول»، ووظيفة كل منهما في مقابل الأخرى"[20].

وتشتمل هذه الآلية على إدراك أمور ثلاثة هي[21]:

1. العلاقات الوفاقية للعناصر؛ أي جهات الشركة بينها أو نواحي الاتفاق؛
2. العلاقات الخلافية للعناصر؛ أي الفوارق بينها؛
3. العلاقات بين العناصر ووظائفها؛ أي معانيها في حدود النظام إيجابا وسلبا.

ولأهمية هذه الأمور الثلاثة، فإنها تشكل "نسيج كل نظام لغوي، فلا تقوم بنيته إلا بها. وعلى العنصر الأول يقوم التبويب، وعلى الثاني يقوم التفصيل وأمن

اللبس، وعلى الثالث يقوم الطابع الرمزي للغة من أساسه؛ كما يبنى عليه أداء اللغة لوظائفها من حيث هي أداة للتواصل بين الناس"[22].

معنى هذا أن هذه العلاقات هي ما يجعل الوحدات المكونة لأنظمة اللغة الفرعية من أصوات وصرف، ونحو تتشابك فيما بينها لتكوين النظام الأكبر الذي هو اللغة، لكن في الآن نفسه، تجعل بينها أوجه اختلاف لئلا يكون هناك التباس بين هذه الوحدات.

ويشمل هذا الأمر إدراك نطق الأصوات التي تكوّن النظام اللغوي للأمازيغية وكيفية ترابطها على المستوى الصرفي، والخصوصيات التي تبنى وفقها مختلف الصيغ الصرفية من أجل تأدية معانٍ معينة كالتذكير والتأنيث، وكذا تصريف الأفعال، وعمل مختلف الضمائر، ويكون ذلك أيضا من خلال إدراك بعض الفروق التي تميز اللهجات الأمازيغية كالقبائلية والشاوية والمزابية والترقية وغيرها.

ثانيا: على المستوى المعرفي:

بعد إدراك الجانب اللفظي اللغوي في اللغة الأمازيغية، يكون المتعلّم مستعدا للتعامل مع مستويات لغوية أكبر وهي النصوص، وفي هذا المجال يحتاج المتعلم لآليتين أخريتين في التعلم يسميهما تمّام حسّان بالاستيعاب والاستمتاع، إذ تلي مرحلة التعرّف مرحلة الاستيعاب؛ التي لها "جانبان: جانب المعنى الثقافي وجانب المعنى البلاغي الأسلوبي"، إذ ترتبط اللغة –وفق المعنى الأول- بالجانب الثقافي للمجتمع أو كما يُعرف في حقل الدراسات اللغوية برؤية العالم، وهي من القضايا اللغوية التي تناولها همبولدت V.Hamboldt، وأفرد لها نظرية. أما الجانب الثاني فإنه "ينسب إلى أصل وضع الكلمة –كما يقول فقهاء اللغة-، ثم عما يطرأ على هذا المعنى من تغيرات بلاغية وأسلوبية، يعود بعضها إلى ارتباطات المنطق، وبعضها إلى حدود العرف"[23].

وبعد المرحلتين السابقتين، تأتي مرحلة الاستمتاع؛ ويُقصد به "التذوق الأدبي وإدراك مواطن الجمال في النص، وهذا لا يتحقق إلا بعد التعرف على مباني

النص اللغوي واستيعاب معانيه. فإذا تحقق هذان الأمـران أصـبح مـن يسـتقبل الاتصال الأدبي بمكان يؤهله، إذا كان له الاستعداد الفطري أو الكسبي أن يتذوق ما يستقبل من الاتصال"[24].

فالثقافة الأمازيغية كونها ثقافة شفاهية في أغلب مظاهرها، وظلت كذلك فترات زمنية طويلة، هذا ما جعلها غنية في جانب النصوص، إذ يسمح هذان الجانبان من التعرف على مميزات الثقافة الأمازيغية، فالسعي إلى تعلّم أية لغة يؤدي بالضرورة إلى حاجة في التعرّف على الحضارة التـي تسـتعمل تلـك اللغـة، والنصـوص الأمازيغية المختلفة من أشعار وحكايات وأساطير تحمل في طياتهـا الكثيـر مـن مظاهر هذه الحضارة، خاصة ما تعلّق منها ببنية المجتمع والتنظيم علـى مسـتوى القرى وكيفية تسيير شؤون الحياة المختلفة، ومختلف الأنشطة التي تتـيح للمـتعلم رصيدا ثقافيا غنيا عن تلك الحضارة.

خاتمة:

أدى القرار السياسي الرامي إلى ترقية اللغة الأمازيغية والسعي لتعميم تعليمهـا على مستوى المدارس الجزائرية إلى المضي نحو تحقيق أمن لغوي، وقلّص مـن حدة الصراع اللغوي الذي عانى منه المجتمع الجزائري لفترات طويلة، وأدى إلـى خلق تناغم بين أفراد المجتمع، غير أن هذا المسعى يحتاج إلى مزيد مـن الجهـود قصد تحقيق بعض الرهانات التي على اللغة الأمازيغية إنجازها، وهي أمور يعدها بعض الباحثين من قبيل الصعوبات التي يمكن أن تعتري واقع تدريسها، وتلخصها عائشة أكوادير في نقاط أهمها[25]:

- **معضلة الكتابـة:** أي حرف يجب اختياره لكتابة الأمازيغية أمام الجدال القائم بين أطراف مختلفة، هل بالحرف العربـي، أم بحـرف تيفينـاغ، أو الاستسـلام للضغوطات الخارجية واستعمال الحرف اللاتيني.

- **معضلة الأصوات الإملائية:** وتخص علاقة المنطوق بالمكتوب: فقد تحـرى واضعو الإملاء الأمازيغي عدم الوقوع في نفس المتاهات التي وقع فيها واضـعو

إملاء بعض اللغات، حينما يضطر المتعلم إلى كتابة اشياء لا علاقة لها بما ننطــق به،

– **معضلة المعجم:** من بين معضلات المعيــرة كــذلك مــا طرحــه المعجــم الأمازيغي من إشكاليات أهمها: كيف سنتعامل مع النصوص المعجمية التي توفرت لدينا وكيف يمكن تنقيحها؟

وعلى هذا فإنه ينبغي أن تتضافر جهود المختصين والمهتمين بالجانب التعليمي وباللغة الأمازيغية من أجل الرقي بها ومحاولة البحث عن السبل الكفيلــة بتخطــي تلك الصعوبات وجعل اللغة الأمازيغية مرنة مستوعبة للعلوم ووســيلة مــن أجــل تحقيق الوحدة الوطنية.

الهوامش:

[1] خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية عناصر من أجل مقاربة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص 13.

[2] عزالدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب إشكالية التعددية اللغوية، دار الشروق، القاهرة، د ت، ص 21.

[3] نفسه، ص 8- 9.

[4] محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003م، ص 224.

[5] عمر ديدوح، الصراع اللغوي في الجزائر: تأزيم الهوية، www.almarefh.net، 2009-11-16.

[6] نفسه.

[7] نفسه.

[8] صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، مج 05، ع 02، أكتوبر 2003م، ص 135.

[9] عبد القادر فضيل، واقع السياسة اللغوية في بلادنا بعد خمسين سنة من عمر الاستقلال مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، مج 16،ع01، جوان 2014، ص 89.

[10] ينظر: التعددية بين الواقع و السياسة اللغوية، https://www.djazairess.com، 2012/05/12.

[11] نفسه.

[12] رقية بوقراس، السياسة اللغوية في الجزائر: واقع وآفاق، مجلة دراسات حول الجزائر والعالم، مركز البحوث حول الجزائر والعالم، مج 01، ع 01، جوان 2017، ص 48.

[13] نفسه، ص 49.

[14] بهلول العونية، جيلاني كوبيبي معاشو، اللغة الأمازيغية في الجزائر: الرهانات والتحولات مجلة آفاق فكرية، مخبر دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر، جامعة سيدي بلعباس، مج 04، ع 02، أكتوبر 2018م، ص 151.

[15] مفيدة مقورة، اللغة الأمازيغية في الجزائر: دراسة في سياسات الترسيم وتأثيرها في مسار استكمال الهوية الوطنية، مجلة البدر، جامعة بشار، مج 10، ع06، 2010م، ص 635.

[16] رقية بوقراس، المرجع السابق، ص 51.

[17] مفيدة مقورة، المرجع السابق، ص 637.

[18] بهلول العونية، جيلاني كوبيبي معاشو، المرجع السابق، ص 157.

[19] رقية بوقراس، المرجع السابق، ص 49.

[20] تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، معهد اللغة العربية، مكة المكرمة، 1984م، ص 7.

[21] نفسه، ص 17.

[22] نفسه، ص 17.

[23] نفسه، ص 95.

[24] نفسه، ص 111.

[25] ينظر: عائشة أكوادير، تدريس الأمازيغية بالمؤسسات التعليمية السياق والإكراهات https://www.hespress.com/tamazight/95759.html، 06 ديسمبر 2013م.

الانسجام اللّغويّ بين العربيّة والمازيغيّة؛ صوره وآلياته.
ـالعربيّة والشّاويّة في منطقة باتنة وبسكرة أنموذجًاـ

عبد الرّحيم البار
جامعة محمّد خيضر بسكرة
Abderrahimelbar.dz@gmail.com

***توطئة:** تعرف منطقة باتنة وبسكرة تواجدا مكثّفا للّسان الأمـــازيغيّ الشّـــاوي المنتشر في مدن على غرار مدينة 'شتمة' وضـــواحيها، و'مزيرعـــة' وضـــواحيها ببسكرة، ومدينة المعذر والشّمرة وعين التّوتة بباتنة ولاغرو أنّ الامتزاج العربـــيّ والمازيغيّ في هذه المناطق أفضى تلاحما لغويّا تداوليّا مميّزا من بـــين مظـــاهره التّأثرّ والتّأثير المشترك بين اللّغة العربيّة واللّغة الشّاوية، خاصّة في مناطق تواجـــد الجنسين العربيّ والشّاويّ حيث نلحظ على هذا الـــنّمط مـــن التّواصـــل؛ ظـــاهرة الاتّصال التّداوليّ والاشتراك الدّلاليّ بين اللّغتين ولا عجب أنّ انســـجام العربيّـــة والمازيغيّة وتلاحمهما؛ راجع لعوامل عدّة منهـــا التّعامـــل والتّعـــايش والتّقـــارب والتّزاوج، وكلّ هذا يقويّ اللّحمة الاجتماعيّة بكافة ألوانها، ولِمَا لا ؟؛ بل يزيد مـــن قوّة الانسجام اللّغويّ الوطنيّ ضمن مجمتع متجـــانس تحكمـــه روابـــط المواطنـــة المنصوص عليها دستوريّا وأقف في هذا المقال على استخلاص مظـــاهر الـــتّلاحم والتّداخل اللّغويّ بين اللّغتين العربيّة والشّاويّة في منطقتي باتنـــة وبســـكرة مبيّنـــا محاسن هذا التّكامل التّداوليّ الخاصّ، مستخلصا أثره الإيجابيّ في الحفـــاظ علـــى اللّحمة الوطنيّة وضمن هذا السّياق أيضًا أستهل فيه تقديم رؤية استشـــرافيّة لتقـــديم مقترح منهجيّ بغيتنا فيه دعم سياسة الوحدة الاجتماعيّة في ظلّ التّنـــوع اللّغـــوي

الوطنيّ، خاصة بعد الرّؤية السّياسيّة الهادفة التي انتهجتها الحكومة بعد التّعديل الدّستوري الأخير (2016م) حيث يقرّ مبدأ التّعدّد.

(1)-التّعريف باللّغة الشّاوية: هي لهجة من اللّهجات الأمازيغية الجزائرية يتحدّث بها سكان منطقة الأوراس (باتنة، خنشلة، أم البواقي) وبعض مناطق بسكرة وتبسة، 'تنحدر أصولها من اللّهجات الأمازيغية الزّناتية'[1]. والملحوظ على هذه اللّهجة أنّها تشهد تراجعا بسبب استعمال الدّارجة العربيّة الجزائرية، خاصّة في المناطق الحضريّة، بل يمكن القول أنّها انعدمت في المدن الكبرى (باتنة، أم البواقي، عين مليلة، خنشلة) وبقيت في الأرياف. وحسب مركز الدّراسات الأمازيغية يوجد أزيد من مليونين ناطقا بأمازيغية الأوراس (الشّاوية): 'وجاء في استطلاع آخر أنّ نسبة أمازيغ الأوراس تقدّر بـ: 8.5٪ من سكان الجزائر وبإسقاط النّسبة على إحصاء سكان الجزائر لسنة: 2005م يكون العدد: (33.800.000) نسمة'[2]. وينتشر استعمالها عموما في إقليم الأوراس الذي يضم ولاية باتنة وولاية أم البواقي وولاية خنشلة وبنسبة أقل ضمن ولاية سوق أهراس وولاية سطيف وولاية بسكرة وولاية تبسة. وقد أسّست جمعيات في هذه المناطق تسعى للحفاظ على الموروث اللّغوي للمنطقة وإعادة إحيائه في ظل تغيّر السّياسة الحكومية إزاء المطالب الثّقافية للمجموعات الناطقة بالأمازيغية'[3]. وقد تمّ افتتاح إذاعات ناطقة بالشّاوية في ولايات باتنة، أم البواقي، خنشلة تبسة، بسكرة؛ تقدّم برامج مخصّصة باللّسان الشّاوي.

(2)-خارطة تظهر مناطق تجمّع أمازيغ (الأوراس): (منطقة الأوراس وتضمّ كل الولايات المطلّة على جبال الأوراس: باتنة، بسكرة، خنشلة، تبسة، أم البواقي).



(3)-الشّاوية والعربيّة في مدينة باتنة وبسكرة بين التّنوع والتّلاحم: يعدّ النّموذج الباتني والبسكري نموذجا سكّانيّا متنوّعا يجمع بين مستعملي اللّسان العربيّ '(العرب) والشّاوي (الأمازيغ)، وأهمّ ما يميّزه:

-التّداخل المعجميّ بين اللّسانين العربي والشّاوي في هاتين المنطقتين حيث نلحظ شيوع استعمال ألفاظ شاوية في اللّسان العربي وألفاظ عربيّة في اللّسان الشّاوي نحو: كلمة (يحلى) وهي كلمة شاوية يستعملها العربي والأمازيغيّ، وكذا كلمة (ماتا) بمعنى (ماذا) واستعمال (نانه) بمعنى الجدّة و(داده) بمعنى الجد كلّها مصطلحات تستعمل عند العرب والشّاوية. ومن أهمّ العوامل التي أدّت إلى هذا التّقارب بين استعمال العربية والشّاوية عامل العلاقات كعلاقة المصاهرة والمتاجرة وعلاقات أخرى كالدِّراسة والنّشاطات الرّياضية والثّقافية...إلخ.

-'الاكتساب اللّغويّ'[4]؛ حيث نجد في منطقة باتنة وبسكرة أفرادا يتكلّمون الشّاوية وهم ليسوا شاوية وآخرين يتكلّمون العربيّة وهم ليسوا عربا، ويعود هذا الأمر للرّوابط المختلفة على نحو الزواج؛ أو عن طريق الاحتكاك بين الأصدقاء والتّقارب في السّكن والأحياء...إلخ.

(4)-مكوّنات اللّسان الشّاوي بين التّداول والاستعمال: أقف هنا على تصنيف العبارات الشّاوية انطلاقا من مؤشّرات ثلاثة، وهي: (الشّيوع، الاستعمال، النّدرة)[5]:

أ/عبارات المعاملة: وأتناول فيها النّماذج التّواصليّة الآتية:

الجملة بالشّاوية	مقابلها بالعربيّة	حكمها في الواقع التّداولي
ماتّا هلّيذ؟ ماتّا لحوال؟.	كيف حالك؟	شائعة في اللّسانين الشّاوي والعربيّ.
ماتّا هلّام؟	كيف حالكم؟	شائعة في اللّسانين الشّاوي والعربيّ.
آزولفلّاون؟.	مرحبا بكم	نادرة في اللّسان الشّاوي.
تيفاوين أو آنزاكث ن لخير	صباح الخير	مستعملة غير شائعة.
تيمدّيوين أو آمدّيث ن لخير	مساء الخير	مستعملة غير شائعة.
إيض أمقّاز	ليلة سعيدة	نادرة في اللّسان الشّاوي.
ماتّا هخسذ؟	هل تريد شيئا؟.	شائعة في اللّسانين الشّاوي والعربيّ.
ماتّا اسم نّك (مذكر) ماتّا اسمنّم (مؤنث)	ما اسمك (المذكّر والمؤنّث)؟	شائعة في اللّسانين الشّاوي والعربيّ.
اورفهيمغش فلّاك (مذكر) اورفهيمغشفلّام (مؤنث)	لم أفهم كلامك؟ للمذكّر والمؤنّث	مستعملة غير شائعة.
أور سينغشآبريذ	أين الطّريق؟. أو أين الاتجاه؟.	مستعملة غير شائعة.
هاتاسذ غاري (آميرا) شاوية بباتنة (لوقا) شاوية بسكرة؟	هل تأتي عندي الآن؟.	مستعملة غير شائعة.

ب/عبارات دالة عن الزّمن: وتندرج فيها الألفاظ الآتية:

الكلمة الشّاوية	معناها بالعربيّة	صورتها في التّداول
أصبحيث	الصّباح	مستعملة
أعشويث	المساء	مستعملة
إيض	اللّيل	مستعملة
آس	النّهار	مستعملة
أسناط	الأمس	مستعملة
إيضلي	البارحة	مستعملة
أتشا (لهجة باتنة) /أذتشا (لهجة بسكرة)	غدا	مستعملة
آسا	اليوم	مستعملة
اساعث	السّاعة	مستعملة
اسمانت	الأسبوع	مستعملة
قور	شهر	مستعملة
أسقاس	عام	مستعملة
إشتتوسقاس	عام واحد	مستعملة
سن اي سقاسن	عامين	مستعملة
أسقاس يقورن	الشّهر الفارط	مستعملة
انصاف ن ييض	نصف اللّيل	مستعملة
انصاف ن واس	نصف النّهار	مستعملة

ج-ألفظ دالة على الألوان: هناك ستة ألوان مستعملة في اللّهجة الشّاوية، هي:

اسم اللّون بالشّاوية	مقابله العربي
أمَلالْ	أبيض
أزيزا	أخضر
أتْشين	برتقالي
أبَرْكا	أسود
أوْراغْ	أصفر
أزوقاغْ	أحمر

د-ضمائر الكلام وأنواعها بالشّاوية: نقوم هنا بذكر الضّمائر التي تستعمل في الشّاوية:

ضمائر المتكلّم	ضمائر المخاطب	ضمائر الغائب
أنــا = نَتْشْ نحن (مذكر) = نَشْني نحن (مؤنث) = نتشنتي	أنت = شَكْ أنتِ = شَمْ (أنتم أنتما في المــذكر) بالشّاوية كَنْوي (أنتن أنتما في المؤنث) بالشّاوية كَنْمْتي	هــــو = نَتَا هــــي = نَتاثْ (هم هما في المذكر) بلشّاوية نَهْنِي (هن هما في المؤنث) بالشّاوية نَهْنتي

ه-نموذج لتصريف الفعل (قال) بالشّاوية: نقدّمه كنموذج لاستعمال الأفعال، كالآتي:

الضّمائر مع الفعل	الزّمن الماضي	الزّمن المضارع
أنا: فعلت/أفعل	نتش إيقيغ	نتش آذيقغ
نحن: فعلنا/نفعل	نحن (مذكر) نتشني نيقا نحن (مؤنث) نتشنتي نيق	نتشني آنّيق (ذكور) نتشنتي آنّيق (مؤنث)
أنتَ: فعلتَ/تفعل، أنتِ فعلتِ/تفعلين.	شك هيقيذ/ شم هيقيذ	شك آتّيقذ شم آتّيقذ
أنتما /أنتم: فعلتما / تفعلون للمذكّر	كنمتي هيقيمت (نطق واحد)	كنوي آتّيقم (المثنى والجمع المذكر)
أنتما: فعلتم/تفعلون وأنتنّ فعلتنّ/تفعلنّ	كنوي هيقيم (نطق واحد)	كنمتي آتّيقمت (المثنى والجمع المؤنّث)
هو فعل/يفعل	نتّا ييقا	هو نتّا آذ ييق
هي فعلت/تفعل	نتّا ثهيقا	نتّاث آتّيق
هما فعلا /يفعلان (المذكّر) هم فعلوا/يفعلون	نهني يقين	نهني آذيقن
هما فعلتا/تفعلان/هنّ فعلنّ/يفعلنّ	نهنتي يقينت	نهنتي آذيقنت

(5)-دلالات استعمال الألفاظ في اللّسان الشّاويّ: نقف هنا على ذكر نماذج من جمل نوضح بها معاني التّراكيب المختلفة ضمن سياق استعمالها، وفيه:

الجملة الشّاوية	دلالتها العربيّة	تحليل قاعدة التّركيب
أَرْياز (أرقاز) أهْيويْ	رجل طفل	الاسم المذكر يسبق عادة بأداة تعريف (أ)
ثَمَطوثْ ثَهْيويثْ	امرأة فتاة	الاسم المؤنث يسبق عادة بأداة التعريف (ث)
إروحدهيارا عمر	ذهب مع عمر	الوصل بين الفعل والاسم بمع
أُوسيغدْ سي ثدارْث	أتيت من البيت	الوصل بين الفعل والاسم بمن
لَقلامْ فْطابلة	القلم على الطّاولة	الوصل بين الاسمين بحرف على
عَيْضَغْ سْلكدرْ	صرخت بقوّة	الوصل بين الفعل والاسم بحرف الباء
رَكْبَغْ ذي الماشينة	ركبت في القاطرة	استعمال حرف الجر في للوصل بين دلالتي الفعل والاسم

(6)-معاني أسماء أفراد العائلة في اللّسان الشّاوي: نقف هنا على ذكر معاني ألفاظ الأسرة ضمن استعمالات اللّسان الشّاوي:

الاسم الأسري بالشّاوية	معناه بالعربيّ
ثخامث	الأسرة
يامّا	أمّي
بابا	أبي

دَادّا	الجد
نانّا	الجدّة
مامْي	ابني
يلّي	ابنتي
أُوما	أخي
وثْمَا	أختي

أ-معاني أسماء أعضاء جسم الإنسان: نقوم هنا بذكر استعمالات الكلمات الدّالة على مسمّيات الجسم، وهي كالآتي:

الاسم العضو بالشّاوية	معناه بالعربيّ
إخْف	الرّأس
ثِمّي	جبهة
ثيط	العين
ماقْ	الخد
إيمي	الفم
أوذَمْ	الوجه
إيـــــلْــسْ	لسان
إيــمَـــــجْــــي	أذن
ثـــــيــــــغّمَــسْــتْ	السّن
ظَـــــاضْ	أصبع
ظار	قدم
فوس	يد
ثِـــــيــــــقــــَازْلــثْ	الكلية

ثـــــــُوراويين	الرئتين
إغــــــَــسْ	العظم
إيــــمــــَســــْلانْ	ظهر
أعــــــَدْيــِسْ	بطن
ثـَعْجــــُوجــــْثْ	السرة
أوُلْ	قلب
غـــــيــــلْ	ذراع
زاوْ	شعر
شْلاَغْمْ	شارب
إبْــــلِـــــيــــــوَن	رموش
أثــْــــمارثْ	لحية
ثِــــيـــــدْغــْــثْ	إبط

ب-معاني أسماء الحيوان في اللّساني الشّاوي: وإن كانت المســمّيات كثيــرة ومختلفة فإنّنا نقف هنا على ذكرها وفق شيوعها:

اسم الحيوان بالشّاوية	**مقابله العربيّ**
إيــــــغيـــــــــظْ	جدي
ثــــــيـــــخــــْســـي	نعجة
أوفـــــــْريــــــكْ	كبش
إيـــــــــزْمرْ	خروف
ثــــْقـــــازيـــــتْ	دجاجة
قـــــــــازيظْ	ديك
شــــــيــــشـــَوْ	بقرة
ثـــــَفـــُونــــــاست	صوص

مُوشْ	قط
أيْذي	كلب
أثغْاطْ	عنزة
أمْلْوس	تيس
ثور	أفوناس
عجل	أعجْمي
ثعلب	أكْعبْ
ذئب	أوشَنْ
ثعبان	فيغَرْ
جمل	ألْغَمْ
حمار	أغيولْ
حصان	أسْرْذون
الفرس	جادُورْ
أنثى الفرس	ألْعْوذاُ
عصفور	أفْروخْ
فأر	أغَرْظا
خنزير	إيلْف
أرنب	أقَرْزيزْ
الضبع	إيفيسْ
حشرة ضارة	كُورذي
نملة	ثَكَطْوفْث
نحلة	أثْزيزْوِي
ذبابة	إيزي
جرادة	بوركي
غراب	جارَفْ
حمامة	ثَذْبيرثْ

<u>(7)-تحليل العلاقة اللّغويّة بين الشّاوية والعربيّة</u>: إنّ العلاقة التّصاهرية بين الشّاوية والعربيّة تمثّل نموذجا تداوليّا[6] مميّزا جمع بين التّلاحم والتّداخل والتّشكل وأقف هنا في هذا المخطّط البياني لتوضيح هذا الأنموذج الثّنائي المهمّ:



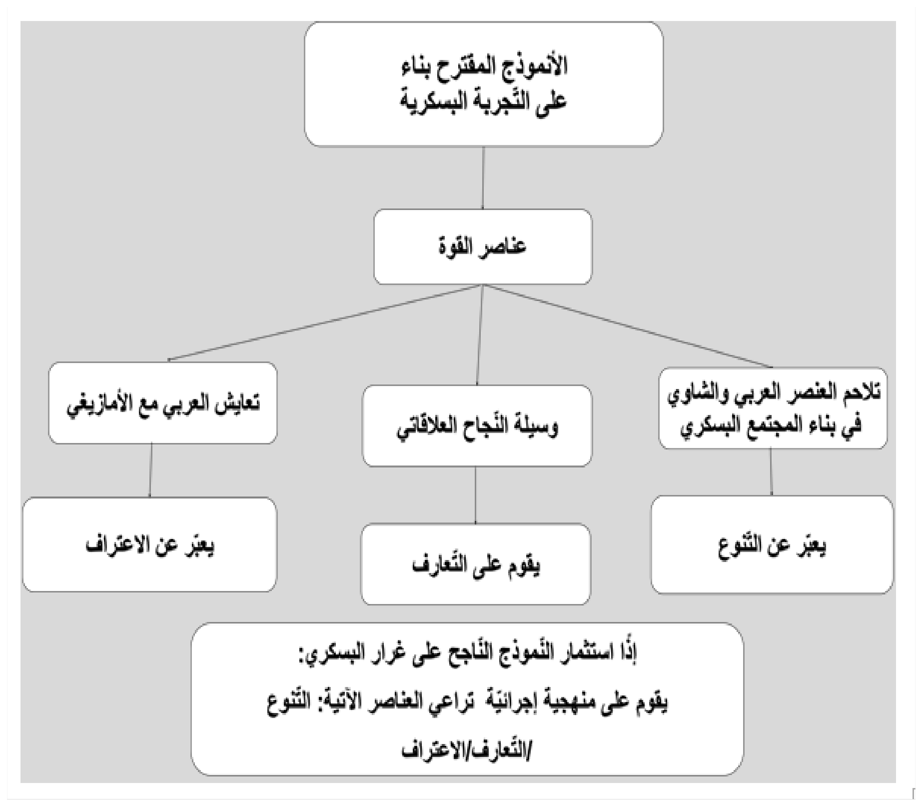
<u>(8)-استثمار النّموذج الأوراسي في تنمية روابط الوحدة الوطنية</u>: لا يكفي استعراض تجربة التّعايش اللّغوي وانسجامه في منطقة باتنة وبسكرة، بل تقتضي الضّرورة الوحدوية تقديم توصيات منهجيّة وفكريّة؛ تتّخذ كمقترحات لمعالجة قضايا عارضة شائكة، ولنا هنا أن نستعرض أفكارا مهمّة يتبدّى منها أفق الوحدة اللّغويّة المرجوة:

-يعدّ النّسيج العربي والشّاوي أنموذجا معبّرا عــن التّعــايش بــين المازيغيّــة والعربيّة؛ فهو رديف نماذج أخرى للتّعايش على نحو النّمــوذج السّــطايفي حيــث يتعايش العرب والقبايل وكذا مدينة البويرة أين يتداخل العنصران العربيّ 'النّــايلي والقبايلي المازيغيّ'[7] في بناء نسيج الولاية.

-تنظيم دورات تكوينية اجتماعيّة لدراسة النّماذج التّلاحميّة بحثا على مــؤهّلات الاستثمار الفكري في معالجة بؤر التّوتر اللّغوي؛ التي تشكّل خطرا علــى الوحــدة الوطنية.

-ترسيخ مبدأ الاعتراف بالآخر بعيدا عن كلّ النّعرات القبلية والمذهبيّــة، فهــو مبدأ مهمّ في تطوير العلاقات الاجتماعيّة وفي زيادة تماسكها وقوّتها.

-اتّخاذ هذه النماذج محلّ دراسات سيسيولوجية اجتماعية ثقافية وتفعيل عناصر قوّتها لبناء صرح إيديلوجي اجتماعي جزائري يقوم على مبــادئ ثلاثــة، وهــي: التّنوع والاعتراف والتّعارف ضمن مبدأ المواطنة. وأقــف فــي هــذا المخطّــط مستعرضا كيفية استثمار النّموذج الأوراسيّ:



***<u>نتائج وقراءات</u>:** بعدما افتتحنا نصّ المقال بعرض تاريخي للمنطقة، فقد قمت بعرض نموذج التّلاحم الشّاوي والعربي الباتني والبسكري؛ وهو عرض وصفيّ تطبيقيّ يقوم على واقع التّجربة وفق أطر الزّمان والمكان وقد ألحقته بعرض تخطيطيّ للنموذج التّداوليّ عبر ذكر مسمّيات الأشياء وتصريف الأفعال؛ وهذا لتقريب القارئ والمتلقّي إلى طبيعة اللّسان الشّاوي في مقابل شريكه العربيّ، فكان هذا خير دليل على قوّة التّماسك الاجتماعي بين الأعراق فرحت على استعراض نقاط قوة هذا النّجاح؛ رغبة ودعوة منّي إلى استثمار هذا الأنموذج المميّز في تنمية المرجعية الوحدوية الوطنية وفق نموذج لغويّ متماسك، قد يكون نقطة انعطاف ايجابيّة في تاريخ بناء السّياسة اللّغويّة الوطنيّة.

***الإحالات والتّهميش:**

(1)-جاء في أصل زناتة: اسمها القديم شانا أو "جانا بن يحيى بن صولات بن ورساك بن ضرى بن مقبو بن قروال بن يملا بن مادغيس بن رحيك بن همر حق بن كراد بن مازيغ بن هراك بن هرك بن برا بن بربر، ينظر عبد الرّحمان ابن خلدون المقدّمة، مراجعة خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (1421ه 2000م) ج7، ص6. وزناتة هي "أشبه البربر بحياة العرب؛ لأنّ أكثر مواطنهم الصّحراء"، ينظر، الشّيخ مبارك بن محمّد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص208.

(2)-الإحصاء المقدّم بناء على مصادر غير رسمية كون الجهات المختصة عادة ما تتحفظ على تقديم إحصائيات تمس العروش حفاظا عل عنصر الحساسيات وهذا أمر إجابيّ.

(3)-فالسّياسة اللّغوية للبلاد حاليا تتجه نحو الانفتاح على المكوّن الثالث للوطن وهو المازغيّة في ظلّ المبادئ الرّاسخة: (الإسلام، العروبة، المازيغيّة).

(4)-الاكتساب اللّغويّ بمعنى أن تكون لك لغة ثانية إضافة إلى اللّغة الأم (الأصل).

(5)-الشّيوع والاستعمال والنّدرة؛ هي وضعية اللّفظ الشّاوي في التّواصل اللّغويّ.

(6)-الأنموذج التّداولي في هذه المنطقة يعبّر عن صورة التّلاحم والتّعايش الإيجابيّ.

(7)-أولاد نايل أكبر عرق عربيّ بالجزائر يفوق تعداده عشرة ملايين تتوزع على الوسط (الجلفة والمسيلة، والأغواط والبويرة والعاصمة والمدية)، والغرب (النّعامة والبيض وتيارت) والشّرق (سطيف، بسكرة، عنابة) بنسب متفاوتة، وهي ذات أصول قرشية وهلاليّة، والقبايل هم أمازيغ جرجرة وما جاورها (تيزي-وزّو

بجاية، وبنسب متفاوتة في البويرة وبومرداس وشمال سطيف وغرب برج بوعريريج).

لوحة مفاتيح موحدة لكتابة العربية والأمازيغية

أ. د. عبد المالك بوحجرة

جامعة جيجل

bouhadjeraa@yahoo.com

ملخص

الغرض من هذا البحث هو عرض تطبيق "**مفــاتيح العِــزَّة**" الخــاص بالحاســوب والأجهزة الذكية. مفاتيح العزة جاءت كمحاولـــة لمعالجـــة بعــض مشـــاكل العربيـــة (و كذلك مشاكل اللغات التي تستعمل الأبجدية العربية في كتابتهـــا، مثــل الأمازيغيـــة) وبالأخص تلك المتعلقة بتمثيل الهمزة والحركات. فهي تُثبِت بأنه يمكن كتابة كل مــن العربية والأمازيغية بسهولة كبيرة واحترافية عالية، وذلك باســتعمال لوحـــة مفـــاتيح موحدة وأبجدية واحدة. وبهذا يتم تعزيز التعايش الطبيعي الموجود أصلا بــين اللغتــين نظرا للتقارب البِنيوي الموجود بينهما.

مقدمة

هنالك حاليا مشاكل كبيرة تعاني منها كل من العربية والأمازيغية. البعض من هذه المشاكل مشتركة وتتمثل في صراعهما المشترك ضد هيمنة لغة المُستعمِر، الفرنســية بينما توجد مشاكل أخرى خاصة بكل لغة. معاناة العربية حاليا نابعة من قصـــة نجـــاح حقيقية وهي كونها لغة ديانة عظيمة وتراث غزير، إلى جانب استعمالها فـــي الكتابـــة لأبجدية ثابتة منذ آلاف السنين. أما بالنسبة للأمازيغية، فرغم قِدَمِها إلا أن تداولها كـــان شفهيا عبر العصور، ولم تظهر الحاجة إلى تدوينها إلا حديثا. النجاح الباهر في كتابـــة العربية باليد منذ زمن طويل أحاطها بنوع من القداسة، وأدى إلى التغافل في تكييفها مع الآلات الحديثة والكمبيوتر، بحيث بدت في بعض الأحيان عـــاجزة عـــن أداء بعـــض الوظائف، وأصابها نوع من العقم الذي انعكس سلبيا على مستوى التعليم فـــي مجمـــل البلدان العربية. بالمقابل معاناة الأمازيغية نابعة من قصة فشل كبيرة، وهي تتمثل فـــي

تعدد لهجاتها، وعدم وجود إجماع واتفاق على الأبجدية التي يجب استعمالها من بين الخطوط الثلاثة التالية: التيفيناغ، العربية أو اللاتينية.

لقد تم في البداية تطوير لوحة مفاتيح [2-1] تُعرف باسم **مفاتيح العزة** (Arabic Izza Keyboard) من أجل تبسيط كتابة العربية بواسطة الكمبيوتر وكذلك القضاء على فوضى التصاميم لمفاتيح الكمبيوتر الحالية، وبعد ذلك تمت إضافة الرموز الخاصة (چ، ڤ، گ، پ، ژ) التي تساعد على كتابة الأمازيغية تلبيةً لطلب تقدم به **المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر**، نظرا لوجود قناعة كبيرة لدى كثير من الباحثين بأن الخط العربي هو الأمثل في تدوينها[3].

من بين الأدلة العلمية التي يمكن ذكرها هو التشابه الكبير في كل من حروف الشد (consonants) وحروف المد (vowels) في اللغتين.

الأمازيغية تحتوي على كل حروف الشد العربية بما فيها حروف الحلق (ح، خ غ، ه، والهمزة) التي تُميز اللغات السامية إلى جانب الحروف المفخمة مثل الضاد والتي كان يعتقد بأنها تخص العربية فقط، ولهذا يُطلق عليها اسم "لغة الضاد".

الشيء الآخر الذي لا يدع مجالا للشك بأن العربية والأمازيغية تنحدران من أصل واحد هو التطابق التام في حروف المد. حروف المد العربية بسيطة جدا وعددها ثلاثة فقط (الألف، الواو، الياء)، ربما العدد المثالي، وهذه تعرف بحروف المد الطويلة. في أبجدية الصوتيات العالمية (International Phonetic Alphabet) تأخذ الرموز التالية: \a:\، \u:\ و\i:\، بينما حروف المد القصيرة (الفتحة، الضمة والكسرة) تحمل نفس رموز الألف، الواو والياء على التوالي، \a\، \u\ و\i\، ولكن بدون النقطتين(:) التي تدل على المد. في أغلب الأحيان يمكن للعربية الاستغناء عن تمثيل حروف المد القصيرة عند الكتابة، لأنها لغة موزونة. النُّطق الواضح للكلمات العربية، حتى من طرف الأجانب والمبتدئين، بعد مدة قصيرة من دراستها، ناتج عن التباعد الكبير في الخصائص الصوتية لحروف المد العربية وهي تنطبق تماما مع ثلاثة أصوات على معلم الحروف الكاردينالية (Cardinal vowels). في علم الصوتيات (Phonetics)

يساعد هذا المعلم، على دراسة حروف المد في اللغات المختلفة (و عددها كبير جدا في معظم اللغات، إلى جانب كونها متقاربة ومُعقّدة). تظهر على المعلـــم ثمانيـــة حـــروف أولية فقط، كلها بسيطة ومتباعدة، موزعة حسب مكان إخراجها في الجهـــاز الصـــوتي للإنسان [4].

حواسيب المكتب

توزيع الحروف على لوحة مفاتيح حاسوب المكتب ممثلة في الشكلين1 و2. بالنسبة لكتابة النصوص العربية كل الرموز الضـــرورية موجـــودة علـــى المســـتوى الأول. الحروف الزائدة في الأمازيغية (چ، ڤ، گ، پ، ژ) يمكن الوصول إليها بسهولة لأنها توجد تحت الحروف المشابهة (ج، ف، ك، ب، ز).

عند كتابة الألف المهموزة (أ) يكفي الضغط على حرف ألـــف مـــرتين متتـــاليتين. لكتابة الألف بهمزة سفلية (إ)، الضغط على الهمزة مرتين. لكتابة الهمزة علـــى الـــواو (ؤ)، الضغط على الواو مرتين. الضغط على ى مرتين لكتابة ئـــــ. والضـــغط علـــى الهمزة ثم الألف لكتابة آ.

الـــ التعريف لها زِرّ مستقل كما في مفاتيح حاسب المكتب.

علامات التشكيل المُهمة: الفتحة، الضمة، الكسرة، والشدة توجـــد علـــى المســـتوى الأول.



شكل1: المستوى الأول للوحة مفاتيح حاسوب المكتب

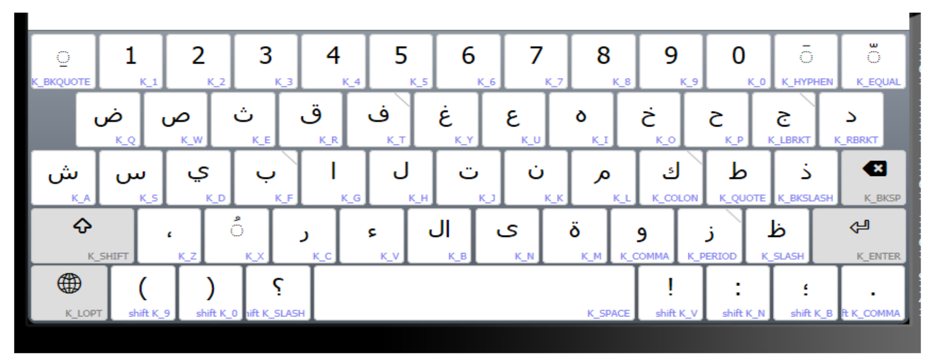


شكل2: المستوى الثاني للوحة مفاتيح حاسوب المكتب

تطبيق مفاتيح العِزة يعمل بطريقة سلسة وفي تناغم تام مع المفاتيح القديمة ويمكن تحميله بسهولة بكتابة العبارة (arabic izza keyboard) في محرِّك البحث غوغل، أو الدخول إلى الرابط التالي:
https://keyman.com/keyboards/arabic_izza
يجب التسجيل مع Google Play أو App Store قبل الشروع في تحميل التطبيق على الأجهزة الذكية. يمكن كذلك تجريب التطبيق على الشبكة Online قبل تحميله.

الألواح الإلكترونية

توزيع المفاتيح على الألواح الإلكترونية (شكل3 و4) هو نفسه كما في حواسيب المكتب، إلى جانب إضافة مهمة تتمثل في ظهور رموز التنقيط على المستوى الأول دون اللجوء إلى المستوى الثاني.



شكل3: توزيع المفاتيح على المستوى الأول في الألواح الذكية.



شكل4: توزيع المفاتيح على المستوى الثاني في الألواح الذكية.

الهواتف المحمولة

في الهواتف المحمولة تم وضع على المستوى الأول ثمانية رموز فقط في كل سطر (شكل5، اليمين)، تَظهر فيه الأزرار في شكل مربعات، مما يزيد من حجمها ووضوحها، وهذا ما لا يمكن فعله مع الخطوط العالمية الأخرى.

بالنسبة للحروف التي لا تَظهر على المستوى الأول يمكن الوصول إليها كما يلي:

حرف الخاء يوجد مع حرف الحاء. التاء المربوطة توجد مع الهاء. الغين توجد مع العين. الضاد يوجد مع الصاد. الثاء توجد مع التاء. الشين يوجد مع السين.

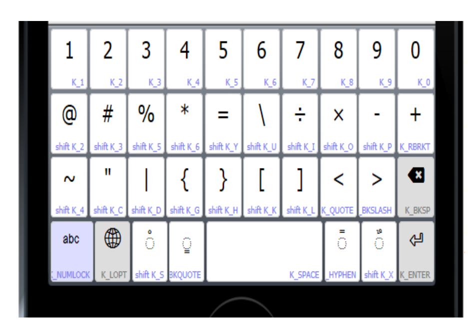
الذال يوجد مع الدال. الظاء يوجد مع الطاء. الزاي يوجد مع الراء (أي الحــروف المتشابهة بعضها مع بعض).

الرموز الزائدة (چ، ڤ، گ، پ، ژ) توجد مع الحروف العربية المشـــابهة (ج، ف، ك، ب، ز).

علامات التشكيل المُهمة (الفتحة، الضمة، والكسرة) توجد مع الشدة.

كل علامات التنقيط المُتبقية توجد مع النقطة والفاصلة، والقوسين مــع حــرف القاف.





شكل 5: لوحة مفاتيح الهواتف الذكية. المستوى الأول على اليمين، والمســتوى الثاني على اليسار.

يمكن تحميل التطبيق من الرابط التالي:

https://keyman.com/keyboards/arabic_izza

يمكن الاطلاع على مساعدة في استعمال مفاتيح العِزة في الرابط التالي:

https://help.keyman.com/keyboard/arabic_izza/1.2/arabic_izza.php

يمكن الاطلاع على المسار الطويل الذي أدى إلى اختراع مفــاتيح العِــزَّة فـــي الموقع التالي:

https://bouhadjeraa.wixsite.com/mishkak/mfatyh-alazh

خـــــاتمة

لقد تم في هذا البحث عرض للوحة مفاتيح مُوحَّدة تسمح بكتابة كل من العربيــة والأمازيغية بدقة وأناقة فائقة. زيادة على هذا تم إعطاء أدلة علمية على التقــارب البنيوي الموجود بينهما وبالخصوص تلك المتعلقة بحــروف الأبجديــة ومخــارج الأصوات.

و لكي يكون هنالك تعايش سليم، لا بد أن تكون الآليات التي تجمع بين اللغتــين أهم بكثير من تلك التي تفرقهما. إلى جانب هذا، يجب معرفــة وتحديــد بوضـــوح الدور الذي تلعبه كل واحدة على المستوى الوطني. فإذا كانت الغاية مــن اختيــار الخط المناسب في كتابة الأمازيغية هي المحافظة بالدرجة الأولى على التراث الذي تحمله مختلف لهجاتها في مناطق تواجدها، فإن العربية لا بد من ترقيتهــا ودعــم دورها لتبقى اللغة الجامعة التي تشمل كل أنحاء الجزائر وتجمع كل الجزائريين.

المراجع

[1]- عبد المالك بوحجرة، مفاتيح العزة: استرجاع لهيبة العربية في عصر المعلوماتية. المقال الأصلي.

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research-49558069-1496225928-3504.pdf

[2]- عبد المالك بوحجرة، العِزَّة: تطبيق لوحة مفاتيح عربية ذكية للأجهزة المحمولة. مقــال الأرشيف العربي العلمي.

https://arabixiv.org/p2y38/

[3]- جميل حمداوي، اللغة العربية واللغة الأمازيغية، مقال.

http://www.diwanalarab.com/spip.php?article13856

[4]- عبد المالك بوحجرة، العربية هي لغة الكمبيوتر الطبيعية، كتاب.

https://bouhadjeraa.wixsite.com/mishkak/resume

التعايش اللغوي من خلال الخطاب المسجدي
_ وادي ميزاب أنموذجا_

إعداد:د. فتيحة عباس _ أستاذة بحث

أ. بن شوك أنور _ ملحق بالبحث_

_ وحدة البحث تلمسان -جامعة تلمسان-

(مداخلة ثنائية)

الكلمات المفتاحية:

التعايش اللغوي _ الخطاب المسجدي _ وادي ميزاب.

المحور الأوّل :

تحديد مفاهيم المصطلحات الخاصّة بموضـوع التّعـايش اللّغـويّ: التّعـايش اللّغويّ، الصّراع اللّغويّ، حرب اللّغات، التّدخل اللّغويّ، التّهيئة اللّغويّة، التّخطيط اللّغويّ، السّياسة اللّغويّة.

المداخلة :

يعدّ الخطاب الديني الفهم الموجّه للنّصوص الدّينية، و في الإسلام يتولى المسجد هذه المهمة من خلال الأئمة، فالإمام لديه شرعية دينية تمكنه من توجيه الناس لما فيه صلاحهم ورقيّهم، ففي الفترة الاستعمارية اعتبر المسجد الحصن المنيع الذي حافظ على الإسلام واللغة والوطن، و الذي أعطى نفساً للثوار للمقاومة، ومع الاستقلال ومع تبنّي الجزائر لمشروع الدولة الوطنية، ازدادت أهميّة الخطاب المسجدي، لأنّه يمثل منبعاً للشرعية الدينية وكذلك السياسية، و ما شهدته الجزائر من أحداث في التسعينات تبين ذلك، إن من مظاهر الحضارة بميزاب الأنظمة الاجتماعية، و السياسية الصارمة المتبعة فيه ، في ظل تعاليم الدّين الإسلامي ، و

المذهب الإباضي ، تشمل هذه الأنظمة الجانب العلمي والاجتماعي و السياسي عند الميزابيين ، ولابّد أن كل من يطلع على هذه الأنظمة العريقة، سيغير تماما من نظرته تجاه هذا الشعب الأصيل، فالمداخلة الآتية تبنى على الإشكالية مفادها ما مدى تحقيق التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغيّة من خلال الخطاب المسجدي بوادي ميزاب؟ سنعتمد في مداخلتنا على نموذج من النوابغ في الجزائر ، ألا وهو سعيد كعباش.

1- **سعيد كعباش :**

هو محمد بن إبراهيم المعروف بسعيد كعباش من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية من الجمهورية الجزائرية وآل سعيد فرع أصيل من عشيرة أولاد بكة في بلدة العطف (تاجنينت).[1]

أبصر نور الحياة خلال 1929 في حضن أبوين كريمين سعيد بن إبراهيم باحمد، وبهون شيخة بنت الحاج محمد، تركه والده فقيرا يتيما لا يزيد عمره عن سنتين، وليس معه إلاّ أختان، توفيت إحداهما فأصبح وحيد أمه وقرة عين لها فاعتنت بتربيته على حب الله ورسوله وعلى حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وقد وهبه الله ذاكرة قوية وذكاء لامعا، ولم يكن كتاب قريته ليروي طموحه في العلم ؛ فارتحل إلى معهد القرارة عند الإمام الشيخ بيوض، ثم تونس الخضراء حيث درس العلوم العربية والشرعية في الجامع الزيتوني، ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني.[2] بدأ العمل في مجال التربية والتعليم أستاذا زائرا في القطاع الديني الحر في فترة الاستعمار ثم في القطاع العمومي بعد الاستقلال الوطني حتى تقاعده عن العمل 1990[3]

انتسب إلى الجامعة الجزائرية في أوائل السبعينات، تحصل على شهادة ليسانس في الأدب العربي وانخرط عضوا رسميا في حلقة العزابة للمسجد الجامع بالعطف سنة 1958، ثم عينته الحلقة إماما ومريدا 1970[4] وهوما يزال يقوم بمهمته النبيلة في الإصلاح الديني والاجتماعي نصحا وإرشادا وتجلية لمعاني كتاب الله وسنة

رسوله على المنبر بعد أن حدا صفوف الأجيال على مقاعد الدراسة لما يقري من أربعين سنة في مسيرة مهنية متواصلة لم تنقطع بفترة مرض أو انحراف عن الخط لوجهة أخرى .[5]

وقد أسهم المؤلف بقسط وافر من التضحية والجهد في صفوف جبهة التحرير الوطني، ويعد في عضوية منظمة المجاهدين دون منٍّ ولا غرور، وهو متزوج وأب لسبعة أولاد.[6]

وله العديد من المصنفات نشير إلى بعضها قبلا علاوة على تفسيره نفحات الرحمان، بالإضافة إلى كتب ماتزال مخطوطة منها: حديث يوم الخميس في شرح مسند الإمام الربيع بن حبيب، والنداء الرباني للمجتمع الإيماني (تفسير لما ورد في القرآن من نداءات)، المجموعة السنية من الرسائل الفنية، القول الوثيق في زيارة البيت العتيق، خطرات ومواجد (مجموعة من القصائد الشعرية) ، مجموعة من المحاضرات ألقاها في مناسبات عدة، المذكرات اليومية وهي عبارة عن 25 سجل يضم مايزيد عن 6000 صفحة.[7]

2-التعايش اللغوي:

عندما نتحدث عن التعايش اللغوي تطبيقا بين اللغة الأمازيغية والعربية في منطقة غرداية تحديدا إنما ننطلق من مرجعيتين اثنتين تاريخية ودينية؛ أمّا الدينية فإنها تنحصر في الانتماء والانضواء تحت راية الدين الإسلامي من قبل الأمم الأمازيغية بدءا من القرون الهجرية الأولى؛ فكان هذا الدين يستلزم تقبل اللغة العربية واتخاذها لغة فصحى ولغة رسمية، بالإضافة إلى التكلمات اللهجية المحلية[8] من قبل جميع القبائل البربرية مع ما يسجل على دول المغرب الإسلامي ومنها المغرب الأوسط من عدم تقبلها للدين الإسلامي وللمسلمين في مستهل، الأمر لا لشيء إلا لما دأبت عليه من الغزوات والفتوحات التي شهدتها قبل مجيء المسلمين، فلذلك كانت القبائل البربرية يومئذ تظن أن الفتح الإسلامي من قبيل هذه الفتوحات؛ فاستنكفت عن الخضوع والرضوخ في بادئ الأمر ؛ ولكن وشكان ما

استجابت للفتوحات الإسلامية ، وارتضت الدين الحنيف واتخذت لغته لغة كغيرها من الأمم الأخرى التي دخلت تحت لواء الفتوحات الإسلامية.[9]

وسرعان ما ظهر فصحاء أبيناء وخطباء بلغاء وشعراء مفلقون اتخذوا اللغة العربية لغة للنسج الأدبي والإبداعي لمختلف فنونهم من خطابة وشعر ومقال، ولا أدل على ذلك من خطبة طارق بن زياد في القرن الأول الهجري إن صحت نسبتها إلى هذا الرجل[10]، والشعر الذي ينسب لسابق البربري في القرن الأول الهجري،[11] وشعر بكر بن حماد التهرتي الذي ظهر خلال القرنين الثاني والثالث للهجري وغيرها من النصوص الفصيحة المغاربية التي ظهرت في تلك الفترة الباكرة من القرون الهجرية الأولى المنسوبة إلى أربابها والمجهولة.[12]

وأما المرجعية التاريخية فتتجذر الحقيقة عن المرجعية الدينية من انتساب الأمة الميزابية إلى المذهب الإباضي الذي ينسب إلى عبد الله بن إباض وربما إلى جابر بن زيد الذي عاش في القرن الأول الهجري[13] وتعتبر الإباضية من المذاهب التي ترجع إلى القرآن ولا ترتضي غيره حكما وذلك ابتداء من القرن الهجري الأول وبالتحديد من الحادثة التاريخية المعروفة التي وقعت بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بعد واقعة صفين حين استجاب علي رضي الله عنه لطلب معاوية بن ابي سفيان ووقع ما وقع بحيث احتكم الخوارج إلى القرآن وقالو بمبدأ لاحكم إلاّ لله فاتخذوا القرآن الكريم مرجعية.[14]

نقول هذا على هون ما لا لشيء إلا أن أكثر المؤرخين يعدون الإباضية فرقة معتدلة من فرقة الخوارج؛ بينما ينفي أكثر الإباضين عن هذا المذهب أن يكون من زمرة الخوارج.[15]

ومهما يكن من أمر فإنّ هذا المذهب المعروف بعلمائه وبآرائه الفقهية من المذاهب التي تلتزم بالقرآن دليلا من أدلة الفقه، ولا تكاد تحيد عنه قيد أنملة، هذا المذهب الذي كان المذهب الرسمي لأول دولة جزائرية، ولأول خلافة إسلامية في المغرب الأوسط بزعامة عبد الرحمن بن رستم هذا القائد الذي التجأ إلى قبيلة من قبائل

تيهرت تسمى ماوية فآوته ونصرته، وما لبثت أن أمرته خليفة عليها فتأسست بذلك أول خلافة في المغرب الأوسط موسومة بالدولة الرستمية التي تتخد المذهب الإباضي مذهبا[16]

ومن الطبيعي أن تتشدد هذه الدولة لاتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ولغة نموذجية للأدب، وما لبثت أن أسهمت في علوم الفقه وعلوم اللغة بقسط وافر من المصنفات والكتب، ولا أدل على ذلك من المكتبة المعصومة التي ذاع ذكرها بتاهرت (تيارت) والتي تحتوي ما تحتوي من كتب ولا شك أن أهل هذه الدولة قد اضطلعوا باللغة وبالآداب وعلوم الفقة، واطلعوا عليها اطلاعا واسعا فخلفت كتبا ومصنفات لا تعدّ في مختلف العلوم.[17]

فالمحافظة على اللغة من لدن الأمة الميزابية إنما هي محافظة على الهوية وعلى الانتماء الحضاري لهذه الأمة، ووفاء للجذور وللتاريخ الضارب في أواخر الزمن. وقبل ذلك هي المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف كيف لا واللغة العربية تابعة للدين الإسلامي وحليفة للقرآن محفوظة به، فلا غرو أن نجد الأمة الميزابية تسهم في المحافظة على اللغة العربية والتواصل بها واتخاذها لغة الإبداع ولغة التعليم بل أكثر من ذلك الاسهام في تطويرها وتنميتها، وإضافة في رصيدها على غرار ما فعله عبد العزيز الثميني ومحمد بن يوسف اطفيش وسوائهم الذين أثروا البحث في اللغة العربية بمصنفاتهم.[18]

ولا يمكن أن نغفل أن اللغة العربية كعنصر من عناصر الهوية، ورابط من روابط المجتمع أسهمت فيه في المغرب الإسلامي بشكل عام، وفي المغرب الأوسط تحديدا المدارس والزوايا القرآنية والرباطات والمساجد، كما أسهمت في التعليم بشكل عام ابتداء من القرن الرابع الهجري ومايليه أين ظهرت الزوايا القرآنية بالشرق ثم انتقلت إلى الغرب وشهدت انتشارا واسعا فانتشرت عبر ربوع الوطن الجزائري وأدت أدوارا مهمة على مختلف الأصعدة .[19]

وذلك ابتداء من البعثات العلمية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيــز المتمثلــة في ثلة من الفقهاء ليعلموا الناس أصول دينهم، كما وقع في المشرق العربي حين أتــى الله بالإسلام ومصر المصرين البصرة والكوفة وبعث عمر بن الخطــاب أبــا موســى الأشعري ليقرأ الناس القرآن في البصرة؛ فكان من تلامذته ثلاثمئة طالب كانوا النــواة الفعلية للدراسات القرآنية وبالتالي للدراسات اللغوية ولتعليم اللغة العربيــة.[20] ذلــك أن تعليم اللغة العربية ارتبطت بقراءة القرآن وبتعاليم الدين الإسلامي، انطلا قا من الخلفاء الراشدين الذين طفقوا يحضون على تعليم اللغة العربية لأنها من الــدين ولأنهــا مــن المروءة ولأنها من مقومات الشخصية العربية.[21]

وعندما آل الأمر إلى الغرب الإسلامي كان أمر اللغة والدين وتعليمها موكول إلــى المدارس القرآنية والزوايا والرباطات والمساجد التي اضــطلعت بمدراســة القــرآن ومدارسة اللغة العربية فقد أورد صلاح مؤيد العقبي؛ أنها لعبت دورا مركزيا في نشــر الثقافة الإسلامية والحفاظ على القرآن الكريم يتلا آناء الليل وأطراف النهار، وبالتــالي الحفاظ على مقومات الشخصية العربية... بالإضافة إلى أدوار أخرى منهــا التصــدي للاحتلال والتصدي لمقاومة الاحتلال الفرنسي إبان الثورة التحريرية،[22] وقد أورد أبــو القاسم سعد الله أ ن ظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف، ففي المدينة أيضــا كانت بعض الزوايا تقوم بدور إيجابي في نشر التعلــيم بجميــع مســتوياته، فالزاويــة القشابية قد تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا أو معهد وكذلك زاوية شيخ البلاد في مدينة الجزائر هي وزاوية الفكون في قسنطينة وزاوية مازونة ذات الشهرة .. غير أن معظم زوايا المدن كانت معطلة عن التعليم لوجود الكتاتيب من جهة والمدارس المتخصصــة من جهة أخرى...[23]

وفي زوايا القرآن والعلم والتربية والكتاتيب نشأ وترعرع المصلحون والمجاهــدون الأولون أمثال الأمير عبد القادر والشيخ الحداد والشيخ بوعمامة والشيخ عبد الحميد بــن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي ... فكلهم أبناء الزوايا والكتاتيب وأمثالهم كثيرون في كل أرجاء الوطن..[24]

وإذا انقلبنا إلى علماء غرداية بشكل خاص وإلى سعيد كعباش بشكل أخص؛ نجد له نشاطات عدة في مختلف الميادين تأتي في مقدمتها اشتغاله كخطيب مسجد وداعية إلى الله للتآلف والانسجام، وقد أثرى المكتبة العربية بعدد وافر من الخطب يدعو فيها إلى الله على بصيرة:

يقول في شأنها: "صغتها بمهجة القلب وحشاشة الروح المتألقة بنور ربها على درج المنبر، أو في قبة المحراب تواجدا وضرعا استنزل الرحمات، وألحّ في الدعوات أن يجمع الله شتات المسلمين ويوحد صفوفهم ويلهمهم رشدهم ويجمع كلمتهم على الحق المبين وينصرهم على أعدائهم بالعز و التمكين"[25] وهكذا نجده يفتتح كتبه التي تمخضت لتوثيق الخطابات التي ألقاها، داعيا فيها إلى التآزر والتكافل والاجتماع بلسان الحال وبلسان المقال؛ بلسان المقال لما تتضمنه من دعوات صريحة إلى الاتحاد والاجتماع، لا يغمض من صراحتها إلا ما قد يشوب أسلوبها من مجاز والاستعارة في الكلام التي تصل إلى متلقيه بلسان التلميح لا بلسان التصريح مما يقتضيه الأسلوب الأدبي من عدم اعتماد الخطابية التقريرية الفجة، وبلسان الحال؛ لأن من يخلد مناسبة أو عيدا، أو يدعو إلى منقبة أو خصلة حميدة ومن يجاري المناسبات الوطنية في الوطنية في خطاباته، هذا لا يعني إلاّ أنه يدعو إلى الوحدة وينضوي في مجتمع خلاق تضبطه ضوابط ومقومات وروابط قبلية وبعدية، وقد خص المنبر بهذه الخطابات والدعوات نظرا لما للمسجد من دور كما تقدم ونظرا لرؤية الكاتب الشخصية إلى المسجد، نجده يعد المسجد المربي الأول، والمنبر الإعلامي الذي يأتي في المقدمة لتلقين علوم الدين، والدعوة إلى الإصلاح، يقول:

"لا يعزب عن بالنا مكانة المسجد في الإسلام، ولا يغيب عن ذاكرتنا ذلك الدور القيادي الذي اطلع به في مسيرتنا التاريخية عبر القرون انطلاقا من المسجد النبوي الشريف، فهو أول جامعة إسلامية تخرج منها جهابذة العلماء وأساطين الفكر وزعماء الإصلاح..... ولقد استطاع المسجد عبر القرون والأجيال أن يروض نفوسا أغربت في وحشتها وأمعنت في شراستها، وتمكن بحكمته الواعية وقدسيته الظاهرة أن يجمع

أشتاتا شردت عن رسالتها في فترات من النكوص وغلبة الأهواء؛ فأنقذهم من فتنة العداوات والعصبيات وصراع التحزب والانتماءات فأصبحوا بنعمته اخوانا، وعلى البر والتقوى أعوانا."[26]

وهكذا نجد أسلوبه مركزا يعتصر العديد من المعلومات التاريخية والحقائق الواقعية لولا ضيق المجال أن نأتي على بعضها مما نجده مبثوثا في المصنفات ومما يتبث للمسجد ذلك الدور القيادي المنوط به والموكل إليه عبر القرون وعبر الأزمنة أو لم يكن أول بيت جامع للمسلمين هو مسجد قباء التاريخي.

يقول سعيد كعباش "إن أمتنا المسلمة هي ابنة المنبر مذ كانت صاغها الله يوم كانت يرتقيه محمد صلى الله عليه وسلم لقد كان منبرا وحيدا مع ذلك استطاع أن يربي جيلا من البشر حملوا الرسالة إلى الآفاق وأقاموا الدين والدولة معا ،فكان أثر المنبر الواحد أعظم من تأثير المئات من المنابر والمئات من الجامعات والمئات من المدارس والمعاهد التي تمثل بها حظيرة عالمنا الإسلامي الآن"[27]

ولم يقتصر عمله في إطار التعايش والدعوة له على المنابر وعلى المساجد، بل تطاول إلى صيحاته ودعواته متى سمحت الفرصة وكانت المناسبة في كل مجمع وفي كل ناد، ولعل ما ساعده على ذلك انشغالاته والمهام الموكلة إليه مما سبق ذكره فنجد له كلمات في مناسبات عدة من تكريمات ومناسبات وطنية وزيارات للوفود فلم يتوان في كل سانحة أن يذكر ويذكر بالمقومات الوطنية والروابط الاجتماعية ومقومات الهوية ولا شك أن اللغة العربية هي أعظم المقومات والروابط الاجتماعية، فها هو ذا في مناسبة تكريم الشيخ البكري يرفع عقيرته قائلا: (الوئام الوئام؛ فإن الوقت جاد ولات حين خصام، فلنخمد كل صوت يدعو إلى التفرقة مهما يكن قائله، ولنبارك كل عمل تتجلى فيه وحدتنا ولا يغنينا من هو فاعله، لأن الرجال يعرفون بالحق، ومخطئ من لا يعرف الحق بالرجال[28]، وما أشقى الأمة إلا سادتها الداعون إلى الشقاق استيفاءً لنفوذ موهوم، وجاه مزعوم)[29] وبحسبك رجل عايش أحداثا جساما من تاريخ الدولة

الجزائرية، وخبر معنى الشقاق والتفرقة ممّا مرت به الجزائر من أحداث مأساوية سواء وطنية محلية أم عالمية.

ولذلك نجده يغتنم كل مناسبة للتّأكيد على وحدة الوطن وعلى ضمان الاستقرار ففي حفل تكريم الوزير عبد الرحمان شيبان يقول:[30] (نهيب بكم معالي الوزير أمام الله وأمام التاريخ والأجيال أن تكونوا لنا خير سند وأفصح ترجمان لدى مسؤولينا وولاة أمورنا لتعبئة الجهود وتضافرها وتكاملها في تعهد المواطنين بالتوعية والإرشاد وتأطير الشباب بما يصلحهم في دينهم ودنياهم والضرب على أيدي المفسدين والمخربين ومحاربة الآفات الاجتماعية في شتى مظاهرها وأنواعها، لأن الله تعالى يزع بالسلطان مالا يزعه بالقرآن)[31]

وفي ذكرى الثورة يقول: (فإنّ جرح العهد البائد لم يتتصل بعد، وإن رواسبه لعميقة الجذور فلا تقنعوا بالهين اليسير، فإن ذلك يميت روح الثورة في النفوس ولا تتركوا الخلل في الصفوف، فإن الذئاب تربض، والعدو لا ينام عن ثأره)[32]

ولا يمكن أن نغفل من نافلة القول هذه الإشارات الجمالية التي يشير اليها بين الفينة والأخرى من إدراج مثل سائر، أو قول مأثور في مجمل خطاباته، مما يدل على تمكنه من اللغة ومن ناصية الموروث الأدبي للغة العربية، وهذا ما يدل على أنه انطلق من الأدب ومن اللغة العربية كمقوم من مقومات الهوية، وكزاد معرفي يتزود به لمعالجة الأحداث، وقد أسلفنا القيل بأنه يدعو إلى التعايش بلسان الحال ولسان المقال.

وقد زاوج في دعوته بين التصريح وبين التلميح والإغراق في الرمزية حسبما يقتضي المقال ومن المواقف التي يتجاوز فها التلميح إلى التصريح قول: "إخواني الأعزاء إن أمجادنا التاريخية غنية عن التعريف، وإن أصالتنا العربية قد استعصت عن التحريف والتزييف، ولم يكن رائد هذه النهضة المباركة وزملائه من العلماء لم يكن مفتاتا دعيا ولا مجازفا غويا حين رفع عقيرته بالنداء.

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أوقال مات فقد كذب

أورام ادماجا له رام المحال من الطلب

لقد أرسلها صرخة مدوية، وفي ليل معترك الـدياجي مطـرز الحواشـي بالـدماء والدموع، ولم تكن صرخة في واد أو نفخة في رماد، كما ظنها المستعمرون والإمعات المتخاذلون"[33]

وهكذا يستحضر أحد الرموز الوطنية ورجالات الجزائر المتمثل في شخص عبـد الحميد بن باديس رحمه الله وقصيدته المشهورة التي تنادي بمبدأ العروبة، وتدعو إلـى الدين الإسلامي الحنيف، وكثيرا ما يستنجد في كلماته بالرموز الوطنية ففـي ذكـر الاستقلال يقول:

"ولكني اغتنم هذه الفرصة السعيدة لأقول لكل شبابنا الجزائري وهـو يتغنـى بهـذا الشاعر الكبير ويستلهم معاني العز والفخر من انتاجه الجزل القوي أقول لـه هكـذا " هكذا كونوا أولا تكونوا"، كن مثل مفدي زكرياء" في شهامته وإبائه ،في غيرته وتفانيه في حب الوطن في إقدامه وشجاعته في نظرته المثلى إلـى الـوطن والـدين واللغـة والتاريخ في دعوته الصادقة إلى الوحدة والتآخي وإلى الوحدة والتكامـل فـي إطـار المغرب العربي الكبير وهو يقول :

إن الجزائر في الغرام وتونسا والمغرب الأقصى خلقن سواء[34]

وهكذا يستحضر رمزين من رموز الثورة في هذا النص الإبراهيمي عليـه رحمـة الله عبر مقولته المسهورة"ياشباب الجزائر هكذا كونوا أو لا تكونوا" في معرض نصحه للشباب الجزائري ويستحضر شاعر الثورة مفدي زكرياء الذي مافتئ يدعو الى الاتحاد وينادي بالتمسك بالوحدة وبمقومات الوطن.

وفي حفل تكريم طلبة القرآن يقول بشكل صـريح "وتجلـت للنـاس أجمعـين مقومات نهضتنا واجتمعت كلمتنا على ثوابت شخصيتنا فهيهات هيهات أن ترضى عن الإسلام ولا عن لغته منهاجا وتحويلا"[35]

الهوامش

[1]– ينظر تعريف هذه القريةفي كتاب العطف (تاجنينت) ام القرى المزابية،سعيد كعباش، طبع ونشر جمعية الفية العطف، غرداية الجزائر.

[2]– ينظر رحلة العمر، سعيد كعباش،نشر مكتبة التوقيف، العطف غرداية الجزائـــر.ص 12 ومابعدها

[3]– المرجع السابق نفسه، ص17 وما بعدها

[4]– ولذلك انتج عددا من المصنفات في التفسير والدراسات القرآنية، وكانت له من هذا القبيل مجموعة من الخطب منشورة في ثلاث حلقات: صوت المنبر من خطب يوم الجمعة الاغر، نشر المطبعة العربية، نهج طالب احمد غرداية، وصوت المنبر من خطب يوم الجمعة الاغـــر، نشـــر جمعية النهضة، بلدية العطف غرداية، وصوت المنبر من يـــوم الجمعـــة الاغـــر، نشـــر مكتبـــة التوقيف،العطف، غرداية، 2006

[5]– وقد تمخضت عن عمله المهني ائفة من الكتب منها الذر النظيم فـــي فعاليـــات التدشـــين والتكريم، نشر مكتبة التوقيف العطف الجزائر، وصرخات على مسر مسرح المجتمع في حلقتينمن نشر جمعية النهضة بلدية العطف ولاية غرداية.

[6]– ينظر تفصيل ذلك في كتاب رحلة العمر ، ص10 وما بعدها

[7]– ينظر ، صوت المنبر، من خطب يوم الجمعة الاغر، حي النهضة، بلدية العطف غرداية الجزائر، ص230

[8]– تقبلت القبائل البربرية العربية بقبول حسن غداة الفتوحات الإسلامية بـــالنظر الـــى عـــدة عوامل أولها دينية وربما لدواعي تاريخية وعرقية بين القبائل العربية والبربرية

[9]– يرجع الدارسون عدم الرضوخ الى عدة عوامل ويرجحون السبب المذكور كاول الأسباب انظر عبد الملك مرتاض الادب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، 20 وما بعده.

[10]– يختلف الدارسون حول صحة نسبة خطبة ارق بن زياد لابن زياد بالنظر الى عدة عوامل منها كونه بربري حديث العهد بالإسلام ومن العوامل عوامل سياسية محضة واستراتيجية انظـــر محمد مرتاض، الادب المغربي القديم، ص15 وما بعدها

[11]– المرجع نفسه، ص07 ،

[12]– قصيدة بكر بن حماد ومختلف اشعاره من مرثيات وحتى شعر الوصف ولعل اشهر شعره هو قصيدته التي هجا فيها عبد الرحمان بن ملجم المرادي قاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعرض بعمران بن حطان مادحه في قصيدة اشتملت 13 بيتا شعريا.ومطلعها:

قل لابن ملجم والاقدار غالبة   هدمت ويلك للاسلام اركانا

صهر النبي ومولاه وصورته   أضحت مناقبه نور وبرهانا

[13]– المذهب الاباضي ، رائدها الأول جابر بن زيد الذي انطلق من كتاب الله وسنته مرجعية ولكن المذهب نسب الى عبد الله اباض.

[14]– الواقعة مبسوطة في كتب التاريخ، وذلك حين غلب معاوية علي حيلة ودسا فخرج الخوارج عن علي رضي الله عنه وقالوا بمبدا لا حكم الا لله وسمو الحرورية والخوارج واهل الحق والاستقامة ووو.

[15]– وربما الفت كبب في هذا الشأن منها ، الإباضية في موكب لتاريخ، والاباضية ليسوا من الخوارج وغيرها

[16]– تنظر مقدمة ابن خلدون، وينظر عبد الملك مرتاض، الادب المغربي القديم دراسة في الجذور، ص19 ومايليها.

[17]– من ذلك مايروىان افلح بن عبد الوهاب بن رستم أحد امراء الدولة الرستمية الف مصنفا في 50 جزءا، وكان يخطب الناس 49 سنة وما أعاد خطبة قط.

[18]– اسهم الرعيل الذي سبق سعيد كعباش مثل محمد بن يوسف اطفيش، وعبد العزيز الثميني وغيرهم بقسط وافر من المصنفات الدينية واللغوية على الرغم من الحياة السياسية المريرة التي كانوا يواكبونها حينئذ وعلى الرغم من هلهلة الحياة الفكرية والاجتماعية.

[19]– عبد العزيز نبهي، الزوايا والصوفية والعزابة، دار الغرب للنشر، ص 10

[20]– التواتي بن التواتي، المدارس النحوية، دار هومة الجزائر، ط1، 2008، ص15

[21]– عبد الجليل مرتاض، الفسيح في ميلاذ اللسانيات العربية، دار هومة ، الجزائر، ط1، 2008،ص 30

[22]– الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر،دار البصائر،ط1، 2002،ص56

[23]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، ص176

[24]– عبد العزيز نبهي، مرجع سابق، ص30

[25]– صوت المنبر من خطب يوم الجمعة الاغر، سعيد كعباش ، المطبعة العربيـــة، غردايـــة ص06

[26]صوت المنبر، ص 57

[27]– المرجع السابق نفسه، ص45

[28]– يشير الى مقولة لابي حامد الغزالي ، ينظر عبد الله الغذامي، القصيدة والنص المضـــاد، ص14

[29]– صرخات على مسرح المجتمع، سعيد كعباش، جمعية النهضة العطف غرداية، ص78

[30]– المرجع السابق نفسه، ص 89

[31]– يشير الى مقولة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن الطريف ان يضع الدكتور صالح بلعيد كتابا بهذا العنوان يتناول مسالة الهوية واللغة وعلاقتها بالحاكم والمحكوم موسوم هكذا يـــزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، طبعو دار هومة الجزائر،

[32]– صرخات على مسرح المجتمع، سعيد كعباش، ص99

[33]– صرخات على مسرح المجتمع، ص156

[34]– الدر النظيم في فعاليات التدشين والتكريم، سعيد كعباش، مكتبة التوقيف، العطف غردايـــة ص18

[35]– المرجع السابق نفسه، ص93.

التعدد اللغوي في الجزائر

‹ ‹ì…^ÛÂ‹gé ‹íè‡çÊ‹‹
‹ ‹‹‹‹‹l‹ínÖ^nÖ]‹íßŠÖ]‹—‹å]…çjÒ ‹ífÖ^ ‹
‹ ‹l Ì ×#Ö]Iê×Âçe‹àe‹íféŠu‹íÃÚ^q‹‹
f.taiebamara@gmail.com

مقدمة:

إن اللغة هي الخصيصة الجوهرية في حياة الفرد وسـرَ نجـاح الحضـارات والأمم، وهي وسيلة للتعبير عن خلجات الـنفس مـن أفكـار، فهـي أداة للتفـاهم والتواصل بين أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة وتبـادل المعلومـات والأفكـار والمعارف، فاللغة كائن حي ينمو ويتطور في أحضان المجتمـع مثـل مـا ينمـو ويتطور الإنسان، فهي ترتبط بالمجتمع وأفراده ارتباطا وثيقا، باعتبارها لغة الحياة ومناط هويتنا وقوام ذاتنا، وذاكرة الأمة التي تختزن تراثها وقيمها، إلا أنها عرفـت في الآونة الأخيرة تعددا لغويا و تراجعا إلى الوراء، وأخذت مسارا جديدا جعلهـا في صراع لغوي حاد مع لغات ولهجات أخرى، وقد أدى ذلك التعدد إلـى ظهـور لغة متأثرة تداخلها عدّة لغات.

التعدد اللغوي ظاهرة لغوية عرفتها المجتمعات العربية منها والغربية، والمجتمع الجزائري واحدٌ من المجتمعات التي تعرضت لهذه الظاهرة، حيث أثر هذا التعـدد على العربية الفصحى وأصبحت بعد ذلك لغة هجينة ومشوهة تسيطر عليهـا عـدّة

اللغة العربية الفصحى وتقدم اللهجة العامية إلى الأمام، حيث نجد هذه الأخيرة تسير جنبا إلى جنب مع العربية الفصحى، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية التي تنافسها في الاستعمال اليومي عند الفئة المثقفة من الشعب .

اللهجة العامية أو الدارجة على حد تعبير البعض هي في تطور ملحوظ ورُقي دائم، حيث دخلت ألفاظ غريبة وجديدة وتراجعت العربية الفصحى إلى الوراء، فالعامية في صراع دائم مع العربية الفصحى، ويعود سبب ظهور هذا التعدد إلى عدة عوامل جعلت من اللغة العربية عرضة للإقصاء والتهميش، وهذا ما لا ينبغي أن تكون عليه اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، فالتعدد اللغوي إذا هو سلاح ذو حدين يكون ايجابيا إذا سار وفق طرق سليمة وصحيحة، ويكون سلبيا إذا كانت الغلبة للغة على حساب لغة أخرى .

1) تعريف اللغة:

أ. لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في باب لغا، أن اللغة على وزن فعلة من لغوت أي تكلمت، وأصلها: لغوة ككرة، وثبة، كلها لاماتها وواوات، وقيل أصلها لغي، وجمعها لغى مثل برة أو برى والجمع لغات [1]، وقالوا فيها لغات ولغوت ولغا لغوا تكلّم وخاب[2]، ويعرفها ابن جني بقوله " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3] ، فهو يذكر الطبيعة الصوتية للغة ووظيفتها الاجتماعية في التعبير، وعن طريق اللغة يتم التواصل بين الأفراد .

وقال الكفوي: اللغة أصلها لغى ، أو لغو جمعها لغى ولغات[4].

ب. إصطلاحا:

اللغة استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعا، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية، وأصبحت بعض بحوثه تدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع يسمى "علم الاجتماع اللغوي" يحاول الكشف عن العلاقة

بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة [5] .

وعلى هذا الأساس تعرف اللغة بأنها "مجموعة من الرموز الصوتية يحكمها نظام معين وظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية ويتعارف أفراد المجتمع على دلالتها من أجل اتصال بعضهم البعض، فهي إذن صفة مميزة للجنس البشري "[6].فاللغة إذا هي من الوسائل التي بواسطتها يستطيع المرء التواصل مع غيره، ونقل المعارف والأخبار.

2) التعدد اللغوي: Plurilinguisme

التعدد اللغوي هو معرفة الفرد أكثر من لغة بحيث يستطيع التواصل مع غيره بلغة ثانية، فتحدث هناك عدة تغيرات لغوية سواء عند الفرد أم المجتمع وذلك لعدة عوامل .

نقول عن دولة ما أنها متعددة اللغات حينما يتم التكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل، ونقول عن شخص ما أنه متعدد اللغات عندما يكون بإمكانه التعبير عن حاجياته ومقاصده والتواصل مع غيره بأكثر من لغة "[7].

وقد تم الإشارة إلى التعدد اللغوي في قاموس اللسانيات ل"جون ديبوا" بأنه "يحدث لما تجتمع لغتان فأكثر في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد لاستعمالها في عملية التواصل بين الناس، فدولة سويسرا مثلا نجد اللغات الرسمية بها من فرنسية وايطالية وألمانية "[8]، وإذا ما نظرنا إلى الجزائر كدولة عربية نجدها مثل باقي الدول الأخرى تتعدد فيها اللغات، حيث نجد اللغة العربية اللغة الأم والأمازيغية، واللغة الفرنسية باعتبارها الدخيل الأجنبي بالإضافة إلى اللهجات الأخرى المختلفة والمنتشرة عبر ربوع الوطن .

فالتعدد اللغوي هو "استعمال أكثر من لغة واحدة، أو القدرة بأكثر من لغة" وهذا إما أن يكون متعلقا بشخص أو بمجتمع بعينه، أو كتاب، وقد ورد في المعجم المفصل في علوم اللغة تعريف مصطلح متعدد اللغات بأنه[9]:

1. هو الشخص الذي يتكلم أكثر من لغتين .
2. صفة لمجتمع فيه أكثر من لغتين مستعملتين .
3. صفة لكتاب يتضمن نصوصا بأكثر من لغتين .

قد يصنف التعدد اللغوي تحت مصطلح الثنائية اللغوية باعتبار أن التعدد هو أن يتقن الفرد لغتين مختلفتين، ومن غير الممكن أن نجد مجتمعا بأكمله يتقن أكثر من لغة .

3) الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية :

أ. لغة:

لقد ورد في معجم لسان العرب لابن منظور "زوج: الزَّوج خلاف الفرد والزَّوج الاثنين، ويقال عنده زوجا نعال وزوجا حمام يعني ذكرين وأنثيين، قال أبو بكر: العامة تخطئ فتظن الزَّوج اثنين، وليس ذلك من مذاهب العرب إذ كانوا يتكلمون بالزَّوج موحدا في مثل قولهم: زوج حمام لكنهم يثنونه فيقولون عنده زوجان من الحمام يعنون ذكر وأنثى ويقال عنده زوجان من النعال اليمين والشمال، ويوقعون الزَّوجين على الجنسين المختلفين نحو الأسود والأبيض والحُلو والحامض، قال الله تعالى " فاسلك فيها من كل زوجين اثنين " المؤمنون: الآية 27 ، فالسماء زوج والأرض زوج والنهار زوج والليل زوج ويجمع الزوج أزاويج[10] .

ب. اصطلاحا:

الثنائية اللغوية: Bilinguisme

في الحقيقة يصعب تحديد مصطلح الثنائية اللغوية والتفرقة بينها وبين الازدواجية اللغوية، "فعند المغاربة يطلق على استخدام فرد أو جماعة لمستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أو التنافس بين لغة أدبية مكتوبة كالفصحى، واللغة الدارجة أو العامية الشائعة في الاستعمال اللغوي، أما عند المشارقة يطلق على استعمال لغتين مختلفتين في آن واحد عند فرد أو جماعة، أي بين اللغة الهدف ولغة أجنبية أخرى"[11] .

في حين يعرفها محمد علي الخولي فيقول: " ونعني بالثنائية اللغوية في الـوطن العربي أن يتكلم الناس في البلد لغتين، الأولى عربية التي تستخدم فـي المجـالات الرسمية كالحياة والتعليم والإعلام والبرلمان وكتابة القوانين، والثانية لغـة محليـة (غير عربية) تستخدمها مجموعة من المواطنين للتواصل فيما بينهم، بينما تستخدم اللغة السائدة للتواصل مع الآخرين "[12].

كما يجمع اللسانيون على أن الثنائية اللغوية تعبر عن الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، كما تعبر عن تلك الحالة التي يسـتخدم فيهـا المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين، فالفرد ثنـائي اللغة بذلك هو فرد يمتلك عدة لغات تكون مكتسبة كلها كلغات أم[13].

فالثنائية اللغوية هي استعمال الفرد للغتين مختلفتين كالعربية والفرنسـية فـي آن واحد مثل ما نراه اليوم في الجزائر، نجد اللغة الفرنسية تزاحم العربية الفصحى في جميع القطاعات والإدارات العامة .

الازدواجية اللغوية: La Diglossie

يتجلى مفهوم الازدواجية اللغوية كما قدمه المؤلفان (ميقال سيجوان وولـيم ف-ميكاي) (MIGUEL SIGUAN . WILLIAM F-MAKEY) في تعريفهما للشـخص مزدوج اللغة، في أنه الشخص الذي يحسن ويتقن لغة ثانية بدرجة متكافئة مع لغته الأصلية التي يتكلم بها، ويستطيع أن يستعمل كلا من اللغتين بالتـأثير والمسـتوى نفسه في كل الظروف[14].

يعرفها اللساني الأمريكي"شارل فارغيسون " بقوله:"الازدواجية اللغويـة وضـع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة (التي قد تشمل علـى لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة)، إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محتـرم سواء كان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضـارية

أخرى، ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية[15].

فالازدواج اللغوي هو تداول أسلوبين من نفس اللغة في مجتمع واحد، الأول فصيح يستعمل في الخطابات والإدارات والمؤسسات التعليمية، والآخر عامي يستعمل في البيت، الشارع، السوق ...الخ .

ومن أسباب تنوع اللغة في الاستعمال هو التطور اللغوي في مستوياتها الأربعة من المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والمستوى الدلالي، وذلك من مثل عدم مراعاة الإعراب عند النطق، واختلاف البيئة داخل المجتمع له دور فعال في ظهور الازدواجية اللغوية، حيث نجد أفراد المجتمع يختلفون بحسب البيئة التي ينتمون إليها، فاللهجة التي يتحدث بها أبناء الريف تختلف عن اللهجة التي يتحدث بها أهل المدينة.

إن أية ظاهرة لغوية لها عدة أسباب وعوامل أدت إلى ظهورها، والظروف السياسية هي أولى الظروف المتسببة في ذلك نتيجة للاضطهاد والقهر الذي عاشته المجتمعات .فانتشار لغة المستعمر على مجتمع ما يؤدي بالضرورة إلى التداخل بين اللغتين فيحدث ما يسمى بالصراع اللغوي، ويكون هذا التداخل إيجابيا إذا سار وفق طرق سليمة وصحيحة، ويكون سلبيا إذا كانت الغلبة للغة على حساب لغة أخرى .

من التعريفات المذكورة آنفا حول التعدد اللغوي، والثنائية اللغوية، والازدواجية اللغوية، يتضح أنه لا يوجد اختلافٌ واضحٌ بيّنٌ بينهما، فالتعدد اللغوي هو استخدام الفرد لغتين فأكثر داخل مجموعة لغوية واحدة، وأما الثنائية اللغوية فيستعمل الفرد لغتين مختلفتين فأكثر، بينما الازدواجية اللغوية هو تداول أسلوب فصيح والآخر عامي في مجتمع واحد، فالثنائية اللغوية إذا فردية بينما الازدواج اللغوي جماعي .

4) التعدد اللغوي في الجزائر:

إن التنوع اللغوي صفة تميز المجتمع الجزائري، فقد تداولت عليه عدة شعوب بمختلف لغاتها المختلفة من الرومان والإسبان وفرنسا...الخ، و تداولت في الجزائر عدة لغات أهمها العربية بما فيها الفصيح والعامي، والأمازيغيات بمختلف أنواعها واللغة الفرنسية .

1. العربية الفصحى:

اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور إلى الماضي، مشتدّة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل؛ ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام مع ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم[16]. فالعربية الفصحى هي الرباط الذي يوحد بين أوطان العروبة، ولغة القرآن والتعبد لكل مسلم ويربطها بالقرآن مع سائر الأوطان الإسلام، فهي لغة معترف بها دوليا في الأمم المتحدة[17] .

وهي اللسان الأم، إنها المرجع لكل العاميات والمحكيات العربية المتداولة في الوطن العربي، إنها الأصل والأساس وما دونها فروع وتشعبات وتنوعات، إنها الوعاء الذي يحمل فكر الأمة، ويستوعب حضارتها ويخزنها، إنها ذاكرة لتراث العرب وحافظة أمينة له[18]، بينما العاميات إنحدار عنها .

2. العامية:

يقول عبد الله نديم واصفا العامية " ليست منمقة بمجاز واستعارات، ولا مزخرفة بتورية...، ولكنها أحاديث تعودنا عليها، ولغة ألفنا المسامرة بها، ولا تلجئك إلى قاموس الفيروز أبادي، ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا ولا تضطرك لترجمان يعبر لك عن موضوعها، ولا شيخ يفسر لك معانيها[19]. وهناك من يقول " أنها أداة لنقل المعارف السابقة: كنقل الأجداد لحكايات الماضي التي تعتبر مدرسة بالنسبة لنا"[20].

العامية إذا هي لغة الناس جميعا، فهي لغة العامي والمثقف، والعامل والفلاح ولغة الحديث التي نستخدمها في شؤوننا العادية ولغة الاستعمال اليومي، فهي تؤدي وظيفة التواصل بين الشعوب .

3. **اللغة الأمازيغية:**

اللغة الأمازيغية لغة لفئة كبيرة من سكان الجزائر، والذين عرفوا ببني مازيغ، وقد " كانت أولى الشعوب التي أقامت فوق أرض الجزائر، وإن الشعب الجزائري الأصل منحدر من سلالة القبائل البربرية التي انتشرت قديما في شمال إفريقيا "[21]، فالجزائر والمغرب من أكثر البلدان الناطقين باللغة الأمازيغية بكثرة .

من الأمازيغيات المتواجدة بالجزائر نجد:

القبائلية: تحتل اللغة الأمازيغية نسبة كبيرة من حيث عدد الناطقين بها في الجزائر وتعتبر " منطقة القبائل أهم منطقة ناطقة بالأمازيغية ذات مساحة محدودة لكن كثافتها السكانية جد مرتفعة، ويحتمل أن تعد لوحدها أكثر من ثلثي الجزائريين الناطقين بالأمازيغية"[22].

الشاوية: هي اللغة التي يتحدث بها مجموعة من السكان الأمازيغ القاطنين بجبال الأوراس ضمن ولايات: باتنة، أم البواقي، خنشلة، تبسة، والجهة الجنوبية من سطيف[23].

الطواريقية: يتحدث بها الطوارق، وهي قبيلة كبيرة موزعة بين الجزائر، ليبيا النيجر، لا يتعدى عدد المتحدثين بها في الجزائر العشرة الآلاف نسمة[24] .

الشلحية: وهي لغة السكان المتمركزين في مناطق متفرقة كتيبازة ومدن الشريط المحاذي للمغرب الأقصى كمغنية، ولهم امتدادات عالية في المغرب[25].

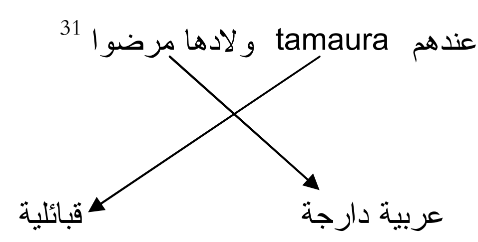
الميزابية: وهي اللغة التي يتحدث بها سكان بني ميزاب، القاطنون في غرداية والمدن الإباضية الأخرى من الجنوب الجزائري[26] .

- عربية فصيحة "لغة القرآن" وهذه مثلها مثل اللغتين اللاتينية واليونانية تعتبر لغة متينة[29].

فالوضع اللغوي عندنا تسوده لغة عربية فصيحة هي اللغة الرسمية للدولة وتختلف عن اللغة الأم المكتسبة بالبيت، ثم فرنسية موروثة عن الاستعمار وكانت لفترة طويلة اللغة الرسمية للبلاد، ثم أصبحت أجنبية بعد سياسة التعريب، وهي اليوم حكر على الطبقة المترفة والمثقفة وعلى مستوى السلطة والمسؤولين هي مظهر من مظاهر الرفاهية والرّقي عندهم[30]

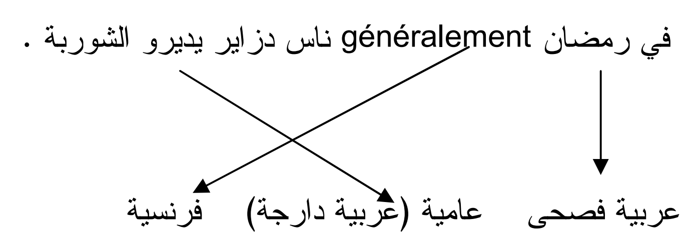
يعتبر التنوع اللغوي أمرا طبيعيا وحتميا في المجتمعات اللغوية، حيث نجد الفرد الجزائري يستعمل مزيجا لغويا يتمثل في استخدام اللغتين العربية والفرنسية، أو العربية والأمازيغية ومن ذلك :

المثال:01



في هذا المثال المتكلم يمزج بين العربية الدارجة واللغة القبائلية (tamaura بمعنى عرس) .

المثال:02



من خلال الجملة يتبن أن المتكلم جمع بين العربية الفصحى واللهجة العامية واللغة الفرنسية، حيث بدأ كلامه بالعربية الفصحى ثم لجأ للغة الفرنسية، وأكمل كلامه باللهجة العامية .

ألفاظ العامية المتداولة عند الجزائريين ومعناها في الفصحى:

ماليك – أهلك

شوية – قليل

منارفي – متوتر الأعصاب .

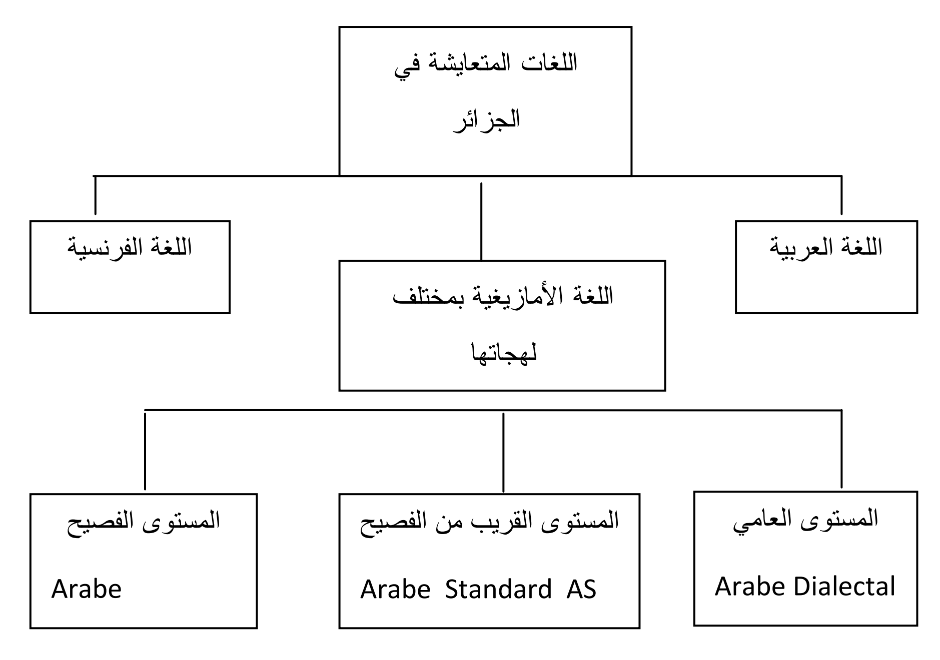
شحال – للعدد أو الثمن .

حيط – جدار .

تودر – اختفى .

الدخيل الأجنبي على العربية الفصحى والمتداول عند الجزائريين:

Parking	باركينغ
Group	قروب
Télévision	تلفزيون
Crayon	كريو
Camera	كاميرا
Balon	البالون
La table	الطابلة .



مخطط للغات المتعايشة في الجزائر[32]

تتعدد اللغات المتعايشة في الجزائر حيث نجد العربية بمستوياتها العامي والقريب من الفصيح، والفصيح، واللغة الأمازيغية، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية التي حظيت بنصيب وافر من طرف الجزائريين باعتبارها اللغة الأجنبية الأولى في الجزائر، حيث نجد الفرد الجزائري سواء كان مثقفا أم أميا يستعملها في حياته اليومية مهمشا العربية الفصحى ظنا منه أنها لغة راقية متطورة ولغة العصر .

التعدد اللغوي في الجزائر ليس ظاهرة سلبية تؤثر على الفرد والمجتمع، وليس تدميرا والإطاحة بالعربية الفصحى، وإنما يكون أحيانا ظاهرة إيجابية، وهذا إذا سار وفق طرق صحيحة، وقد ذكر تعدد الألسنة في القرآن الكريم لقوله عزّ وجلّ ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾ سورة الروم: الآية22 ، وقوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم" من تعلم لغة قوم أمن شرّهم" .

خاتمة:

- اللغة من الوسائل التي بواسطتها يستطيع المرء التواصل مع غيره، ونقل المعارف والأخبار، والتعبير عن خلجات نفسه .
- التعدد اللغوي هو استعمال أكثر من لغة واحدة، أو القدرة بأكثر من لغة.
- الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد للغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية في آن واحد مثل ما نراه اليوم في الجزائر وغيرها من البلدان الأخرى .
- الازدواجية اللغوية هي تداول أسلوبين من نفس اللغة في مجتمع واحد الأول فصيح يستعمل في الخطابات والإدارات، والثاني عامي للتواصل في البيت والشارع.
- تحتل اللغة الأمازيغية نسبة كبيرة في الجزائر من حيث عدد الناطقين بها
- الوضع اللغوي في الجزائر تسوده عدة لغات من فصحى، وأمازيغية وفرنسية .

المصادر والمراجع المعتمدة:

- القرآن الكريم .
- الحديث الشريف .
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2009م .
- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط دت، ج1، ج2.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، باب لغا، ط3، 4141، ج1.
- الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة لبنان، 8991 .
- عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، دار الكتب التونسية للنشر، دط، 1984م .

– باديس لهوميل ، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية.

– نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، 1971م .

– محمد الأوراغي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط1، 2002م .

– محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1 1988م .

– ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1993م.

– ميجل سيجوان، وليم ف-مكاي، التعليم وثنائية اللغة، تر: ابراهيم بن حمد القعيد، محمد عاطف مجاهد، عمادة شئون الجامعات، المملكة العربية السعودية 1994م .

– علي القاسمي، العربية الفصحى وعاميتها في السياسة اللغوية، أعمال الندوة الدولية الفصحى وعاميتها المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2008م .

– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، عيون البصائر، ط1، ج3، 1997م .

– عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (1400ه-1980م) .

– العياشي العربي، لغة الطفل العربي والمنظومة اللغوية في مجتمع المعرفة -الجزائر أنموذجا- منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، د ط، د ت .

– حليم ميشال حداد، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس-الجزائر ج1، م ج م م، 1998، 1991 .

– سالم شاكر، الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، حبيب الله منصوري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003م .

- بسام العسلي، الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية، دار النفائس، ط2، (1406هـ-1986م) .

- حياة خليفاتي، التهجين في الجزائر(مدينة تيزي وزو أنموذجا)، اللغة العربية بين التهجين والتهذيب " الأسباب والعلاج "، المجلس الأعلى للغة العربية .

- جبروني صليحة: أثر الثنائية والازدواجية اللغوية في الأداء اللغوي لدى الطالب الجامعي، مقال ضمن كتاب: ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو نموذجا)، دار هومة، الجزائر، 2009م .

- نادر سراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)، مجلة الاجتهاد، مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، دار الاجتهاد، بيروت، العدد العشرون (20)، السنة الخامسة (1414هـ/1993م) .

- باديس لهوميل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية . Revue. Ummto.dz

- علي الشمراني، التعدد اللغوي. www.m5zn.com

- حنان عواريب، أثر التعددية اللغوية في التعبير الشفوي والكتابي لدى متعلمي اللغة العربية في المرحلة الثانوية-مدينة ورقلة عينة- أطروحة دكتوراه في العلوم اللغوية، 2015-2016 .

الهوامش:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، باب لغا، ط3، 4141، ج1، ص252.
2. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار المعرفة، بيروت ط4، 2009م، ص4039 .مادة (ل، غ، ا) .
3. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط، دت، ج2 ص33.
4. الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان 8991، ص697 .
5. عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، دار الكتب التونسية للنشر، دط 1984م، ص172.
6. بتصرف: ابن جني، الخصائص، 53/1.
7. باديس لهوميل ،نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، ص103.
8. بتصرف: نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، 1971م، ص57.
9. محمد الأوراغي، التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط1، 2002م، ص11.
10. علي الشمراني، التعدد اللغوي، ص2. www.m5zn.com
11. بتصرف: جبروني صليحة: أثر الثنائية والازدواجية اللغوية في الأداء اللغوي لدى الطالب الجامعي، مقال ضمن كتاب: ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية (جامعة تيزي وزو نموذجا)، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص40-41.
12. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1988م ص17-18.
13. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1993م، ص35-36 .
14. بتصرف: ميجل سيجوان، وليم ف-مكاي، التعليم وثنائية اللغة، تر: ابراهيم بن حمد القعيد، محمد عاطف مجاهد، عمادة شئون الجامعات، المملكة العربية السعودية، 1994م، ص1.
15. علي القاسمي، العربية الفصحى وعاميتها في السياسة اللغوية، أعمال الندوة الدولية الفصحى وعاميتها المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2008م،ص37.

16. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغـــرب الإســـلامي عيون البصائر، ط1، ج3، 1997، ص 206.

17. بتصرف: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (1400ه-1980م)، ص12.

18. نادر سراج، إشكالية الازدواجية اللغوية في اللسان العربي (رؤية ألسنية حديثة)، مجلـــة الاجتهاد، مجلة متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، دار الاجتهاد بيروت، العدد العشرون (20)، السنة الخامسة، (1414ه/1993م)، ص221.

19. نصيرة زيتوني: واقع اللغة العربية في الجزائر، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حائل السعودية، تاريخ التسليم (2013/1/6)، تاريخ القبول (2013/4/28)، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 27 (10). 2013. ص 4.

20. العياشي العربي، لغة الطفل العربي والمنظومة اللغوية في مجتمع المعرفـــة-الجزائـــر أنموذجا- منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، د ط، د ت، ص 122.

21. حليم ميشال حداد، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس-الجزائر ج1، م ج م م، 1998، 1991، ص111.

22. سالم شاكر، الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، حبيب الله منصــــوري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003م، ص11.

23. المرجع نفسه .

24. حنان عواريب، أثر التعددية اللغوية في التعبير الشفوي والكتابي لدى متعلمـــي اللغـــة العربية في المرحلة الثانوية-مدينة ورقلة عينة- أطروحة دكتوراه في العلـــوم اللغويـــة، 2015-2016/ ص79.

25. المرجع نفسه .

26. نفسه .

27. بسام العسلي، الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثـــورة الجزائريـــة، دار النفـــائس، ط2 (1406ه-1986م)، ص222.

28. بتصرف: نصيرة زيتوني، واقع العربية في الجزائر، مجلة النجاح للأبحـــاث (العلـــوم الإنسانية)، ص 2159.

29. حنان عواريب، أثر التعددية اللغوية في التعبير الشفوي والكتابي لـــدى متعلمـــي اللغـــة العربية في المرحلة الثانوية، ص122.

30. باديس لهوميل، نور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، ص 114. Revue. Ummto.dz

31. حياة خليفاتي، التهجين في الجزائر(مدينة تيزي وزو أنموذجا)، اللغة العربية بين التهجين والتهذيب " الأسباب والعلاج "، المجلس الأعلى للغة العربية، ص105.

32. المرجع نفسه.

السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي
المفهوم، والأنواع والعلاقة

د. كريمة بكاي
المركز الجامعي عبد الله مرسلي بتيبازة
bekkayekarima@gmail.com

نصّ المداخلة:

إن اللغة هي المؤسسة الأولى في المجتمع، يتعامل بها كل الأفراد على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم، وهي في الوقت نفسه عنصر من عناصر هوية الفرد، إذ دونها يفقد الإنسان تميّزه عن غيره وتفرّده عنهم.

ولمّا كانت اللغة من الأهمية كذلك، فإنها تتطلب جهودا حثيثة واعية، قصد تعزيزها وحفظها بما يسمح باستمراريتها عبر الأجيال، وهذا الأمر لا يكون إلا وفقا لما يعرف بـ "السياسة اللغوية" و"التخطيط اللغوي"، اللذين يرتبان المشهد اللغوي على المستوى السياسي والقانوني والتنفيذي.

إنه كثيرا ما يحدث خلط بين المصطلحين، ويعتقد بترادفهما والواقع غير ذلك ومنه وقع اختيارنا على هذا الموضوع، بهدف تحديد المقصود من كل منهما، مع بيان العلاقة بينهما، إضافة إلى كثير من النقاط المرتبطة بهما كأنواعهما وموقعهما من اللسانيات التطبيقية واللسانيات الاجتماعية...

1- نشأة مفهومي السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي:

لقد بدأ تداول مصطلحي "السياسة اللغوية" و"التخطيط اللغوي" بمفهومهما الحديث في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، وقد كان الهدف الرئيس لظهور هذين المفهومين إبراز دور اللغة في بناء الدول بعد تعاقب مراحل الاستعمار على دول العالم الثالث، لذلك انصبّ اهتمامهما على معالجة المشكلات اللغوية الناتجة

عن طمس الهوية اللغوية والقومية للدول المستعمرة وإقصاء لغاتها عن أداء وظائفها بفعل ما مارسته الدول الاستعمارية من ضغوط على الشعوب المستعمرة لفرض لغاتها لغات رسمية، حتى تضمن البقاء والسيادة حتى بعد استقلال الشعوب كما حدث مع شعوب آسيا وإفريقيا والأمريكتين[1].

أما الحديث عن "التخطيط اللغوي" بوصفه جزءا من اللسانيات التطبيقية فقد بدأ سنة 1959 على يد اللساني الأمريكي "هوجن" **Haugen**، عند دراسته المشاكل اللغوية للنرويج، مستهدفا بناء هوية وطنية بعد قرون من الهيمنة الدانماركية وإبراز جهود التوحيد اللغوي في النرويج، وعاد "هوجن" إلى الموضوع نفسه عام 1964 أثناء الاجتماع الأول للسانيات الاجتماعية، الذي نظمه "برايت" في جامعة كاليفورنيا[2].

وفي نهاية الستينيات استعمل مجموعة من باحثي اللسانيات الاجتماعية هذا المصطلح للإشارة إلى كل تدخّل يهدف إلى علاج المشاكل اللغوية الاجتماعية.

وفي عام 1968 نشر كل من "فيشمان" و"فرجسون" و"داس جوبتا" كتابا جماعيا يتناول القضايا اللغوية في البلدان النامية، كما اجتمع كل من "داس جوبتا" و" ب. جرنود" و"ج. روبن" في بهاواي للنظر في طبيعة التخطيط اللغوي، وقد كان ذلك بحضور أنثروبولوجيين ولسانيين وعلماء اجتماع واقتصاديين، إذ تمخّض عن هذا الاجتماع كتاب عنوانه (هل يمكن تخطيط اللغة؟)[3].

أما مفهوم السياسة اللغوية، فقد ظهر مع بداية السبعينيات في اللغة الإنجليزية وذلك في كتاب للعالم "فيشمان" عنوانه "اللسانيات الاجتماعية" في فصل عنوانه" لسانيات اجتماعية تطبيقية"، كما ظهر في العديد من المؤلفات الإسبانية والفرنسية والألمانية، وخلال هذه الفترة بدأت ملامح التمييز بين المفهومين في الظهور، وبدأ اللسانيون الاجتماعيون يعرّفون كلا من السياسة والتخطيط على حدة، إذ خصّت السياسة اللغوية بالإطار القانوني للغة المحدد من قبل السلطة، أما التخطيط فحدد بالأنشطة التي تستهدف بنية اللغة ووضعها، مع الإشارة إلى تباين وجهات النظر

بين الباحثين الأمريكيين والباحثين الأوروبيين حيال هذا، ذلك أنّ الأمريكيين مالوا إلى التشديد على الجوانب التقنية للتدخل في الأوضاع اللغوية التي يمثلها التخطيط دون كبير الاهتمام بمسألة السلطة الموجودة وراء أصحاب القرار، فالتخطيط بالنسبة إليهم أكبر أهمية من السياسة، أما الباحثون الأوروبيون فهم أكثر عناية بمسألة السلطة[4].

هذا وقد ظهرت كثير من المصطلحات المرادفة لمفهومي السياسة والتخطيط اللغويين مثل: التنظيم اللغوي، وإدارة اللغة، وغيرها، إلا أنه ورغم هذا التعدد، فإنه لم يحدد مفهوما السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي بشكل جليّ، بل تباينت المفاهيم حسب المدارس وطبيعة المجتمعات ومشاكلها ومعطياتها...وهذا ما سنتطرق إليه فيما يأتي.

2- مفاهيم في السياسة اللغوية:

2-1- تعريف السياسة اللغوية:

تعدّ السياسة اللغوية فرعا من علم السياسة العام الذي يعرف بأنه: « ذلك السلوك وتلك المجموعة من التفاعلات التي تصاغ من خلالها القوانين الرسمية والقرارات الملزمة، ويتم تنفيذها لصالح المجتمع»[5]، ويتفرع من علم السياسة العام عدّة سياسات أبرزها (السياسة اللغوية والسياسة الاقتصادية والسياسة الثقافية) والسياسة اللغوية لا تستقيم دون أن تتجزأها رؤية للسياسة الاقتصادية والثقافية الممارسة في البلاد، وكذلك الأمر للسياسات الأخرى، ومعنى ذلك أنّ ممارسة الساسة للأنشطة تجاه اللغة وتحديد فلسفة الدولة تجاهها أيضا يقتضي دراسة كافة المجالات الحيوية المؤثرة فيها وتحليلها.

ليس هذا فحسب، ذلك أن السياسة اللغوية مجال متعدد التخصصات لاتصالها بفروع عدة، كعلوم الربية والاجتماع والنفس والجغرافيا واللسانيات الاجتماعية وغيرها، كل ذلك راجع إلى أهمية اللغة وقيمتها التواصلية والثقافية والاقتصادية والسيادية على جميع المستويات، الفردية والدولية والعالمية.

أما عن تعريف هذا المصطلح، فقد عرف تعريفات كثيرة، من ذلك ما ذكره "لابورت" من أن السياسة اللغوية هي: «الإطار القانوني والتهيئة اللغوية كمجموع الأعمال التي تهدف إلى ضبط وضمان منزلة ما للغة أو عدو لغات»[6]، أما "ح. غازيل" فعرّفها بالقول إنها: «الموجه لحركة الفعل اللغوي في المستقبل، وتحديد اختياراته، بما يتيح تحقيق أهداف معيّنة ونتائج مرغوبة، وهي معيارية وتتضمن أحكاما قيمية»[7]، وقد عرفها "علي القاسمي" بأنها: «نشاط تضطلع به الدولة، وتنتج عنه خطة تصادق عليها مجالسها التشريعية، ويتم بموجبها ترتيب المشهد اللساني في البلاد، خاصة اختيار اللغة الرسمية، وينص على السياسة اللغوية للدولة في دستورها أو قوانينها أو أنظمتها، وأحيانا لا توجد نصوص قانونية متعلقة بالسياسة اللغوية، فتستشف تلك السياسة من الممارسة الفعلية»[8].

يلاحظ في التعريفين الأوّلين أنه لم يتم تحديد الذي يتّخذ القرار اللغوي ويحدد اختياراته، في حين خصّه علي القاسمي بالساسة وأصحاب السلطة، فهم الذين يمارسون السياسة اللغوية ويصوغون موادها، سواء نُصّ عليها في الدساتير أم القوانين التشريعية أم القرارات اللغوية التي تخصّ المؤسسات والمراكز اللغوية والعلمية أم لم يُنصّ على ذلك وإنّما تستشفّ من خلال ملاحظة الممارسات الفعلية في البلاد وعليها يترتّب وجوب تنفيذ القرار اللغوي، وهنا يأتي دور التخطيط اللغوي.

وعليه، فإنه بالرغم من تعدد تعريفات "السياسة اللغوية" إلا أنها تتفق في المضمون العام، من حيث كونها قرارات تنطوي على خيارات واعية تتعلق بالحالة اللغوية للدولة والمجتمع قصد تحديد الاختيارات اللغوية وتنظيم المشهد اللغوي في مجتمع معين.

إنّ دراسة السياسة اللغوية مرتبطة بطبيعة محيطها اللغوي، إذ تهتم بلغات محيطها ووظائفها ومستوياتها وعدد متكلّميها وهوياتهم، والوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المعني، وعليه، فإن نظرية السياسة اللغوية تستمدّ مادتها الأساسية من تفاصيل التفاعلات بين المحاور الأربعة الآتية[9]:

1- المجتمع كونه نسيجا من الهويات الجماعية.

2- اللغة أو اللغات التي يتواصل بها أفراد المجتمع.

3- الدولة (بالمعنى الجغرافي لها).

4- السلطة من حيث كونها مؤسسة قادرة على صناعة القرار وتنفيذه.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ الساسة الذين يصنعون القرارات السياسية المتعلقة بالشأن اللغوي مطالبون بالاحتكام إلى هذه المحاور بجميع تفصيلاتها وتعقيداتها قصد تفاعل المجتمع مع نتائج هذه القرارات ومخرجاتها مما يضمن نجاحها، ومنه فإنّ صناعة القرار السياسي المتعلق بالشأن اللغوي ليس أمرا عشوائيا بل هو حركة قصدية وواعية بما تحمله الكلمة من معنى.

2-2- أنواع السياسة اللغوية[10]:

هناك أنواع كثيرة للسياسة اللغوية يمكن تفصيلها على النحو الآتي:

2-2-1- سياسة الاحتواء:

يطلق هذا المصطلح تحديدا على الاستعمال الممنهج لمجموعة من الوسائل التي تكون غايتها التسريع من إيقاع تهميش أقلية لغوية أو تصنيفها نهائيا.

تلجأ هذه السياسة إلى وسائل تدخل عنيفة بهدف الإقصاء والتهميش الاجتماعي وقد يصل الأمر في بعض الحالات المتطرفة إلى الاضطهاد الشامل والإبادة الجماعية، وفي بعض الأحيان قد تتخذ مظاهر أكثر مقبولية، كأن تنصّ الدولة في نصوصها الأساسية على مبدأ المساواة في الحقوق اللغوية مع اللجوء في الواقع إلى ممارسات تتعارض كليا ومنهجيا مع هذه الحقوق شكلا ومضمونا، ومن أشهر الدول التي تنحو بسياستها اللغوية منحى "الاحتواء" تركيا والبرازيل وأفغانستان وباكستان وإيران.

2-2-2- سياسة عدم التدخل:

تقوم هذه السياسة على مبدأ اللامبالاة بحقيقة التنوع اللغوي في المجتمع (أي التنكر لحقيقة وجود مجموعات لغوية مختلفة)، ويكون ذلك بترك قضية تعدد

المجموعات اللغوية لتفاعلات ميزان القوى بحكم الواقع، ويتعلق الأمر في مثل هذه الحالة باختبار حقيقي وتخطيط استراتيجي ضمني يميل فيه ميـزان القـوة "بقـوة الواقع" إلى فائدة اللغة المهيمنة.

إنّ هذه السياسة لا تقوم من حيث المبدأ على نصوص رسمية ولا مكتوبة، ومع ذلك فإنها لا تمنع بعض الحكومات من إصـدار تصـريحات، أو مـن التصـرف بموجب ممارسات إدارية وذلك بإصدار نظم ومراسيم تتعلـق بموضـوع التعـدد اللغوي، ويصل الأمر في بعض الحالات إلى تضمين نص الدستور بنـودا تتعلـق بالموضوع، ومن الدول التي تمارس هذه السياسة: النمسا وألمانيا وسـاحل العـاج وكوبا والسنغال واليابان وغيرها.

2-2-3- سياسة إعلاء اللغة الرسمية:

تحيل هذه السياسة إلى الأحادية اللغوية، وتتمثل في تنامي لغة واحدة وتعاظمهـا على الصعيد السياسي والقانوني والاجتماعي والاقتصادي، ويمكن تطبيق معـايير هذه السياسة على لغة الأغلبية، وبالتحديد على اللغة الوطنية التي قد تصبح اللغـة الرسمية وفق تلك المقتضيات، وليس بالضرورة أن تكون اللغة الرسمية التي تستفيد من هذه السياسة هي اللغة الوطنية، فقد يتعلق الأمر بلغة المستعمر أو لغة أجنبيـة ذات انتشار واسع النطاق أو حتى اللغة الرسمية لدولة مركزية...ومن الدول التـي تمارس هذه السياسة: سلوفاكيا والبوسنة والهرسك وبلجيكا وسويسرا...

2-2-4- السياسات اللغوية القطاعية:

تقتصر هذه السياسة على مظهر لغوي وحيد وأحيانا على مظهرين أو بـالأكثر على ثلاثة مظاهر، وتتمثل في اعتماد تدابير تشريعية خاصة في مجـال واحـد أو مجالين أو ثلاثة مجالات، تستخدم لغة الأقليات أو لغة المهـاجرين، ويطبـق هـذا المبدأ خاصة في مجال التعليم، وقد تتعلق بعض السياسات بجوانب أخرى كالإعلام العام والرعاية الصحية أو مسميات المواقع الجغرافيـة...ومن القطاعـات التـي تمارس هذه السياسة: الدنمارك واليونان والنمسا وبولندا وميشيغان...

2-2-5- سياسة الوضع القانوني التفضيلي:

تفترض هذه السياسة أن الأغلبية تمتلك كل الحقوق اللغوية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون الأقليات ذات حقوق أقلّ، ومع ذلك تعترف بهذه الأقليات قانونيا ورسميا، مما يعني أن هذه الحقوق التي تدعمها التشريعات أو الأحكام الدستورية تكون واسعة النطاق، موسعة بالنسبة إلى الأغلبية ومحددة بالنسبة إلى الأقليات وهذه الحماية تعادل الوضع الخاص الذي يتضمنه الإطار العالمي للسياسة اللغوية.

وتهدف هذه السياسة إلى تنسيق التعايش اللغوي دون منح المساواة القانونية للجميع، إذ تتمتع الأقليات بحقوق خاصة معينة في القطاعات الرئيسة كالخدمات الحكومية والعدالة والدراسة...وهذا النوع من السياسة شائع نسبيا في جميع أنحاء العالم، كالصين وكرواتيا وهولندا ورومانيا...

2-2-6- سياسة الثنائية أو الثلاثية اللغوية:

تعترف هذه السياسة دستوريا أو قانونيا بالمساواة بين لغتين أو أكثر، وتكون هذه المساواة عموما مساواة قانونية، ولكنها ليست بالضرورة مساواة حقيقية تنعكس في الواقع. يمنح هذا الوضع المواطنين من حيث المبدأ –على الأقل– حرية اختيار استخدام أي لغة رسمية في تعاملهم مع الدولة، وحرية اختيار اللغة المستخدمة عادة ما تكون حقا بالنسبة لاستخدام أي لغة رسمية في تعاملهم مع الدولة، وحرية اختيار اللغة المستخدمة عادة ما تكون حقا بالنسبة إلى الأفراد، وواجبا بالنسبة إلى الدولة وقد تكون الثنائية اللغوية في دولة ما فقط رمزية غير متوازنة وغير متساوية ...

2-2-7- سياسة استراتيجية التعدد اللغوي:

يقوم تعدد اللغات الاستراتيجي أساسا على اختيار عملي، فيمكن لدولة ذات لغة رسمية واحدة استخدام لغتين أو أكثر بسبب القيود المتعلقة بمقتضيات ضرورات التواصل، فضلا عن الوضع الراهن السياسي والاجتماعي والاقتصادي... دون أن تتبنى إيثار أي لغة أو تمييزها عن الأخرى أو تفضيل لغة على أختها.

وترى هذه السياسة أنّ اللغة الأولى مكملة للغة أخرى، وتعمل على نحو إيجابي على استغلال كل الموارد اللغوية للدولة واغتنامها، ولا يمكن تطبيق هذا النوع من السياسات إلا في نوعين من الدول: إما دولة متعددة اللغات، حيث العلاقــات بــين المجموعات المشاركة من شأنها الحد من سيادة لغة مهيمنة أو تقليل حدّة ســطوتها أو حال وجود دولة كانت حدودها التاريخية معرضة إلـى ممارسـة العديـد مـن اللغات، وتمارس هذه السياسة كل من: السودان والهند ولبنـان وجنـوب إفريقيـا ونيجيريا وسنغافورة ...

2-2-8- السياسة اللغوية للعولمة:

يتمّ تطبيق هذه السياسة عندما تمارس دولة ما – وعادة ما تكون قوة استعمارية متفوقة من حيث اللغة- سلطاتها خارج حدودها السياسية، ولا يتحقق هذا النوع من السياسة إلا للغة واسعة الانتشار، وقد اكتسبت بالفعل مكانة كبيـرة، ممـا يجعلهـا تحافظ عليها وتخشى فقدانها، ومن الدول الممارسة لهذه السياسة: ألمانيـا وفرنسـا والولايات المتحدة والبرتغال...

2-2-9- السياسات اللغوية المختلطة:

تكون السياسة اللغوية المختلطة ممكنة النشوء والحدوث عندما تمارس الدولـة أنواعا مختلفة من أنماط التدخل، وبصفة عامة، فالسياسة اللغويـة المختلطـة قـد يندرج تحتها عدم التدخل في شؤون اللغة الرسمية لقطـاع الأقليـات أو قطاعـات الأقليات، أو دولة قد تجمع بين إعلاء اللغة الرسمية والوضع القـانوني التفضـيلي السائد أو بين أي سياسة من السياسات المذكورة آنفا.

3- مفاهيم في التخطيط اللغوي:

3-1- تعريفه:

لم يتفق أهل الاختصاص على تعريف موحّـد للتخطـيط اللغـوي، إذ عـرّف تعريفات كثيرة من ذلك التعريف القائل إن التخطيط اللغوي هـو: «كـل الجهـود الرامية إلى التأثير في بنية التنويعات اللغوية أو في وظيفتها، وهذا التحديد هو الذي

يحظى بالقبول عامة، إذ تشمل هذه الجهود إنشاء قواعد الإملاء، وتحديث البـــرامج وتوحيدها، أو توزيع الوظائف بين اللغات في المجتمعات متعددة اللغـــات، وإســـناد وظائف إلى لغات بعينها»[11].

أما "كوبر" فعرفه بأنه: «تغيير في بنية اللغة وأصواتها ووظائفها وإيجاد حلـــول للمشكلات اللغوية»[12]، في حين عرّفه "هوجن" (وهو أول من كتب فـــي التخطـــيط اللغوي بطريقة علمية) بأنه: «عملية تحضير الكتابة وتقنينها وتقعيد اللغـــة وبنـــاء المعاجم، ليستدل ويهتدي بها الكتاب والأفراد في مجتمع ما»[13].

وتعرف الباحثة اللغوية "إيستمان" التخطيط اللغوي بأنه: «القرار الـــذي يتخـــذه مجتمع ما لتحقيق أهداف وأغراض تتعلق باللغة التي يســـتخدمها ذلـــك المجتمـــع ويحقق مثل ذلك القرار، سواء كان يتعلق بحماية اللغة من المفـــردات الـــواردة أم إصلاحها أم إنعاشها أم تحديثها، دعم عرى التواصل بين الأمم التي تجمعهـــا لغـــة موحدة»[14].

يمكن القول من كل ما سبق إيراده من تعريفات للتخطيط اللغوي إنه كل الجهود العملية المتكاملة للتأثير في الاستعمال والتطور اللغوي بناء على قرار لغوي سابق فحينما يصادق أصحاب القرار على هذه الخطة اللغوية أو تلـــك، فإنهـــا ستصـــبح سياسة لغوية للدولة تلتزم الحكومة تنفيذها.

3-2- أنواع التخطيط اللغوي[15]:

التخطيط اللغوي أنواع أربعة:

3-2-1- تخطيط الوضع: يعنى بتحديد وضع اللغة واستعمالها في ضوء مـــا تنص عليه السياسة اللغوية في البلاد، وقد تعددت التسميات الدالة على هذا المفهوم منها: التخطيط المحدد للمكانة، وتخطيط المنزلة، ورسم السياسة اللغوية...إلا أنهـــا تدل جميعا على تحديد وظائف اللغة ومنزلتها فـــي الدولـــة ومرافقهـــا الرســـمية والعمومية والتأثير فيها، أي تلك الجهود المتعمّدة الواعية لإحداث تغير في وظائف اللغة ومنزلتها.

3-2-2- تخطيط المتن: يحيل تخطيط المتن إلى تلك المجهودات التي تؤثر في بنية اللغة (كابتكار الكتابة واختراع نظام هجائي للغة المنطوقة، وإصلاح نظام هجائي قائم، أو إنشاء جهاز مصطلح للغة، أو وضع مؤلفات تيسير القواعد، إلى جانب تقنين اللغة الذي يمكن فهمه على أنه خلق أو تأسيس معيار لغوي موحد...

3-2-3- تخطيط لعملية الاكتساب: تتمثل جهود التخطيط لعملية الاكتساب في كيفية اكتساب لغة ثانية وتعزيز تعلمها عن طريق البرامج والمعاهد المختصة أو إدخالها بوصفها لغة تعليم مدرسية في مراحل متأخرة، وجدير بالذكر أن عملية التخطيط لاكتساب اللغة جزء من السياسة اللغوية، شأنه في ذلك شأن أنماط التخطيط الأخرى، لذا فإن تنفيذها لا يتوقف على إصدار القرارات وبناء برامج الاكتساب فحسب، بل يشتمل أيضا على دور المعلمين في كيفية تنفيذ قرارات السياسة اللغوية بإخلاص وتفان.

3-2-4- التخطيط المحدد للأهمية: يعنى هذا النوع بالبرامج التي تهدف إلى زيادة عدد المتكلمين بلغة معينة أو لهجة معينة، وهذا التخطيط لا يندرج تحت تخطيط وضع اللغة.

3-3- مراحل التخطيط اللغوي[16]:

حدّد "روبين" أربع مراحل للتخطيط اللغوي:

3-3-1- تقصي الحقائق: إذ لا بد أن تتوافر كمية كبيرة من المعلومات عن خلفية الموضوع قبل أن يتخذ أي قرار تخطيطي بشأنه، إذ ينبغي أن تكون عملية الدراسة وتقصي الحقائق شاملة كافة المستويات التي يتضمنها الإطار المرجعي للدراسة بشواهد من واقع الظاهرة موضع البحث...

3-3-2- التخطيط: تتخذ القرارات الفعلية، إذ يحدد المخطط الأهداف، ويختار الاستراتيجيات، ويتنبأ بالمحصلة. فبناء على إطار المحك المرجعي، يمكن التنبؤ بمن سيخطط ويؤثر في سلوك الآخرين، والتنبؤ بالوسائل وكذلك الفوائد، ومن ثم تتخذ القرارات الفعلية.

3-3-3- التنفيذ: تنفذ قرارات التخطيط، سواء كان التنفيذ حوكة إصلاح أم تنقية أم إحياء لغة ميتة...

3-3-4- ردود الفعل: في هذه المرحلة يكتشف المخطط مدى نجاح تنفيذ الخطة من خلال ردود فعل المجتمعات وتفاعلها مع التطبيق.

3-4- طرائق تنفيذ التخطيط اللغوي[17]:

لقد فصل "تاهير" في صور تنفيذ التخطيط اللغوي، وجعلها إحدى عشرة طريقة سنذكرها في ما ياتي بإيجاز:

3-4-1- التنقية اللغوية: ويقصد بها تنقية اللغة من الشوائب والدخيل، سواء كانت تنقية خارجية، عن طريق تصفية اللغة من تأثيرات اللغات الأخرى، أم تنقية داخلية بالحفاظ على البنية اللغوية من الانحراف...

3-4-2- الإحياء اللغوي: وهو محاولة تحويل اللغة الميتة أو المهجورة لغة حية ومتداولة (اللغة الميتة هي تلك اللغة التي لم يعد الناس يتحدثون بها، ولم تعد موجودة إلا في الكتب).

3-4-3- الإصلاح اللغوي: هو تغيير متعدد لجوانب محددة في اللغة كأن يكون في حروفها أو قواعدها النحوية، وذلك بغية تسهيل استخدامها، وهذا التطبيق عادة ما يكون نتيجة لتغيرات سياسية أو إيديولوجية أو دينية.

3-4-4- التقييس اللغوي: هو محاولة لتوحيد اللغة، وذلك باعتماد اللغة الأكثر شيوعا في المنطقة لغة رسمية لبلد أو مقاطعة معينة.

3-4-5- نشر اللغة: يقصد به تلك الجهود المبذولة لنشر لغة ما وزيادة عدد المتحدثين بها، وفي كثير من الأحيان يكون نشر لغة ما على حساب لغة أو لغات أخرى.

3-4-6- تحديث المفردات: وذلك بإضافة مفردات جديدة عن طريق الاقتراض من لغات أخرى بغية مواكبة الركب المعرفي والتكنولوجي...

3-4-7- توحيد المصطلحات: هو تلك الجهود المبذولة لتوحيد المصطلحات العلمية وتوضيحها وتعريفها، وعادة ما يكون توحيد المصطلحات في المجالات العلمية والتقنية لحل إشكلات التواصل الناتجة عن استخدام مصطلحات مختلفة لمفهوم معين.

3-4-8- التبسيط الأسلوبي: يقصد به الجهود المبذولة لتوضيح الاستخدام المعجمي والتركيبي والأسلوبي وتيسيره للغة في مجال مهني معين، من أجل تيسير التواصل بين أصحاب الاختصاص وغيرهم.

3-4-9- الاتصال بين لغتين: هو تلك الجهود المبذولة لتيسير الاتصال بين لغتين مختلفتين عن طريق توظيف لغة ثالثة لتكون لغة مشتركة، وقد تكون هذه اللغة الثالثة لغة مصطنعة أو لغة ذات استخدام واسع.

3-4-10- صيانة اللغة: تشير إلى الجهود المبذولة لصيانة اللغة الأم والحفاظ عليها من العوامل الداخلية أو الخارجية التي تمثل خطرا عليها، أو تتسبب في انحسارها، وقد تكون هذه العوامل سياسية أو اقتصادية أو تربوية أو اجتماعية وعادة ما تؤدي إلى تراجع مكانة اللغة بوصفها وسيلة للتواصل في المجتمع حاملة لثقافته ورمزا لهويته الوطنية.

3-4-11- تقييس المصطلحات المساعدة: يقصد به الجهود المبذولة لوضع معايير وضوابط لصياغة الرموز والمصطلحات اللغوية المساعدة وتكييفها، مثل أسماء الأماكن واللوحات الإرشادية للصم وترجمة أسماء وغيرها.

3-5- أهمية التخطيط اللغوي:

تكمن أهمية التخطيط اللغوي فيما يأتي[18]:

* الإسهام في انتشار الوعي باللغة العربية لدى الناطقين بها، وتعريفهم بأهمية ومدى ارتباطها بالدين والهوية، وأن الأمر ليس ثانويا، بل هو مصيري يحدد قيام أمة أو زوالها، وبناء حضارة أو اندثارها.

* الرفع من مستوى التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات عند التدريس باللغة الأم، وتحديد اللغة الوطنية وتبنيها لتكون لغة العلم والمعرفة والخطاب والحديث، ولغة الحكومة والسياسة...

* الحفاظ على التنوع اللغوي والثقافي داخل البلد الواحد وألا نجعل التنوع وسيلة للتفرق والنزاع، بل أداة للتناغم والاستفادة، كما هو الحال في عدد من دول العالم.

* تنقية اللغة الوطنية مما يشوبها من ألفاظ أجنبية اندمجت معها بفعل العولمة وانفتاح الدول على بعضها، وسهولة التواصل بين أبناء هذه الدول، فيتم تنقية اللغة واستبدال الدخيل بآخر عربي فصيح أو تعريب هذا أو ترجمته.

* تطوير الألفاظ وإعادة دراسة اللغة وفق مناهج علمية، وجعل اللغة جاهزة لأن تحوسب ويستفاد من قدرات الحاسوب في معالجتها وصولا إلى تطويرها وتسهيلها للناطقين بها أو بغيرها.

* وبالتخطيط الجيد نستطيع جعلها لغة للتعلم والتعليم، لغة مستجيبة لجميع متطلبات أهلها، قادرة على تيسير عملية التفكير والإبداع، وجعل عملية تبادل المعلومات أسرع وأفضل.

* كما أننا بواسطة التخطيط نستطيع خلق مجتمع واقتصاد ومعرفة، فلم يحدث أن حصلت تنمية شاملة لدولة من الدول بتبنيها للغة غيرها، فضلا عن تبنيها لغة من يعاديها ويستهدفها، ويناقضها في الدين والفكر والقيم والثقافة، ولذا فالتخطيط ليس هدفا ثقافيا وفكريا فقط، بل هو اقتصادي مالي أيضا، فاللغة إذا أحسنا معاملتها والتخطيط لها ستكون استثمارا ماليا مربحا، وكما أن المال هو عصب الاقتصاد به نشتري الكثير، فكذلك اللغة بامتلاكها نمتلك زمام المعرفة والتقنية ودفّة التقدم وبضعفها نتقهقر ونتوسل ضروب المعرفة من لغات العالم، كل ذلك بالتخطيط والسياسة اللغوية.

4- علاقة التخطيط اللغوي بالسياسة اللغوية:

يتبادر إلى الذهن تلازم هذين المصطلحين دائما، فهل هما بالمعنى نفسه؟ أم أنّ أحدهما يضمن الآخر؟ وأي المفهومين يأتي قبل الآخر ويؤسس له؟.

يعرف "كالفي" السياسة اللغوية بأنها: «مجمل الخيارات الواعدة المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن، واتخاذ قرار بتعريب التعليم في المرحلة الجامعية يشكّل خيارا في السياسة اللغوية، أما احتمال وضعه في موضع التنفيذ في هذا البلد أو في ذاك فيشكل تخطيطا لغويا»[19].

يتبين من خلال هذا التعريف أن السياسة اللغوية ما هي إلا قرارات متخذة من جهة ما، وحتى يتم تطبيق هذه الخيارات يلزمنا أن نبدأ في إجراءات التخطيط اللغوي، فالتخطيط بهذا المعنى مرحلة تالية للسياسة اللغوية، لذا يعرف "كالفي" التخطيط اللغوي بأنه هو: «البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ، فاتخاذ قرار بفعل كذا وكذا يشكّل خيارا في السياسة اللغوية، كقرار تعريب التعليم على سبيل المثال، أما احتمال وضعه موضع التنفيذ على ساحة معينة فيشكل تخطيطا لغويا»[20].

إذن، فهي علاقة بين قرارات قولية نظرية، وتطبيقات إجرائية فعلية، فإذا قلنا: إنّ التخطيط اللغوي ما هو إلا جهود مبذولة على أرض الواقع لإحداث وتغيير شيء ما في واقع اللغة، فلن يكون هذا الجهد إلا استجابة لسياسة اعتمدت من قبل جهة ما، حكومية كانت أو غير حكومية، ويؤول بنا هذا الاستنتاج إلى أنهما مترابطان بعلاقة تابع ومتبوع، يسلط أحدهما الضوء على القوانين والوثائق والخطط التي تعتمدها الحكومة، ويسلط الثاني الضوء على الجهود الميدانية المبذولة.

خاتمة:

من خلال ما سبق إيراده فيما يتعلق بالسياسة اللغوية والتخطيط اللغوي يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

* إنّ السياسة اللغوية فرع من علم السياسة العام، والتخطيط اللغوي فرع من حقل أعم هو التخطيط الاجتماعي.

* يدور مفهوم السياسة اللغوية حول كونها قرارات تنطوي على خيارات واعية تتعلق بالحالة اللغوية للدولة والمجتمع قصد تحديد الاختيارات اللغوية وتنظيم المشهد اللغوي في مجتمع معين.

* يمثل التخطيط اللغوي الجانب التطبيقي للسياسة اللغوية، ذلك أنّه كل الجهود العملية المتكاملة للتأثير في الاستعمال والتطور اللغوي بناء على قرار لغوي سابق فحينما يصادق أصحاب القرار على هذه الخطة اللغوية أو تلك، فإنها ستصبح سياسة لغوية للدولة تلتزم الحكومة تنفيذها.

* إن العلاقة بين التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية هي علاقة تابع بمتبوع وعلاقة بين قرارات قولية نظرية، وتطبيقات إجرائية فعلية، ذلك أنّ التخطيط اللغوي لا يكون إلاّ استجابة لسياسة ما اعتمدت من قبل جهة معيّنة.

قائمة المراجع: 1- الزبون فواز، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، أعمال مجمع اللغة العربية الأردني، ع 50، 2009.

2- الصيفي هدى، علاقة السياسة اللغوية بالتخطيط اللغوي (دراسة حالات من الوطن العربي)، رسالة ماجستير، إشراف: رشيد بوزيان، جامعة قطر، (2014-2015).

3- طوليفيسن جيمس، السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، تر: محمد خطابي مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 2008.

4- عزوز أحمد، التخطيط اللغوي والمصطلحات المحايثة، في أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، ج1، 2012.

5- غاليم محمد، اللغة والهوية في ضوء النظرية السياسية، في "اللغة والهوية في الوطن العربي"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2013.

6- الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي، 2013.

7- كالفي لويس، السياسات اللغوية، تر: يحياتين محمد، الدار العربية للعلوم بيروت، 2009.

8- كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.

9- كمال نادية، اتجاهات حديثة في صنع السياسة التعليمية، مجلة مستقبل التربية العربية، ع 20، 2001.

10- كوبر، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، تر:خليفة الأسود، مجلس الثقافة العام، ليبيا، 2006.

11- المناصرة عز الدين، الهويات والتعددية اللغوية، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.

الهوامش

[1] ينظر، الزبون فواز، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها أعمال مجمع اللغة العربية الأردني، ع 50، 2009، ص:86.

[2] كالفي لويس، السياسات اللغوية، تر: يحياتين محمد، الدار العربية للعلوم، بيروت 2009 ص:08.

[3] المرجع نفسه، ص:09.

[4] المرجع نفسه، ص:12.

[5] كوبر، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، تر:خليفة الأسود، مجلس الثقافة العام ليبيا 2006، ص:164.

[6] كالفي، السياسات اللغوية، ص:11.

[7] كمال نادية، اتجاهات حديثة في صنع السياسة التعليمية، مجلة مستقبل التربية العربية ع 20، 2001، ص:181-214.

[8] عزوز أحمد، التخطيط اللغوي والمصطلحات المحايثة، في أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، ج1، 2012، ص:70.

[9] غاليم محمد، اللغة والهوية في ضوء النظرية السياسية، في "اللغة والهوية في الوطن العربي"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2013، ص:318-319.

[10] ينظر هذه الأنواع: الصيفي هدى، علاقة السياسة اللغوية بالتخطيط اللغوي (دراسة حالات من الوطن العربي)، رسالة ماجستير، إشراف: رشيد بوزيان، جامعة قطر، (2014-2015) ص:41-52.

[11] طوليفيسن جيمس، السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، تر: محمد خطابي، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 2008، ص:25.

[12] كوبر، التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، ص:29.

[13] عزوز أحمد، التخطيط اللغوي، ص:63.

[14] المناصرة عز الدين، الهويات والتعددية اللغوية، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، الأردن 2004، ص:24.

[15] ينظر هذه الأنواع، الصيفي هدى، علاقة السياسة اللغوية بالتخطيط اللغوي، ص:54-58.

[16] ينظر، المرجع نفسه، ص:33-34.

[17] ينظر، المرجع نفسه، ص: 58–64.

[18] الفهري عبد القادر، السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة بنغازي، 2013، ص: 256–258.

[19] كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة بيروت، 2008، ص:396–397.

[20] المرجع نفسه، ص:395.

التعدد اللغوي معضلة لسانية أم ضرورة مجتمعية ؟

أ.ليلى قلاتي

طالبة دكتوراه سنة ثالثة،

ج. الحاج لخضر باتنة -01-

leilagltl@gmail.com

ملخص:

[illegible] .

الكلمات المفتاحيـــة : [illegible] .

مقدمة :

[illegible] .

أصبحنا نعيش تداعياتها ونستقبل أثارها سلبية كانت أو إيجابية، والتي ألقت بظلالها على جميع الميادين، التعليمية منها خاصة، ضمن هذا السياق تحاول الدراسة الإجابة عن الإشكالية المحورية التالية :هل التعددية اللغوية ضرورة مجتمعية أم معضلة لسانية ؟

تهدف الدراسة الوصول إلى سُبل لتحقيق التعايش اللغوي والتفاعل الايجابي بين اللغات المقررة في المناهج الدراسية (عربية، فرنسية، أمازيغية) والتركيز على اللغة الأمازيغية باعتبارها اللغة الثالثة المبرمجة كلغة تدريس، لتجاوز ظاهرة التعدد التي تؤرق المنظومة التربوية وذلك باستغلال ايجابياتها، بجعل التعدد والتنوع أساسا لبناء نشء متعلم متطور علميا وثقافيا، لنخلص في الأخير إلى مجموعة من النتائج أهمها : أن التعدد اللغوي أصبح حقا مشروعا في ظل التنافس القائم بين اللغات، والسعي لتغير النظرة السلبية تجاه اللغة الأمازيغية والتحسيس بأهمية تعليمها ونشرها على نطاق واسع، مع الإقرار أن التعدد في ظل التعايش اللغوي أمر لا مفر منه، يدعمه تخطيط تربوي محكم يسهم في تحقيق التوازن والانسجام لتعليم اللغات الوطنية .

1-التعدد اللغوي

إن تعدد الألسن هو آية من آيات الله المعجزات وإجابة صريحة على أن التعدد هو الأصل لا الأحادية وقد ورد دليل ذلك بشكل صريح في النص القرآني في آيات عديدة منها قوله تعالى:"ومن آياته خلق السّماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين".و في قوله :" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا". * الروم : 21-22 * الحجرات13

والتعدد ظاهرة لسانية قديمة أفرزتها عوامل الاحتكاك والتعايش والصراع بين اللغات والمجتمعات، وقد اتفقت المعاجم اللسانية على أن ظاهرة التعدد اللغوي تتجلي في تواجد لغات متعددة داخل مؤسسة اجتماعية معينة يستعمل أفرادها هذه

اللغات، وبشكل متفاوت كاستعمال الفرد الجزائري في خطاباته اليومية العديد من اللغات واللهجات (العربية الفصحى، والعامية، واللغة الأمازيغية) " فالتعدد اللغوي نسيج لغوي يحكمه تفاعل لغات (وطنية وأجنبية) مختلفة داخل التراب المغاربي الأمازيغية –العربية –الانجليزية –الاسبانية – ولغات أجنبية أخرى"[1]

ويبرز تأثير التعددية اللغوية بشكل جلي في الجانب التعليمي من خلال برمجة لغة أجنبية "الفرنسية" لغة ثانية ابتداء من السنة الثالثة لدى متعلمي المرحلة الابتدائية لتضاف لغة ثالثة –وان كانت وطنية – الامازيغية في السنة الرابعة والخامسة ابتدائي إذ أن الفوضى الحاصلة في المجال التعليمي من حيث ترتيب أولويات التدريس، وسنوات تدريسها الذي يترجمها تعدد لغوي مضطرب، يجعلنا نتساءل عن كيفية وسبل إعادة تنظيم هذه الفوضى اللغوية واقتراح استراتيجيات أنسب لتعليم اللغات الوطنية والأجنبية ؟

قبل الشروع في الإجابة عن هذه الإشكالات وجب الإجابة أولا عن التساؤلات التالية

*هل التعددية اللغوية الأصل أم الأحادية ؟

*هل التعدد اللغوي ضرورة مجتمعية أم معضلة لسانية ثقافية ؟

2–التعدد اللغوي ضرورة مجتمعية أم معضلة لسانية ؟

نرمي من خلال هذا الطرح إلى رصد مخلفات التعددية اللغوية السلبية منها والإيجابية في البيئة الاجتماعية عامة والتربوية التعليمية منها خاصة وذلك بالرجوع إلى الآراء والمواقف المؤيدة للتعددية والمعارضة لها فمنهم من يرى أن التعددية في البلدان المتحضرة – عامل ثراء وتنوع ثقافي– رمز من رموز حضارتها وارتقاء لغاتها، في حين التعددية في الجزائر تمثل رمزا من رموز الانحطاط والتدهور في الكثير من القطاعات، تعد من أهم العوامل الفاعلة في التفكيك الاجتماعي ذات الأثر السلبي على الحراك الثقافي (على حد قول الأوراغي).

2-1-التعدد اللغوي ضرورة مجتمعية:

ولا شك أن التعدد والتنوع أمر طبيعي تعيشه المجتمعات كما تعيشه اللغــات إذ تدخل في صراع وحرب لغات، فتنتصر لغة وتنهزم (أخرى)، تحيا لغــة وتنــدثر وتموت أخرى «فالعالم متعدد اللغات تلك حقيقة واقعة والتاريخ اللغوي الذي هــو مظهر من مظاهر تاريخ العالم ليس في جزء كبير منه ســوى إدارة لهــذا التعــدد اللغوي»[2] وهي حقيقة واقعة بين المجتمعات واللغات ويوضح لويس جون كــالفي ذلك بقوله « العالم متعدد اللغات منذ بداياته ساحة لصراع يسمى محترم، بين هــذا التعدد اللغوي، وساحة التوتر الدائم بين ما هو منحصر وما هو منتشر مــن لغــة المنزل، لغة الغداء، بين لغات السلطة ولغة الأقلية، هذا التوتر واحد من محركــات التاريخ، وتتغير اللغات كما يتغير العالم، إذ يشهد تطور العلاقــات المتبادلــة بــين اللغات على تطور المجتمعات»[3] فهي تعيش صراعا داخليا بين أنظمتهــا وأبنيتهــا الداخلية (الصرفية، الصوتية النحوية) وصراعا خارجيا يتمثل في علاقــة اللغــات بالمجتمعات، إذ أن تطور اللغات مرهون بتطور المجتمعات، والتي تحدد وظائفهــا السويسو–لسانية المنوطة بها حسب الأغراض التواصــلية والمجــالات الوظيفيــة الرسمية وغير الرسمية (كلغة المنزل والشارع) كما تحدد بدرجة استعمالها ومــدى قوة حضورها لدى الناطقين بها وانتشارها، وهي في مواقعهــا ووظائفهــا أشــبه بأصناف الثلاثة التي قدمها فرغسون للتعبير عن الأوضاع المتعــددة اللغــات فــي اللغات الراقية واللغات الوضعية، واللغات ذات المنزلة الخاصة.

« فاللغات ليس لها جميعا نفس الوظائف، ولا نفس الدور الاجتماعي، ولا نفس الانتشار فبعضها محصور على جماعات محدودة أو بعض العــائلات أو قريــة أو قبيلة والبعض الأخر وهي الأقل عددًا من المستعملين »[4] كلهجات اللغة الأمازيغية كالقبائلية التي تتوزع على مساحات كبرى من الوطن العربي في منــاطق القبائــل الكبرى والصغرى، وغيرها من المدن الناطقة بها والعاميــات العربيــة المنتشــرة بكثرة في مناطق الشرق الجزائري وهذا ما يفسر لغة الأقلية ولغة الأكثريــة، لغــة

الجهوية إذ يرى كالفى أنها كلها تخضع لايدولوجيات القـوة والهيمنـة والانتشـار وشبهها ببورصة اللغات وذلك لتحولها وتطورها بحسب قيمتها في السوق العالميـة فهي كالعملة في التبادل التجاري، كلما كانت العملة قوية موحدة في الـبلاد كلمـا كانت اللغة ذات انتشار واسع ذات حضور قوي.

إن التمازج والاحتكاك والتعايش هو الذي يفرض وجود هـذه الظـاهرة فـي المجتمعات «إذ أن التعدد اللساني كما يرى الدارسون لا يمكن فرضه بقوة القـانون أو أي قوة أخرى، وإنما يأتي عن طريق إرادة صادرة من عمق المجتمع»[5]

ونخلص من كل ما سبق ذكره –استنادا إلى أراء لويس جون كالفي– أن التعدد أمر طبيعي وضرورة اجتماعية لا معضلة لسانية ثقافية ويجيب كالفي علـى هـذا الطرح في هذا القول «إن ثمة حرب بين اللغات فلأن العالم متعـدد ولأن التعـدد اللغوي هو الأصل ولو كان يمكن للعالم أن يكون أحادي اللغة لما حدث فيه صراع ومن هنا وهم الحل المسالم في ابتداع لغة اصطناعية كلغة الإيسـبرنتو أو اللغـات المصطنعة الأخرى، إنه وهم لأنه يخالف حقيقة جوهرية في اللغة حقيقة التعدد»[6]

ويخالف هذا الرأي المعارضون لهذه الظاهرة اللسانية التي تعـد فـي نظـرهم عاملا لتفكيك الوحدة والتماسك القومي، عاملا لتهديد الهويات والثقافات وسـنخص بالعرض مخلفات التعددية السلبية على القطاع الأكثر حساسية والـتعلم باعتبـاره جزءًا أساسا في دراستنا.

2-2-التعدد معضلة لسانية

إن تنوع طرائق الخطاب والتواصل والتبليغ في المجتمع الجزائري يعزى إلـى تنوع لهجاته ولغاته الموظفة الموزعة من أرجاء المعمورة أفضـى إلـى حـدوث فوضى لسانية من نتائجها رطانة وهجانة لغوية، فالمراحل التي مرت بهـا الدولـة الجزائرية أثرت على واقع اللسان العربي وعلى التخاطب اللغوي نجم عنـه عـدم الانسجام والتآلف اللغوي والاجتماعي.

فهذه الدولة (فرنسية) التي أسهمت وبشكل ما في تشكيل التعدد في البلدان التي استعمرتها –رافضة للتعدد في بلدانها– قد خلقت في بلدان المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب، موريتانيا) أربع لغات إذ تقول « فرنسا أن للمغرب العربي أربع لغات لا لغة واحدة وهي الفرنسية والعربية الفصحى والعربية الدارجة والبربرية وقد دافع البشير الإبراهيمي أحد رجال الإصلاح الكبار في الحركة الوطنية حيث يقول: العربية عقلية حرة لا تتحمل ضرة»[7] وهو ما حاولت فرنسا فعله بجعل الفرنسية والامازيغية ضرائر للغة العربية بغرض مناقشتها ومزاحمتها وإحلالها محلها.

إن الاستلاب الفكري الثقافي الذي خلقته الدول المستعمرة كان له بالغ الأثر في عقول العرب، إذ وقعوا أسرى اللغات الأجنبية وثقافاتها وانقادوا إليها بكل شغف وجد، فزادهم ذلك غربة عن غربة وهم في أوطانهم وبين ذويهم إذ أن التعدد اللغوي في ظاهره التفتح وفي باطنه التخلف.

ومن المهتمين من علماء اللسانيات الاجتماعية بدراسة هذه الظاهرة اللغوية ومخلفاتها والتي توصلت دراساتهم إلى اعتبارها معضلة سلبية علينا محاربتها لضمان وحدة اللغة، وللمحافظة على الهويات والخصوصيات العربية باعتبارها عامل انحطاط الشعوب وتخلفها

ويوضح لنا ذلك محمد الأوراغي في قوله « إن ما فوق التفرد اللغوي من ازدواج وتعدد لغويين لا يقتصر على إعاقة التطور الثقافي وتعطيل النمو الاقتصادي فقط بل يتسبب في تصدع المجتمع ويهدد استقراره واستمرار وجوده»[8].

إن ما حفظ اللغة العربية ارتباطها بالوازع الديني رغم هيمنة وسيطرة اللغات الأجنبية، والراهن العامي الذي بدأ زحفه طوعية من أبنائه إلى أشد القطاعات حساسية وتتأثر للطبيعة مهمتها المتمثلة في تكوين وتعليم النشء– جعلها تواجه أزمة التعدد اللغوي التي تعد من أكبر الأزمات التي تواجه تعليم العربية لأبنائها ويظهر ذلك في شكلين : الثنائية بين عربية وفرنسية؛ وازدواجية بين تعلمه للعربية

الفصحى وتوظيفه للغة الأم . إذ أنه سيواجه تباعد وهو ما يمارسه ويوظفه في واقعه اليومي التواصلي وبين ما يتلقاه ويتعلمه في المدرسة إذ «تستخدم في بلدان المغرب العربي ثلاث لغات: العربية والفرنسية واللغة الأم، أما الأوليان فلغتا الثقافة وهما لغتان مكتوبتان تستخدم الفرنسية أيضا لغة للمحادثة غير أن اللغة الأم الحقيقية التي يستخدمها الناس دائما في خطابهم اليومي لهجة هي العربية أو البربرية»[9] فالمتعلم يستعمل عددا من الألسن ولا يتقن أي واحدة منها إتقانا جيدا.

كما يذهب صالح بلعيد « في تحليل الوضع الخاص بالطفل الجزائري في ظل التعدد بقوله: أن الطفل الجزائري في أية منطقة كان فهو إما أحادي اللغة وثنائي التأدية: عربية دارجة+عربية فصحى أو ثنائية اللغة: عربية دارجة (عربية فصحى+ فرنسية) ويعد الأمازيغ حقيقة متعددي اللغات بمن فيهم الأميون لأن التعدد يعود للكلام دون المؤهلات اللغوية والخصائص الفكرية والازدواجية ثابتة مع الطفل قبل سن التمدرس»[10] وتتلافى هذه التعددية السلبية عند اكتساب المتعلم ملكات لسانية أكاديمية ومهارات لغوية بشكل متدرج ومحكم يكسبه حصانة منهجية نفسية قوية تساعده على الحفاظ على لغته مما يجعله قادرا على التواصل والاندماج الفعلي في المجتمع.

يمكن أن نسوق الدولة الهندية كمثال التعددية اللغوية التي هي من مخلفات صراع المجتمعات حيث يعرف الدستور الهندي 13 لغة رسمية إلى جانب اللغة الانجليزية التي توظف وتستعمل في القطاعات والمؤسسات التعليمية.

3-السياسات اللغوية مقارنة بسيطة بين المجتمع الغربي والعربي

انتهجت الدول الغربية سياسات لغوية صارمة أدت إلى تماسك بنيانها اللغوية وتعزى نجاعة سياساتها التربوية إلى انتهاج استراتيجيات لتقليص الهوة بين لغاتها القومية والرسمية في حين أن هذه الظواهر (التعددية الازدواجية، الثنائية...) التي تعاني منها المجتمعات الجزائرية تكاد تنعدم في الدول الغربية ونسوق أمثلة عن بعض هذه الدول :

1- اليابان: التي احتلتها الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية والتي رفعت راية استقلالها عسكريا لا لغويا، إذ لم تتخل على شيء واحد وهو لغتها القوميّة الوطنية التي بقيت لغة التعليم.

2- فرنسا: أقرت قانون يعاقب كل من يخطء في لغتها سواء في التعليم أم غيره من القطاعات، فقد نصبت في قانون من قوانينها ابتداءً من تاريخ تموز (يوليو) 1794 وقامت بتنفيذه وينص على «أن كل موظف أو كاتب أو مسؤول يوقع قرارا أو وثيقة بلغة غير اللغة الفرنسية يطرد من الخدمة ويسجن ستة أشهر»[11]

في حين الشرخ واضح في السياسات اللغوية المنتهجة في الدول العربية فهذه الأخيرة وبالضبط في « السياسات اللغوية للدول العربية تميل إلى تفضيل اللهجات العامية في الإذاعة والتلفزة ولا تمنعها أو تقلل منها» فإلى جانب الراهن اللغوي العامي، تعتبر اللغة الفرنسية اللغة الثانية رسميا في مجال التعليم الأولى (استعماليا) تداوليا بالنسبة لدول المغرب العربي والجزائر منها خاصة واللغة الأمازيغة لغة ثالثة غير معممة على كافة المؤسسات التربوية.

ويعبر عبد السلام المسدي في كتابه "العرب والانتحار اللغوي" عن تقاعس المسؤولين والقائمين على البيانات اللغوية للحد من هذه الظواهر اللسانية أو التقليل منها ويوضح ذلك في قوله « وما زاد الظاهرة انتشارا هو تغاضي المسؤولين في بلادنا عن هذه الفوضى اللغوية وصمتهم القاتل عنها وتقاعسهم وعدم اهتمامهم بالموضوع أصلا. بسكوتهم هذا فهم يغيرون الهوية اللغوية في أوطانهم وحرب اللغات قائمة، وكل يلقي بالمسؤولية على الأخر، وما نخشاه من الازدواجية إلى التعددية هو ذلك الانفصال بين الموروثة مرحلة الاحتلال إلا حدود مصطنعة»[12].

إن عدم توفر وجود إستراتيجية تعليمية (تربوية) عربية توحد السن القانوني لتدريس اللغة الأجنبية كلغة ثانية بعد اللغة الوطنية الرسمية أدى ذلك إلى انعكاسات سلبية- والبعض منها إيجابية – في معظم الأقطار العربية المشرقية والغربية –وسنعرض بعضها- فبرغم من تكاثف الجهود في إطار البحث العلمي لترقية التعليم

الجامعي وما قبله من قبل المؤسسات القائمة على تطوير وازدهار العربية والقائمة على تقديم بيانات تربوية وخطاطات لسانية لتوفير تعليم أجود ومن بينها جامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم..

نتحدث في هذا المقام عن التعليم ما قبل الجامعي وبالضبط المرحلة الابتدائية

1- المشرق العربي*: مصر، السعودية، سوريا لا تعلم اللغة الأجنبية في المدارس الابتدائية، إنما تشرع في تعليمها في المدارس الإعدادية (المتوسطة)

الكويت: تدرس اللغة الأجنبية في السنة الرابعة ابتدائي وتمثل اللغة الأجنبية الأولى بالنسبة لها : الإنجليزية

العراق والكويت: تدرّسان اللغة الأجنبية في السنة الخامسة ابتدائي، وبعدها تضاف الفرنسية كلغة ثانية.

2- المغرب العربي: تونس، المغرب، الجزائر تتمثل اللغة الأجنبية الأولى في اللغة الفرنسية ويشرع تعلمها من السنة الثالثة ابتدائي، أما في المراحل المتوسطة والثانوية تضاف الانجليزية ابتداءً من السنة الأولى متوسط.

ناهيك عن اختيار لغات أخرى كالألمانية والروسية إذ توفرت في المدارس كما في العراق وغيرها.

وكلها تتوقف على السياسة التربوية المنتهجة (المعتمدة) في كل بلد.

4-اللغة الأمازيغية

لقد تعرضت اللغة الأمازيغية بعد الإقرار بها ودسترتها كلغة رسمية للوطن وإدراجها كلغة تعليم في المراحل التعليمية المختلفة إلى مواقف عدة بين مؤيدين ومعارضين لتدريسها

1-الموقف المؤيد: الذي يرى ضرورة تعميم الامازيغية عملا بمبدأ التوفيق هذا الوقف المتشدد يتبناه المغالون في الدفاع عن اللغة الأمازيغية والمهتمون بها.

* - الاستزادة حول موضوع تدريس اللغات الأجنبية في المراحل الابتدائية في الوطن العربي يرجع إلى مقال على القاسمي الطفل العربي والمنظومة اللغوية.

2-موقف عقلاني متشدد:

يرى أصحاب هذا الموقف أن تعلم الأمازيغية عبارة عن مضيعة للوقت وهدر للمال العام، فعلى الرغم من أننا في القرن الواحد والعشرين تبقى اللغة الأمازيغية لاتتعدى شرائح معينة بشمال إفريقيا [13] وذلك للأسباب التي سنفصل فيها في العنصر الموالي

5-اللغة الأمازيغية في المؤسسات التعليمية وصعوبة تدريسها

5-1-الفريق الأول : يتمثل رأيهم في عدم صلاحية اللغة الأمازيغية للتدريس للأسباب التالية:

5-1-1-الرصيد اللغوي للغة الأمازيغية

يرجع الكثير من المعارضين لتدريس اللغة الأمازيغية إلى كونها تفتقر إلى رصيد لغوي مكتوب تقوم على أساسه أية لغة وذلك أن :"الفقر اللغوي الذي تملكه لا يمكنها في الوقت الحالي أن تكون لغة وطنية بالمعنى التربوي، وهذا ما يجب أن يكون التفكير فيه والعمل على الارتقاء بها، أمام هذا الفقر تحتاج هذه اللغة إلى التوحيد اللغوي ليتمكن المجتمع من فهم الخطاب المتداول وبعد ذلك تضفي عليه الشرعية الاستعمالية وذلك ما يكسبها الذخيرة اللغوية التي ترتكز عليها أثناء دخولها علم البحث الأكاديمي، وهذا الأخير هو الذي يغنيها في كل مجالات الحياة وما يرشحها أن تكون لغة التعليم بعد ذلك "[14]

5-1-2-الحرف الامازيغي

تعاني اللغة الأمازيغية من مشكل الخط العربي، حيث لم يتم التوصل بعد إلى إجماع أو اتفاق في خصوص حرف كتابتها بخط "التيفناغ" أو" الحرف العربي " حيث اقترح العديد من الباحثين اللسانين المهتمين بعلم اللهجات واللسانيات وعلى رأسهم الأستاذ عثمان سعدي، وصالح بلعيد، عبد الرحمن الحاج صالح -رحمة الله عليه- على كتابة اللغة الامازيغية بخطها الأصلي وان تعذر ذلك فالحل كتابتها بالخط العربي ذلك أن "الكتابة العربية نجاح وضمان لتدريسها، حيث إن كتابتها بالحرف

العربي تجسد خيارات الوطن، وتكملة للغة العربية التي أفادت منها واستفادت، وكان لها كيان بالإسلام الذي أعلى شأنها، فلكي تتكامل الأعمال في هذه المدرسة يفضل ألا تشوش عقل التلميذ بخطين مختلفين، كما أن هذه الكتابة بالعربية هي تسهيل عليه في تناول المادة الجديدة، وتسهيل عليه في عملية البحث والكتابة لأن هناك اتفاقات بين العربية والأمازيغية في مسألة الأصوات والمصطلحات والمعجم والنحو" [15]

5-1-3- التعدد اللهجي الأمازيغي

إن التعدد اللهجي الذي تتميز به اللغة الأمازيغية في الجزائر هو العائق والإشكال الذي تواجهه الدولة لتعليم اللغة الأمازيغية المتمثلة في اللهجة الشاوية والقبائلية والشليحية والميزابية والتارقية على الرغم من الجهود المضنية التي تسعى إلى التوفيق بين اللهجات الامازيغية، ومن هنا وقع الاختلاف في اللهجة المراد تعليمها للمتعلم وبخاصة أن توزيع هذه اللهجات يختلف من شرق الجزائر إلى شمالها ومن غربها إلى جنوبها، على الرغم أن الكثير من الباحثين أيد هذا الاختلاف ورأى ضرورة مراعاة التعدد اللهجي في تدريس الامازيغية ومن بينهم الأستاذ "عثمان سعدي "والذي يقول :"من هنا أرى في البداية أن الأمازيغية تدرس في مناطقها الجغرافية وسوف يلعب التعليم والاستعمال والإعلام أدوارا في تحقيق اللغة المتداولة في كل المناطق ودون توجيه وتحريف، أما التوحيد اللغوي فلن يأتي أبدا ولا يأتي لأنه ليس من السهولة أن تتنازل لهجة عن فنونها لصالح لهجة أخرى من فصيلتها، وليس سهلا تنميط لهجة ما على حساب أخرى، ومن هذه الزاوية رفضت بعض المناطق المازيغية تدريس الأمازيغية بأنها تدرس لمازيغية بعينة ولحل هذه المعضلة تترك التدريس والاستعمال وللإعلام فرض اللغة النمطية التي قد تكون ذات يوم "[16]وفي هذا السياق يدلي الأستاذ"أحمد بوكوس " برأيه(عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في المغرب) يقول :"أن تعصب كل منطقة للهجة الأمازيغية التي تدرسها سيؤدي لا محالة إلي فشل سياسة تدريسها، حيث يرى "أن تقسيم الامازيغية إلى عدة لغات مختلفة – كما هو واقع الحال منذ ألاف السنيين وحتى اليوم–يحول دون تعبيرها وبالتالي يؤدي

إلى إضعافها، ومن ثم يجرى الدفاع عن لغة معيارية موحدة تحت غطــاء ضـــرورة التنميط والتقعيد اللغوي للأمازيغية حتى يسهل تدريسها ودمجها في الحياة العامة وفـــي جميع أنشطة المجتمع"[17] وحسبه ضرورة الوصول باللهجات الأمازيغية لتصبح كيانا واحدا وموحدا .

5-1-4- الجانب التعليمي

يذهب الكثير من الباحثين أن الرصيد اللغوي للغة الأمازيغية يختلف عـــن رصـــيد اللغة العربية، ويعرقلها في الكثير من الأحايين ذلك أن لكل من اللغتـــين الخصـــائص التي تميزها عن الأخرى ومن هذا المنطلق تخلق الكثير من الصعوبات التـــي تعيـــق السير الحسن لعملية تعليم وتعلم اللغة العربية، والدليل على ذلك في قولهم "إن نســـبة كثيرة من الأطفال الذين يتحدثون اللغة الأمازيغية يصادفون في أعـــوامهم الدراســـية الأولى، صعوبات جمة تعترض أغلبيتهم للرسوب أو تحقق نتائج غير مرضية، لأنـــه شتان ما بين التلميذ الذي لا يعرف إلا اللسان الأمازيغي والتلميذ الذي يـــتقن الدارجـــة المغاربية العامية التي لا تختلف كثيرا عن اللغة العربية الفصحى، فسوف يظل صامتا فالبون الشاسع بين اسما واجنّا وبين الواد، وإغزار، بين جبـــل وأذرار ممـــا يشـــكل صعوبة مزدوجة للتلميذ الأمازيغية من جهة والرجل العربي الذي يدرس بالمنـــاطق الأمازيغية من جهة أخرى"[18].

5-2-الموقف الثاني: الدعوة الملحة إلى تعميم تدريسها

إن لأصحاب هذا الموقف رأيًا معارضًا لما قدمه أصحاب الرأي الأول إذ في نظـــرهم اللغة الأمازيغية لغة قائمة بذاتها كغيرها من اللغات لها خصائصها وقوانينها التي تختلف بها عن غيرها، تملك تراثا لغويا وأدبيا متميزا، ناهيك أنها لغة تعبير وتواصـــل، وقـــد دعا الكثير منهم إلى تجاوز هذه الطروحات الخاطئة والتناقضات الصارخة والأحكـــام المسبقة من خلال النظر إلى تعدد اللهجات الأمازيغية على أنها عامل إعاقـــة لا ثـــراء وحجتهم في ذلك "أن الأمازيغية لســـت لهجـــة بـــالمفهوم العربـــي وليســـت ديالكـــت

(لهجة) بالمفهوم الأروبي، بما أنها لا تنحدر من أيه لغة ولا تنتمي إليها، إنما هي قائمة بذاتها لها قوانينها ولها أسسها اللغوية كجميع اللغات[19]

كما يرى الأستاذ "صالح بلعيد" هو من حاملي لواء الأمازيغية والمشهود له بعلو كعبه في الدراسات اللسانية أنه يوجد شبه إجماع على ضرورة المحافظة على اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة كل الجزائريين، ولا يحق لأحد الاستحواذ على التراث المشترك، فاللغة الأمازيغية تراثنا المشترك [20] ويذهب الأستاذ "التجاني بولعوالي"إلى أن التعليم خير ميدان لنشر التراث الأمازيغي، والأداة الأنجع لتعميم استعمالها وفي ذلك يقول :

"ثم إن اعتماد اللغة الأمازيغية في المدرسة المغربية والجزائرية ولو بشكل أولى وتجريبي يعتبر مكسبا رائدا، وهو الذي ينبغي أن ترضى عليه الأمازيغية حتى يستند عضدها، لا سيما وأن التعليم يعتبر الأداة الناحجة لتعميم أي لغة أو ثقافة أو معرفة وقد أوكلت مهمة إعداد المناهج العلمية والتربوية للمسؤولين، التي تمكن من تقعيد مجموعة من قضايا الأمازيغية اللغوية والثقافة العلمية والتاريخية [21]

6-الأهداف المرجوة من تعليم اللغة الأمازيغية

عملت الحكومة الجزائرية على تعميم تعليم اللغة الأمازيغية بعد أن أقرتها بأنها لغة وطنية، وعملت على نشرها وذلك بإصدار قرار ينص سنة (2003) على تعليمها وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة من تعليمها والتي تتمثل في[22] :

ترسيخ العقيدة الإسلامية، وتعزيز القيم الإنسانية من خلال محتوى النصوص الأدبية والمعلوماتية .

الاعتزاز باللغة العربية والمازيغية والإيمان بتميزهما وبخصائصهما التي تكفل لهما الاستقرار والقدرة على استيعاب المستجدات ومواجهة التحديات .

تعزيز الإيمان بالتراث العظيم الذي استوعبته اللغة المازيغية وسكن الصلة العميقة التي لا تنفصم بين الإسلام وبين العربية والأمازيغية .

التفاعل الصادق الواعي مع قضايا الأمة ومشكلاتها من خـــلال وســـائل اللغـــة العربية أو الأمازيغية في التعبير والتواصل.

استيعاب المعارف اللغوية والأدبية، وإبراز ما وصلت إليه هذه المعـــارف مـــن تنظيم ودقة وعمق على أيدي اللغويين والأدباء والمفكرين بحق في اللغة الأمازيغية .

مقترحات

تتمثل مخرجات البحث في :

إن أهم آلية لتفعيل الأمازيغية تعميم استعمالها

التحسيس بأهمية اللغة الأمازيغية وتجاوز الطروحات المغلوطة .

النظر إلى التعدد اللغوي على أنة ثروة لغويـــة وضـــرورة مجتمعيـــة لا معضلة لسانية تستدعى حلولا.

ترقية وتوسيع تعليم اللغة الأمازيغية

اللغة الأمازيغية لغة مكملة داعمة للغة العربية –لا معارضة لهـــا–تعمـــل على الاطلاع والتفتح على ثقافة الآخر.

ضرورة إعداد قاموس جامع موحد للألفاظ الأمازيغية .

ضرورة توحيد لغة كتابة الأمازيغية بالخط العربي.

خاتمة

نختم بقول للأستاذ "صالح بلعيد " الذي يعتبر إجابة شافية ووافيـــة بخصـــوص مستقبل اللغة الأمازيغية، والذي يؤكد أن مستقبل العربية في الأمازيغية، ومســتقبل الأمازيغية في التعريب وفي بناء العربية كلغة علم ومعرفـــة ولغـــات وحاســـوب ورادار ومن هنا يجب الربط بين المسألة الثقافية والمسألة الأمازيغيـــة، ذلـــك أن الخلل لا يكمن في الصراع بين العربية والأمازيغية بـــل فـــي مزاحمـــة اللغـــات الأجنبية وإحلالها محل اللغات الوطنية في الوقت الـــذي يجـــب أن نحـــافظ علـــى التوازن ونجعل من تلك الأخيرة (اللغات الأجنبية مطية خادمة للغات الوطنية)[23] ذلك أن اللغة الأمازيغية تكمل اللغة العربية واللغة العربية تكمل الأمازيغة، ومن هنا وجب السعي لحقيق التعايش بين اللغتين لنكفل التطـــور والتقـــدم فـــي جميـــع المجالات والتعليمية منها بشكل أخص، ونقر أن التعدد اللغوي ثراء لغوي وفكري وثقافي سواء من الناحية الاجتماعية أم التربويـــة شـــريطة أن تحكمـــه سياســـة وإستراتيجية معقلنة هادفة واضحة مخطط لها، فإكساب الـــنشء لغـــات متعـــددة مكسب ثقافي لساني وهدف تسعى المنظومة التربوية إلى تحقيقه.

مصادر ومراجع البحث

1. التجاني بولعوالي، راهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة، أفريقيا الشرق دار البيضاء.

2. التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية ج1، 2014 الجزائر.

3-حسينة وهلة، المازيغية في الجزائر بين الفعل التربوي والبعث السياسي، أعمال الملتقي الوطني حول التخطيط اللغوي، ديسمبر 2013، ج2.

3. السوسي مسكة، التعدد اللساني وحرب اللغات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ج1، 2014.

4. صالح بلعيد، المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر في الجزائر، جامعة مولد معمري، تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، 2011.

5. صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، دار هومة، ط1، الجزائر.

6. عبد الكريم بكري، التعدد اللساني والهوية الثقافية في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ج1، 2014.

7. عثمان سعدي، اللغة العربية والتعدد اللساني بالمغرب العربي.

8. عمر فاسي، التعدد اللغوي وآثاره، مجلة دراسات جوان 2017.

9. لويس جون كالفي، حرب اللغات واللسانيات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، بدعم من مؤسسة محمد بن رشيد ال مكتوم، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية.

10. محمد الأمين خلادي، التعدد اللغوي في الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الانسانية. http://aifh.modares,oc,ir

11. محمد الأوراغي، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 36.

12. محمد الكوخي، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، التعدد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ، أفريقيا الشرق 2014.

14–المسألة اللغوية بالمغرب والعالم العربي، المقاربات البداغوجية والديداكتيكية عالم التربية، مجلة محكمة تعنى بقضايا التربية والتعليم، منشورات عالم التربية .

15–مقترحات للنهوض باللغة العربية داخل الجزائر وعدم التفريط في اللغة الأمازيغية، أعمال اليوم الدراسي، مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في تعليمية اللغة العربية في الجزائر بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، جامعة سعيدة، يوم 6مارس 2017، منشورات المجلس 2017.

المراجع الأجنبية :

18–louis jean calvet « la guerre de langues et les d'unveritable le plurilinguisme

إحالات البحث

1– التعدد اللساني واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية ج1 2014، الجزائر ص424

2– لويس جون كالفي، حرب اللغات واللسانيات اللغوية، ترجمة حسن حمزة بدعم من مؤسسة محمد بن رشيد ال مكتوم، النظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية ص 482.

3– المرجع نفسه، ص 389.

4– louis jean calvet « la guerre de langues et les d'unveritable le plurilinguisme »

نقلا عن السوسي مسكة، التعدد اللساني وحرب اللغات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ج1، 2014، ص 223.

5– عبد الكريم بكري، التعدد اللساني والهوية الثقافية في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ج1، 2014، ص 249.

6– لويس جون كالفي، حرب اللغات واللسانيات اللغوية، مرجع سابق ص 85.

7– محمد الأوراغي، التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي المملكة المغربية جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 36، ص 149.

8- لويس جون كالفي، مرجع سابق، ص 89.

9- محمد الأمين خلادي، التعدد اللغوي في الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الانسانية. http://aifh.modares,oc,ir

10- عثمان سعدي، اللغة العربية والتعدد اللساني بالمغرب العربي، ص 156.

11- عمر فاسي، التعدد اللغوي وآثاره، مجلة دراسات جوان 2017، ص 94.

*12- الاستزادة حول موضوع تدريس اللغات الأجنبية في المراحل الابتدائية في الوطن العربي يرجع إلى مقال على القاسمي الطفل العربي والمنظومة اللغوية.

13- المسألة اللغوية بالمغرب والعالم العربي، المقاربات البداغوجية والديداكتيكية، عالم التربية، مجلة محكمة تعنى بقضايا التربية والتعليم، منسورات عالم التربية -ص266

14-صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، دار هومة، ط1، الجزائر، ص188.

15- صالح بلعيد، المرجع نفسه، ص211

16-مقترحات للنهوض باللغة العربية داخل الجزائر وعدم التفريط في اللغة الأمازيغية أعمال اليوم الدراسي، مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في تعليمية اللغة العربية في الجزائر بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، جامعة سعيدة، يوم 6مارس 2017، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2017.[1]

17-محمد الكوخي، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، التعدد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ، إفريقيا الشرق، 2014، ص137

18-التجاني بولعوالي، راهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص83-84.م

19-محمد الكوخي، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، التعدد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ، أفريقيا الشرق 2014،ص137.

20-صالح بلعيد، المازيغية في خطر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر في الحزائر، جامعة مولود معمري، تيزي-وزو، كلية الآداب واللغات، 2011،ص27.

21-التجاني بولعوالي، راهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص120.

22-ينظر، حسينة وهلة، المازيغية في الجزائر بين الفعل التربوي والبعث السياسي، أعمال الملتقي الوطني حول التخطيط اللغوي، ديسمبر 2013، ج2، ص312.

23-صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، مرجع سابق، ص214.

التلاحم اللغويّ بين المازيغية والعربيّة في الجزائر

(مقاربة ميدانيّة للمصطلحات وتطوّرها في الاستعمال)

أ. يوسف يحياوي،
المركز الجامعي، ميلة
you.maj77@gmail.com

مقدّمة: تعرف اللغات بكونها سجلَّ الشعوب تاريخيا وحضارة، حيث إنّ تطــوّر وتقدم تلك الشعوب تقاس على ما تحويه لغاتهم من ثراء في العلوم النقليــة والعقليّــة واللغة العربية إحدى اللغات الحيّة – كما يراها اللغويّون حــديثا – ومــا اســتجابتها للتطوّر التكنولوجي وللتحوّلات السريعة التي مسّت مختلف القطاعات إلاّ دليل علــى سعتها ومكانتها التي تحتلها بين لغات العالم المتطوّرة. وما يجدر به الإشارة هــو أنّ اللّغة العربيّة ليست لغة العرب؛ فلا يحقّ للعربيّة أن تطلق على العرب دون ســواهم لأنّ مفهوم العربيّة هو الشيء المبين كما ذُكِرَ ذلك في القرآن الكريم: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)** الآية: 103 من سورة النحل، وقوله: **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** الآيــة 02 من سورة يوسف؛ فمعنى العربيّ فيما سبق هو اللسان الواضح المبــين ولــيس نسبة إلى العرب. وقمين بي أن أعتبر اللغة العربيّة اليــوم ذات مكانـــة يشـــهد لهـــا احتكاكها الكبير بمختلف اللغات والعلوم سواء عن طريق الترجمـــة أم عـــن طريـــق التعريب. ولعلّ الجزائر من بين البلدان التي أولت عناية للغة العربية منذ الاســـتقلال وقبله. أمّا قبيل الاستقلال فقد عرفت ركودا في مجال الاستعمال، غيـــر أنّ مجالهـــا التعليمي كان ناجحا رغم نقص الوسائل وغلبة اللغة الفرنسية وطغيانهـــا علـــى كـــلّ مجالات الحياة. وبعد الاستقلال عرفت اللغة العربيّة قفزة نوعيّة من التقدّم، ولا سيما

جهود جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين التي أكملت مسيرها في خدمة اللغة العربيّة نحو النهضة والتقدّم، حيث أصبحت اليوم لغة البلد الرسميّة، ولغة الهُويّة الوطنيّة التي بها يفرض المواطن سيادته.

ومن جهة أخرى، لا يمكننا إقصاء عامل الحضارة والثقافة في الحديث عن لغة الشعب! فالجزائر بالحقّ دولة عربيّة باعتبارها دولة الإسلام كما نوّه إلى الفكرة العلامّة الإمام ابن باديس، لكنّه ثمة صراع تعاني منه اللّغة العربيّة قديما وحديثا وأقصد – هنا – بالصراع التأثير والتأثّر باللّغات الأخرى. فكيف للّغة الأجنبيّة أن تؤثّر في اللّغة الحيّة التي تختلف عنها كثيرا ؟ وكيف للّغات اللاتينيّة أن تغلب لغة القرآن الكريم؟ وإن كان كذلك، فأين تكمن الغلبة وكيف؟

إنّ الباحث اليوم في اللّغات وعلاقاتها ليرى بأنّ أهداف اللّغة مهما تكن تظلّ تواصليّة، وأمّا التداخل بين اللّغات واحتكاكها فهدفه ثقافيّ يكمن في التأثير والتأثر على مختلف الأصعدة، كغرس الفكر أو غرس سياسة، أو ... وما لا يجب إغفاله في هذا الصدد هو الحديث عن اللّغة التي عايشت اللّغة العربيّة في بلادنا مذ أمد بعيد واحتكت بها حتى صارت – اليوم – لغة رسميّة نالت نصيبها في الاستعمال والتعليم وأصبحت لغة وطنيّة يفتخر بها المواطن الجزائري، هي اللّغة المازيغية؛ كما يسمّيها الأستاذ (صالح بلعيد) تخفيفا على اللسان ليعبّر بها عن طابعها الحيويّ الّذي يقبل التجديد، وليُعيد اللغةَ إلى أصولها القديمة: Mazax، وليبيّن لنا أنّ اللّغات تميل إلى السرعة في النطق والاختصار في التركيب. لكنّ السؤال الّذي يظل مطروحا هو عن مدى حقيقة وجود تعايش بين اللّغتين العربيةّ والمازيغيّة؟ وإنْ وُجَد فكيف يمكن تصوّر هذا التعايش والتلاحم؟ وفيم تكمن مظاهره؟

من طبيعة اللغة أن يتواصل بها الإنسان حتى يفرض وجوده في المجتمع والمجتمع الجزائري مجتمعُ حضارةٍ وثقافة، ما جعله يعيش وضعا لغويّا يصعب التحكّم فيه؛ فمن الازدواجيّة اللغويّة إلى الثنائيّة، ومن الازدواجيّة إلى التعدّد[1]. ولست مطالبا في موضوعي هذا أن أبحث في كلّ هذه المواقف والمظاهر المنتشرة في

الجزائر، وما يهمني – كما أسلفت – هو عنصر التعـايش والتكامـل بـين اللغـة المازيغية واللغة العربيّة الاشتقاقيتين رغم انحدارهما من أرومة مختلفة؛ "لقـد كـان أسهل للأمازيغي أن ينتقل بين لغته وبين العربيّة من أن ينتقل منهـا إلـى اللاّتينيّـة" وذلك "لأنّ الأمازيغيّة كسائر اللغات الحامية السامية لغة اشتقاق وقولبة"[2]. فمن غيـر المعقول أن تغلب الأولى الثانيّة، ولا الثانية تغلب الأولى. فوجود التعايش بين اللغتين يكمُن في بنائهما لعملية تكامليّة في تحديد هويّة الجزائريّ مهما كان لونـه وعرقـه والتعايش بينهما أيضا يتمثل في سعي كليهما نحو خلق جوّ الاستقرار للمواطن. ومـا دام أنّ المازيغيّة اليوم قد حظيت بعناية أهلها، كان لزاما علينا أن نحدّد معالمها فـي استراتيجيتها الجديدة ولا سيما بعد قرار ترسيمها سنة ألفين وستة عشر، ناهيك عمّـا حققته هذه اللّغة من مكاسبَ وطنيّة أخرى؛ وما ذِكرُ هـذه الإنجـازات السياسـيّة إلاّ تسهيلا لمسار البحث الّذي يتعمّق بالأساس على هذا المنعطف التاريخي في إخـراج اللغة المازيغيّة من عزلتها ومن وضعها الضيّق إلى آفاق التطور والتقدّم أمام تحديات العصر، وأمام ما حققته تجربة اللغة العربيّة في ذلك.

يتناول الموضوع مميزات كلّ من اللغتين المازيغيّة والعربية وما تحويه كلّ لغـة من لهجات متقاربة ومتباعدة نسقا ونطقا، كما يتناول البحث أثرَ التعايش بين اللغتـين من حيث التواصل والاستعمال، وأثر كلّ لغة في بناء شخصيّة الفرد علـى مضـيّ العصور. كما أتناول بالدراسة مقاربة ميدانيّة لأهم المصـطلحات التـي نجـد لهـا استعمالا في اللغتين للبحث عن أصولها.

1/– التعدّد والتعايش اللغوي في الجزائر: سمة التعدّد اللغوي في الجزائر تعـود لأسباب عدّة؛ ترجع أساسا إلى الاستعمار الّذي خلّف أثرا على الفكر، الّذي أخذ يتقبّل اللغات الأجنبيّة في تعدّدٍ للّسان، وانفتـاح علـى الثقافـات والحضـارات. والتعـدّد Plurilinguisme في الجزائر وسيلة لمواكبة العصر، وليس عائقا للتطـوّر؛ إذ هـو جزء من ثقافة الشعب، وهو " ما يحيل إلى استعمال اللغة أو قدرة الفرد في وضـعيّة لغويّة لمجتمع أو أمة كاملة"[3]، وهذه القدرة على استعمال واستخدام عدّة لغـات فـي

مجتمع واحد تمكّنه من التعبير عن مقاصده التي بها يفرض استقراره. ولعلّ الحـــديث عن اللغات الأجنبيّة بالدرجة الأولى في هذا السياق كما ذهب إليه الكثير من اللسانيين المحدثين كـــ"(جون ديبوا)، حيث اجتماع "أكثر من لغة في مجتمع واحد أو عند فـــرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل"[4]؛ فاستعمال بعض البلدان الأوروبية مثلا لأكثر من لغتين مختلفتين يظلّ نوعا من التواصل لديهم. وإذا ما حـــاول أحـــد منـــا تقصي ظاهرة التعدد اللغوي عندنا يجدها تقترب إلى ما يسمى بالتعـــايش، فـــــ"سمة التعايش مرتبطة بما هو وطنيّ"[5]؛ والجزائر معروفة بهذا العامل الّذي يجوز للتعـــدّد أن يصدُقَ على مثل هذه الظاهرة[6].

أ– التعدّد و أثره الإيجابي والسلبيّ: تقترن إيجابيات التعـــدّد اللغـــويّ وســـلبياته بطريقة التعامل معه فيكون إيجابيا إذا ما حاولنا توسيع الفكر بما يخدم الصالح العـــام وبانفتاح الثقافة الوطنيّة على الثقافات الأجنبيّة" [7]، ألا يمكن أن نتأمّل فيما وصلت إليه الحضارة العربيّة الإسلاميّة في توظيفها عدّة لغات لخدمة العربيّة؟! ألا يمكن لنـــا أن نستحضر إلينا عصر الترجمة وما كانت عليه اللغة العربيّة آنذاك؟ فلا جرم أنّ التعدّد مصحَّةٌ وتطعيم للثقافة الوطنيّة في أيّ بلد كان. ثمّ إنّ الاستغلال الحسن لـــه يـــؤدي بالضرورة إلى مواكبة التطوّر والازدهار العلميّ والتكنولوجي، ومن جهـــة أخـــرى نجد" لظاهرة التعدّد مضرّة، ولا سيما ربطه بالجانب الإيديولوجي السياسيّ"[8]؛ ومـــن مظاهر هذه الإيديولوجيّة وأشكالها التباهي باللغة الأجنبيّة والمفاضلة بين اللغـــات أو التمادي في الحديث عن لغة الدين. وحتى إن بعـــض الأضـــرار تلحـــق بالأنمـــاط التركيبيّة للكلام نتيجة الترجمة والتأثّر باللغة الأجنبيّة، فهل يُعقَـــل أنْ نُبقِـــيَ بعـــض الأخطاء – مثلا – على حالتها اليوم، أو يجب تصحيحها؟ نحـــوُ عبـــارة: "ممنـــوع التدخين" التي خرج نسقها عن نسق العربيّة الفصيحة، ترجمة حرفيّة لـــ Défense de fumer ؛ فلا ينبغي علينا أن ندع هذا الإدماج يتسرّب إلـــى النســـق الصـــوتيّ والصرفيّ والتركيبيّ والدلاليّ، بل علينا تصويبها فنقول: " التدخين ممنـــوع" بتحديـــد طرفي الإسناد وهذه هي الفصاحة، ثمّ قس على ذلك أمثلة كثيـــرة. وحـــريّ بـــي أن

أختصر ما سبق ذكره عن التعدّد في كونه ميزة يتّصف بهـا كـلّ جزائـريّ فـي استخدامه لأكثر من لغة[9] وهي سمة تختلف عمّا هو سائد في المجتمعـات الأخـرى حيث غدت الظاهرة تُفصِح عن شخصيّة الجزائريّ الّذي ما فتئ يسعى إلى الحفـاظ على هُوَيَّته فضلا عمّا توفّره اللغات الأخرى من فكر وكلـم تجعلـه يسـاير التقـدّم الحضاريّ.

ولا مجال للاستخفاف بالوضع اللغوي في الجزائر كما ذهب البعض في إقرارهم بعدم وجود لغة جزائرية. وإن كانت مثل هذه الدعوات لها وجود في العالم العربـي بشكل عام، إلاّ أنّ للجزائر وضعا لغويا متلاحما يختلف عما سواه من الـدول، ففـيم يكمن هذا التلاحم؟

2- التلاحم اللغويّ: من الخطأ أن نربط التلاحم اللغوي بالتعدد، فالتعدد ينطـوي على إيجابيات كما ينطوي على سلبيات، وعلاقة التعدّد اللغوي مناطة بفئة الأطفـال التي تعتبر منشأَ الظاهرة. أمّا التلاحم فمرتبط بما هو وطنيّ بعيدا عن حضور اللّغات الأجنبية. وقبل أن أعرض المبدأ الّذي يقوم عليه هـذا "الـتلاحم" وجـب علـيّ أوّلا التطرّق إلى إبراز مفهوم الكلمة لغة واصطلاحا.

أمّا لغة، فكلمة تلاحَم مصدر الفعل تلاحُم؛ من مادة: (لحم) فـي الأصـل: "ففيـه لغات متلاحمة ورجل لاحِمٌ ولَحِيمٌ: ذو لحمٍ على النسب مثل تامر ولابن، ولَحَّام: بائع اللحم. ولَحِمَت الناقة ولَحُمتْ لَحامةً ولُحوماً فيهما، فهي لَحِيمةٌ: كثر لحمُهـا. ولُحْمـة جلدة الرأْس وغيرها: ما بَطَن مما يلي اللحم.

وشجَّة مُتلاحِمة: أَخذت في اللحم ولم تبلُغ السِّمْحاق، ولا فعل لها.الأَزهري: شجّة متلاحمة إِذا بلغت اللحم. ويقال: تَلاحمَتِ الشجّةُ إِذا أَخذت في اللحم، وتَلاحمت أَيضاً إِذا بَرأَتْ والتَحمتْ. وقال شمر: قال عبد الوهاب المُتلاحِمة من الشِّجاج التـي تَشُـقُّ اللحمَ كلَّه دون العظم ثم تَتَلاحُمِ بعد شَقِّها، فلا يجوز فيها المِسْبارُ بعد تَلاحُـمِ اللحـم. قال: وتَتَلاحَمُ من يومِها ومن غَدٍ. قال ابن الأَثير في حديث: الشِّجاج المتلاحِمة هـي التي أَخذتْ في اللحم، قال: وقد تكون التي برأَتْ والتحَمتْ. وامرأَة مُتلاحِمة: ضـيِّقةُ

مَلاقي لحم الفَرْج وهي مآزِم الفَرَج. والمُتلاحِمة من النساء: الرَّتقاء؛ قال أَبو سعيد: إِنما يقال لها لاحِمةٌ كأَنَّ هناك لحماً يمنع من الجماع، قال: ولا يصح مُتلاحِمة"[10]

يُفهَمُ مما سبق أنّ التلاحم في المعنى اللّغوي يقترب في المعنى إلى أصل الكلمة ل ح م التي تدلَ على الاتّساع والاتّصال، ولغات متلاحمة أي لغات متعايشة ومتكاملة.

وفي الاصطلاح لا نجد من المتخصّصين من وضع تعريفا دقيقا للتلاحم في حقله الدلالي، إلاّ أنّه يمكن إيجاد عدّة تأويلات للمفهوم من خلال المركّبات الإسنادية أو الوصفيّة للكلم؛ حيث عُرف "التلاحم" بالجبر والتلاؤم والالتصاق، كما يقول المثل عند ذكر التلاحم تلاحم الجيش أي تقاتلوا وتعاضدوا وتكاتفوا صفاً واحداً ضد العدو في ساحة المعركة؛ ولهذا ذُكرت آيات كثيرة تحث وتدعو للاعتصام والجمع وعدم التفرق منها قول تعالى: **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)** الآية: 103 من سورة آل عمران. وقول الإمام علي عليه السلام (أكثروا من الأصدقاء في الدنيا فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما الآخرة فإنّ أهل جهنّم قالوا: **(فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ)** الآية: 101 من سورة الشعراء. كلّ تلك الشواهد السابقة تدعو على الانفتاح على المجتمع والتأكيد على الأخوّة والتي تصبّ في معنى التلاحم.

وتتلخّص مقومات التلاحم اللغويّ في:

- العوامل التي من شأنها أن تحافظ على اللّغة الوطنيّة والهويّة، واحترام الدولة؛
- تعاون اللغات في نشر ثقافة العمل، وغرس قيم الصدق والحب والحرص على تطويره ؛
- الإسهام في تعميق الوحدة الوطنيّة ؛
- العمل على نشر ثقافة الشعب للبناء والتكافل.

فواقع التعايش اللغوي ظاهره تمازج وتلاحم، وفي نفس الوقت قد يكـــون واقعـــه صراعا إذا تخلينا عن اللّغة بذوبان الكيان الثقافي[11] فتغيب السيادة والسلطة

3- نبذة تاريخيّة عن اللغتين المازيغة والعربيّة:

1)- المازيغيّة: كلمة المازيغية كلمة تحوّلت من "بربر" التي تحمل اليوم شـــحنة سلبيّة مما دفع الإنسان المازيغي يبتعد عنها في الاستعمال، والبربر اسم أُطلِق ليُـــرادَ به سكان شمال إفريقيا: (الجزائر، مالي، المغرب، تونس، جزء من موريتانيـــا، ...) واللغة البربرية[12] ذات طابع لسانيّ لا علاقة له بالواقع المتجـــانس، وتطلـــق علـــى مجموعة من اللهجات التي تمثل عددا كبيرا في أوجه التشابه مـــن الناحيـــة البنويـــة والإفرادية. ومجموع هذه اللهجات هي المكوّنة لنفس اللغة الواحدة.

- **أصولها:** في سنة 1920 حاول م. كـــوهن (M.Cohen)[13] إدمـــاج اللغـــة المازيغيّة ضمن عائلة لغويّة كبيرة هي العائلة الحاميّة الساميّة، التي تشمل الســـامية: (الأكادية، الكنعانيّة، الفينيقيّة، العبريّة، الآراميّة والعربيّة، ...)[14]. وتضـــمّ الحاميّـــة اللغات المصرية القديمة واللغات البربرية واللغـــات الكوشـــية التـــي تشـــمل لغـــات صومالية، ولغات الجالا ولغات البدجا، ولغات دنقلة، ولغـــات الســـيداما، و... أمّـــا التشاديّة فأهم لغاتها (الهوسا والكنوكو، ...)[15]؛ إنّه من الصعب على دارس اللّغـــات استكناه أعماق اللّغة المازيغيّة، حيث اختلف الدارسون فـــي تحديـــد جـــذور البربـــر والأمازيغ، فقد جمع محمد خير فارس آراء مجموعة من الأنتروبولوجيين، فحصرها في عدة نماذج بربرية:" أحد هذه النماذج يمت إلى شعوب البحر المتوســـط، والثـــاني يعود إلى أصول مشرقية، والثالث إلى أصول آلبية. وكما يقول ديبوا: هنـــاك أيضـــا نموذج رابع هو النموذج الأبيض الأشقر، ولا يمكن ربطه بالاحتلال الوندالي، فهـــو موجود منذ القديم[16]". ومقابل اللغة المازيغيّة في الجزائر نجد اللغة العربيّة، إذ تعدّت الآراء حول أصول الأولى، فإذا سلّمنا برأي ماكس مولر (Max Muller) فهما من أصل واحد، وهذا الأقرب إلى الأصل، باعتبار النظام الّذي تمتاز به كلّ لغة؛ حيـــث إنّ "اللّغة البربرية (المازيغية) تنتمي إلى اللغة الحامية"[17]، وتنتمي العربية إلى اللغـــة

السامية وكلّ منهما جزء من أسرة اللغات السامية الحامية. أمّا المشابهة بين نظامي اللغتين، فالمستشرق (تيودور نولدكه) يقول في هذا السياق نفسه: « والقرابة الكائنة بين اللّغتين: السامية والحامية، تدعو إلى الاعتقاد بأنّ الموطن الأصلي للساميين، كان في إفريقيا؛ لأنّه من النّادر أن يظنّ أنّ الحاميين، كان لهم موطنا أصليّا، غير القارة السوداء »[18] ؛ واستند الباحث في تقريب رأيه بتشابه الحاميين مع الساميين خلقا وبخاصة سكان جنوبَيْ الجزيرة العربية وسكان إفريقيا الأصليين.

***دراسة تطبيقيّة:**

ثمة مجموعة من المصطلحات تستعمل يوميّا في اللّغة العربيّة ولها أصول في اللغة الأمازيغية ولا سيما اللهجة القبائليّة باعتبارها اللهجة القريبة من الفصحى[19] وهذا التأثر يرجع أساسه إلى التعايش الموجود بين اللّغتين وتلاحمهما، وحيث إنّي جعلت عيّنة البحث نماذج من الكلمات التي لها استعمال في اللغتين. واخترتها على اختلاف حقولها الدّلاليّة للتحقّق من مدى وجود التلاحم بين المازيغية والعربيّة نسقا وتركيبا بتصنيفها في الجدول الآتي:

1- جدول يمثّل كلمات مازيغيّة ذات أصل عربيّ يفصل فيها التعريف (ال):

الكلمة المازيغيّة	مقابلها في اللغة العربيّة	نوع الحقل الدلاليّ
لَبْصَال	البصل	المأكولات
أَلَفْثْ	اللفت	
أَلْمَكْلَ	الأكل	
لْحُوثْ	الحوت	
لْبَرْقُوقْ	البرقوق	الأسماك
أسَرْدِينْ	السردين	
لْحَالْ	الحال	الزمن
أَسَاعَ	الساعة	
لْوَقْثْ	الوقت	

يلاحظ في الكلمات المرصودة في الجدول اقترانها بالألف واللام (أي ال التعريف في العربيّة)، وتقابلها نفس الكلمات لفظا وصوتا. وهذه الظاهرة في اللغة المازيغيّة تعتبر قياسا على أغلب الكلمات التي تحتوي حرف (ل = اللاّم الدالّ على التعريف). وهذا ليس بأمر غريب يدعو إلى التأمّل أو التدبّر! فقواعد المازيغيّة تكاد تشبه اللغة العربيّة في خصائص ووظائف عدة ولا سيما صرفها. ولقد صدق (ابن خلدون حين قال:" هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم"[20] ، ولهم من الآثار والحكايات الأدبيّة، " وكثير من أمثال هذه الأخبار لو انصرفت إليها عناية الناقلين لملأت الدواوين"[21]؛ فإذا حافظنا على المازيغية وضوابطها النحوية والصرفية ناهيك عن الجانب الصوتي نكون قادرين على فهم تلك اللغة، وفهم اللغة يستلزم الإبداع والإنتاج وكلما كنا أكثر إبداعا وتفتحا كلما حققنا التعايش والتطوَر.

– جدول يمثّل كلمات مازيغيّة ذات أصل عربيّ يفصل فيها التعريف (ال):

الكلمة المازيغيَة	الكلمة العربيّة
لْحَمَامْ	حمّام
أْفَلاَحْ	فلاّح
عَوَدْ وعَوَذْ	أعاد/ عود
تَعْمَمْتْ	عَمامة
سَاعَ	ساعة
لْفَرْحْ	الفرح

تختلف الكلمات الواردة في الجدول عن بقيّة الكلمات الواردة في الجدول الأوّل فكلّ كلمة مازيغية مما ذكر أعلاه تحتوي حروفها إمّا حرف الحاء أو حرف العين والمازيغيّة تعتبر –غالبا– حضور هذين الحرفين سمة في اللغة العربيّة، فكلّما نُطقَ العين والحاء كلّما أوغلنا في اللغة العربيّة.

ومن الكلمات التي يمكن إدراجها في نفس السياق تلك التي اجتهد فيها بعض اللغويين رغم وجود إيديولوجيّة اللغة التي أحاول علاجها من خلال التعقيب والتحليل.

***الكلمات العربيّة وكيفية صياغة المقابل والأصل في المازيغيّة:** هي محاولات سطحيّة بعيدة عن ضوابط علميّة، وتبقى مجرد اقتراحات:

– الفجر= فجج، أي ظهور النور ومنها في تعبير المازيغ: إفتوجان

– وطن = أوطي/ بمعى له حفريات / أو حفر لوضع أسس وقاعدة للبناء والعلاقة تكمن في الأرض

– افريقيا = تفركا بمعنى الأرض وموطن سكان إفريقيا.

– الأمر = لْمَرْ؛ فيه تقرب في المعنى الأصلي والجذري للكلمة، فالأمر طلب الفعل، أمّا لْمَرْ فيدلّ على طلب الأمر.

– البريد = أبريد، أخِذ البريد من أبريد التي تعني الطريق، لأنّه في الأصل (البريد) قبل أن يتطور كان مختصرا في الرسائل ومعناه المسلك.

– حانوت = ثحانوت، التي كلاهما تحوي سلعة والمقطع نو في المازيغيّة هو الاتّصاف بالملكيّة الخاصة.

– الجو = أقو: وإن كانا يختلفان في المعنى الاصطلاحي، فهما مقتربان من المعنى الجذري للكلمة، حيث يفهم من أقو الضباب المنتشر في الجوَ، وهذا ما نسميه في اللغة العربيَة المجاز وعلاقاته.

– الجنَ = إقني؛ وأَجَنَا بالشاوية، والعلاقة بينهما تكمن في تواجد كليهما في أعلى السماء.

– الألقاب أو اللقب = أَلَقَبْ: من أصل عربيّ في بنية المصدر ومعناه التلقيب (أي وضع لقب).

– تكرٌر = إكَرْكَرْ = تكرّر الفعل، أي أُعيدَ مرة أخرى ومرارا... أمّا في المازيغيّة فيعني إعادة الفعل مرات عديدة في شكل دوراني.

– غشل = سلّيل: الغسل في العربيَة يعني التنظيف أو إزالة الأوساخ، أمّا في المازيغيّة فقد أخذ منها جزء الكلمة (اللاَحقة: سل) لتدلّ على التنظيف في خطوته الأخيرة قبل التنشيف.

– دار = ثداريث[22]؛ وتعني مكان أو ملجأ للاحتماء.

– الله = إلو /إلَا؛ فالله جلَ علاه موجود سبحانه، وعليه في الأمازيغيَة تسميه "إلَا" لوجوده، غير أنَ لفظ الجلالة لابد من الانتباه إليه أثناء الاستعمال، ولها نفس النسق في كلَ اللغات؛ إذ لا تقبل الترجمة ونحن نتناول موضوع الخالق سبحانه وتعالى. ومع ذلك تبقى هذه الكلمات مجرد نماذج ومحاولات لتقريب النسق العربي من النسق المازيغي بنيةً وتركيباً.

– النهر والنهار = اِنْهَار؛ إنّه من الصعب أن نبيَن العلاقة الموجودة بين هذه المصطلحات، لأنّ التشابه بينها يكمن فقط في سرعة المرور والمضيّ، ومثل هذه الكلمات تتطلب التمعّن أكثر لإبراز معانيها الدقيقة.

– مفترس = إِفَرَسْ Féroce ؛ دلالة الافتراس تنبئ عن قوّة الفتك والقتل، وهذا ما جعل المازيغيّة تستعير الدلالة في الكلمة لتستعمله في الحديث عن تحويل غابة إلى جنان وحقل، وربما يبدو ذلك أمرا صعبا يتطلب جهدا وقوة وصبرا.

– التنفّس= أفسَسْ، التنفّس هو عمليّة استنشاق الأكسجين وطرح غاز ثاني أكسيد الكربون، وتتمّ هذه العمليّة بنوع من الراحة. هذه الراحة في المازيغية يقابلها أفسَسْ بمعنى التخفيف على النفس.

– النبيّ= إِنَدْ بمعنى ما قيل من أحاديث نبويّة، و في لغتنا "إنَ" تدلّ على من قال شيئا، سواء أكان كلاما عاديا في لغة تواصلية بسيطة، أم كلاما راقيا، أم كلاما مأثورا، من أمثال وحكم وشعر.

– تقليدي= تِقَلْذَا؛ المقصود من التقليدي: ما هو قديم. وعند الأمازيغ ينظرون إلى القديم على أنّه عنوان للقوة والسلطة، حيث الملوك والأمراء والوزراء، لتدلّ (تِقَلْذَا) على الحكم، وما تركه وراءه من خير ينعم عليه جيلنا.

– الفلك= فَلَاكْ؛ الفلك كعلم يهتم بما هو في الفضاء من مجرات وكواكب، ليتأثر المازيغ بها كمصطلح ليراد به ما هو أعلى وما هو أسمى، فالعلاقة بينهما في السمو والعلو.

– القساوة = قَسْ؛ تدلّ القساوة في العربيّة على الشّدة، وقس جزء من الكلمة ليدلّ هو الآخر على الشدة. فتقول: البرد قاس أي قارس وشديد / وتقول في المازيغيّة: إِتَقَسْ أُسَمِضْ.

– قول= أَوالْ؛ فيهما اختلاف طفيف في البنية إلاّ أن المعنى الاصطلاحي واحد.

– عصفور= له أصول مازيغيّة؛ وتركيب الكلمة جاء في جزءين، الجزء الأول (عص = أي أصْغارْ) والجزء الثاني (فور= أي إِفَرْ / إِفَرْفَرْ)، ومهما يكن من اجتهاد في هذا التفكيك للدلالة على ما يقابل "عصفور" في اللغة المازيغيّة يظلّ بعيدا عن نسقه المتمثل في كلمة: (أَفْروخْ).

– **نتائج وتوصيات:** ككلّ بحث تتخلّله نتائج، وقيمة البحث تتجلَى من خلالها ومن أهمَ النتائج الّتي خلصت إليها يمكن ما يلي:

– كلتا اللغتين تتّصفان بالحيويّة والتطوّر، وكلاهما تقبل الاشتقاق، رغم كون أصولهما مختلف.

– معالم اللغة العربيَة دقيقة، أمَا معالم المازيغيَة فبعيدة عن الدقَة، لافتقارها إلى جهود أهلها.

– الهدف من اللغتين لا يقتصر فقط على التواصل، إنّما هدفهما تكاملي.

– بعض المصطلحات العربيّة مازيغيّة الأصل، ومعظم المصطلحات المازيغيّة مأخوذة عن العربيّة.

– أغلب المصطلحات المازيغيّة أصواتها قريب من اللغة العربيّة.

– المازيغيّة أوسع من العربيّة من حيث أصواتها.

– يمكن للتعايش بين اللغتين إذ يتجلَى في إمكانيَة اعتماد الخطّ العربـــيّ وســـيلة للكتابة المازيغيَة بدل الرموز القديمة التَي تضيَق على المتعلَمين وتعسَر عليهم السبيل للتعلَم.

– لإخراج اللَغة من عزلتها لابد من تيسيرها، والكف عمَا لا يخدم تقــدَم اللغـــة كالحديث عن الخطَ اللاتينيَ أو البحث عن الأصول التاريخيَة للَغة، التَي مـــا فتئـــت توصف بالعقيمة.

– كثيرة تلك المصطلحات التي تتشابه في الاستعمال بين اللغتين.

– مشكل المازيغيّة يكمن في اختلاف اللهجات.

– تتوفّر اللغة العربيّة في بلادنا على إمكانيات لا نجدها في شقيقتها المازيغيّة

– يستعين المازيغي بمعجم من المصطلحات ذات أصول عربيّة.

– عقدة استعمال اللغة المازيغية والعربيّة بدأت تتلاشى شيئا فشيئا ولا سيما بعـــد تمكين ازدهار اللغة العربيّة.

– لا غرو أن نعترف بواقع التنوع اللغويّ الثقافي في الجزائر، وبالخصوصـــيات الثقافية لهذا الشعب من أجل تحصينها، والمحافظة على مناعتها.

– على المواطن أن يتحلى بالوعي العقلاني ويقظة الضمير إذ بهما يتم التفاعـــل الخلاق واتقاء الانخداع والانزلاق وبهما يتسنى انتقاء الأصلح والأفضـــل والأســـمى وفق معايير الخير والحق والجمال وطبق الإحساس بالمسؤولية إزاء الإنسان حيثمـــا كان.

خاتمة: من الخطإ أن نعتبر اللغة مجرَد وسيلة أو أداة للتواصل، فاللغـــة زيـــادة على ذلك تشارك في تحديد هويّة الشعب أو الجماعة. وظاهرة التعدَد اللَغـــوي فـــي الجزائر أضحت طبيعيَة وكادت تكون فطريَة في الإنسان، ولا يمكن محاربتهـــا لمـــا تحمله من أنظمة لغويَة تثري العقل وتغني الفكر. والحديث عن التعدَد اللغـــويَ فـــي الجزائر هو الحديث عن التلاحم والاحتكاك بين مجموعة من اللغات، وهـــذه اللغـــات هي المشكّلة للهويَة الوطنيّة، وأقصد بذلك اللغتين العربيّة والمازيغيّة؛ حيث تعرفـــان

بالتعايش والتلاحم في البناء الفكري والثقافي للبلد، وتسعيان نحـو التقـدّم والتطـوّر فضلا عن تجاربهما الحضاريّة. والتعايش ليس بالتعدّد، إنَما هو مجرد تنوَع ثقـافي. والبحث في اللغة المازيغيَة ليس بالضرورة البحث عن تاريخ اللغة التـي لا يسـندها مرجع، لكنّ البحث فيها هو وضع لاستراتيجيَة في لمَ شملها مع اللغة العربيَـة فـي شكلها النظاميَ. وعليه يجب وضع سياسة لغويَة وطنيَة عقلانيَة تقوم على اسـتغلال التعايش من تأثير وتأثر في مظاهر الحياة العمليَة وفي مختلف القطاعـات الحساسـة بدءا بالقطاع التعليميَ، وهذا باستثمار تراثنا الحضاريَ والثقـافيَ الغنـي والغزيـر بالمعرفة والمفعم بالحيويَة، حتَى يتكيَف ومستجدات العصر. وعلى السلطات المعنيَـة والمسؤولة أن تضع سياسة محكمة تتجاوز بها صعوبات التعايش بين اللغتين، بتمكين أهلهما من القيام بدورهم، كتشجيع البحوث والدراسات في الموضوع، وعقد نـدوات للاستفادة من مفردات اللغتين ومن نسقيهما باعتبارهما لغتين اشتقاقيتين. وكما يجـب توفير أدوات العمل من وسائل وفكـر يتـيح للباحـث إنتـاج معـاجم متخصصـة وموسوعات علميّة تشمل تراث الجزائر.

الهوامش

1 – لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة. مراجعة سلام بزي حمزة، مركز دراسات الوحدة العربيّة. ط1، بيروت: 2008. ص: 79.

2 – سالم شاكر: .L'ENCYCLOPEDIE BERBERE ج.6. فصل L'ARABISATION. ص: 839.

3 – مايكل كلين، التعدد اللغوي، ضمن كتاب دليل السوسيو لسانيات، ص653. تحرير: كولماس فلوريال، ترجمة: خالد الأشهب. مراجعة ميشال زكريا، ط1. بيروت: 2009، مركز الوحدة العربيّة، ص: 649.

4– Dubois et autre; Dictionnaire de Linguistique . Paris; Larosse: 1973. P: 368.

5 – ينظر: محمد الأوراغي، التعدّد اللغويّ –انعكاساته على النسيج الاجتماعيّ. ط1، دار البيضاء: 2002. منشورات كليّة الآداب بالرباط، ص: 11.

6 – بعض الباحثين المغاربة يقر بالتعايش اللغويّ لتناول التعدّد اللغويّ، حيث إنّه من الصعب أن نتحدّث عن بعض العاميات التي لا تحتكم إلى ضوابط تتكلّم بها شعوب كالنيجر مثلا، ناهيك عن العربيّة، لأنّ التعدّد اللغويّ يختلف عن التعدد اللهجيّ.

7 – ينظر: ديدوح عمر، الصراع اللغويّ في الجزائر، تأزيم الهويّة: httpllwww.almarefh.net يوم 29-10-2018 على الساعة: 13ز09.

8 – ينظر المرجع نفسه.

9 – علي القاسمي، التعدّد اللغوي والتنمية البشرية. مجلة الممارسات اللغويّة، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمر. تيزي وزو، العدد: 16. الجزائر: 2012 ص: 9-10.

10 – ابن منظور، لسان العرب .ج ٨ – الصفحة ٦٧.

11 – صالح بلعيد، المازيغيّة والعربيّة، تكامل لا تصادم، ص: 07.

12 – Salem CHAKER. Un parler berbère d'Algérie(Kabylie):Syntaxe, thèse présentée devant l'Université de Paris 05, 16 Décembre 1978. Université de Provence; Paris. P: 07

13 – Cite par Salem CHAKER. Manuel de Linguistique Berbère; I, op, cit. P: 233.

14 – عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1. عمان: 2002، دار صـــفاء، ص: 154-157.

15 – عبد الرحمان سليمان، اللغات السامية الحامية، تاريخ الطلاع: 01-03-2018.

16-Dubois et autre; Dictionnaire de Linguistique . Paris; Larosse: 1973. P; 374.

17 – . أحمد بن سودة : الموسوعة العامة لتـــاريخ المغـــرب والأنـــدلس ، ط1،، بيـــروت: 1995م. دار الأمير للثقافة والعلوم ، ص: 142.

18 – ينظر: محمد شفيق : المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، ج1. د.ط، الرباط: 1990م. ص: 78.

19 – M.A. HADDADOU; Guide de la culture et de la langue berbere.ENAL-ENAP: ينظر

20 – تاريخ ابن خلدون، مج: 06، لبنان: 1959، دار الكتاب اللبناني، ص: 175.

21 – المرجع نفسه، ص: 211.

22 – ينظر: محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد بـــين الأمازيغيّـــة والعربيـــة. د.ط الرباط: 1999، مطبعة المعرف الجديدة، ص: 27.

آفاق التعايش اللغوي في اسبانيا
في ضوء التعدد اللغوي والتحديات

الدكتورة أمينة بوكيل
قسم اللغة والأدب العربي -جامعة جيجل
leaminaz@yahoo.fr

الملخص:

يعد التعدد اللغوي ظاهرة طبيعة تعرفها العديد من المجتمعات في العالم، لكن قد يتحول إلى إشكالية عندما يسود التوتر بين اللغة الجامعة واللغات الأخرى لاسيما على مستوى الوظائف، فيتحول إلى صراع لغوي تحاول لغة ما أن تحل محل لغة أخرى بالقوة، خاصة إذا تدخلت في السياسة واستغل رجال السياسة هذا الموضوع في أجندتهم، فيزيد من التوتر ويهدد الأمن القومي.

لكن ليس في كل الأحوال التعدد اللغوي نقمة تهدد البشرية والاستقرار، فقد يتحقق ما يطلق عليه اللّسانيون "التعايش اللغوي" الذي في مفهومه الضيق هو أن كل لغة تؤدي وظيفتها التواصلية والاقتصادية ضمن حدودها، فلا تتعدى لغة ما على وظائف لغة أخرى، إذ أنّ تحقيق للتعايش اللغوي هو في الحقيقة تحقيق للاستقرار ذلك البلد.

ويعد النموذج الإسباني مثالا حيا على التعايش اللغوي، تظافرت حوله مختلف جهود اللسانيين والمثقفين والسياسيين لتحقيقه في واقع يعرف التعدد اللغوي منذ مدة طويلة، بحكم التاريخ واتساع مساحة اسبانيا وتعدد العناصر البشرية الناتجة عن موجات الهجرة المختلفة.

فتفطن اللسانيون الإسبان في العصر الحديث إلى أهمية تعزيز اللغة الجامعة (اللغة الإسبانية) عن طريق تطوير الأكاديمية الإسبانية، ذلك لكونها أداة تفاهم بين كل الإسبان من الشمال إلى الجنوب، في إقليم كتالونيا إلى إقليم الباسك، كما اشتغل اللسانيون الإسبان على تعزيز مكانة اللغة الإسبانية في الخارج، من خلال المراكز الثقافية الإسبانية (سرفانتيس) التي تعلم اللغة الإسبانية لغير الناطقين بها بوسائل عصرية زادت من إقبال المتعلمين عليها.

ومع هذا لم يكن حلم تحقيق التعايش اللغوي في اسبانيا ورديا فقد تخلّلته العديد من العوائق والتحديات الداخلية لاتزال مطروحة إلى حد الآن، مثل ما هو الحال في مقاطعة كتالونيا التي تسعى إلى تحقيق الاستقلال عن مملكة اسبانيا بكل الوسائل.

وتسعى هذه المداخلة إلى استنطاق التجربة الإسبانية في كيفية التخطيط لتحقيق التعايش اللغوي في اسبانيا، وكيفية تعامل اللسانيين الإسبان مع العوائق والصعوبات السياسية والاجتماعية، وذلك بهدف الاستفادة من هذه التجربة في الواقع اللساني الجزائري الذي عرف مؤخرا العديد من المستجدات في ظل التعديل الدستوري الجديد بين العربية والمازيغية:

ما هي آفاق التعايش اللغوي في ضوء التعدد اللغوي في اسبانيا؟ ما هي العوائق والتحديات؟ كيف يمكن الاستفادة من التجربة الإسبانية في الواقع اللساني الجزائري؟

للإجابة عن هذه التساؤلات نقترح المحاور الآتية:

1-مفهوم التعايش اللغوي في ضوء اللسانيات الاجتماعية

2-وضعية التعدد اللساني في اسبانيا: مقاربة تاريخية ولسانية

3- آفاق التعايش اللغوي في اسبانيا بين التخطيط اللساني والتحديات السياسية

وتستخلص هذه المداخلة مجموعة نتائج من بينها:

-دور اللغة الجامعة في تحقيق التعايش اللغوي

-أهمية التخطيط اللساني على مستوى المؤسسات والمراكز الثقافية في تحقيق التعايش اللغوي في اسبانيا

-تعزيز قيمة اللغة الجامعة على المستويين الداخلي والخارجي من أجل تحقيق الأمن اللغوي

-خطورة تحول قضية التعدد اللساني إلى أداة سياسية لتحقيق مصالح أخرى

-امكانية الاستفادة من التجربة الاسبانية في الجزائر لاسيما على مستوى التخطيط اللساني

مقدمة:

يعد التعايش اللغوي علامة من علامات الاستقرار السياسي وهذا ما تطمح إليه كل دول العالم، وتطرح هذه القضية بشدة في المجتمعات المتعددة إثنيا وبشريا ولغويا، حيث كلما احتكت اللغات يطرح ذلك قضايا شائكة مثل قضية صراع اللغات واللغة الجامعة، أو اللغة المهمشة واستخدامها كوسيلة ضغط من أجل تحقيق برنامج سياسي أو مصالح وحتى يتحقق التعايش اللغوي .

و"لا تكون اللغات بحد ذاتها مصدرا للنزاع إلا عندما يحوّلها الناس إلى وسيلة لرفض التعاون المتبادل ولا تتحول اللغات في منطقة ما إلى مصدر للنزاع إلا بيد الناطقين بها، وما دام التواصل بين الناس ذوي اللغات والثقافات المتعددة يقوم على الاستعداد للتعاون فإنّ اللغات المعنية سرعان ما تجد لنفسها قنوات للتجانس الوظيفي، إنّ تعدد اللغات في منطقة ما يصبح قادرا على أداء وظيفته شريطة التعامل العقلاني مع هذه اللغات من قبل الناطقين بها."[1]

لهذا تسعى السياسة اللغوية إلى المحافظة على انسجام المجتمع لا سيما في وضعية التعدد اللساني، وهي عبارة عن مجموعة من المواقف الرسمية التي تتخذها الحكومات اتجاه استعمال اللغة ورعايتها، سواء أكانت هذه المواقف مدعومة بالفعل كإقرار القوانين أم تمويل البرامج، أم كانت مدعومة بالخطب والقرارات المنمقة

على الورق[2]، إذن هي تعامل الأجهزة الحكومية المختلفة مع اللغات الموجودة في بلد ما وفق قوانين هذا البلد، ويقسم "دينس أجير" السياسة اللغوية إلى نوعين هما:

1-السياسة اللغوية التي تركز على ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية والوفاق الاجتماعي، حيث يتم التركيز على لغة واحدة لتكون اللغة الوحيدة الرسمية، حتى وفي ظل وجود لغات أخرى فستبقى في الهامش ، وتركز هذه السياسة على قيم وطنية تدعو إلى وحدة الأمة، ولا يتحقق ذلك إلا من إقصاء اللغات الأخرى

2-والنوع الثاني من السياسة اللغوية هو الذي ينطلق من واقع التعدد اللغوي والثقافي الموجود في بلد ما، حيث يراعي اللغات الأخرى ويعترف بوجودها ويسعى إلى تحقيق استقرار لغوي عن طريق تحقيق التوازن بين اللغات الموجودة[3].

ووفق المفاهيم السابقة يمكن أن نرصد ملامح الوضع اللغوي في اسبانيا، الذي يشهد تعددا لغويا نتيجة عوامل أسهمت الجغرافيا والتاريخ في تشكيلها، ورغم رغبة الحكومات الإسبانية المتوالية في تحقيق التعايش اللغوي إلاّ أنه توجد بعض التوترات الداخلية التي تشتعل من فينة إلى أخرى بين اللغات المختلفة والموجودة في الواقع الإسباني.

وتستند هذه المقاربة على مجموعة مفاهيم مستمدة من اللسانيات الاجتماعية والاطّلاع الميداني على الوضعية اللغوية في اسبانيا من خلال محوري التعدد اللغوي والتعايش اللغوي:

ما هي آفاق التعايش اللغوي في ضوء التعدد اللغوي في اسبانيا؟ ما هي العوائق والتحديات؟

1-مفهوم التعايش اللغوي في ضوء اللسانيات الاجتماعية:

رافق التعدد اللساني الإنسان منذ تواصله مع الإنسان الآخر، وبرزت هـذه الظاهر أكثر مع انفتاح الدول على بعضها البعض التي فرضتها العولمة، وتزايـد حركة الهجرة بين الدول نتيجة الأزمات السياسية والاقتصادية، اضافة إلى التطور الهائل التي عرفته وسائل الاتصال والانترنيت.

ويعد التعدد اللغوي "...قضية مركزية تشغل اهتمام كثير من البـاحثين فـي تخصصات مختلفة، كاللسانيات، واللسانيات الاجتماعية، وتعليمية اللغـات...لمـا يخلفه من إيجابية وسلبية، فقد يكون وسيلة لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي الذي شهده العصر، وقد يكون له آثار سلبية تمس الهوية الوطنية والثقافية، وتمتد للتأثير في المناهج الدراسية ومستويات تعليمها اللغوية"[4]

أما الباحث المغربي "محمد الأوزاغي" يقول "التعدد اللغوي المقابل العربـي للفظ الأجنبي "Multilinguisme" وهو يصدق على الوضـعية اللسـانية المتميـزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كانت جميعها لغات كالألمانية والفرنسية والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسـرية، وإمـا على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمية كالعربية بجانب لغات عاميـة، مثـل الهوسا، والغورمانشة، والسوناي زارما، والتماشيق، والفولفولـدة، والتوبـو، فـي جمهورية النيجر"[5]

وعادة ما تتجه السياسة اللغوية عند وجود التعدد اللغوي إلى اتجـاهين همـا: الأول إقصاء اللغة المسيطرة اللغات الأخرى، ويجعلها الرسمية الوحيدة فـي هـذا البلد، أو الاعتراف باللغات الأخرى والتعايش فيما بينها، ويدمجها في إطار قانوني.

ومن بين الأمثلة على التعدد اللساني ما هو موجود "في الفيدرالية السويسـرية حيث تستعمل اللغات: الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، ومثال آخر في الفيدراليـة الكندية حيث نجد الفرنسية في مقاطعة كيبيك وموريال، والانجليزية فـي بـاقي مقاطعة كندا[6] .

ويوجد مثال آخرعن التعدد اللغوي في بلجيكا حيث نجد مقاطعـــات الفلامكيـــة تستعمل لغة الفلاميكو منذ مئة سنة، لكنها تعتبر دنيا مقارنـــة بالفرنســـية اللغـــة الرسمية الوحيدة لبلجيكا، وقرر البلجيكيون ثنائي اللغـــة (فرنســـية- فلامكيـــة) أن يؤسسوا حركة سياسية ثقافية تدافع بشراسة عن اللغة الفلامكية حتى حققـــت فعـــلا الطابع الرسمي لها والاعتراف السياسي القانوني لهذه اللغة [7] .

وحتى يتحقق التعايش اللغوي في ضوء التعدد اللغوي لابد من أخـــذ بعـــين الاعتبار حق استعمال اللغة الخاصة بمجموعة ما في التظاهرات الخاصة والعامـــة ـــيعظعششيركما لابد من ضمان

كما لابد أن تمتلك امكانيات داخلية لغوية بالتحديد، حيث تثبت نفسها عبر التاريخ ولا تكون في الهامش.

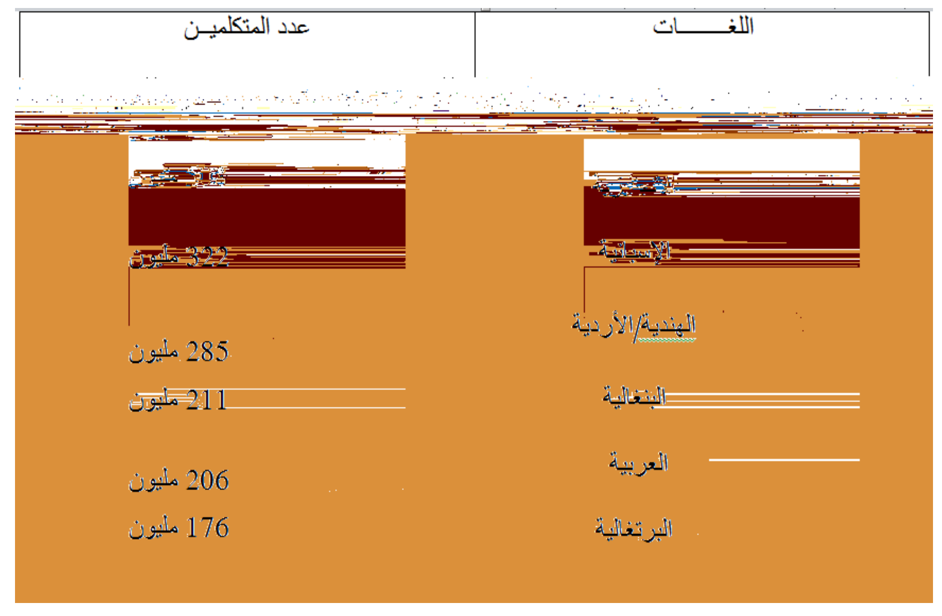
2-وضعية التعدد اللساني في اسبانيا: مقاربة تاريخية ولسانية:

تبلغ مساحة اسبانيا 504030 كلم حيث تعد ثاني دولة في الاتحاد الاوروبي وأسهم اتساع مساحتها في جعل هذه المنطقة منطقة جذب لمختلف الهجرات عبر التاريخ وهذاعامل أساسي في ترسيخ التعدد اللغوي في هذا البلد، ومن الناحية التاريخية سادت اللغة اللاتينية خلال فترة حكم الرومان في اسبانيا وحتى القرن الخامس ميلادي[9].

ثم انتشرت اللغة العربية في جنوب اسبانيا بعد الفتح الإسلامي، حيث تأثرت الثقافة الإسبانية بعمق بالثقافة العربية، وما كثرة المفردات العربية التي دخلت فيما بعد إلى اللغة الإسبانية إلا دليلا على التأثر العميق باللغة العربية حيث يتجاوز عدد المفردات أربعة آلاف كلمة موجودة في القاموس الإسباني المعاصر[10].

وازدهرت اللغة الإسبانية في شمال اسبانيا خاصة في عهد "ألفونسو" خاصة بعد سقوط الأندلس، لتنتشر هذه اللغة في العالم الجديد (أمريكا اللاتينية) تحت تشجيع الكنيسة الكاثوليكية التي دعت إلى تعليم الهنود الحمر اللغة الإسبانية حتى اندمجوا في المجتمع المستعمر الجديد [11].

وطرحت القضية اللغوية في القرن العشرين خاصة بعد اعتراف الجمهورية باللغات الأخرى (الكتالونية والجلقية والباسكية..)، لكن هذا الوضع لم يدم طويلا بعد اندلاع الحرب الأهلية في عهد الديكتاتور "فرانكو" الذي طبّق سياسة اللغة الواحدة (الإسبانية) واضطهد الأقليات الأخرى عسكريا ولغويا، وفرضت اللغة الإسبانية على الأقليات في الإدارة والإعلام، مما زاد ذلك مشاعر الغضب والاستنكار عند الأقليات التي قاومت ذلك بكل الوسائل السلمية والغير سلمية، وبعد انتهاء عهد فرانكو" جاء دستور 1978 الذي حاول رد الاعتبار للغات الأخرى الموجودة " في اسبانيا[12].



اللغـــــات	عدد المتكلميـن
[illegible]	[illegible]
الإسبانية	322 مليون
الهندية/الأردية	285 مليون
البنغالية	211 مليون
العربية	206 مليون
البرتغالية	176 مليون

وتحدد ملامح الخريطة اللسانية في اسبانيا بما يلي:

<u>1-اللغة الإسبانية:</u> هي اللغة الرسمية الأولى لإسبانيا، كما هــي أيضــا اللغــة الرسمية في أكثر من واحد في أمريكا اللاتينية وآسيا[13]، وتحتوي اللغــة الإســبانية على مجموعة من اللهجات المتنوعة التي تختلف من منطقة إلى أخرى من الناحية الصوتية والدلالية، ويوجد إقبال كبير دوليا على تعلّمها، ونتج هذا الإقبــال الكبيــر عن تخطيط من طرف اسبانيا وفق منهجية مدروسة عبر المراكز الثقافية الإسبانية المنتشرة في العديد من دول العالم، ويحدد الجدول الآتي مكانــة اللغــة الإســبانية عالميا: [14]

<u>2- اللغة الكتالونية:</u> اشتقت هذه اللغة من اللغة اللاتينية في القــرن الخــامس ميلادي وتطورت أكثر في القرن الخامس عشر ومنعت هــذه اللغــة فــي عهــد الديكتاتور "فرانكو"، وتنتشر الآن في مقاطعة "كتالونيا" وفي "فالي دي آران" وفــي مقاطعة "أراغون"، ويوجد حوالي سبعة ملايين نسمة يتحدثون هذه اللغة.

3- <u>اللغة الجلقية:</u> هي أحد لهجات اللغة اللاتينية انتشرت في الشمال الغربي من اسبانيا، يوجد حوالي خمسة ملايين نسمة يتحدثون هذه اللغة، تتوزع بعدة مناطق منها "أوستريا" وفي مقاطعة "ليون" وفي بعض مناطق أمريكا اللاتينية.

4- <u>اللغة الباسكية:</u> يختلف اللسانيون حول أصل هذه اللغة، لكن يُرجح على الأغلب على أن موطنها الأصلي هو مقاطعة "نافارا" إلى ما قبل الميلاد، وهي اللغة الرسمية في بلاد الباسك ويمثل سكانها 2% من مجموع سكان اسبانيا.

3- آفاق التعايش اللغوي في اسبانيا بين التخطيط اللساني والتحديات السياسية:

عرفت اسبانيا التعدد اللغوي منذ القدم على غرار العديد من دول العالم، لكن مع الاختلاف الجوهري في كيفية تجلي هذا التعدد اللساني في الواقع، وكيفية التعامل مع هذه الظاهرة على المستويين السياسي والثقافي.

ويوجد مختلف المقاربات اللسانية لهذه الظاهرة التي شغلت الكثير من اللسانين والسياسيين الإسبان، وأشهرها ما يلي:

1-قام "خوان خوسيه لينث" (Juan Jose Linz) بتحليل الواقع السياسي اللساني لإسبانيا، حيث طرح العديد من الإشكاليات حول مستقبل التعدد اللساني في اسبانيا، ويمكن تلخيص أهم النقاط التي تناقش فيما يلي:

-خاصية التعدد اللغوي في اسبانيا غير قابل للمراجعة، حيث أنّ أي محاولة لتوحيد اللغة لدى الإسبانيين هي محاولة فاشلة تؤدي إلى تأزم الوضع في اسبانيا.

-تنتشر اللغة الإسبانية في مناطق كانت ولاتزال تستعمل في الوقت نفسه لغات أخرى، رغم أنّ هذه المناطق تميل بطبيعتها إلى الأحادية اللغوية.

-عدم التوازن بين المناطق الجغرافية من الناحية الديموغرافية، وهذا يحدث خللا بطبيعة الحال على مستوى توزيع اللغات كما سيؤدي إلى صراع لغوي.

-يوجد أحادية لغوية في بعض المناطق الإسبانية وهنا لا يمكن فرض لغة ثانية

-يوجد بانوراما لغوية في اسبانيا هذا ما يميز اسبانيا عن سويسرا وبلجيكا

-السياسات اللغوية حاولت أن تقرّب بين مختلف العناصر اللغوية المختلفة في المنطقة الواحدة لكنها غير كافية[15]

2-قدّم عالم اللسانيات الاجتماعية "رفاييل لويس نينيوليس" (Rafael Luis Ninyoles) مقاربة تحليلية حول الوضع اللغوي في اسبانيا من خلال كتاب طبعه سنة 1977، حيث وجّه نقدا لاذعا خاصة للمثقفين الإسبان اللبراليين حيث حذر من التوظيف الأيديولوجي لقضية التعدد اللغوي في اسبانيا، ودعا إلى سياسة لغوية "ديموقراطية" مؤسسة على أسس متعادلة ومتساوية بين مختلف المقاطعات الإسبانية[16].

ويبدأ التعامل السياسي الإسباني مع تحديد الدستور الإسباني سنة 1978 ملامح السياسة اللغوية بما يلي:

1-تعد اللغة الإسبانية اللغة الرسمية لإسبانيا ويجب على كل اسباني معرفتها واحترامها

2-يوجد لغات رسمية أخرى في اسبانيا محددة في عدة مقاطعات اسبانية

3-يجب الحفاظ على التنوع اللساني في اسبانيا ويجب اعتباره ثراء ثقافيا يستحق التقدير والحماية[17]

يمكن أن نرصد ملامح السياسة اللغوية من خلال بنود دستور 1978 بما يلي:

-يوجد اتجاه واضح في التأكيد على الطابع الرسمي للغة الإسبانية، ووظيفتها الأساسية في الجمع بين كل الإسبانيين، فهي الضامن لوحدة الأمة الإسبانية.

-الاعتراف بوجود لغات أخرى إلى جانب اللغة الإسبانية، وهي دليل على الثراء الثقافي لإسبانيا.

وتتجلى أهمية هذا القانون في كونه خطوة جريئة حيث، أنّه وظف مصطلح "اللغات الإسبانية" مصطلح شامل يضم اللغة الباسكية والكتالونية ومختلف اللهجات وينسب إليها الجنسية الإسبانية، وهذا اعتراف صريح يعزز التعايش اللغوي الذي يعدّ من أسس الاستقرار السياسي.

كما نستخلص مما سبق رؤية الدستور إلى اللغة الإسبانية كلغة جامعة، وهذه اللغة موجودة منذ القدم، لأنّ اللغة نظام حيوي قابل للتغير في أي لحظة ما، وهكذا الحال في اللغة الإسبانية التي هي اللغة الرسمية لأكثر من واحد وعشرين دولة، في أوروبا نجد اسبانيا، وفي الكثير من دول أمريكا اللاتينية، كما أصبحت اللغة الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الانجليزية لكثير من الجاليات المهاجرة من قارة أمريكا اللاتينية، أما في إفريقيا يوجد غينيا الاستوائية، وفي الفلبين بآسيا، إذن هذه اللغة موجودة في أربع قارات، ويوجد أكثر من (370 نسمة) يتكلمون اللغة الإسبانية، إنّ اتساع هذه المساحة الجغرافية وكثرة متكلمي اللغة الإسبانية جعل اللغة الأكاديمية تتأثر بالعادات اللغوية للمتكلمين التي استمدوها من لغاتهم الأصلية وبيئاتهم، لهذا لاحظ علماء اللسانيات الاجتماعية الاختلافات اللسانية بين اللغة الإسبانية التي يطلق عليها "الإسبانية الأكاديمية" التي تسعى الأكاديمية الإسبانية (Real Academia Española) التي وضعت معايير صارمة للحفاظ عليها حيث أصبح هناك "الإسبانية الخاصة بأمريكا اللاتينية وأخرى خاصة بإفريقيا وأخرى خاصة بآسيا، ;يعتبر ذلك ثراء أضاف الكثير من المفردات ذات الدلالات المختلفة إلى الإسبانية الرسمية، لكن يطرح في الوقت نفسه العديد من الصعوبات التي تعرقل المتعلم الجديد للغة الإسبانية[18].

ولهذا حقق قانون 1978 تعايشا لغويا في اسبانيا أجواء إيجابية وجعل الإسبان يعترفون بوجود لغات أخرى غير اللغة الإسبانية، ويعد التعدد اللساني مفتاح السياسة اللغوية لجمعية لأكاديميات الإسبانية (ASALE) التي عرضت سياستها في مؤتمراتها منذ سنة 1956 التي قدمها "دماسو ألونسو" (Damaso Alonso) بعنوان "الوحدة للدفاع عن اللغة"[19].

ثم ظهرت المقاطعات المستقلة التي تستخدم اللغات المذكورة سابقا سنة 1979 بمقاطعة كتالونيا، وببلاد الباسك سنة 1980، وسنة 1982 بفالينسيا، ونتج عن هذه الوضعية النتائج اللسانية:

– تصنيف اللغات كملكية خاصة بمقاطعة ما

–الطابع الرسمي للغة المحكية في المقاطعة المستقلة بموازاة مع اللغة الإسبانية

–حق كل أعضاء المقاطعة أن يعرفوا ويستخدموا لغتهم الخاصة

–لا يجب التمييز ضد هذه اللغات وتفضيل لغة على لغة ما

وبهذا أصبحت تمارس هذه اللغات كالكتالونية والباسكية، كما حدث في الوقت نفسه تطور داخل هذه اللغات حيث تحولت إلى لغات علمية وتواصلية ولغة علمية تواكب التكنولوجيات الجديدة.

وتأكدت السياسة اللغوية الجديدة أيضا في التعامل مع التعدد اللغوي من خلال مجموعة مؤلفات لسانية عالجت اللغة الإسبانية من خلال ضمها لكلمات من لغات مجاورة، مثل كتاب "مورينو فيرنانديث" (Moreno Fernández) "النحو الجديد الأساسي للغة الإسبانية" (Nueva gramática básica de la lengua española) معالجة مرنة مختلفة عن التعامل القديم ويعتبر قطيعة تامة مع النحو القديم

تحولت هذه اللغات في المجال التربوي إلى لغة تدريس وتعليم واكتملت هذه العمليات خلال سنوات 2009–2012، مثل الكتالونية لها مصطلحاتها الخاصة[20].

لكن يبقى الإشكال مطروحا على المستوى السياسي خاصة في منطقة الباسك بعد تحول مؤخرا المطلب اللغوي للباسكية إلى مطلب سياسي ينادي بالاستقلال عن اسبانيا، وتحول العمل السياسي إلى عمل عسكري، فغالبا ما يرفض سكان الباسك الحديث عن اللغة الجامعة "الإسبانية" الذي هو يهدد هويتهم خاصة وأنّ اللغة الباسكية تختلف تماما عن اللغة الإسبانية، والإجراءات الناجمة عن دستور 1978 غير كافية في حق الباسكية، ويرى بعض متطرفي الباسك أن السياسة اللغوية الإسبانية تكرس الاحتلال الإسباني ويرون اللغة الإسبانية أداة امبريالية وغالبا ما يشبه هذا الوضع بالوضع اللغوي في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي[21].

ويوجد إشكالية أخرى تعيق التعايش اللغوي هو قضـية توزيـع السـكان فـي المقاطعات، حيث أن الحكومة مثلا ترسم الحـدود اللسـانية ولكـن فـي الواقـع المجموعات البشرية تتحرك بصورة أسرع من القـرارات السياسـية، ولا يمكـن التحكم في الهجرة الداخلية وفرض لغة معينة، لأنّ كل هجرة تصـاحبها عـادات لغوية تستمر حتى في البيئة الجديدة وأحسن مثال على ذلك في مدينة مدريد.

خـــاتمــة:

ومما سبق يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

-أسهم الموقع الجغرافي والعامل التاريخي في إيجاد واقع لساني متعدد لا يمكن إقصاؤه.

-سعت السياسة اللغوية الإسبانية إلى تحقيـق التـوازن بـين اللغـة الجامعـة (الإسبانية) وبين اللغات الأخرى من أجل تحقيق الانسجام الاجتماعي.

-عمّق الصراع السياسي في بلاد الباسك عمّق الشرخ اللغوي حيـث تحولـت اللغة إلى أداة ضغط سياسية.

-يتجلى التعدد اللساني في العديد من النصـوص الأدبيـة الإسـبانية، وعبـر فترات مختلفة وتختلف دلالته من كاتب إلى آخر.

-دور اللغة الجامعة (الإسبانية) في تحقيق التعايش اللغوي في اسبانيا

-أهمية التخطيط اللساني على مستوى المؤسسات والمراكز الثقافية في تحقيـق التعايش اللغوي في اسبانيا

-تعزيز قيمة اللغة الجامعة على المستويين الداخلي والخارجي من أجل تحقيـق الأمن اللغوي

-خطورة تحول قضية التعدد اللساني إلى أداة سياسية لتحقيق مصالح أخرى

-تبقى الخريطة اللسانية في اسبانيا مفتوحة الآفاق وأمام احتمالات متعددة

-امكانية الاستفادة من التجربة الاسبانية في الجزائر لاسـيما علـى مسـتوى التخطيط اللساني.

قائمة المصادر والمراجع

-المراجع العربية والمترجمة :

الأوزاغي، محمد: التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، ط1، مطبعة النجاح منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 2002.

عبد العزيز، محمد حسن: علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009.

لهويمل، باديس: مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، العدد 30، 2014.

هارمان، هارلد: تاريخ اللغات ومستقبلها، ترجمة: سامي شمعون، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2006.

-المراجع الأجنبية:

De Llglade, Martin: Conflicto lingüístico en Eurskadi, Ediciones Vascos argitaletxea .

Doppelbauer, Max: La España multilingüe Lenguas y políticas lingüísticas de España, Praesens Verlag, Wien, 2008.

Fernández, Moreno: Nueva gramática básica de la lengua española, Edicional, Madrid, 2012.

García, Ángel López: La lengua en España plurilingüe, Iberoamericana, Edicional, 2009.

Lebsanft, Franz : Spanische Sprachkultur. Studien zur Bewertung und Pflege des öffentlichen Sprachgebrauchs im heutigen Spanien. Tübingen:Niermeyer., 1997.

LINZ, J: Politics in multilingual society with a dominant world language: the case of Spain. En: SAVARD, J. G.; SAVARD, R.; VEGNEAULT (Ed.). Multilingual Political Systems, problems and solutions. Quebec: Press de l'Université de Laval, 1975.

Moreno, Francisco Fernández: Atlas de la lengua española en el mundo, Ariel, Barcelona.

NINYOLES, R. L: La política lingüística: modelos y ámbitos. En: VVAA. Las lenguas nacionales en el ámbito de la Administración, València, Diputación Provincial de Valencia, 1981.

Pérez, Julio Gabo: Contacto intralinguistico e intrecultural en el mundo, Universidad de Valéncia, 2001.

Pharies, David : Breve Historia de la lengua Española, University Chicago Press, 2007.

الهوامش

[1]هارلد هارمان: تاريخ اللغات ومستقبلها، ترجمة: سامي شمعون، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2006، ص49.

[2]Suzette Haden Elgin : The language imperative, Perseus Publishing, Cambridge, 2000, p117.

[3] Denis Ager: Motivation in language planning and language policy, Multilingual Matters Lid, 2001, p177.

[4]باديس لهويمل: مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، العدد 30، 2014، ص101.

[5]محمد الأوزاغي: التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي، ط1، مطبعة النجاح منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 2002، ص11.

[6]محمد حسن عبد العزيز: علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009، ص153-154.

[7]للمزيد من التفصيل ينظر:

A Du Roy : La guerra dels belgues, Ediciones de Materials, Barcelona, 1968 .

F Coppieters : Problemas de las relaciones comunitarias en Bélgica, Bruselas, 1974.

R Senelle: La forma del Estado belga, colección proyectos y análisis, num 181, Bruselas;1980.

[8]http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3article=291389issueno=9622

[9] David Pharies : Breve Historia de la lengua Española, University Chicago Press, 2007, p37.

[10] Julio Gabo Pérez : Contacto intralinguistico e intrecultural en el mundo, Universidad de Valéncia, 2001, p33.

[11] المرجع نفسه، ص42.

[12] المرجع نفسه، ص56.

[13]يوجد في أمريكا اللاتينية الدول الآتية الناطقة باللغة الإسبانية: التشيلي- كولومبيا- كوستاريكا- كوبا- الإكوادور- السالفادور- غواتيمالا- هندوراس- المكسيك- نيكاراغوا- بنما- باراغواي- بيرو- جمهورية الدومينيكان-الأوروغواي- فنزويلا- بورتوريكو.
ويوجد في آسيا دولة واحدة ناطقة باللغة الإسبانية هي الفلبين

[14] Max Doppelbauer & Peter Cichon : La España multilingüe Lenguas y polÍticas lingüÍsticas de España, Praesens Verlag, Wien, 2008, p89.

[15] LINZ, J. J. Politics in multilingual society with a dominant world language: the case of Spain. En: SAVARD, J. G.; SAVARD, R.; VEGNEAULT (Ed.). Multilingual Political Systems, problems and solutions. Quebec: Presses de l'Université de Laval, 1975, p98.

[16] NINYOLES, R. L. La polÍtica lingüÍstica: modelos y ámbitos. En: VVAA. Las lenguas nacionales en el ámbito de la Administración, València, Diputación Provincial de Valencia, 1981, p209.

[17] Ángel López García: La lengua en España plurilingüe, Iberoamericana, Edicional, 2009, p20.

[18] Francisco Fernández Moreno : Atlas de la lengua española en el mundo, Ariel, Barcelona, p29 .

[19] Lebsanft, Franz : Spanische Sprachkultur. Studien zur Bewertung und Pflege des öffentlichen Sprachgebrauchs im heutigen Spanien. Tübingen:Niermeyer. 1997, p88 .

[20] Moreno Fernández: Nueva gramática básica de la lengua española, Edicional Madrid, 2012, p 613.

[21] Martin de Llglade : Conflicto lingüÍstico en Eurskadi, Ediciones Vascos argitaletxea, p44.

التعديل الدستوري الجديد ودوره في الحفاظ على وحدة هوية الجزائريين

" الميزابية والعربية أنموذجا "

د/ عبدالرحمان حاج ابراهيم

أستاذ محاضر- أ-

جامعة غرداية

Azbar@hotmail.fr

نص المداخلة :

إن المتتبع لتاريخ الجزائر منذ عهد الدولة الرستمية[1] إلى استقلال الجزائر من الاستدمار الفرنسي يجد أن المجتمع الجزائري حاول أن يحافظ على هويته وخصوصيته الإسلامية والثقافية واللغوية رغم المحاولات الكثيرة من عدة جهات – سواء غزاة أم أفكار دخيلة – لطمس مقومات الأمة الجزائرية، وقد عبر عن ذلك رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس :

شعب الجزائر مسلم = وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله = أو قال مات فقد كذب[2]

---

[1] أسست الدولة الرستمية في منطقة تيهرت – تيارت حاليا- في سنة 160ه-777م واستمرت كدولة وكانت أنموذجا للتعايش البربري العربي وكذا المذهبي بين الاباضية والمالكية وغيرها من المذاهب إلى غاية ان هاجمهم الفاطميون وانتهت سنة 777ه – 909م .

أ / بحاز ابراهيم ، الدولة الرستمية- دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية – ، مطبعة لافوميك ، الجزائر ، 1985 ، ص 85.

[2] . وهذا النشيد قد ارتجله الشيخ عبد الحميد بن باديس، في حفل أقامته مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة يوم 27 رمضان 1256هـ الموافق30 نوفمبر 1937، بمناسبة إحياء ليلة القدر.

وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 ولتكريس دعائم دولة القانون التي تبنى على المؤسسات قام المشرع الدستوري منذ أول دستور عرفته الجزائر الحديثة سنة 1963 بالحديث عن مقومات الأمة الجزائرية المتمثلة في الإسلام والعربية انطلاقا من ترسيخة لقيم مبادئ أول نوفمبر 1954 .

وقد برز ذلك جليا بعد دستور فيفري 1989 إذ عرفت الجزائر ما يسمى بعهد التعددية الحزبية وفتح المجال امام حرية الإعلام والصحافة ، إلا أنه في عهد الرئيس الحالي فخامة رئيس الجمهورية عبدالعزيز بوتفليقة وإيمانا منه بأن الاختلاف اللغوي بين الجزائريين يشكل فسيفساء ثراء كرس ذلك أولا في التعديل الدستوري 2002 بإضافة الأمازيغية كهوية وطنية وهذا بنص صريح في المادة ، ثم جاء التعديل الدستوري 2016 ونجده يتحدث عن تأسيس الأكاديمية الأمازيغية وتطويرها .

و سيكون حديثنا عن التعايش الموجود بين اللغة العربية والميزابية في المجتمع الميزابي وتمسكه واعتزازه بلغة الضاد من خلال ما قاله الدكتور محمد العربي ولد خليفة وهو من أهل الاختصاص: "... إن رجال وادي ميزاب يتقنون اللغة العربية ومعروفون بفصاحتهم...لذلك لم يكن صدفة أن يضع نشيدنا الوطني الشاعر العبقري مفدي زكريا وأن يخلد تاريخ الجزائر وأمجادها في إلياذته"[3] .

وسنتعرض في هذه المداخلة التي تم تقسيمها إلى مبحثين ففي المبحث الأول يكون الحديث عن التعديل الدستوي في الجزائر وبالخصوص تعديل سنة 2002 كونه قام بدسترة اللغة الأمازيغية، وكذلك التعديل الدستوري سنة 2016، ثم نتطرق في المبحث الثاني إلى التعايش والتكامل بين الميزابية والعربية، وكيف أن المجتمع الميزابي الجزائري سواء في غرداية أم في الحواضر الكبرى يحافظ على اللغة

---

[3] – د/ محمد العربي ولد خليفة ، الجزائر المفكرة والتاريخية ابعاد ومعالم ، طبعة الأولى ، شركة دار الأمة ، الجزائر، 2007 ، ص 323.

العربية الفصحى من خلال المدارس الحرة المنتشرة، وكذلك محاولته على الحفاظ على اللهجة الميزابية التي ورثها عن الأجداد.

والإشكالية :

- كيف تمّت دسترة الأمازيغية في الدستور الجزائري ؟
- وما هو واقع التعايش بين الميزابية والعربية في المجتمع الميزابي ؟

المبحث الأول : التعديل الدستوري و دسترة الأمازيغية

إن دولة القانون هي التي يسود فيها احترام الدستور من أي جهة كانت ويكون ذلك أداة لتكريس دعائم الديمقراطية وتفعيل العمل المؤسساتي، وحتى إذا تم تعديل لدستور ما، بحكم أنه ضرورة سياسية وقانونية في جميع الأنظمة الدستورية في العالم السياسي المعاصر ، فإنه يجب أن يكون في إطار الأسس القانونية ، ذلك أن الدستور هو المرآة العاكسة لدولة القانون، وكونه يقبل التعديل في كل وقت، ونجد كذلك من الناحية السياسية أن الدستور يقوم بوضع القواعد الأساسية للدولة وفقا لأوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وقت صدوره، لذلك لابد من إيجاد تنظيم لوسائل سلمية شرعية، لتعديل القواعد الدستورية حتى لا تؤدي الحاجة والضرورة إلى تعديلها بطريق مصحوب بالعنف غير الشرعي، أو حصول تباعد وتنافر بين النصوص الدستورية والواقع السياسي في الدولة، والتعديل هو إجراء يفرض نفسه أحيانا لأن الدستور وإن كان قانونا ساميا، فهذا لا يعني أنه خالد وثابث لايتغير، بل إن المستجدات تقتضي تعديل الدستور من أجل تكييفه وملائمته مع تلك المستجدات .[4]

سنتعرض في المطلب الأول إلى ماهية الدستور وآليات التعديل، وأما المطلب الثاني إلى دسترة الأمازيغية

4- د. الأمين شريط، الوجيز في القانون الدستوري والمؤسسات السياسية المقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط5، 2007، ص 128 .

المطلب الأول : ماهية الدستور وآليات التعديل

إن الدساتير لا تتمتع بنفس الديمومة فقد يكون لبعضها من طول النفس والقـدرة على التأقلم مع تطور الأوضاع ما ليس للبعض الآخر، فدستور الولايات المتحـدة الأمريكية الذي وضع منذ 1787 ما زال قائمًا إلى يومنا هذا، مما جعل الولايـات المتحدة الأمريكية دولة متمتعة باستقرار دستوري، وعلى العكس من ذلك فإن هناك دول ما إن تضع دستورًا إلا ويتم إلغاؤه[5] .

أما عن التجربة الدستورية في الجزائر، فكانت مع بداية استقلالها حيث عرفـت أول دستور لها سنة 1963 ولكنه بقي حبرًا على ورق ولم يطبق، إلـى أن ألغـي بموجب الأمر الصادر في 1965/07/10 وتوقفت بذلك أول تجربة دستورية فـي حياة الدولة الجزائرية المستقلة إلى غاية وضع دستور 1976 الذي وقعـت عليـه ثلاثة تعديلات، وإن كان التعديلان الأول و الثاني لا تقل أهميتهما، إلا أن التعـديل الثالث 1989 كان أكثر أهمية.

فقد تحقق بموجبه انتقال النظام السياسي الجزائري من أحادية الحزب إلى كنف التعددية الحزبية- الفصل بين السلطات وثنائية السلطة التنفيذيـة- وتجسـيد مبـدأ الديمقراطية على جميع الأصعدة ، ثم جاء الدستور المعدل في 28 نـوفمبر 1996 بعد فترة عصيبة واللامؤسساتية عاشتها البلاد ، حيث دخلت الجزائر مرحلة جديدة عرفت من خلالها نظام الغرفتين على مستوى الهيئة التشريعية، وكـذلك عرفـت تعديلين دستوريين هامين من أجل دسترة وتطوير الأمازيغية فـي 2002 و 2016 ولكن كان عن طريق التصويت البرلماني، وسنتعرض لتعريف التعديل الدسـتوري لغة واصطلاحا:

5- د/ الأمين شريط ، خصائص التطور الدستوري في الجزائر، أطروحـة دكتـوراه، جامعـة قسنطينة، الجزائر،1991،ص536.

لغة: جاء في مختار الصحاح "تعديل الشيء تقويمه، يقال عدّله تعديلا فاعتدل "، أي قومه فاستقام[6]، هو تغيير في نص ما ، باستبداله أو تغييره .

أما معناه في اللغة الإنجليزية التعديل –Amendment– هو تغيير في قانون من قبل البرلمان [7].

اصطلاحا: ورد في المعجم الدستوري بأن التعديل هو " اقتراح تغيير نص يخضع لتصديق الجمعية النيابية عليه، وحق التعديل نتيجة طبيعية للحق العام في المبادرة[8].

ومنه نلاحظ أن تعديل الدستور يعتبر تغييرًا جزئيًا لأحكام الدستور سواء بإلغاء البعض منها أو بإضافة أحكام جديدة أو بتغيير مضمون بعضها، ولذا فإن الإنهاء الكلي للدستور لا يشكل تعديلا له بل إلغاء، وعليه فإن التعديل يقتضي الإبقاء على نفس الدستور، وليس إنشاء دستور[9].

وتجدر الإشارة إلى أنه سنتناول إجراءات تعديل الدستور في الجزائر من خلال دستور 1996/11/28 لكن قبل ذلك لابد أن نتعرض لظروف صدور هذا الدستور.

إن دستور 1996 كان نتيجة للظروف الاستثنائية التي مرت بها الجزائر، خاصة إثر استقالة رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد في 1992/1/11، ثم تعطيل المسار الانتخابي وما ترتب عن ذلك من أعمال هددت الأمن العام والاستقرار السياسي والمؤسساتي للبلاد، وهذا ما دفع إلى إنشاء بعض المؤسسات الانتقالية

6- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1981، ص28.

7- د/ أحمد العزي النقشبندي، تعديل الدستور، دراسة مقارنة، عمان، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، 2006، ص12.

8-أليفيه دوهاميل ،أيف ميني، المعجم الدستوري، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعة للدراسات التوزيع، 1996،ص31

9- د. الأمين شريط، مرجع سابق ص128.

منها المجلس الأعلى للدولة حيث انتهت مهامه بتنظيم ندوة الوفاق الوطني في جانفي 1994 .

ثم أول انتخابات رئاسية تعددية في الجزائر وذلك سنة 1995،كما تم إنشاء المجلس الوطني الانتقالي والذي تولى مهام السلطة التشريعية منذ1994/5/18 إلى غاية تنظيم انتخابات تشريعية في جوان 1997، حيث كان الهدف من هذا الدستور سد مجموعة من الثغرات التي تضمنها دستور 1989 وخاصة فيما يخص حالة تزامن شغور منصب رئيس الجمهورية مع حل المجلس الشعبي الوطني كما كان الحال في 11 جانفي 1992 إثر تقديم رئيس الجمهورية استقالته لرئيس المجلس الدستوري وتزامن ذلك مع حل المجلس الشعبي الوطني أين أصبحت الجزائر في فراغ دستوري[10] .

ونظرا للأسباب التي ذكرناها تم اقتراح تعديل الدستور، وتمت المصادقة عليه في استفتاء شعبي وذلك في 1996/11/28، وقد جاء هذا الدستور بعدة تعديلات كإنشاء مجموعة من المؤسسات الدستورية منها مجلس الأمة، كما كرّس الرقابة الدستورية وذلك من خلال الدور الفعال للمجلس الدستوري.

أما عن إجراءات التعديل الدستوري بالنسبة لدستور 1996 الصادر عن طريق المرسوم الرئاسي رقم 96- 438 الموافق لـ7 ديسمبر سنة 1996، فقد تحدث في الباب الرابع المعنون بـ" التعديل الدستوري" حيث جاء بالجديد فمن خلال نص المادة 174"لرئيس الجمهورية حق المبادرة بالتعديل الدستوري، وبعد أن يصوّت عليه المجلس الشعبي الوطني ومجلس الأمة بنفس الصيغة حسب الشروط نفسها التي تطبق على نص تشريعي، يعرض التعديل على استفتاء الشعب خلال (50) يوما الموالية لإقراره....."

10- د. أوصديق فوزي، الوافي في شرح القانون الدستوري. النظرية العامة للدساتير. ج2. الطبعة الأولى. 1994 ديوان المطبوعات الجامعية .

نلاحظ من خلال هذه المادة أنها أعطت حق المبادرة بالتعديل الدستوري لرئيس الجمهورية وكذلك أضافت المادة 177 على حق 4/3 ثلاثة أرباع أعضاء غرفتي البرلمان المجتمعين معا أن يبادروا باقتراح تعديل الدستور على رئيس الجمهورية و رغم هذا الامتياز الذي منح للسلطة التشريعية إلا أنه لا توجد مبادرات بالتعديل من طرف البرلمان، ودليل ذلك أن التعديلين للدستور1996 كانا بمبادرة من للسلطة التنفيذية ممثلة في رئيس الجمهورية[11] .

ونجد كذلك المادة 176 نصّت على ما يلي " إذا ارتأى المجلس الدستوري أن مشروع أي تعديل دستوري لا يمس البتة المبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري ، وحقوق الإنسان والمواطن وحرياتهما ، ولا يمس بأي كيفية التوازنات الأساسية للسلطات والمؤسسات الدستورية ،وعلل رأيه ، أمكن رئيس الجمهورية أن يصدر القانون الذي يتضمن التعديل الدستوري مباشرة دون أن يعرضه على الاستفتاء الشعبي ،متى أحرز ثلاثة أرباع (4/3) أصوات أعضاء غرفتي البرلمان"، فمن خلال النصوص السابقة فإن التعديل يكون بمبادرة من رئيس الجمهورية، أو عن طريق ثلاثة أرباع (4/3) أعضاء غرفتي البرلمان مجتمعتين معا.

المطلب الثاني : دسترة الأمازيغية في الجزائر وتطويرها

لقد عرفت الجزائر بعد دستور 1996 تعديلين هامين بالنسبة للتعايش بين العربية والأمازيغية وأنهما من نبع واحد وهو بمثابة تكامل للثقافة الجزائرية استنادا للمادة 176 وهما:

11- د. مولود منصور، محاضرات في القانون الدستوري، دار الودائع للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص125.

التعديل الأول : تم بموجب القانون رقم 02-03المؤرخ في 10ابريل 2002 والمتضمن تعديل الدستور (الجريدة الرسمية رقم 25المؤرخة في 14ابريل 2002) حيث مكن هذا التعديل من إضافة مادة جديدة مصاغة على النحو التالي:

"المادة 3مكرر:تمازيغت هي كذلك لغة وطنية. تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني " وقد جاء هذا التعديل بهدف دسترة تمازيغت لغة وطنية بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني ،وكان هذا بمبادرة من رئيس الجمهورية[12] ،بعد أن أخذ رأي المجلس الدستوري ، وقام البرلمان الجزائري بغرفتيه بالمصادقة عليه بالموافقة ولكن هذا التعديل كان نتيجة لمطالب العروش في منطقة القبائل وبعض الأحزاب ونتيجة للاحتجاجات أهمها المسيرة التي وقعت بتاريخ 6/14/ 2001في العاصمة وما ترتب عنها من أضرار.

- **التعديل الثاني** : تم بموجب التعديل الدستوري 2016

كرس الدستور الجديد الأمازيغية لغة وطنية ورسمية فيما تظل العربية لغة رسمية للدولة وينص التعديل الجديد على أن المجلس الأعلى للغة العربية يكلف على الخصوص بترقيتها.

وبالنسبة للأمازيغية فقد نصت المادة 3 المقرر ما يلي: تمازيغية هي كذلك لغة وطنية رسمية...

والشيء الجديد الذي أتى به الدستور هو إحداث مجمع جزائري للغة الأمازيغية أو أكاديمية.

12- د. مولود ديدان، مباحث في القانون الدستوري والنظم السياسية. دار بلقيس الجزائر. ط2010. ص 99.

المبحث الثاني : التعايش بين العربية والأمازيغية داخل المجتمع المزابي

بعد أن تحدثنا عن دسترة الأمازيغية سنتعرض إلى المجتمع الميزابي والحديث عن خصوصيته في المطلب الأول وفي المطلب الثاني بعض من نماذج التعايش اللغوي .

المطلب الأول : المجتمع الميزابي وخصوصيته

حسب الدكتور قاسم حجاج يمر المجتمع المحلي – المزابي بما يمكن تسميته " صدمة العولمة "، مجتمع في حالة صدمة وبحث عن معالم السير المستقبلي كجزء من المجتمع الجزائري والأمة الاسلامية ...مجتمع يحكمه منطق التوجس من الجديد ومن التغيير ، منطق الحيرة إزاء المستقبل القريب الذي يصنعه الآخرون بوتيرة العصر الإليكتورني الفائق[13] .

أولا : المجتمع المزابي

يقع المجتمع المزابي في الجنوب الجزائري وبالضبط في واحة وادي مزاب بولاية غرداية التي تبعد عن عاصمة الجزائر حوالي ستمائة كيلومتر، ويتشكل من سبعة قصور هي كل من العطف، بنورة، بني يزجن، غرداية، مليكة، بريان القرارة، ويمتاز هذا المجتمع بعدة خصوصيات من أهمها أن السلطة الدسنية المتمثلة في حلقة العزابة هي التي تقوم بتسيير وضبط المجتمع من الداخل، ويتمثل دور العزابة في الحياة الإجتماعية في تنظيم الأعراس الجماعية وتحديد المهور واهتم العزابة بتنظيم الأوقاف ورعايتها وتوزيع الزكاة لمستحقيها بالتنسيق مع العشائر ولهم دور بارز في الحياة الثقافية والتعليمية خاصة الاشراف على المدارس الحرة التي يدرس فيها الطلاب باللغة العربية وهناك تشجيع لحملة القرآن[14].

[13] د/ قاسم حجاج ، مزاب رؤية مستقبلية ، الطبعة الأولى ، العالمية ، غرداية ، 2006، ص 284

[14] – صالح بن عمر اسماوي، العزابة و دورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، الحلقة الثالثة، ط1، 2008، الجزائر، ص1017.

المطلب الثاني: نماذج من التعايش

نجد اللغة العربية مع اللهجة الميزابية جنبًا إلى جنب في الخطـــاب الـــديني داخل المساجد الاباضية بوادي ميزاب فليس هناك تعصب أو أية عقدة مـــن ذلـــك وعندما نبحث في التاريخ نجد ذلك منذ القديم ففي عهد الدولـــة الرســـتمية كانـــت البربرية إلى جانب العربية في حلقات الوعظ داخل المساجد وذلك تسهيلا للبربـــر على اعتناق الاسلام[15]، كون أن البربر – في ذلك العهد- لـــم يكونـــوا يحســـنون جميعهم العربية وأكثر من ذلك كان العلماء يحرضون العامة على تعلم العربية قبل تعلم الفقه لأنها الوسيلة الوحيدة إلى اتقان فهم الفقه وعلوم الدين كلها وهناك قـــول مشهور لأحد العلماء الاباضية ويكنى بأبي عمران موسى بن زكرياء يقول فيها ما يلي " إن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفقه وتعلم مسألة من الفقه كعبادة ستين سنة "[16] .

وحسب الدكتور بحاز ابراهيم فإن أهم تطور عرفته اللغة العربيـــة فـــي تلـــك الفترة، كتابة البربرية بالحروف العربية وهي مرحلة مهمـــة جـــدا فـــي تحـــول المغاربة شيئا فشيئا إلى العربية لغة وحروفا ، وهكذا بدأت البربرية تترك مكانهـــا للعربية لتعيش معها عيشة العامية اليوم مع الفصحى ، فبدأت اللغة العربيـــة تفـــتح البلاد وتفرض نفسها على الألسن من خلال القرآن الكريم والأحاديث النبوية[17].

و حاليا في العصر الحاضر نجد الخطاب الديني في كل مساجد وادي ميـــزاب يكون هناك مزج بين اللسان العربي والميزابي قصد ايصال الفكرة إلى كل شرائح المجتمع لأنه هناك بعض الفئات لم يسعفها الحظ لتعلم العربية مثل النساء الكبيرات في السن ، ويحضرني هنا المجهود الجبار الذي قام به فضيلة الشيخ محمد ســـعيد كعباش فهو من مواليد سنة 1929 بالعطف ثم درس في معهـــد الحيـــاة بـــالقرارة

---

[15] أ/ بحاز ابراهيم ، الدولة الرستمية ، مرجع سابق ، ص 347.

[16] الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ص 411.

[17] أ/ بحاز ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 404.

وتخرج منه سنة 1950 والتحق بجامع الزيتونة وتحصل على الشهادة العالمية في التفسير ، وبدأ منذ سنة 1955 في تدريس الفتيات بمدرسة النهضة بالعطف لغة الضاد مع مبادئ العلوم الشرعية وأكثر من ذلك قام بتفسير القرآن الكريم بكامله إلقاءً وتأليفا في المسجد العتيق بطريقة فيها نوع من المزج بين العربية والميزابية من سنة 1970 إلى غاية 2015 وللعلم فهو خريج جامعة الجزائر في الأدب العربي سنة1972.

و هناك الكثير من مرضى القلوب الذين يقومون بتشويه سمعة وتاريخ المنطقة فيما يتعلق بالهوية الجزائرية للميزابيين سواء من الاستدمار الفرنسي أم غيرهم فنجد رائد الحركة الاصلاحية الشيخ ابراهيم بيوض في الجنوب الجزائري وقف بشدة عندما فكرت وخططت فرنسا إلى تقسيم الجزائر بدافع الاختلاف العرقي والمذهبي واللغوي وعبر عن ذلك في مذكراته بما يلي :" ... إن جذور حياة ميزاب متغلغلة في أعماق أرض الجزائر ، وأن عروق اقتصاده ضاربة في كل بقعة من بقاع أرض الجزائر ، منذ قرون قبل أن تقدموا أنتم (يشير إلى الفرنسيين) إلى هذه البلاد . وأنه مدين للجزائر في بقائه ، وفي الحصول على الوسائل التي قاوم بها الطبيعة القاسية في بلاده ولايزال .فلن يستطيع الميزابي أن يرى نفسه يوما ما أجنبيا في الجزائر .."[18]

ومن خلال ما سبق نجد ميزاب حاضرا في جهود الشيخ بيوض في معركة الدفاع عن وحدة التراب الوطني الجزائري ، قوة كبيرة وركيزة متينة في إفشال ما صممت فرنسا على تنفيذه .

ويضيف الدكتور محمد ناصر بوحجام إن ذلك الشعور الذي يسكن الميزابيين نحو وطنهم الكبير الجزائر ، وهذا هو المنطق الذي يحكم العلاقة بين الميزابي ووطنه الجزائر ..وقد لخص الشيخ ابراهيم بيوض هذه الصلة بقوله : انفصال

[18] الشيخ بيوض ، أعمالي في الثورة ، ص 38.

ميزاب عن التراب الجزائري هو فناؤه ، والقضاء عليه . فلم يفكر ولن يفكـــر أي ميزابي حر في الانفصال ، إلا من أصابه مس من الشيطان ، أو كان فـــي عقلـــه خلل ...

ولن يخطر ببال رجل ميزابي سوي ، ولابعقل ميزابي أبي، أن يظهـــر بصـــفة غير الجزائري، بكل مقومات المواطن الجزائري ..فانتشار الميزابيين في كل بقعة من بقاع الوطن الجزائري ، ووجودهم في كـــل قطـــاع فـــي الدولـــة الجزائريـــة ومشاركاتهم في مختلف المجالس والهيئات الجزائرية ، ودورهم الفعال في اقتصاد الجزائر ، وآثارهم في مختلف الميادين التي تمثل الثقافة الجزائرية ، وحضـــورهم في مختلف المجالات التي تأخذ طابعا سياسيا وغيرها ...كل هذه المظـــاهر تبـــرز مكانهم في عمق الجزائر ، وتبين مكانتهم في مسيرة الجزائر ومصيرها[19] .

وختاما لما سبق نقول إن الجزائر كانت ولا تزال وستبقى إلى الأبد إن شاء الله محفورة في أعماق نفوس الميزابيين، رغم مايكال لها وما يقال عنها أحيانـــا مـــن ضعاف النفوس ومسلوبي الضمائر ولقد صدق مفدي زكريـــا عنـــدما عبـــر عـــن المشاعر التي تختلج في فؤاد كل ميزابي جزائري بقوله :

جزائـــــر ، يـــــا لحكايـــــة حبـــــي ويـــــامن جعلـــــت الســـــلام لقلبـــــي

ويـــــامن ســـــكبت الجمـــــال بروحـــــي ويا مـــن أشـــعت الضـــياء بـــدربي[20]

وكما بدأنا الحديث بشهادة الدكتور محمد العربي ولد خليفة نختم كذلك بشهادته عندما زار ميزاب بمناسبة ألفية العطف وذلك بقوله :"لقد شارك رجالات ميزاب في حركة النهضة والاصلاح الديني والاجتماعي وحافظوا بغيرة كبيرة على جزء هام من تراث الجزائر إذ أنهم عرفوا بقضية الجزائر المكافحة ببراعة وجلبت بذلك

---

[19] د/ محمد ناصر بوحجام ، الميزابيون والبناء الحضاري ، نشر جمعيـــة التـــراث ، المؤسســـة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2015 ، ص 84 .

[20] مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، ص 41.

كثيرا من التعاطف والفهم من طرف الأشقاء الذين كانوا يجهلون كل شيء عن بلادنا المعزولة تحت وطأة القهر والاحتلال.

وأضاف قائلا ..خلال الثورة التحريرية المباركة أسهمت منطقة ميزاب بالصفوة من أبنائها في المعركة الحاسمة ، وقد تولى الكثير من رجالاتها مسؤوليات قيادية ، وفي مختلف المواقع ضمن جبهة وجيش التحرير الوطني داخل التراب الوطني وفي الخارج ، وقامت نخبتها المثقفة بدورها في التعبئة العامة والاعلام المضاد للدعاية الاستعمارية التي تنشر سمومها ، وقد توجه جزء من ذلك الإعلام لتحسيس الشعوب العربية بكفاح وقضية الجزائر"[21] .

وفي الأخير نخلص إلى أن العربية والأمازيغية في وجدان أي مواطن ميزابي جزائري نبعهما هو الإسلام الذي يمثل مقومات الأمة الجزائرية ، ويجب أن نفرق بين الاعتزاز بالانتماء اللغوي وكذا استعمال اللسان الميزابي في الحياة الخاصة هذا من جهة ومن جهة أخرى نستنكر ونعارض أي تعصب لغوي أو مذهبي خاصة إذا غذته أفكار دخيلة سواء من بعض الذين لايريدون للجزائر الخير أو من الأعداء المتواجدين في الخارج الذين يحاولون ضرب الجزائر من الداخل من خلال سياسة فرق تسد ، وللأسف عاشت منطقة ميزاب فتنة عمياء من سنة 2013 إلى غاية 2016 ، إذ وصل الحد أن يقتل الجزائري أخاه الجزائري كونه يختلف عنه في العرق – ميزابي أو عربي– أو مذهبي – اباضي مالكي – ولذلك لابد من تصحيح المفاهيم ، ويقوم نخبة المجتمع بتعبئة وتوعية المجتمع المدني .

[21] د/ محمد العربي ولد خليفة ، الجزائر المفكرة والتاريخية ، مرجع سابق ، ص 323

í ÊÇè‡^¹] í Ç×ö] » ê r ã×ö] Å¢ßƒö]
íe]^¹]æ í æ^ö]æ í ×ñ^ƒÏö] ° e í Þ^Šö í e…^ÏÚ

د.فيروز بن رمضان

جامعة المدية

benramdanefairouz@yahoo.fr

إذا كانت اللغات هي أصل ثقافة الشعوب، وعند توحد اللغة على مساحة كبيرة من العالم وعلى سبيل المثال مجتمعنا الذي نعيش فيه، وبالتحديد الجزائر وعلى اتساع أراضيها وترامي أطرافها، إلا أن اللغة الرئيسية التي تجمعهم هي اللغة العربية أو بالمعنى الأصح اللهجة العامية. لذلك نجد أيضا تشابها بالغا أو توحُدا في الثقافات والفكر، ولكنه يبقى على مستوى الثوابت العامة والمحاور الرئيسية التي يتخذها الجميع سبيلا ليعيش من خلالها وخلال وحدتها الكل في تناغم وتلاق عند بعض الفكر، وثوابتنا تبدأ من الدين والاخلاق وعادات المجتمع التي تعد بمنزلة خطوط رئيسية لا يختلف عليها اثنان. ولا ندري ما الذي توحد مع الآخر، هل هي اللغة مع هذه الثوابت أم أنها الثوابت التي باتت جزءًا من مفاهيم اللغة. وقد يكون هذا كله على المستوى العام، ولكن اذا أردنا أن نخوض أكثر فأكثر، فنجد أيضا أن اللهجات المازيغية المتداولة على مستوى البلد الواحد تؤثر في فرعيات الثقافة العامة لهذا البلد بحيث تجعلها ايضا واحدة، فنراهم يتفقون على إحدى المقولات أو الأمثال، وكلها كلمات خرجت من واقع المكان، وعندما استُخدمت وتداولها الناس صنعت من حالها جزءًا من ثقافة هذا البلد[1]. وما يؤكد

---

[1] منصور الهاجري، تاريخ من الكلمات التراثية والأمثال الشعبية، مقال على مجلة الأنباء الإلكترونية، الكويت، 22 ديسمبر 2007، بتصرف.

هذا أن لكل كلمة أُضيفت إلى اللهجة المازيغية كانت لصلة معينة أو لسبب بعينه أو أنها شرحت حالة، فعندما تكوّنت وتجسدت وهي تحمل معنى يعرفه أبناء البلد الواحد، فإلى بعض الأمثال والكلمات جزائرية اللهجة – بنوعيها – والمعنى والتعبير.

ولمعرفة أصول اللهجات المازيغية، ومن أين دخلت عليها بعض الألفاظ، لا بد أن نتحدث عن أصول المازيغ ونسبهم.

01 :

1.1 :

إن كلمة "مازيغ" هي مفرد وجمعها "إمازيغن"، ومؤنثه: "تمازغيت" وجمعها "تِمازغيين". ويحمل هذا اللفظ في اللغة المازيغية معنى الإنسان الحر النبيل أو ابن البلد وصاحب الأرض. والمازيغ هم مجموعة من الشعوب الأهليّة، كما عبر عنها عبد الرحمن الجيلالي بقوله : "هم مجموع سكان الشمال الأفريقي من حدود واحة سيوة المتاخمة للبلاد المصرية شرقا إلى ساحل البحر المحيط الأطلسي غربا بما فيه جزر الكنري وإلى ضفة وادي النيجر جنوبا"[2]. وهي المنطقة التي كان يطلق عليها الإغريق قديما باسم البربر وهم قبائل كثيرة وشعوب جمة و طوائف متفرقة.

اختلف المؤرخون في أصل تسمية البربر، إلا أنه من الثابت اليوم أنها كلمة إغريقية أطلقها اليونانيون على من لا ينتمي لحضارتهم المميزة باللغة الإغريقية والدّيانة اليونانية. لذلك نجد المؤرخ اليوناني **Hérodote** يطلق وصف البربر أو البرابرة على الفرس و المصريين القدامى على الرغم من أنهم أعظم شعوب زمانه. وكذلك أطلق الرومان لفظ البربر على الذين لا ينتمون لمنظومتهم الثقافية والحضارية الإغريقية/ الرّومانية. ولعل بقاء الشمال الإفريقي

[2] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة، الجزء الأول، الجزائر، 2009 ص 65.

خاضعا للنفوذ الروماني إلى غاية الفتح الإسلامي قد يفسر بقاء اسم البربر لصيقا بشعوب المنطقة، فلقد اتّصل المازيغ بالشعوب والإمبراطوريات القديمة، وسبَّبَ ذلك اتّساع الرقعة الجغرافية.

يذكر □□□ □□□□□ في تاريخه بشأن المازيغ، على أنهم في الحقيقة من ولد "كنعان بن حام بن النبي نوح" عليه السّلام وهو بذلك يُدحض كلّ الأقوال والآراء التي قال بها سابقوه، مُعتبرا إياها خاطئة لأنّها بعيدة عن اليقين. ولقد قسّم البربر إلى ثلاثة أقسام هي: البرانس، البتر وأخيرا الملثمون.[3] ويقول "ابن خلدون" عن المازيغ: "و الحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم، أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، كما تقدم في أنساب الخليقة، وأن اسم أبيهم مازيغ، وإخوتهم أركيش وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام[4] وهذا دليل على أن المازيغ قد وُجدوا منذ 100 سنة قبل الميلاد وحافظوا على هويتهم وتقاليدهم وأراضيهم ولغتهم، وهو ما أورده ابن خلدون واصفا شأنهم : إنّ هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتّخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر"[5].

أما في الجزائر، فإن من أشهر المدن والعواصم التي سكنها المازيغ، نجد العاصمة التي "كان فيها بنو مزغنى الصنهاجيين، وجرجرة ببلاد زواوة وورقلة – بنو ورجلان – في الجنوب بصحراء الجزائر، والمنيعة أو – القليعة – من واحات الجنوب الجزائري. وندرومة، وتيهرت وما حولها، وتلمسان، وما بين شرشال وتنس، وجبال والونشريس، ونواحي جبال عمور بعمالة وهران وبين

[3] ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، 1983، ص ص 178 –254.

[4] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص 89.

[5] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص90.

ثنيـــة الأحد وتيارت، وسوق اهراس بعمالة قسنطينة وجميلة وفج مزالـــة غـــرب قسنطينة ونواحي بلاد ديار الشبكة من بلاد بني مصاب (مزاب)"[6].

2.1 □□□□ □□□□□□□:

المازيغيـــة لغة شمال أفريقيا حســـب معظم الباحثين، أي أنها إحـــدى اللغـــات الأفرو-أسيوية القديمة، وهذه اللغات الخمس هي : "اللغة المصرية القديمة واللغـــة الكوشية واللغة السامية واللغة الأمازيغية واللغة التشادية . وهي عـــائلات لغويـــة تفرقت عنها كل اللغات واللهجات، كما عبّر عنها الباحث سالم شاكر"[7].

و هي تمثّل لغة معيارية يتواصل بها الناس في ربوع شمال أفريقيا منذ عشرات الآلاف من السنين من واحة سيوة بمصر شرقا إلـــى جـــزر الكنـــاري والمحـــيط الأطلسي غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى مشارف الغابة الاســـتوائية جنوبا.

ومن المعروف أنها لغة سكان شمال أفريقيا منذ ما لا يقل عن 5000 سنة كما دلت عليها مجموعة النقوش والوثائق الأركيولوجية [8]. "و قد انتعشت تداولا وكتابة فـــي ليبيا وأفريقيا ونوميديا وموريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجيـــة"[9] وتقـــدر مساحتها بخمسة ملايين كلم^2" [10].

[6] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 74

[7] Salem chaker, Manuel de linguistique bèrbère, tome 2, syntaxe et diachronie. ENAG-Editions, Alger, 1996, pp 07-09.

[8] العربي عقون، الأمازيغ عبر التـــاريخ نظـــرة موجـــزة في الأصـــول والهويـــة، التنوخي للنشر، الطبعة الاولى 2010، ص 10.

[9] جميل حمداوي، الأمازيغية باعتبارها لغة الأم، مقال بجريدة المنعطف، الملحق الأمازيغي المغرب، العدد 3243 ص6.

[10] جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص ص:107-113.

تنقسم اللغة المازيغية على العموم إلى لهجات رئيسة ذكرها عبد الرحمن الجيلالي مفصلة في كتابه: تاريخ الجزائر العام، وقد حددها فيما يفوق الثلاثمائة لهجة، تندرج تحت جذرين عظيمين هما مادغيس* وبرنس[11] ، إلا أننا نحتاج منها ما كان مختصرا وهذا الذي أحصاه الدكتور جميل حمداوي وأيضا الباحث محند آكلي حدادو، في ما يلي:

اللهجات الزناتية، واللهجات المصمودية، واللهجات الصنهاجية ، ويمكن اختزالها في حوالي عشر لهجات كلها تنحدر من اللغة الأم وتختلف فقط في الجانب الصوتي وبعض الجوانب المعجمية، وأهم هذه اللهجات حسب تقسيم جميل حمداوي تتمثل في الآتي [12]:

- اللهجة التارقية: وهي اللغة الزناتية ويتحدث بها مازيغ الصحراء الكبرى وتنتشر هذه اللهجة في شمال كل من مالي والنيجر وجنوب الجزائر وليبيا ومناطق من تشاد وبوركينافاسو.
- اللهجة الشلحية: وهي لغة مصمودة ولمطة وجزولة وتنتشر في الغرب الجزائري والمغرب.
- اللهجة القبائلية: وهي لغة كتامة المنتشرة في مناطق القبائل بالأطلس الساحلي الجزائري.
- اللهجة البربرية: و يسميها بعض السوسيين ب "تابرابربيت"، وهي لغة صنهاجة وتنتشر في تونس وفي بعض مناطق شرق الجزائر وبعض المناطق بالمغرب.

---

* مادغيس وبرنس هما من أبناء مازيغ بن حام بن نوح عليه السلام.

[11] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 74

[12] جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، ص 107–113.

• اللهجة الريفية: وهي لغة كَتامة المنتشرة في جبال الريف والهضاب التي تليها جنوبا وفي شرق المغرب.

• اللهجة النفوسية: وهي لغة نفوسة وتنتشر في جبال نفوسة بليبيا وشرق – جنوب تونس.

• اللهجة الغدامسية: وهي لغة منطقة غدامس الموجودة بالجنوب الغربي بليبيا مع اللهجة الزواوية وهي لغة واحة زواوة بالقرب من جبال نفوسة بليبيا.

• اللهجة السوسية: وتنتشر في صحراء جنوب غرب مصر.

• اللهجة الشاوية: وتنتشر في جبال الأوراس بشمال شرق الجزائر.

• اللهجة المزابية: وهي اللهجة المنتشرة في وادي مزاب بالجبال الصحراوية الجزائرية.

و من المعلوم أن اللغة المازيغية قد اضمحلت في جزر الكناري بسبب الاستعمار الإسباني، رغم اعتزاز أهلها الأصليين " **Guanches** " بأمازيغيتهم.

تنتشر اللهجات الزناتية بشكل واسع في الجزائر وتونس وليبيا كاللهجة القبائلية، واللهجة الشاوية، ولهجة بني مزاب، والشلحية بالجزائر ، واللهجة النفوسية، واللهجة الغدامسية، ولهجة أوجلة، ولهجة سكنة بليبيا، أما في تونس فيمكن الحديث عن مجموعات ساقية ومجورة وسند وتامزرات وشنين ودويرات وجربة، وتوجد بشكل قليل في المغرب[13].

أما اللهجات المصمودية فتوجد في الغرب الجزائري، لكنها بشكل كبير في المغرب الأقصى، كالمازيغية ، والريفية ، والشلحية بغرب الجزائر والمغرب.

أما اللهجات الصنهاجية فتنتشر هنا وهناك في مناطق محددة في المغربين: الأوسط والأقصى، وفي المناطق الجنوبية المحاذية للصحراء كاللهجة

[13] جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، ص 107 –113 بتصرف.

التوارقية ببلاد الطـوارق المحاذية للجزائر ومالي والنيجر، واللهجة السيوية فـي مصر، وتوجد مجموعة زناتة في الغـرب الجزائـري والحـدود الموريطانيـة– السينيغالية. كما توجد المازيغيـة خارج رقعتها الأصلية، فنجدها بكثرة في "هولندا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وإسبانيا وجزر الكناري الإسبانية التي يقطنهـا □□□□□□ **Guanches** الذين كانوا يتحدثون بالمازيغية الكنارية قبل أن يقضـي الاسـتعمار الإسباني على اللغة المازيغية فيها. ومازال □□□□□ **Guanches** يدافعون عـن اللغة المازيغية ويسعون جادين إلى إحيائها وبعثها مرة أخرى"[14].

و يظهر لنا جليّا أن اللغة المازيغية هي لغة أكّـدها جميـع البـاحثين القـدامى والمحدثين، وكتبوا عنها.

3.1□ □□□□□□□:

و هي اللغة التي استعملها ويستعملها الطوارق بناحيـة الهكّـار مـن القطـر الجزائري[15]، في حين كتب المازيغ بكتابات أخـرى، ولا يوجـد دليـل علـى أن التيفيناغ كان خطا خاصا بالمازيغ، إذ أنه ذُكر أنهم ممن لا علم لهـم ولا كتابـة[16] كما أن التيفيناغ هو نفسه الخط الموصوف في كتاب الفهرست لابن النديم في فصل كلام السودان، وقد نسبه إلى الحبشة أي إثيوبيا، حيث أنه قال: "و أما الحبشة، فلهم قلم حروفه متصلة كحروف الحِمْيَري يبتدئ من الشمال إلى اليمين، يفرقون بين كل اسم منها بثلاث نقط ينقطونها كالمثلث بين حروف الإسمين".[17]

و هكذا يتضح أن تيفيناغ ينتمي إلى مجموعة الخطوط البدائيـة العربيـة التـي ينتمي إليها القلم الحِمْيَري وهو الخط العربي القديم، هذا وقدم ابن النـديم علـى أن النقط استخدمت كفواصل بين الكلمات في خط الحبشة، لكنها في خط ثمـود (خـط

---

[14] المرجع نفسه، ص 112 بتصرف.

[15] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 81.

[16] جميل حمداوي، الحضارة الأمازيغية، ص113 بتصرف.

[17] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص29 .

عربي قديم) رمزت إلى حرف العين نقطة ونقطتين وثلاث نقط وأربع نقط حسب الاكتشاف الأثري وفي بعضها رمز إلى حرف العين عند ثمود بدائرة صغيرة كما في الخط السَّبئي.

و قد سميت بالتيفيناغ لأنها تدل على معنى خطنا أو كتابتنا أو اختراعنا"[18]، وهي كلمة مشتقة من فنيق أو فينيقيا، ويعني هذا أن اللغة المازيغية فرع من الأبجدية الفينيقية الكنعانية. وهو ما وضحه الجدول التالي[19]:

جدول للخط البربري تيفيناغ والفينيقي

أبجد	تيفناغ		فينيق	أبجد	تيفناغ		فينيق
ا	•	ءَ	≺	م	⊐	يَم	ᖷ
ب	ⵀ	يَب	9	ن	⊢	يَن	ᒧ
ج=ز	✱	يَز	Λ	س	⊡	يَس	ǂ
د	∩=Λ	يَد	Δ	ع			ο
هـ	⋮	يَه	ㅋ	ف	ⵊ	يَف	٣
و	:	يَو	Y	ص	ⵟ	صود	ϕ
ز	#	يَز	I	ق=ك	:	يَق	
ح			⊟=⊟	ر	□	يَر	9
ت ط ظ	+	يَت	⊕	ش	ᑐ	يَش	w
ي	ⵢ	يَي	ϩ	ت	+	يَت	+=X
ك=ج	ⵅ	يَك	ϗ	غ	⋮	يَغ	
ل	‖	يَل	6				

---

[18] جميل حمداوي، مواطن الاتصال والانفصال بين اللغة الأمازيغية واللغة العربية، مقال في جريدة العلم، المغرب العدد 21033، السنة 2008، ص 10.

[19] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 80.

لقد عثر الباحثون من علماء الآثار على مجموعة من النقوش والصخور وشواهد القبور منذ آلاف من السنين مكتوبة بالخط الحِمْيَرِي على صخور من ديار عاد وثمود ومشهد ووادي ثقب، وهي قريبة الشبه جدا من نقوش الخط البربري الموجود بناحية الهكار من القطر الجزائري [20]، وهو ما عبر عنه أيضا الدكتور عبد الرحمن الجيلالي في قوله: "لقد أقبل البربر على اللغة الكنعانية الفينيقية، عندما وجدوا ما فيها من القرب من لغتهم وبسبب التواصل العِرقي بينهم وبين الفينيقيين". [21]

وفي نفس المنحى اتجه الدكتور عز الدين المناصرة في حديثه عن اللغة المازيغية مؤكّدا على أنّ أبجديتها فينيقية في الأصل وكنعانية في النشأة، أما الجذور والأصول فهي عربية. حيث يقول : "إن اللغة الأمازيغية متعددة اللهجات وهي قابلة للتطور إلى لغة راقية كالعربية وكتابتها بالحروف الطوارقية (التيفيناغ) هو الأصل، فالمفرد المذكر هو كلمة (أفنيق) مما يوحي فورا بكلمة فينقيا. وهذا يُدلل على الأرجح أن اللغة الأمازيغية كنعانية قرطاجية، ولم تكن الكنعانية القرطاجية الفينيقية لغة غزاة، لأن القرطاجيين الفينيقيين هم الموجة الثانية من الكنعانيين. وبما أن أصل البربر الحقيقي هو أنهم كنعانيون فلسطينيون ولبنانيون على وجه التحديد، فإن السكان الأصليين للجزائر، البربر الأمازيغ، أي الموجة الأولى الكنعانية استقبلوا أشقاءهم الكنعانيين الفينيقيين ليس كغزاة، بل بصفتهم استكمالا للموجة الأولى. ومن الطبيعي بعد ذلك أنهم امتزجوا بالرومان والإغريق واللاتين. فالأصل أن تكتب الأمازيغية بحروف التيفيناغ الطوارقية الكنعانية القرطاجية الفينيقية، وأصل هذه الحروف يعود إلى الكنعانية الفينيقية والعربية

---

[20] جميل حمداوي، مواطن الاتصال والانفصال بين اللغة الأمازيغية واللغة العربية، ص 11.

[21] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص ص 30-141.

اليمنية الجعزية"[22]. والمقصود هنا الخط الذي اخترعه المازيع للكتابة، والذي يعود تاريخه إلى فترات تاريخية بعيدة من الصعب تحديدها بدقة، "و هناك من البـــاحثين من يرجعه إلى 3000 قبل الميلاد، بل إلى 5000 قبل الميلاد"[23]، وقد كان يعتقد إلى وقت قريب أن التيفينـــاغ بمثابة كتابة فينيقية ظهرت في القـــرن الثـــاني قبـــل الميلاد بفضل □□□□□□ **Massinissa** ، وهو ما أورده عبد الـــرحمن الجيلالـــي قائلا: "و إلى هذا الملك البربري يعود الفضل في اختراع لغة ليبيـــة علـــى نمـــط الحروف الهجائية الفينيقية، حيث عمل على تركيب الجهاز الأبجدي البونيقي علـــى الرموز الصوتية القديمة التي كانت مستعملة عند الليبيـــين"[24]. غيـــر أن الباحثـــة الجزائرية مليكة حشيد تمكنت من العثور على لوحات كتب عليها بالتيفينـــاغ فـــي صحرائنا الكبرى*.

و حسب الدكتور جميل حمداوي، فإن اللوحة الحاملة لحروف تيفيناغ هي إحدى اللوحات المرافقة لعربات الحصان وهذا النوع من العربات ظهر في العصر ما بين ألف سنة قبل الميلاد وألف وخمســـمائة سنة قبل المـــيلاد الشـــيء الـــذي جعـــل □□□□□□ **كامبس Gabriel Camps** يرى بأن تيفيناغ لا يمكن أن يكـــون قـــد

---

[22] عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، دار الشروق، الطبعة الأولى، الأردن، 1999 ص69.

[23] العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ص 19-39.

[24] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص101.

* الباحثة هي مؤرخة وعالمة آثار أجرت فحوصات على تيفيناغ المعثور عليه، وتبين أنه يعود إلى ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، وهو ما جعل البعض يرجح أن يكون تيفيناغ هو أقدم الكتابات الصوتية التي عرفها الإنسان، مقال عن:-Les premiers Berbère les-premiers
berberes-de-malika-hachid.html على الموقع:
http://www.depechedekabylie.com/cuture/5948-

ظهر في وقت أقل قدما من ألف سنة قبل الميلاد (...) وأن الإلمام بأصله رغم كل المحاولات في تصنيفه يبقى شيئًا بعيد المنال.[25]

و من ثَمَّ، فإن تيفيناغ بمثابة كتابة قليلة الشهرة ولكنها قديمة لدرجة تستحق الاهتمام باعتبار أن تيفيناغ البدائي يكاد يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

أما أصولها فيُرجّح الدكتور بوزياني الدراجي إلى أنها تنحدر من "أبجدية لوبية قديمة، وهي ما زالت مستعملة – في هذه الأيام– ضمن الأوساط التوارقية وتتميز بكونها لغة صامتة consonantique؛ وكانت في البداية تكتب منفصلة في الاتجاهات كلها: من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين، ثم من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى. وحروفها ليست كاملة حتى الآن... وكانت هذه الكتابة المعروفة بالليبية أو اللوبية منتشرة في كامل بلاد المغرب القديم."[26]

هذا، وتتسم هذه اللغة "بالوحدة في بناها النحوية والتركيبية والصرفية، مع وجود اختلافات طفيفة دلاليا ومعجميا وفونولوجيا. وتتماز كذلك بمرونة الاشتقاق والنحت، واستيعابها لقانوني التركيب المزجي والتمزيغ، وقدرتها على التواصل والنمو والتطور، وتأرجحها بين الشفوية والكتابة.[27] وتعد اللغة المازيغية كذلك من اللغات الحية التي مازالت تستعمل في شمال أفريقيا إلى يومنا هذا، رغم خضوع الأمازيغ لبراثن الاستعمار إلا أنها حافظت على كيانها الذاتي، ومقوماتها اللسانية والثقافية والحضارية*.

---

[25] جميل حمداوي، مواطن الاتصال والانفصال بين اللغة الأمازيغية واللغة العربية، ص 11.

[26] بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003، ص 34.

[27] جميل حمداوي، الأمازيغية باعتبارها لغة الأم، مقال بجريدة المنعطف، الملحق الأمازيغي، المغرب، العدد 3243 ، ص 06.

* ينظر: صالح آيت عسو، الاشتقاق في اللغة الأمازيغية، مقال الكتروني، الجزء الثاني، موقع تاويزة.

4.1 □ □□ □ □□□□□ □□□□ □ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□:

يقتضي تناول البنية اللسانية للغة المازيغية، النظر إليها من مختلف مكوناتها الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية، والدلالية. وسنقتصر هنا على بعضها فقط، لأن بحثا مثل هذا يضيق لمثل هذه الدراسة الواسعة.

إن المازيغية هي لغة موحدة رغم الاختلاف السطحي بين لهجاتها، "فبنيتها وعناصرها وأشكالها الصرفية تتسم بالوحدة، إلى درجة أنك إذا كنت تعرف حق المعرفة لهجة واحدة منها استطعت في ظرف أسابيع أن تتعلم أي لهجة أخرى."[28] وفيما يلي سنحاول تبيان بعضٍ من تلك الخصائص في مستويات مختلفة، مع التمثيل لها .

1.4.1 - النظام الصوتي: système phonologique

بالمقارنة بين مختلف اللهجات المازيغية حدد العديد من الباحثين[29] النسق الصوتي الأساسي للمازيغية في ثلاثة أصوات **a i u** □هي الفتحة والضمة

---

[28] Chaker, Salem**.** Manuel de linguistique berbère, II Syntaxe et diachronie, ENAG-Éditions, Alger, 1996.pp 08

[29] من الباحثين الذين كتبوا في النسق الصوتي الأساسي للهجات الأمازيغية، نذكر:

BOULIFA, Si Amar Ou-Saïd. Une première année de langue kabyle (dialecte zouaoua), Adolphe Jourdan, Alger, 1897. **BOULIFA, Si Amar Ou-Saïd.** Méthode de langue kabyle (cours de deuxième année): Étude linguistique, sociologique sur la Kabylie du Djurdjura; Textes zouaoua suivi d'un *GLOSSAIRE*, Adolphe Jourdan, Alger, 1913.**BROSSELARD, Charles; Sidi Ahmed BEN EL-HADJ ALI.** Dictionnaire français-berbère: Dialecte écrit et parlé par les Kabaïles de la division d'Alger, Imprimerie Royale, Paris, 1844.**DALLET, Jean-Marie**. Dictionnaire kabyle-français: Parler des Aït Menguellet, SELAF, Paris, 1982.**DALLET, Jean-Marie**. Dictionnaire français-kabyle, SELAF, Paris, 1985.**DALLET, Jean-Marie**. Le verbe kabyle: Parler des Aït Menguellet (Ouaghzen-Taourirt), Tome I: Formes simple, Fichier de Documentation Berbère, Fort-National, Alger, 1953.**DELHEURE, Jean.** Ağraw n yiwalen tumẓabt t-tfransist: Dictionnaire Mozabite-Français, SELAF, Paris, 1984.**DE VINCENNES, Louis; DALLET, Jean-Marie.** Initiation à la langue berbère (Kabylie), Préface de Monsieur André PICARD, premier volume: Grammaire, second volume: Exercices, Fichier de Documentation Berbère Fort-National (Grande Kabylie), 1960. **HADDADOU, Mohand Akli**. Guide de la culture berbère, Inna-yas, Alger/Paris Méditerranée, Paris, 2001.**HADDADOU, Mohand Akli.** Le vocabulaire berbère commun suivi=

والكسرة، وباقي الحروف عبارة عن صوامت (**Ɛ, B, C, Č, D, Ḍ, F, G, Ǧ, Ɣ, H, Ḥ, J, K, L, M, N, Q, R, Ṛ, S, Ṣ, T, Ṭ, W, X, Y, Z, Ẓ.**)[30].

إلا أن مجموعة من التغيرات الصوتية تطرأ على الصوامت حيث تتغير صفاتها عند النطق، وذلك وِفق اختلاف اللهجات وسنبرز هذه التغيرات حسب طبيعتها كما يلي:

- **La spirantisation : □□□□□□□□**

وهي مجموعة من الأصوات التي تبدو انسدادية في لهجات معينة وخاصة في لهجات الغرب والجنوب، وهذه الأصوات هي **(b.d.g.t.k)** تصير رخوة عند النطق بها في اللهجات الشمالية وتنطق على التوالي **(v.d.g.t.k)**[31]، وهذا ما نجده في مصطلح □□□□□□ **tameṭṭut**، كمصطلح مشترك بين جميع اللهجات المازيغية عموما، وفق الجدول (رقم01) :

=d'un glossaire des racines berbères communes, thèse de doctorat d'Etat de linguistique, 2 tomes, Département de langue et culture amazighes, Université de Tizi-Ouzou, 2003, 800 p.**HADDADOU, Mohand Akli.** Dictionnaire des racines berbères communes, Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger, 2006/2007.**HADDADOU, Mohand Akli.** Précis de lexicologie amazighe, ENAG Éditions, Alger, 2011.**HADDADOU, Mohand Akli.** Dictionnaire de Tamazight, parlers de Kabylie, Kabyle-Français avec un index français-kabyle, BERTI Editions, 2014, 1058 p.**HUYGHE, Le P. G.** Dictionnaire français-kabyle *(Qamus rumi-qbayli)*, Éditions. L. Godenne, Paris, 1902-1903.**NOUH, Abdellah.** Amawal n Teqbaylit d Tumẓabt: Glossaire du vocabulaire commun au Kabyle et au Mozabite, Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger, 2006/2007.**SERHOUAL, Mohamed.** Dictionnaire Tarifit-Français, thèse de doctorat d'État, Université Abdelmalek Saâdi-Faculté de Lettres et des Sciences Humaines, Tetouan, 2001-2002.**TAÏFI, Miloud.** Dictionnaire tamazight-français, L'Harmattan-Awal, 1991, 880.

[30] Haddadou, Mohand Akli. Guide de la culture berbère, Inna-yas, Alger/Paris Méditerranée, Paris, 2001 ; p 38

[31] René Basset ; Manuel de lanngue kabyle ; leclerc ; paris 1987.pp 03-09

جدول الاختلاف في النطق لمصطلح □□□□ **tameṭṭut**		
□□□□□	□□□□□	□□□ □□□□□ □□ □□□□
tameṭṭut	المرأة	صوت □□□□ ينطق دائما □□ً في اللهجة القبائلية.
tameṭṭut	المرأة	صوت □□□□ ينطق □□ في اللهجة الشاوية، وفي بعض المناطق ينطق هاءً
tameṭṭuṭ	المرأة	صوت □□□□ ينطق دائما □□ في اللهجة المزابية، ولا وجود لحرف □□□□.

من خلال الجدول(رقم01)، نلاحظ أن المعنى واحد لاسم المرأة مع اخـــتلاف واضح في نطق الحروف.

□ **L'emphatisation :□□□□□□**

وهي مجموعة من الأصوات الجُهورية[32]، أي أن هذه الأصوات يكون نطقهـــا مفخما، وهذه الأصوات هي **Ẓ.Ṭ.Ṣ.Ṛ.Ḍ** وهي فونيمات مشتركة فـــي أغلـــب اللهجات المازيغية، وكمثال نحصر في الجدول (رقم02) جميع الفونيمات المتوفرة في بعض المصطلحات:

[32] Kamal Naït Zerrad, Tajeɣumt n tmaziɣt tamirant (taqbaylit); Grammaire du berbère contemporain (kabyle): I Talɣiwin: Morphologie, ENAG Éditions, Alger, 1995.p 95.

[illegible]			
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
icerreḍ	يشترط	قبائلي	Ḍ
tkerfeḍ-tt	تُقيّدها	شاوي	Ḍ
aḍefli	الطفل	مزابي	Ḍ
leɛmeṛ	العمر	قبائلي	Ṛ
lefṛḥa	الفرحة	شاوي	Ṛ
teğṛest	الشتاء	مزابي	Ṛ
teṣṣir	لم تستر	شاوي	Ṣ
ddṣaret	قلة التربية	مزابي	Ṣ
tmeṭṭut	المرأة	قبائلي	Ṭ
tameṭṭut	المرأة	شاوي	Ṭ
tameṭṭuṭ	المرأة	مزابي	Ṭ
tayaẓit	دجاجة	قبائلي	Ẓ
tagaẓit	الدجاجة	شاوي	Ẓ
tẓallet	الصلاة	مزابي	Ẓ

من خلال الجدول(رقم 02)، نلاحظ أن الحرف المفخم مؤصل ومشترك فـــي كل اللهجات المازيغية. وتجدر الإشارة إلى وجود حروف مفخمة غير مشتركة بين هذه اللهجـــات، وتنفرد بها لهجـــات معينة، كانفراد اللهجة المزابية باللام المفخـــم

والميـــم المفخم[33]، واشتراك اللهجـــة القبائــلية مع اللهجة المزابيــــة فـــي الـــلام المفخّـــم وانفرادها بالجيم **j** المفخم، والشين المفخم.[34]

La labiovélarisation : [illegible] –

و هي مجموعة من الأصوات الشفوية اللهوية، أي أن هذه الأصـــوات تنطــق بضم ساكن بإضافة حرف **w** إلى الباء **B** وهو حرف شفوي، كما تضاف أيضـــا إلى الحروف **G.K.Q** وهي حروف حنكية، وتواجد هذه الاصوات الشفوية اللهوية يكون بكثرة في اللهجة القبائلية[35]، وهذا ما يوضحه الجدول (رقم03):

[illegible]			
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Akwen	مثلما	قبائلي	Kw

2.4.1 [illegible]:

ينقسم الكلام المازيغي إلى أربعة أصناف أساسية، وهـــي الأســـماء والضـــمائر والأفعال والحـــروف، وكلها تتـــحدر من جــــذر أحـــادي، ثنــــائي، ثـــــلاثي ربـــاعي وخماسي، وسنـــوضح فيما يلي باختصار أهـــم سمات هذه المكـــــونات المورفولـــوجـــية، نستهلها:

[illegible]:

و يُشتق من جذر أحادي، أو ثنائي، أو ثلاثي، أو رباعي، أوخماسي، وينقسم في جنسه إلى مذكر ومؤنث، وفي عدده إلى مفرد ومثنى وجمع ، وفي وضعيته يكون مفردا أو مُصَرَّفاً في جملة.

---

[33] إبراهيم عبد السلام، وبكير عبد السلام، الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الأمازيغية (المزابية)، ص 12.

[34] Haddadou, Mohand Akli. Dictionnaire des racines berbères communes, Haut Commissariat à l'Amazighité, Alger, 2006/2007 ;p 192.

[35] De Vincennes, Louis; Dallet, Jean-Marie. Initiation à la langue berbère (Kabylie), Préface de Monsieur André Picard, premier volume: Grammaire, second volume: Exercices, Fichier de Documentation Berbère Fort-National (Grande Kabylie), 1960.p 85.

بالنسبة للجنس، فإن الاسم في اللغــة المازيــغية يبتدئ بثلاثة حــروف هـــي: **a.i.u** إن كان مذكرا ، و **ta.ti.tu**، إن كان مؤنثا مع إضـــافة علامـــة التأنيـــث **t.a.i**[36].

و سنحاول التمثيل بكلمتين محوريتين تتشاركهما اللهجات المازيغيـــة، وهاتـــان الكلمتان هما كلمة، **tameṭṭut** وكلمة **argaz**، دون الخوض في جميع جـــذور الأسماء، لأن الجذر الغالب في اللغة المازيغية ثنائي وثلاثي أكثـــر منـــه أحـــادي ورباعي وخماسي، وهذا ما سنبينه في الجدول (رقم 04):

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
tameṭṭut	المرأة	قبائلي	ثنائي mḍ	يحتوي معنى الجـــذر علـــــى: الـــــزواج **meṭṭu** وعلى:الأمومـــــــــة **timiḍṭ** وعلى علامـــة مـــن علامـــات الضـــعف وهي البكاء: **imeṭṭi**
tameṭṭut	المرأة	شاوي		
tameṭṭuṭ	المرأة	مزابي		
argaz	الرجل	قبائلي	ثلاثي rgz	يحتوي معنى الجـــذر على: الرجولة والقوة **tirrugza**
aryaz	الرجل	شاوي	ثلاثي ryz	
Arǧaz	الرجل	مزابي	ثلاثي rǧz	

من خلال الجدول (رقم 04)، يتضح لنا أن هاتين الكلمتـــين من أكثر الكلمـــات استعمالا، واشتراكا في اللغة المازيغية، في الدلالة والمبنى والمعنى. وبتأثير اللغـــة العربية، حمـــلت بعض الكلمـــات في اللغة المـــازيغية أداة التـــــعريف العربيـــة

[36] Mohand Akli Haddadou, Dictionnaire des racines berbères communes, pp 175.

(ل)، وتسبق الاسم المذكر والمؤنث والجمع. وهناك كلمات ذات أصل مازيغي لا وجود لأداة التعريف فيها[37]، وهذا ما يوضحه الجدول(رقم 05):

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Imut	الموت	قبائلي	l	الموت
Iqaḍi	القاضي	شاوي	l	القاضي
lebrik	الإبريق	مزابي	l	الإبريق

من خلال الجدول (رقم 05)، نلاحظ أن أداة التعريف لم تستعمل إلا في الكلمات ذات الأصل العربي.

[illegible]:

يكون الفعل في اللغة المازيغية من حيث صوامته وأوزانه أحاديا أو ثنائيا أو ثلاثيا أو رباعيا، ويشتمل دائما، مهما كان نوعه، على الجذر والضمير المتصل الذي يدل على الفاعل، وهذا الضمير يمكن أن يكون في أول الفعل أو فيونولأله، ا

Ikerrez therrez	يحرث تُدبّر	قبائلي	ثلاثي krz ثلاثي ḥrz	فعل مضارع
iketben	يكتب	شاوي	ثلاثي ktb	فعل ماضي
ad teqḍeɛ	تفعل	مزابي	ثلاثي qḍɛ	فعل المستقبل
yettẓenẓir	يهترئ	شاوي	رباعي ẓnẓr	فعل مضارع

من خلال الجدول (رقم 06)، يتضح لنا أن جذور الأفعال كلها متناولة في اللهجات المازيغية الثلاث، وخاصة الجذر الثلاثي منها.

[illegible]:

يكون الاسم في اللغة المازيغية إما مفردا أو جمعا، ونادرا ما يوجد المثنى، ولصياغة الجمع من الاسم المفرد، يتم تعويض الصائت الأول **a.i.u** بالنسبة للمذكر بصائت آخر **a.i.u** من نفس الجنس، وتلحق علامة الجمع بالمفرد في آخره، وهذه العلامة مكونة غالبا من صائت أخرس وهو **e** والصامت **n**، ونادرا تكون بحرف **a** والصامت **n**، هذا بالإضافة إلى التغيرات التالية :

ـ الاسم المبدوء بالصوت :**a** يتحول عند الجمع إلى **I**، ومثال ذلك ما نورده في الجدول (رقم 07):

[illegible] a:				
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
imɣaren	الشيوخ	قبائلي	**a**mɣar	**i**mɣaren
iɣerdayen	الفئران	مزابي	**a**ɣerda	**i**ɣerdayen
iɛeggan	البُكم	شاوي	**aɛeggun**	**i**ɛeggan

نلاحظ من خلال الجدول (رقم 07) أن كل الأسماء المبدوءة بالصوت **a** قد تحولت عند الجمع إلى الصوت **i**.

ــ الاسم المبدوء بالصوت: **u** يبقى على حاله في صيغة الجمع، ويضاف في آخر الكلمة إما **en** أو **an**، ومثال ذلك ما نورده في الجدول (رقم 08):

[illegible] **U:**				
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
udayen	اليهود	مزابي	uday	udayen
urtu	البستان	شاوي	urtu	urtuan

نلاحظ من خلال الجدول (رقم 08) أن كل الأسماء المبدوءة بالصوت : **U** قد بقيت على حالها في صيغة الجمع، وأُضيفت في آخرها إمّا **en** أو**an.**

ــ الاسم المبدوء بالصوت : **i** يبقى على حاله في صيغة الجمع، ويضاف في آخر الكلمة إما **en** أو**an**، ومثال ذلك ما نورده في الجدول (رقم 09):

[illegible] **i:**				
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
imekliwen	الغداء	شاوي	imekliw	imekliwen

نلاحظ من خلال الجدول (رقم 09) أن الاسم المبدوء بالصوت : **I** قد بقي على حاله في صيغة الجمع، وأُضيفت في آخره **en.**

أما المؤنث فيبتدئ عند الجمع ب **ta. Ti. Tu** وينتهي بعلامة الجمع **in**، وهذا ما نورده في الجدول (رقم 10):

[illegible] **ta. Ti. Tu**				
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
teḥdayin	البنات	قبائلي	taḥdayt	teḥdayin
tezdayin	النخيل	مزابي	tazdayt	tezdayin
takniwin	ضرتان	مثل شاوي	takna	takniwin

نلاحظ من خلال الجدول (رقم 10) أن المؤنث المبدوء عند الجمع ب **ta. Ti.** **Tu** قد انتهى بعلامة الجمع **in.**

أما في حالات الإسناد، يتحول **a** إلى **u**، و i إلى **yi**، و **u** إلى **wu**، ومثال ذلك ما نورده في الجدول (رقم11):

[illegible]				
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
deg urebbi	في حِجر	قبائلي	Deg	Urebbi
d uẓuẓi	وولادة	مزابي	d	uẓuẓi
deg uxxam	في الدار	شاوي	Deg	Uxxam

نلاحظ من خلال الجدول (رقم11) أن كل حروف المسند إليه قد تحولت من **a** إلى **u**، ومن i إلى **yi**، ومن **u** إلى **wu.**

أما في المؤنث، يتحول الصائت المتصل **ta ;ti** إلى **te**، أو يسقط كلية، أمـــا **tu** فيبقى على حاله دون تغيير، ومثال ذلك ما نورده في الجدول (رقم12):

[illegible]				
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
n tyemmat	اضافة ن لمصطلح الأم	قبائلي	n	tyemmat
n tezddayin	إضافة ن لمصطلح النخيل	مزابي	n	tezddayin
d temɣart	والكنة	شاوي	d	temɣart

نلاحظ من خلال الجدول (رقم12)، أن كل صائت متصل في المؤنث قد تحول من ta ;ti إلى te.

3.4.1 [illegible] Les fonctionnels

تحتوي اللغة المازيغية على كم هائل ومتنوع من حروف المعاني، التي تقوم بالتنسيق بين مكونات الجملة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: أحدهما يشتمل على حرف واحد مثل : d، n، s، i،... والآخر يتكون من حرفين أو أكثر مثل : deg ، seg، ...

و للعلم، فإنه قد يرد للحرف عدة معانٍ، ويؤدي أكثر من وظيفة، وفيما يلي نقدم بعض هذه الأدوات المشتركة في بعض الأمثال الشعبية للّهجات المازيغية الثلاث لزيادة التوضيح في الجدول (رقم13):

[illegible]					
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
win umi yemmut baba-s hat **deg urebbi** g-gemmas, win umi temmut yemma-s hat **deg ugudu** nneḍn-as	من مات والده، فهو في حِجر أمه، ومن ماتت والدته فهو في المزبلة	مثل قبائلي	Deg Deg	Urebbi Ugudu	كناية وتوكيد كناية وتوكيد
Ečč tağliẓt ar mamma-s **d tizerzert**	كل خنفساء عند أمها غزالة	مثل مزابي	D	tizerzert	كناية وتوكيد
tagaẓit d lal **n uferrug** bla iγi	الدجاجة أُمٌّ الصوص، بدون حليب	مثل شاوي	N	uferrug	كناية

من خلال الجدول (رقم13)، نلاحظ أن حروف المعاني مشتركة المعنى بالمقارنة بين مختلف اللهجات بشكل كبير مما يدل على أنها أصيلة في اللغة المازيغية وثابتة لم تتغير، ولم تتعرض لما يسمى بالتعرية الصوتية L 'érosion phonétique.

Les adverbes □□□□□ □4.4.1

إن الظروف في اللغة المازيغية يصعب تحديدها بدقة مما يجعلنا نحتار في كيفية تصنيفها، ويحصل عادة أن تختلط مع حروف المعاني. والملاحظ أن مختلف أصناف الظروف لا تشترك، فيما بينها، في علامات مورفولوجية، وتتنوع عادة فيما يخص مدلولاتها، وهي تأخذ شكل حروف المعاني، ونسق الاسم بمكوناته على المستوى المورفولوجي، ولهذا لا يمكننا الاعتماد في تصنيفها على هذا المستوى، وإنما ستصنف على مستوى الدلالة، وتمنح الظروف مزيدا من الدقة للفعل أو المعنى المعبر عنهما، من الفعل أو الاسم أو الصفة أو الجملة أو حتى الظرف نفسه[38]، وينقسم إلى قسمين هما: ظروف المكان، وظروف الزمان وسنورد أمثلة عن ظروف المكان في الجدول (رقم14):

		□□□□ □□□□ □□□□□
□□□□	□□□□□□	□□□ □□□□□
قبائلي	فهو	**deg**
مزابي	وراء	**Deffer**

و ظروف الزمان، والتي نورد لها أمثلة في الجدول(رقم14):

		□□□□ □□□□ □□□□□
□□□□	□□□□□□	□□□ □□□□□
قبائلي/شاوي	كل عام	kul seggas

و هناك ظروف أخرى غيرهما، مثل ظروف الحال Adverbe de manière التي تتكون عادة من صادرة مستقلة هي **S** متبوعة بمصدر لأحد الأفعال ويمكن ترجمة هذه الصادرة بِ: **(s)**، وسنورد بعض الأمثلة المتوفرة في المدونة في الجدول (رقم15):

[38] Louis DeVincennes; Dallet, Jean-Marie. Initiation à la langue berbère (Kabylie). P 102-110.

[illegible]			
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
s tinitin	ب وحم	مزابي	**s** tinitin
s uεeddis	بالحمل	شاوي	**s** uεeddis

أما ظروف الرأي، فقد وردت في مثال في الجدول (رقم16) :

[illegible]			
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
wala	ولا	قبائلي/شاوي/مزابي	**wala**

كما أن هناك أدوات الاستفهـــام، نستعرض منـــها ما يتوفر كأمثلة في الجـــدول (رقم17):

[illegible]				
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
wi kem-icekṛen a tislit ? d yemma teḥḍer xalti	من شكرك أيتهـــا العـــروس ؟ أمـــي بحضور خالتي	مثل قبائلي	wi	wi kem-icekṛen a tislit ?
Wi m-icekṛen a taslet ? tenna-yas mamma	من شكرك أيتهـــا العـــروس؟ قالـــت أمي	مثل مزابي	wi	Wi m-icekṛen a taslet ?
Menhu icekṛen tislit ɣir yemma-s	من شكر لعـــروس غير أمها؟	مثل شاوي	Menhu	Menhu icekṛen tislit ɣir yemma-s

و نجد أيضا النفي كما هو موضح في بعض الأمثلة في الجدول (رقم18):

[illegible]			
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
seg wasmi temmut lmeṛḥuma **ur** ččiɣ lmerquma	منذ أن ماتت المرحومة، لم آكل الخبز المرقوم	مثل قبائلي	**ur**
Awi tayẓiwt tabeddiwt d mamm-as d lḥadga ul ttawi tayẓiwt d lḥadga d mamm-as tabeddiwt	تزوج من بنت بلهاء وأمها ذكية، ولا تتزوج من بنت ذكية وأمها بلهاء	مثل مزابي	**ul**
tameṭṭut **ur** tt-teččat ɣir ma tkerfeḍ-tt	لا تضرب المرأة حتى تقيدها	مثل شاوي	**ur**

وقبل أن نختم هذا الجانب اللساني للكلام في اللغة المازيغية، يجدر بنا أن نتحدث على أهم خاصية من حيث النطق، وهي خاصية [illegible]، أو التحولات الصوتية التي تَطال بعض اللهجات رغم أن أصل الكلمة مشترك في جميع لهجات اللغة المازيغية.

هذه التغيرات قد تكون بين لهجات اللغة المازيغية، كالقبائلية والشاوية والمزابية وغيرها من اللهجات، كما يمكن أن تكون في اللهجة الواحدة كما هو الشأن في اللهجة الشاوية التي تختلف تأديتها من مجتمع لآخر في المنطقة الواحدة، كاختلاف منطقة احمر خدو في لهجتها بمخارج بعض الاصوات عن بعض لهجات منطقة الاوراس.[39]

و سنحاول التعرض لأهم التغيرات المتوفرة في اللهجات على الصعيد الصوتي في جدول مع إبراز الصوت المُتغير، ولا يوجد غير كلمة الرجل **argaz** التي

[39] Mercier Gustave ; Chaouia de l'aurès.dialecte de l'ahmer-kheddou. étude grammaticale.
textes en dialecte chaouia. éd.arnest leroux.paris.france.1896.pp 44-45

تجمع بين لهجات الورقة البحثية ومعناها، وتختلف عند النطق بها من حيث مخارج الأصوات فيها، وهو ما يوضحه الجدول (رقم19):

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Argaz	الزوج	قبائلي	استبدلت **g** في اللهجة الشاوية ب **y** وفي اللهجة المزابية ب **ğ**
Aryaz	الرجل	شاوي	
Arğaz	الرجل	مزابي	

من خلال الجدول (رقم19)، نلاحظ أن المعنى واحد لاسم الرجل مع اختلاف واضح في نطق الحروف من حيث مخارج الأصوات.

أما من ناحية إبدال الاصوات في لهجات ورقة البحث[40]، فسيكون ذكر المصطلحات التي فيها تغيير في لهجاتها دون المقارنة في الكلمة الواحدة وسنوضح ذلك من خلال الجدول (رقم20):

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
hameṭṭut	المرأة	شاوي	إبدال [illegible] [illegible] في بعض المناطق مقارنة باللهجة القبائلية
a č -tebbi	تقرصك	شاوي	إبدال [illegible] في اللهجة الشاوية مقارنة باللهجة القبائلية
tt-teččat	لا تضربها	شاوي	

[40] لمزيد من الاطلاع ينظر:

- بن قسمية العمري، مبادئ في الصوتيات الأمازيغية (الشاوية)، المحافظة السامية للأمازيغية 2013.
- إبراهيم عبد السلام، وبكير عبد السلام، الوجيز في قواعد الكتابة والنحو للغة الأمازيغية (المزابية)، المطبعة العربية، الجزء الأول، غرداية، 1996.

الكلمة	المعنى	اللهجة	الملاحظة
yemma-s	أمه	قبائلي	إبدال □□□□ □□□□□ في اللهجة المزابية مقارنة باللهجة القبائلية والشاوية
mamma-s	أمها	مزابي	
yemma-s	أمُّ	شاوي	
ɣer-c	لك	مزابي	إبدال □□□□ □□□□□ مقارنة باللهجة القبائلية
lebrik	الإبريق	مزابي	إبدال □□□□ □□□□□ مقارنة باللهجة القبائلية
tagaẓit	الدجاجة	شاوي	إبدال □□□□ □□□□□ مقارنة باللهجة القبائلية
taslet	العروس	مزابي	إبدال □□□□□ □□□□□□ في الكلمة بالسكون مقارنة باللهجة القبائلية
tislit	العروس	قبائلي	
tǧerbit	الزربية	مزابي	إبدال □□□□ □□□□□ مقارنة باللهجة القبائلية
tazeɣzawt	نخلة	مزابي	إبدال □□□ **g** □□□□□ **ɣ** مقارنة باللهجة القبائلية
tɣurḍam	عقربان	شاوي	إبدال □□□□ □□□□□ مقارنة باللهجة القبائلية.
tezddayin	النخيل	مزابي	إبدال □□□□ □□□□□ مقارنة باللهجة القبائلية
nečči	أنا	مزابي	إبدال □□□□ □ □□ مقارنة باللهجة القبائلية
cem	أنت	شاوي	إبدال □□□□ □□□□□ مقارنة باللهجة القبائلية

من خلال الجدول (رقم20) يتضح لنا أن هذه التغيرات الصوتية هي نتيجة التنوع الجغرافي لكل منطقة، فالتغيير تعدى النظام الصوتي المشترك بين لهجات اللغة المازيغية، ليشمل اللهجة الواحدة مقارنة بلهجة أخرى، نتيجة الشفوية .

□□□□□:

يتضح مما سبق ان اللغة المازيغية رغم تعقيداتها وتنوعاتها الصوتية واللفظية والدلالية، إلا انها تشتمل على وحدة لغوية بالرغم من التنوع البيئي والتباعد الجغرافي بين لهجاتها، مما جعلها تتقارب بسبب وحدتها الثقافية والبنيوية، وكذا حفاظها على أصالة لهجاتها بالرغم من منازعات لغات أخرى لها، ويتضح أيضا ان لكل لهجة من اللهجات، خاصية تميزها عن اللهجة الأخرى كالاختلاف الذي رأيناه من الجانب الصوتي بين اللهجات وبين اللهجة الواحدة.

بلد البحر تحقيق للتعايش اللغوي أو تحقيق للغة التعايش

د. صحرة دحمان
جامعة الجزائر2 – أبو القاسم سعد الله
saradhmn@gmail.com

نصّ المداخلة

تقديم:

تشكّل قضايا الهويات واللغات في المجتمعات العربية وغير العربية مادة مهمّة يمكن للباحثين استغلالها من أجل إيجاد حلول للمشكلات النّاجمة عن تلك القضايا، خاصة تلك المجتمعات التي عانت من ويلات الاستعمار الذي أسهم إسهاما مباشرا في تخلّفها وتشظي هوياتها واللجوء إلى استعمال لغات غير لغاتها الأصلية في التّعليم والاقتصاد والحياة اليومية؛ فأحدث شرخا كبيرا في تاريخها الثّقافي فوجدت نفسها عاجزة عن إدارة مشكلاتها بسبب الهوة التي كبرت مع الأيام والسّنين بين الشّعوب التي تعرّضت للهيمنة الاستعمارية ولغاتها. غير أنّ بعض الدّول استطاعت أن تتجاوز معيقات كثيرة فانتقلت من الفقر إلى الغنى، ومن المحلية إلى العالمية، ومن التّخلف إلى التّقدّم والازدهار، ومن ضيق الطائفية إلى رحابة الفكر والحريات الفردية، ومن التّفرّد اللغوي إلى التّعدّد اللغوي الذي فرض نفسه كحل جوهري في عدد من البلدان التي تعرّضت إلى سيطرة استعمارية.

"تيماسيك" أو **بلد البحر** التي أصبحت تعرف **بسنغافورة** أي "مدينة الأسد" في السّنسكريتية[1]، هذا البلد الأسطوري الذي يحكي قصة كفاح

ونجاح فريدة وباهرة، يفتك طلبته في السّنوات الأخيرة المراتب الأولى عالميا في الرياضيات والفيزياء والعلوم والقراءة.

سنغافورة التي لا تزيد مساحتها عن 692.7 كيلو متر مربع تمكّنت من الانتقال من مجرّد مستعمرة متخلّفة إلى دولة تملك واحدا من أرقى أنظمة التّعليم في العالم، استطاعت بفضله تكوين كفاءات وخبرات أسهمت إسهاما واضحا في بناء اقتصادها، على الرّغم من التّنوعات العرقية والدينية واللغوية.

هناك أسئلة كثيرة طرحت نفسها عليّ بإلحاح وأنا أقرأ عن سنغافورة وعن إنجازاتها اللافتة للاهتمام بعد استقلالها سنة 1965 في جميع المجالات؛ لكنّ التّركيز على أهمها كان ضرورة منهجية ملحّة. لذلك انصَب اهتمامي على الأسئلة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية، تشكّل معظلة حقيقية في عدد من دول العالم بوجه عام والدّول العربية والإفريقية بوجه خاص، هي قضية التّعدّد اللساني وما يثيره من حروب لغويّة ونعرات طائفيّة وتصادمات عرقية. لذلك وقفت على هذه الأسئلة:

1. كيف تمكّنت سنغافورة من تحقيق الانتصارات على جميع الأصعدة في ظرف قياسي؟ مع العلم أنّ دولا كثيرة – ومنها الجزائر على الرّغم من امتلاكها للثروات المادية والبشرية – لم تتمكن من تحقيق الشّيء نفسه.

2. ما هي الاستراتيجية التي تبنتها دولة سنغافورة **لتحقيق التّعايش اللغوي**، والتي يمكن للجزائر الاستفادة منها؟

3. ما هي الخطوات الرئيسة لتجاوز المشكلات التي يطرحها موضوع التّعدّد اللساني؟

نشير قبل البدء في تناول مباحث هذه الدراسة إلى وجود أسئلة أخرى مهمة لها علاقة بموضوع هذه الدّراسة؛ لكنّني حاولت قدر الإمكان أن التزم بالإجابة عن إشكالية رئيسة تمثّلت في البحث عن آليات وسبل تحقيق

التّعايش اللغوي من خــلال تجربــة ســنغافورة. وقــد ارتــبط بهــذه الإشــكالية سؤال فرعي، بدا لي أنّه ضروري جدّا وهــو: هــل تحقيــق **التّعــايش اللغــوي** كان مرهونا بما سميته **بلغة التّعايش؟**

وقد اقتضت الإجابة عن إشكالية الدّراسة جملة مــن المباحــث تمثّلــت فيمــا يلي:

1. سنغافورة والتّعدّد العرقي والديني
2. سنغافورة والتّعدد اللغوي
3. التّعايش اللغوي ولغة التّعايش في سنغافورة
4. الدّروس المستفادة من تجربة سنغافورة

وقد استندت في دراستي إلى مصدرين أساسيين من تــأليف **لــي كــوان يــو** *Lee Kuan Yew* الأب المؤسس لدولة سنغافورة هما:

1. «قصّة سنغافورة مذكرات لي كوان يو»، ترجمة هشام الدّجاني.
2. «مــن العــالم الثّالــث إلــى الأول قصّــة ســنغافورة 1965 – 2000» ترجمة معين الإمام.

1. سنغافورة والتّعدّد العرقي والديني:

سنغافورة الدّولة – المدينة كمــا يُطلَــق عليهــا، لا تمثّــل إلاّ نقطــة بســيطة في خريطة العالم، تجعلك تتوقف للتّفكير وإعــادة التّفكيــر؛ لأنّهــا بكــل بســاطة دولة صغيرة في حجمها كبيرة وعظيمة في إنجازاتهــا. مدينــة تضــم طوائــف ومجموعات عرقية متباينة، فسكانُها البالغ عددهم حــوالي ســتة ملايــين نســمة حاليا، يتعايشون وهم يختلفون في أصولهم وانتماءاتهم وأديانهم ولغاتهم.

لذلك لن يكون الحديث عن التّعــدّد العرقــي فــي ســنغافورة مجــرّد حــديث عن التّعدّد بمفهومه الضّيّق والمعتاد؛ لأنّ دولا كثيــرة تعــرف الظّــاهرة؛ ذلــك أنّ ما يميّــز هــذه **الدولــة المدينــة** أو **«طفلــة الشّــرق الأقصــى»** أو **«جنــة التّسوق»** لتعدّد أسواقها وبضــائعها وتنــوّع مصــدرها مــن إيرانيــة وتركيــة

وصينية وهندية وماليزية، هو أنّها جمعت في الماضي ولازالت تجمع بداخلها أعراقا متعدّدة الثّقافات وتحتضنها[2] بشكل مثير للانتباه لأنّها بلد كوزموبوليتاني[3]. كما أنّها رغم التّعدّد العرقي والدّيني قفزت قفزة نوعية من دولة تنتمي إلى العالم الثّالث إلى دولة تنتمي إلى العالم الأوّل وهي تقع على جزيرة رملية تفتقر إلى الموارد الطّبيعية.

يتقاسمُ سكان سنغافورة جزيرتَهم الصّغيرة التي تعجّ بالسيّاح دون أن يزعجهم تعدّد الأعراق واللغات والدّيانات أو أن يكون عائقا في مسيرتهم فقد بلغ عددهم "أكثر من مليون نسمة في خمسينات القرن العشرين (يزيد العدد حاليا عن ثلاثة ملايين[1]) 75,4% منهم **صينيون**، و13,6% **ملاويون (من ماليزيا)**، 8,6% **هنود**"[4] والنّسبة المتبقية تمثّلها **جنسيات مختلفة** أوربية وآسيوية وغيرهما.

ويتبع هذا التّعدد العرقي في المجتمع السّنغافوري تعدّد في الأديان والاعتقادات، وهو ما يجعل هذا البلد مركزا لاختلاف الثّقافات واحترام الأديان والتّعايش في انسجام رغم التّباين. وتعدّ سنغافورة دولة علمانية لا تعترف بدين رسمي؛ لأنّها تضم عدّة ديانات أبرزها: البوذية والطّاوية والإسلام والمسيحية والهندوسية[5]. ومعظم المسلمين الذين يعيشون في سنغافورة من أبناء الملايو، ونسبة منهم هم من الهنود والعرب الذين هاجروا إلى منطقة جنوب شرق آسيا، كما يوجد بعض العلمانيين. لذلك لا يغلب على سنغافورة مشهد واحد، لانتشار دور العبادة المختلفة الدّيانات حيث يعيش السّنغافوريون محترمين معتقدات بعضهم البعض .

إنّ ما يبدو عاديا للعالم وللمواطنين السّنغافوريين أنفسهم في الوقت الرّاهن لم يكن كذلك في خمسينات القرن الماضي وبداية ستيناته.

---

[1] في سنة 1998، حسب ما جاء في التّمهيد الذي كتبه هنري كيسنجر في كتاب قصّة سنغافورة لـ **لي كوان**.

فسنغافورة التي تعيش رخاء اقتصاديا و**تناغما طائفيا وتعايشا لغويا** لم تكن لتعيش ما تعيشه لولا سياسة الحكومة السّنغافورية برئاسة رئيس الوزراء ***لي كوان يو*** الذي قاد النّهضة في سنغافورة من سنة 1959 إلى 1990 ولا يزال أثر سياسته إلى يوم النّاس هذا. وما كان لهذا الرّجل أن يحقق ما حققه لولا رجال آمنوا بأفكاره وساروا على نهجه، ومواطنين أسهموا في نهضة بلدهم بالعمل الجادّ.

وبفضل رؤية **لي كوان** الثّاقبة لقضايا العالم ومشكلات سنغافورة التي تنوّعت (انعدام الموارد، الطوائف والتّعدّد العرقي، البطالة...)، تمكّن من إيجاد الحلول الملائمة لتلك المشكلات؛ لهذا قال عنه روبرت مردوخ[2] : "قبل أكثر من أربعين سنة، حوّل *لي كوان يو* مستعمرة صغيرة وفقيرة وعاجزة، إلى حاضرة متلألئة وغنية وحديثة- لكن مطوّقة على الدّوام بقوى معادية. يعدّ لي كوان يو، بذكائه المتوقد، وفكره الثّاقب، واحدا من أعظم رجالات الدّولة في العالم وأشدّهم صراحة، وأكثر من حظي منهم بالتّوقير والاحترام"[6].

فكّر لي كوان بطريقة مخالفة لمن هم حوله من جيرانه، وبَدَل أن تصبح سنغافورة تابعة لجارتها الأكثر قوة، عمل على تحويلها إلى دولة قوية غير تابعة لأيّ أحد، وكان ذلك ناتجا عن تفكيره الإبداعي الذي جعله يحوّل الرّمل إلى ذهب. وكما قال *هنري كيسنجر*[7]:

"كلّ إنجاز عظيم يكون حلما خياليا قبل أن يصبح واقعا، وكانت رؤيته تتمثّل في إقامة دولة لا تقدر على البقاء فقط، بل تسود وتفوز وتتفوق. ولسوف يُعوِّض التّفوّق في الذّكاء، والانضباط والإبداع، عن غيّاب الموارد. دعا *لي كوان يو* مواطنيه إلى أداء واجب ما عهدوه قبلا: أولا

[2] رئيس المديرين التّنفيذيين في نيوز كوربويشن وكبيرهم.

تنظيف مدينتهم، ثمّ تكريسها لمغالبة مشاعر العداء التي أظهرها جيرانهم في البداية، إضافة إلى طوائفهم الإثنية، بواسطة الأداء المتفوّق"[8].

فكانت دعوة لي كوان إلى تجاوز الخلافات الطّائفية ومغالبة مشاعر العداء بداية للقضاء على العقبات ووضع اليد على الجروح من أجل معالجة مشكلات سنغافورة الاجتماعية والاقتصادية والطّائفية واللغوية... لذلك عمل ***لي كوان*** عملا دؤوبا ومتواصلا للقضاء على تلك الاضطرابات باتّخاذ سياسة توكَأتْ على عدم التّعصب لطائفة معينة أو أصل معيّن أو لغة على حساب لغة أخرى، ثمّ قام بتجسيد ذلك على أرض الواقع بنشر الوعي بمصير مشترك بين المواطنين جميعا ودون استثناء لبناء دولة موحّدة تذوب فيها كلّ الخلافات دون تهميش لأيّ جماعة أو عرق أو دين. وما ساعده على تنفيذ إستراتيجيته هو **تكوّن حس جماعي لدى مواطنيه** واستجابتهم بشكل سريع وفعّال، حيث جعلوا مصلحة سنغافورة فوق كلّ اعتبار. وفي هذا السّياق قال ***سيدهي سافيتسيل***[3] عن لي كوان: إنّ "كيفية تحويل الأزمة إلى عبرة مفيدة تُميّز رجل الدّولة القادر والاستثنائي عن نظيره العادي. قصّة سنغافورة تعكس حياة هذا الزّعيم العظيم ورؤيته الثّاقبة"[9].

وإذا ما وجّهنا النّظر إلى ما يحصل في بلدان العالم الثّالث بوجه عام والعالم العربي بوجه خاص وجدنا ممارسات أخرى وفكرا آخر سائدًا في مجتمعات تلك البلدان؛ حيث يتم "الانتقال من التّعصّب لدين أو مذهب إلى التّعصّب للجماعة التي تتبعه، [وهو ما يجعل العنصر الروحاني يتراجع ذلك أنّه] على الرّغم من كون الطائفية انقساما اجتماعيا بموجب التّبعية لديانات ومذاهب روحية، فإنّ ولاءها للجماعة يقترب بها من ديانة دنيوية

---

[3] وزير خارجية تايلند (1908 – 1990).

حتى لو كان أساسها الإيمان بديانة روحية سواء أكان في زعامتها رجال دين أم علمانيون، فإذا سيقت الطائفية إلى نهاياتها المعاصرة، نجد أنّ المقدّس فيها هو الجماعة وليس المذهب"[10]؛ وهذا ما يجرّ تلك الجماعات والطّوائف إلى التّناحر والتّصارع؛ لأنّ فكرة التّبعية إلى مذهب أو طائفة يكتنفها الغموض بالنسبة إلى الشّخص المنتمي إلى هذا المذهب أو ذاك؛ ذلك أنّه لم يع الحدود التي تحدّ هذا الانتماء، فحريته تتوقف عندما تبدأ حرية الآخرين.

2. سنغافورة والتّعدد اللغوي:

التّعدّد اللغوي هو نتيجة حتمية لتعدّد الأعراق والأجناس، فالتّعدّد هو سمة بارزة في المجتمع السّنغافوري؛ حيث يؤكّد لي كوان في مذكّراته أنّ سنغافورة لم تعرف أبدا تفرّدا لغويا سواء أ كان ذلك في عهد الاحتلال البريطاني أم بعده. فقد منحت بريطانيا السّكان الأصليين حرية اختيار اللغات لتدريس أبنائهم. وبموازاة ذلك فتحت عددا محدودا من المدارس التي تعلّم بالإنكليزية لتعليم بعض الطلاب لسدّ احتياجات الإدارة البريطانية في سنغافورة من موظفين وأمناء مستودعات وغير ذلك[11]. وهو حال الكيانات الاستعمارية التي لا يهمّها سوى خدمة مصالحها، وهو ما فعله الاستدمار الفرنسي في الجزائر حينما منح فرصًا لبعض الجزائريين للتّعليم من أجل خدمة مصالح الإدارة الفرنسية.

عرفت سنغافورة ولازالت تعرف أربعَ لغات أساسية ورسمية وهي: الملاوية لغة الماليزيين والصّينية (الماندرين) لغة الصّينيين والتّاميلية لغة الهنود والانجليزية التي تمثّل أثرا من آثار الاحتلال البريطاني.

تتقاسم اللغات المذكورة واقع الممارسة اللغوية في سنغافورة، ويمكن تصنيف الاستعمالات اللغوية[12] كما يلي:

1. عدد كبير من الأفراد لا يتحدثون إلاّ باللهجات المحكية (لغة الهوكين).

2. يستعمل الصّينيون لهجة أو أكثر (قد تصل إلى سبع لهجات) في بيئاتهم وبيوتهم، فضلا عن تعلّمهم للغة الماندرين وهي لغة الصّين الشّمالية، واللغة الانجليزية في المدرسة دون استعمالهما في الحياة الأسرية.

3. يستخدم الماليزيون اللغة الملاوية، وهم يمثّلون المرتبة الثّانية بعد الصّينيين وقد اعتُبرت اللغة الملاوية لغة وطنية ابتداء من سنة 1959 وهي السّنة التي تمّ فيها تشكيل الحكومة السّنغافورية، وذلك تمهيدا للاندماج مع الملايو[13].

4. يستعمل الهنود إحدى اللغات الهندية وهي اللغة التّاميلية، وهم يمثّلون نسبة معتبرة من سكان سنغافورة.

5. تستعمل اللغة الإنجليزية للمكاتبات الحكومية وتعتبر اللغة الرئيسة الأولى في المدارس والكليات.

6. تستعمل اللغات الأربع في وسائل الإعلام، في الصحافة المكتوبة اليومية الرسمية، كما تُبَث برامج التّلفاز والإذاعة باللغات الأربع.

3. **التّعايش اللغوي ولغة التّعايش في سنغافورة:**

كانت مسألة **التّدبير اللغوي** مسألة حياة أو موت يتوقف عليها مصير سنغافورة ومستقبلها، لذلك حرصت حكومة سنغافورة بقيادة *لي كوان* على اختيار **لغة مشتركة** تجمع السّنغافوريين. فضلا عن حرصها على عدم تهميش أيّة لغة من لغات الأجناس الذين يشكّلون المجتمع السّنغافوري: الماليزيون ولغتهم الملاوية والصّينيون ولغتهم الصينية (الماندرين) والهنود ولغتهم التّاميلية . وتمثّلت التّدابير[14] في ما يأتي:

1. اختيار الانجليزية لغة مشتركة ولغة العمل لعدّة أسباب وعوامل نلخّصها في أهمها:

- أنّ اللغة الانجليزية ستفتح لسنغافورة المجال للتطوّر والنّمو، لأنّها مجتمع تجاري دولي؛ حيث استخدم القائمون على الحكومة مبدأ براغماتيًا (نفعي)، مدركين أهمية اختيار لغة تكسب لهم الرّزق وتعينهم على اعتلاء مكانة بين المجتمعات، كما تكون سببا لنهضتهم.

- ما كان لسنغافورة أنّ تحقق ما حقّقته لو أنّها استخدمت الملاوية أو الصّينية أو التّاميليةّ؛ ذلك أنّ تحقيق سبل التّعايش اللّغويّ الدّائم كان هدفا من الأهداف التي سعت الحكومة إلى الوصول إليها، ولكن لم يكن ذلك أبدا على حساب مصلحة العباد والبلاد.

- أنّ اختيار الانجليزية كان وراءه دافع قوي جدّا وهو ردع أيّ صِدام بين الأعراق والأجناس التي تشكّل المجتمع السّنغافوري؛ قال لي كوان في هذا الشّأن: "عند استخدام الانجليزية [لغة العمل واللغة المشتركة] **لن يكون لأي عرق ميزة تفضّله على الأعراق الأخرى**"[15]، وعليه سيقبل السّنغافوريون بهذا القرار؛ لأنّهم لن يشعروا بالظّلم أو التّهميش.

- أنّ اللجوء إلى فرض اللغة الانجليزية بوصفها لغة مشتركة كان ضرورة اقتضتها ظروف المجتمع السّنغافوري الذي كان يفتقد لوجود رابط لغوي وهو ما عبّر عنه لي كوان قائلا: "الحاجة إلى لغة مشتركة تبدت بكلّ جلاء في القوات المسلّحة السّنغافورية فقد أرهقنا عبء مجموعة من اللهجات واللغات، وواجهنا احتمال الذّهاب إلى ساحة المعركة دون أن نتفاهم مع بعضنا بعضا باستخدام أيّا من اللغات الرّسمية الأربع"[16].

كان السّبيل إلى تحقيق **التّعايش اللغوي في سنغافورة** محفوفا بالمخاطر واندلاع الخلافات حول المسألة اللغوية. لذلك انتهج لي كوان يو سياسة لغوية قامت على لغة خاصة وأسلوب سلس في التّعامل مع قضية

اللغات؛ لأنّها قضية كان يمكن أن تكون قنبلة موقوتة تنفجر في أيّ وقت ولم يكن **كوان لي** -كما ذكر في مذكراته- "راغبا باندلاع جدل خلافي حول اللغة"[17]. ولئن واجه تحقيق التّعايش اللغوي معيقات وحواجز بسبب التّعدّد العرقي واللغوي المصاحَب بقناعات بعض الفئات من السّنغافوريين الذين لم يرغبوا في الخضوع لقرارات رئيس الوزراء كوان لي، فإنّ **لغة التّعايش** كانت أكثر أهمية؛ لأنّها كانت السّبيل المؤدي إلى تحقيق التّعايش. والتي تمثّلت في معرفة مواطن القوة والضّعف واستغلال السّلطة باتّخاذ القرارات التي يتبعها تنفيذ مباشر بخطوات معلومة ومدروسة.

لجأ لي كوان إلى سياسة قامت على وعي كبير بالمجتمع السّنغافوري وبمتطلباته التي فرضت عليه عدم التّسرّع والتّريث حينا، والحزم والجزم في أحيان أخرى. وقد تجسّدت سياسته في ما يأتي:

- عدم فرض الانجليزية كلغة مشتركة على السّنغافوريين بشكل فوري، ولكن بشكل تدريجي.
- إدخال اللغات الثّلاث: الملاوية والصّينية، والتّاميلية في المدارس التي تستعمل الانجليزية.
- إضافة منهاج تعليم اللغة الانجليزية في المدارس الصّينية والملاوية والتّاميلية.
- منع طلب غرفة التّجارة الصّينية الموجّه إلى الحكومة السّنغافورية والمتمثّل في ضمان **وضع خاص للغة الصّينية** بجعلها **أعلى مكانة** من اللغات الأخرى واعتبارها واحدة من اللغات الرّسمية في سنغافورة. وقد رُفض هذا الطّلب على الرّغم من أنّ اللغة الصّينية يستعملها أكثر من 80% من سكان سنغافورة، وكان ردّ فعل الحكومة على هذا الطّلب ناتجا عن وعي تام بأنّ الاستجابة له ستؤدي إلى تأجيج الصّراع ودفع الجنسيات الأخرى للمطالبة بالأمر نفسه. كما كان نابعا عن قدرة كبيرة على فهم

إكراهات الواقع السّنغافوري وتفاصيله وإيجاد الحلول المناسبة في الوقت المناسب للإنقاص من حدّة **القضية اللغوية** التي من المؤكّد أنّها كانت ستعيق مسيرة سنغافورة إن تركت الأمور دون إدارة وتوجيه بما يتوافق ووضع البلاد في ذلك الزّمان.

– منع بعض ممثلي الصّينيين من **استغلال اللغة الصّينية كقضية سياسية** تفتح المجال لقضايا مشابهة.

وهذا ما دفع *لي كوان* في أكتوبر 1965 بأنّ يعيد تأكيد أنّ اللغات الأربعة كلّها هي لغات رئيسة ورسمية ومتساوية في سنغافورة[18] ولا مجال لاعتبار أيّ واحدة أحسن من الأخرى.

– تحويل لغة التّدريس من الصّينية إلى الانجليزية في «جامعة نانتاه»، وعلى الرّغم من الوضع السّيئ الذي وصلت إليه الجامعة سنة 1978 بسبب هذا التّحوّل، كان هناك إصرار كبير على مواصلة تنفيذ القرار. وقد اتّخذ ***كوان يو*** قرارا آخر لإنقاذ الجامعة والطّلبة عن طريق إقناع "مجلس الجامعة وأعضاء المجلس الأعلى بنقل الجامعة برمتها – بأساتذتها وطلابها – إلى مباني جامعة سنغافورة. [وهذا الإجراء] سوف يجبر الأساتذة والطّلاب معا على استخدام الانجليزية، ويصبحون جزءا من عدد أكبر من الأساتذة والطّلاب النّاطقين بالانجليزية في مبناها في بوكيت تيماه"[19].

– وصاحب الإجراء السّابق ترتيبات عملية، كتولي "أساتذة جامعة سنغافورة تدريس معظم المناهج حتى يحسّن أساتذة "نانتاه" طلاقتهم في الانجليزية"[20]. وإجراءات كثيرة أخرى لا يسع هذا المقال لذكرها والتّطرّق إليها.

4. الدّروس المستفادة من تجربة سنغافورة:

تشترك الجزائر وسنغافورة في عدّة أمور كتعـرّض البلـدين إلـى الاحـتلال والغزو، حيث تعرّضت سـنغافورة فـي تاريخهـا للغـزو اليابـاني والاحـتلال البريطاني، وكانت مركـزا للصّـراعات العرقيـة. وتعرّضـت الجزائـر فـي تاريخها أيضا للهيمنة الرومانيـة وهيمنـة الونـدال والبـزنطيين. وكـان أبشـع غزو واحـتلال هـو الاسـتدمار الفرنسـي الـذي حـاول أن يطمـس الهويـة الجزائرية. كمـا أنّ موقـع البلـدين الاسـتراتيجي أسـهم إسـهاما كبيـرا فـي جعلهما مطمعا لدول كثيرة.

وتجب الإشارة إلى أنّ تحقيـق التّعـايش اللغـوي فـي المجتمـع الجزائـري ليس بالأمر الصّعب خاصّة مع وجـود تجـارب لـبعض الـدّول التـي يمكـن للجزائر أن تسترشد بها وتستفيد منهـا، كتجربـة سـنغافورة التـي تعـدّ دولـة رائدة في هذا المجال؛ حيث انتقلت من العالم الثّالـث إلـى العـالم الأول بفضـل إدارتها لتفاصيل القضـية اللغويـة وإرادة ساسـتها وشـعبها وتقـبّلهم للتغييـر الذي أسهم في نهضة سـنغافورة وشـعبها وهـو مـا تناولنـاه فـي السّـطور السّابقة.

فما الذي نستفيده من تجربة سنغافورة؟

أولا: لابد مـن إرادة سياسـية تـؤمن بـالتّغيير وتجعـل التّعـايش اللغـوي حقيقة، وإن كنّا نرى أنّه لا مجال للمقارنة بين الجزائـر وسـنغافورة فـي عـدّة نقاط وهي:

1. التّعدّد العرقي والدّيني في سنغافورة سمة بـارزة، حيـث يوجـد أكثـر من أربعة أجناس وأكثر من ستٍّ ديانات، وهذا التّعـدّد لـيس سـمة بـارزة فـي المجتمـع الجزائـري إذ يتشـارك الأمـازيغ والعـرب المجـال الجغرافـي الجزائري، إذ يتمركز الأمازيغ فـي بعـض المنـاطق بشـكل كبيـر ويتمركـز

العرب في بعضها الآخر ولكن دون وجود حدود فاصلة بينهما، خاصّة مع التّزاوج والتّصاهر بين ذوي الأصول الأمازيغية وذوي الأصول العربية.

2. الإسلام هو دين غالبية الشّعب الجزائري، وهو جزء لا يتجزأ من الهوية الاجتماعية والثقافية للجزائريين. وإن كانت لا توجد إحصاءات دقيقة تبيّن نسبة الديانات فإنّ حوالي 97% من الجزائريين تدين بالدّين الإسلامي. كما أنّ "الإسلام هو دين الدولة" في الدستور الجزائري.

3. بالنّسبة للغات توجد لغتان رسميتان بإقرار الدستور الجزائري وهما العربية والأمازيغية، بعد التّعديل الدستوري الجديد المؤرّخ في 06 مارس 2016، والقاضي في مادّته الرّابعة بأنّ "تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة".

4. الفرنسية لغة أجنبية أولى في المدرسة، ولكّنها تتبوأ مكانة هامة بحكم استعمالها في التّخصصات العلمية في الجامعة، فضلا عن استعمالها في إدارات البنوك والتجارة والمال والأعمال.

لذلك فإنّ ما نستخلصه من تجربة سنغافورة هو أنّ الجزائر لا تحتاج إلاّ لسياسية لغوية يتبعها تخطيط لغوي، ثمّ تنفيذ على أرض الواقع. فالمجتمع الجزائري تعايشت فيه المازيغية والعربية لقرون. وإنّ ما حصل في المجتمع الجزائري كان نتيجة وأثر من آثار الاستعمار الفرنسي. لذلك لابد من:

- الاستمرار في تعريب العلوم والتّكنولوجيا، من أجل الوصول إلى تعريب الجامعة الجزائرية.
- الفصل في قضية اللغة الأمازيغية بتقعيدها واختيار الخط لهذه اللغة بما يتوافق والمجتمع الجزائري.
- الاستمرار في ترجمة المصطلح العلمي ويمكن الاستفادة من اللغتين العربية والمازيغية في سد حاجيات المصطلح.

- تأكيد أمر تعليم اللغات الأجنبية لأنّها تجعل الباحثين ينفتحون على الإنتاج العلمي والثّقافي العالمي، خاصّة ما يدفع بعجلة التنمية والتّطوّر.

- الاهتمام بالإنسان الجزائري، لأنّه يمثّل الثّروة الحقيقية.

ولن يحصل ذلك إذا لم تتوفر إرادة سياسية تتخذ القرارات المناسبة وتقوم بتنفيذها على أرض الواقع، فالجزائر تحتاج اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، إلى تطبيق القرارات بحزم ولين وهو ما فعلته سنغافورة التي تتصدّر العالم اليوم في جميع المجالات. فكثير من القرارات هي حبيسة الدساتير. لذلك فإنّ المشكلات الناجمة عن التعدّد اللغوي ليست مرتبطة ارتباطا مباشرا بتواجد عدّة لغات في المجتمع الجزائري، بل هي مرتبطة بعدم وضع **تدبير لغوي ملائم للمجتمع ومؤسساته**. وهو ما تمكّنت دولة بحجم سنغافورة من فعله في زمن قياسي.

الإحالات والهوامش:

---

[1]. ينظر تاريخ سنغافورة، الموقع: https://www.marefa.org بتاريخ: 09 سبتمبر 2018.

[2]. **سنغافورة.. طفلة الشّرق وجنة التّسوق**، جريدة الشّرق الأوسط، ع/1612558، أبريل 2013 الموقع: http://archive.aawsat.com/details.asp?section=41&article.

[3]. أطلق هذا المصطلح على مدن وعواصم عالمية، بل وحتى على أشخاص على مرّ التّاريخ، ليدل على تعدّد الثّقافات ومدى الانفتاح على العالم، فقد أطلق على الفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي لتعدّد مجالات بحثه. للاستزادة ينظر: جون توملينسون، العولمة والثّقافة تجربتنا الاجتماعية عبر الزّمان والمكان، تر: إيهاب عبد الرّحيم محمّد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2008، ص.242 وما بعدها.

[4]. لي كوان يو، **من العالم الثّالث إلى العالم الأول قصّة سنغافورة 1965 – 2000**، تر: معين الإمام، مكتبة العبيكان، ط/2، الرياض – المملكة العربية السعودية، 2007، ص.20.

[5]. ينظر: https://www.mofa.gov.ae/UAEMission/Embassy/سنغافورة بتاريخ: 09 سبتمبر 2018.

[6]. لي كوان يو، **من العالم الثّالث إلى العالم الأول قصّة سنغافورة**، ص.3.

[7]. أحد ألمع السّياسيين الأمريكيين، ومهندس السّياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيسين ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد، كما كان مستشاراً في السّياسة الخارجية في إدارتي كل من الرئيسين كينيدي وجونسون . تخرج من جامعة هارفرد (درجة البكالوريوس، والماجستير والدكتوراه).

ولد عام 1923 في مدينة فورث الألمانية لأسرة يهودية هاجرت بسبب الاضطهاد النازي في عام 1938 إلى الولايات المتحدة الأمريكية. حيث خدم كيسنجر خلال فترة الحرب العالمية الثّانية (1939–1945) في الجيش الأمريكي، وحصل في العام 1943 على الجنسية الأمريكية. للاستزادة ينظر: عبد الحميد العيد المساوي، «**كتاب هنري كيسنجر، النّظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التّاريخ**»، مجلّة تكريت للعلوم السّياسية، مج/3، ع/6، 2016، ص.165 وما بعدها.

[8]. لي كوان يو، **من العالم الثّالث إلى العالم الأول قصّة سنغافورة 1965 – 2000**، ص.21.

[9]. المصدر نفسه، عنصر حول المؤلف ومذكراته.

[10]. عزمي بشارة، «**المسألة الطّائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير**»، مجلّة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، فصلية محكّمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات ع/11، مج/3، 2010، ص.10.

[11]. ينظر: لي كوان يو، **من العالم الثّالث إلى العالم الأول قصّة سنغافورة**، ص.196.

[12]. استخلصنا ذلك من مذكرات لي كوان: **من العالم الثّالث إلى العالم الأول قصّة سنغافورة** ص.197 وما بعدها.

[13]. ينظر المصدر نفسه، ص.196.

[14]. استخلصنا هذه التّدابير من مذكرات لي كوان، **من العالم الثّالث إلى العالم الأول قصّة سنغافورة**، ص.196 وما بعدها.

[15]. لي كوان يو، **من العالم الثّالث إلى العالم الأول قصّة سنغافورة**، ص.196.

[16]. المصدر نفسه، ص.196.

[17]. المصدر نفسه، ص.197.

[18]. المصدر نفسه، ص.197.

[19]. المصدر نفسه، 202.

[20]. المصدر نفسه، 202.

بنو مزاب بالعاصمة بين التنوع اللغـوي والانسجام الاجتماعي: 1514ـ1830م

أ. أحمد بن داود امعيز الحاج أحمد
جامعة الجزائر
bendaoudahmed95@gmail.com

مقــدمة :

إن الناظر في أحوال الأمم والمجتمعات حول العالم يجد شيئا عجــبا من التنوع والاختلاف في شتى المناحي ومختلف الأوجــه، وقــــد زادت وســائل الإعــلام والاتصال – بما يسرته من ظروف الاطلاع – من فرص التعــرّف علـــى ذلــك الزخم الذي قــدّر الله تعالى أن يكون إحدى آياته تماما كما أية آيــة أخــرى ممــا خلــــــق، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾(سورة الروم: الآية 22)، دفعا منه لعــباده لأن يتفكــروا فـــــيها ويجــعــلوها طريقا موصلة إليه وليعــلموا أن ذلك التنوع والاختلاف هــو ممــا اقتضـــته مشـــيئته وحكمتـــه ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (سورة هود: الآية 118).

وبالنظر في بعــض صفحـــات التاريخ والتأمل في بعض أطواره نتأكّــد أن الأمم المزدهــرة هي تلكم المستــفــيدة من هــذا الزخم المتنوّع والمعــتبرة إيـــاه مغــنما، فهاهم الأروبيون قــد التجـــؤوا حين نهضـــتهم إلـــى ترجمـــة كتـــب المسلمين والاستفادة من علومهم وآدابهم وحتى فــلسفـــتهم في الحياة والاجتمـــاع فكان لهم ما كان من النهضة.

وإذا كانت الأمة المسلمة لها من مقومات التنوع ودعائم الانسجام ما يمكّنها من أن تتبوّأ المكانة السامقة بين الأمم في العالم فإن الجزائر لا تحظى بأقلّ من غيرها في هذا المضمار متى سعت بوعي وجدّ لحسن استغلال ما تزخر وتحظى به، على أن إقرار اللغة المازيغية لغة وطنية ورسمية في التعديل الدستوري المؤرخ في 06 مارس 2016م يعبّر بوضوح وجلاء عن تلك الإرادة الرامية إلى تكريس مفهوم الاختلاف المثمر والتنوع الإيجابي وفتح المجال للانسجام والتعايش المنبني على الاستثمار الأمثل لذلك الثراء والذي سينتج عنه لا محالة رقي مستمر وتطور منشود .

وكي نتبيّن أوجه التنوع وأسس الانسجام وكذا نتائجه وثماره سنتطرّق من خلال هذه الورقة إلى عرض نموذج نسعى من خلاله لرؤية واقع التعايش بالعاصمة خلال الفترة العثمانية التي اتّسمت بتداول عدّة لغات ولهجات ومنه عدّة أنماط اجتماعية وثقافية ذلك النموذج محل الدراسة هو وجود المزابيين بالعاصمة.

نتطرق أولا إلى التعريف بالمزابيين و وادي مزاب ونوضّح بعض خصائصهم ثم نعرّج على لمحة نتبيّن من خلالها تاريخ بدء تغرّبهم إلى المدن الشمالية والدواعي الدافعة إلى ذلك، وأهم المدن التي كانت وجهة لتنقّلهم وهجرتهم ثم نحاول في المحور الثاني التعرّض لتحديد مفهومي التعدد اللغوي والانسجام الاجتماعي وإسقاطهما على النموذج المختار، فنبدأ بتحديد مفهوم التنوّع اللغوي لننتقل بعدها لنرى بعض تجلّيات تنوع المزابيين لغويا ضمن نطاق الدراسة، ولكي تكتمل أهمية الموضوع المعروض نحاول بسط أهم أسس الانسجام الاجتماعي ودعائمه وكذا نتائجه وثماره، وسنجمل في الأخير بعض النتائج والتوصيات التي نرى أنها زبدة ما خلصنا إليه علّها تكون من وسائل تثمين التنوع ودعم الانسجام في هذا الوطن العزيز الذي لا ينقصه شيء من مقومات ذلك.

ونحن إذ نتطرّق إلى إثارة هــذا الموضــوع نعـــلم أنّ صعـــوبات جمّــة ستــنتصب أمامنا فالكــتابات والتوثيقات لا تسعـــفنا بتوفــير المادة الكــافـــية واللازمة، لكن حسبنا الإسهام في محاولة إثارته ووضع بعض معالمه عــساه يكون مــشجّــعا لأعمال موالية تزيد من تسليط الضوء على هــذا الجانب الهام والــذي بدراسته سنتمكّن من التخــطيط واستشراف مستـــقبل مـــتّسم بالمضـــيّ نحــو الأحسن دوما.

فما هي أهمّ تجــليات التعــدّد اللغــوي للمزابيين في العاصمة خــلال الفتــرة العــثمانية؟ وما هي أسس ونتائج الانسجام الاجتماعي في ظلّ ذلك الـــتعــدد ؟

- **عن المزابيين ووادي مزاب :**

يعــتبر المزابيون أحد المكوّنات الأصيلة للشعب الجزائري والذي تربطــه بــه روابط وثيقة وصلات متينة كما يتميّز بخصائص فريدة، والحــقيقة أن كثيرا ممــن نتطرّق إليهم بالحديث قــد أفاد في التعــريف بهم والكلام عن جوانب من تاريخهم وخصائصهم، لذلك سنقــتصر على ما به الحاجة فــنــقــدّم لمحة عامة عـــنهم بما يخــدم موضوعــنا هــذا.

المزابيون أحد فروع قــبيلة زناتة المازيغــية المعروفــة والتــي اســتوطنت المغرب الأوسط منذ أحــقاب بعــيدة، كما أنهم ينتمون ضمن زناتة إلى فرعـــي: واسين وبادين، وعن ذلك يقول ابن خلدون: (...وتشعــبوا إلى شعوب كثيرة فكان منهم: بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مزاب وبنو أزردال يجمعهم كلهم نسب بادين ...وكانوا كلهم معروفين بين زناتة الأولى ببني واسين قبل أن تعــظم هذه البطون والأفخاذ وتــتشعّــب مع الأيام)[1].

ويقول الأستاذ الحاج سعيد يوسف في ذات الصدد (..إن بني مــزاب أمـــازيغ ويطلق على الأمازيغ كذلك اسم البربر ...تتفرّع زناتة إلى فروع والتي من بينهـــا واسين، ومن بطون واسين بنو مرين وبنو راشد وبنو بادين ومن أحفاد بادين بنـــو مزاب ..)[2].

إذا كان هــذان النصان السالفان قــد قــدّما لنا لمحة مفـــيدة عــن الانتمـــاء العرقي للمزابيين فإن التعريف بهم كــفئة لها خصائصها في الجزائـــر لا يــتمّ إلا بإضافة لمحة عن خصائصهم المذهــبية إذ يــعتنق المزابيون المذهب الإباضي الذي يعــتبر أحــد المدارس الإسلامية التي وضع أسسها وشكّل ملامحها أحــد كبـــار التابعــين وهو الإمام جابر بن زيد رحمه الله، وقــد وصل المذهــب إلى المغرب الإسلامي في بدايات القرن الثاني الهجــري وأخــذ به الناس «...والإباضية تقوم على العــقــيدة الإسلامية الأصيلة ولا علاقة لهـــا بالجــــنس والعــــرق والـــدّم إطلاقا...ولم تظهر في المنطقة [مزاب] إلا مع بداية القرن الرابع الهجري..» [3].

ممّا مرّ ذكره يمكــننا القول أن المزابي هــو ذلك المـــازيغي الزنـــاتي الـــذي يمتـــد وجوده بامتداد وجود هـــذه الأرض الجزائرية وهـــو نفســـه ذلـــك المســـلم الإباضي الذي صار كذلك منذ بداية القرن الرابع الهجري فامتزج فيه العنصـــران حتى صارا يـــعـــبّران عن شيء واحد.

وحتى تكــتمل الصورة ينبغي أن نقدّم صورة عامة عـــن وادي مزاب كـــذلك إذ لا يمكن الحديث عن هـــؤلاء دون الحديث عن ذلك.

يقع وادي مزاب ضمن حدود ولاية غـــرداية في شمال الصـــحراء، ويبعـــــد حوالي ستمائة (600) كيلومترا عن العاصـــمة الجزائـــر وهـــــي منطقـــة ذات خصائص طبيعـــية ومناخية صحراوية، وتـــعـــدّ من المنـــاطق التـــي عرفــــت وجود السكان به منذ القديم حيث ورد الحديث عنها لدى المؤرخين منذ القديم كأبي زكرياء يحي الوارجلاني في كتابه سير الأئمة وأخبارهم[4] وغيره ، وعـــن موقعها الجغرافي يقول المؤرخ الحسن الوزان (...مزاب منطقة مأهولة في قـــفار نوميديا على بعد نحو ثلاثمائة ميل شرق تيكورارين وعلى نفـــس المســـافة مـــن البحـــر المتوسط، تشتمل على ستة قصور وعـــدّة قرى...)[5].

ويزيدنا ابن خلدون بيانا وتوضيحا في هـــذا الصدد بقوله (... قصور مصـــاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة لما دون الرمال وعلى ثلاث مراحل

من قصور بني ريغة في المغـرب ...وضعـوها في أرض حـرة علـى آكـام وضراب ممتنعة في قـــننها ...)[6].

ويقول ابن خلدون أيضا عـن التركيبة السكّانية للقصور المزابية وعمّن تـولّى اختطاطها وإنشاءها (...ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب .. وهـذا الاسـم [مصاب] اسم للقوم الذين اختطّوها ونزلوها من بني بادين ... وسكّـانها لهذا العهد بنو بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وزردال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة وإن كانت شهرتها مختصّة بمصاب ..)[7].

وبما أن وادي مزاب كان مأهولا منذ الأزمان البعـيدة فإن الإنسان المـازيغي القديم قـد خلّد وجوده بها بما تركه من أدوات كان يستعملها في حياته اليومية وكذا بما تركه من نقوش صخرية عديدة في أماكن مخـتـلفة لا تزال إلى حـدّ اليـوم محطّ دراسة واكتشاف الباحـثين والمخـتصّين، فـقـد تم العثور على آثار ترجع إلى العصر الحجري الأول من طرف بعض الباحثين أمثال بيار روفـو ، جـوال أبونو ، نجيب فرحات ، مليكة حشيد وذلك من خلال اكتشاف صـناعات حجريـة ومعالم جنائزية و نقوش صخرية يعود تاريخها إلى ما بين 1800و 5000 سـنة قبل الميلاد [8].

بـعـد هذه اللمحة التي قـدمناها عن بني مـزاب ووادیهـم سـنتحول إلـى موضوع تغرّبهم فـنرى ذلك من الناحية التاريخية بما تتضمّنه من الدواعي التـي جعـلتهم يتغـربون نحو وجهات مختلفة .

- **لمحة عن تغرب بني مزاب :**

يـُعـرف بنو مزاب بتواجـدهم في كثير من مناطق الوطن الجزائري بحيـث يكاد لا تخلو منهم ولاية، وعـند تأمل بعض المصادر التاريخية يمكـننا أن نرجع بدايات ذلك التغـرّب إلى زمن بعـيد حيث ذكر ابن خلدون أن بني مزاب ضـمن بني بادين كانوا في زمن الموحّدين «.. يتولّون من أريـاف الـمغرب الأوسـط وتلوله ما ليس يليه أحد من زناتة ويـجوسون خلاله في رحلة الصيف بـما لـم

يُؤذن لأحد سواهم ..»[9]، فلا شكّ أنّ المزابيين الذين خصّصهم ابن خلدون بالذكر قد اعتادوا الانتقال والتغرّب إلى تلك التلول فيمكثون فترات متفاوتة الطول ويوالون السفر بعد السفر وهو ما جعلهم يعتادونه وربما بدأوا في الاستقرار التدريجي هناك تبعا لملاءمة الظروف ويحاولون الاستفادة من ذلك قدر الإمكان خاصة من الناحية الاقتصادية نظرا للطبيعة الصحراوية القاسية لوادي مزاب مما جعله من المناطق الطاردة، ذلك النص المذكور يعطينا إحدى المعالم الزمنية الواضحة بخصوص سفر المزابيين نحو الوجهة الشمالية وهو معلم كما نرى ضارب في القدم، وبانتقالنا إلى بدايات القرن التاسع الهجري سنجد ما يمكن عدّه دليلا على وجود المزابيين بالعاصمة في ذلك الزمن فقد ورد في إحدى اتفاقيات عزابة وادي مزاب والمؤرخة بسنة 811 للهجرة أن من أتى بإحدى المخالفات المحدّدة فتلزمه (.. عقوبة أهل البلد وهي مائة ريال ولا يرجع إلا إذا رأى البحر مثل الجزائر ... يأتي بالشهود أمناء بأنه رأى البحر وكمّل السنين ..)[10]. إنّ هذا النص يفيدنا بمعلومات قيّمة في هذا الصدد إذ أن الاتفاقية اشترطت على من يقع عليه الحكم المشار إليه أن يحضر شاهدا أمينا يثبت بأنه وصل الجزائر العاصمة ورأى البحر وأتمّ المدة المحدّدة ، وبديهي أن ذلكم الشاهد الأمين عندهم لن يكون إلا مزابيا وهو ما يستلزم تواجده بالعاصمة وإقامته بها لمدة طويلة هو الآخر، وهو ما يفيدنا باستقرار المزابيين بالعاصمة منذ تلك الفترة على الأقل، وهو ما يكون قد حدا بأمات ليقول بأن تغرب المزابيين نحو العاصمة قد انتظم منذ القرن الرابع عشر الميلادي[11] ، وهو ما أشار إليه فونترو بارادي أيضا بقوله (كانوا يقيمون بالمدينة قبل وصول العثمانيين بزمن) [12].

ومن جهة أخرى نلاحظ ضمن نفس الاتفاقية ورود ذكر عملة الريال الاسبانية الأصل وهو ما يعزّز ما ذكرنا من تواجد المزابيين بالعاصمة خلال بدايات القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي على الأقل ويعزز أيضا وجود تعاملات

تجارية للمزابيين مع مدن الشمال عموما والعاصمة خصوصا بموجبها يتردد عــدد من التجار بين مدينة الجزائر القلب النابض تجاريا وبين مدن مزاب وهو الشـــيء الذي أدى لوصول عملة اريال إلى مزاب وتداولها به .

ومهما يكن من أمر فإنه من تحصيل الحاصل أن وجود المزابيين بالعاصمة كان منذ اليوم الأول لدخول الأتراك العــثمانيين إلى الجزائر لذلك سنجــد لهــم أدوارا بارزة منذ فترة الأخوين بربروس كــدورهم في دحر الحملة الإســبانية وتحريــر كــدية الصابون التي احتلها الإسبان سنة 1518م [13] وكذا المساهمة الفعالة فـــي إبطال حملة شارل الخامس فــيما بعــد، وقــد استفادوا إثر تلك الخدمات الجليلــة للوطن وما أظهروه من شجاعة وبطولة وأمانة، استفادوا مــن عــــدّة إمتيــازات تقــديرا لأعمالهم كتولي تسيير وإدارة المطــاحن والحمامــات والإشــراف علـــى القصابات...[14] والتي بقيت في عهدتهم زمنا طويلا فأدوا وظيفتهــا أحســن أداء مسهمين بذلك في دفع العجلة الاقــتصادية والاجتماعية في العاصمة لزمن طويل، وإذا كان المزابيون قــد استقــر أكثرهم بالعاصمة نظرا لموقعها وثقلها وحركيتها الاقتصادية فلا نغــفل أن أعــدادا مهمّة أخرى قــد انتــقلت منذ وقت بعيد هـــي الأخرى نحو مناطق أخرى من الوطن، فأمين المزابيين بالعاصمة كانــت تصــله ترضيات مالية من مزابيي البليدة وقسنطينة وبسكرة و وهران [15].

وبالعودة إلى الأسباب والظروف التي كانت داعــيا لهم إلـــى هــــذا التغــرب سنجد جملة منها ولعــلّ أبرزها كان نتيجة لما أسلفنا ذكره من أن وادي مزاب ذو موقع وطبيعة صحراوية «فــقــلّما وجد على سطح الأرض قــطع أكثــر فــــقرا من هذه البلاد ... ولا تكون هذه الجهات القليلة العدد صالحة للزراعــة إلا بعــــد بذل جهود عــظيمة جــدا وبعــد صبر طويل لأن الجفاف مستمر بهاتيك النواحي ...ولكي يستطيع المزابيون الحياة في أرضهم القاحــلة هــذه يهاجر الكثير مــنهم إلى المدن الساحلية حيث يتعاطون التجارة »[16] فــتغــرّبهم كان اضطراريا بدافع جــدب الرقعة الجغــرافية التي استوطنوها وخلوّها من المــؤهلات الصناعـــية

والفلاحية التي تضمن لهم أمنا وكفاية ذاتية، ومع ميلهم الطبيعي إلى العمل فقد كان السبيل الوحيد أمامهم هو الانتقال إلى الشمال والاستقرار به للعمل في التجارة وفي مختلف الصنائع والحرف حتى كانوا من المجموعات ذات الحضور المهني والاقتصادي المميّز والقوي .

إنّ داعي العمل لم تكن له صيغة واحدة وهي الانتقال نحو العاصمة والاستقرار بها لممارسة التجارة أو إحدى الحرف والصنائع وإنما تولّدت عنه صيغة أخرى وهي نقل السلع والبضائع بين وادي مزاب والمناطق الجنوبية من جهة وبين العاصمة من جهة أخرى، أو أخذ بعض المنتوجات وعقد صفقة بيعها ثم العودة إلى مزاب دون البقاء والاستقرار هناك أكثر من مما يقتضيه هذا الغرض فقد « مثّل المزابيون الوكلاء المعترف بهم والوسطاء في التجارة مع داخل إفريقيا فينقلون تبعا لذلك ريش النعام والجمال والتبر والعبيد والتمر وغيرها من السلع » [17]، وإذا عرفنا أن الكميات التي كانوا يتولون أخذها كانت معتبرة [18] فإن ذلك سيعني تفرغ تجار لهذا الغرض غير أولئك المستقرين بالشمال.

وسنجد أسبابا أخرى مختلفة لتغرّب المزابيين غير العامل الأساسي والمتمثل في العمل منها الاستقرار فترة وذلك عند السفر إلى بعض الوجهات البعيدة كالذهاب أو العودة من البقاع المقدّسة خاصة إن كانت الرحلة بحرية وهو ما يحتّم عليهم التوجّه نحو المدن الشمالية الساحلية لركوب السفينة والتي ستقلهم نحو وجهتهم، وربما مارسوا أثناء إقامتهم هناك أعمالا تجارية وحرفية كما كان الحال مثلا مع الشيخين يوسف بن حمو بن عدون والحاج أحمد بن داود إذ عمل الأول جزّارا في إحدى القصابات حين عودته من أداء المناسك وريثما يعود إلى مزاب، أمّا الثاني فقد اصطحب معه عروضا تجارية إلى العاصمة خلال توجهه إلى الحج [19].

كما قـد يكون النفي إحدى الأسباب التي أدّت أيضا بـبعض المـزابيين لكـي يتجهوا نحو العاصمة ويستقروا بها لغرض العمل وإمضاء المدة الـمحددة علـيهم وقـــد توجد أسباب مختلفة أخرى كانت مسهمة في تغـــرب المـزابيين نحـو العاصمة والمدن الشمالية عـموما كالعلاج وغـيره .

- **التنوع الاجتماعي للمزابيين بالعاصمة :المفهوم والتجليات.**

من أهم مميزات المجـتمعات البشرية تلك الوسيلة التخاطبية التي يتواصلون مـن خلالها ويسعون من ورائها لقضاء مصالحهم الضرورية فاللغة والمجـتمع متلازمان لا يمكن الفصل بينهما، يقول محمود فهمي حجازي في هذا الصدد (إن وجود اللغـة يشترط وجود مجتمع وهـنا يتضح الطابع الاجتماعي للغة، فليس هناك نظام لغـوي يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتواصل بـه، فاللغـة ليسـت هـدفا في ذاتها وإنما وسيلة للتواصل بين أفـراد الجماعة الإنسانية)[20].

فوجـود اللغة يعـدّ خاصية رئيسة للأمم الإنسانية فـبها تتميز بذاتها وتعبّـر عن أفكارها وتـثبت كـينونتها، ومن هـــذا المنطلـق فـإن البعـــد الفكـري والممارسات الثقافية والنمط الاجتماعي بكل ما يحمله من فـلسفات وقـيم وعادات وتقاليد يكون متضمّنا في اللغة والعكس كذلك أي أن اللغة تكـون مجـسّدة أيضـا في تلك القيم والعادات بحيث لا يمكن بأي حال تصـور أحـــدهما دون حضـور الآخر، وهو ما عـبّر عنه الدكتور عبدالســلام المسـدّي بقولـه أن اللغـة هـي (استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعا ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية وأصبحت بعض بحوثه تدرّس في علم الاجتمـاع فنشأ لذلك علم يسمى:علم الاجتماع اللغوي يحاول الكشف عن العلاقة بـين اللغـة والحياة الاجتماعية وبين أثر تلك الحياة الاجتماعيـة فـي الظواهــر اللغــوية المخـتلفة)[21] وعـليه فوفـقا لهذا المنظور فإننا نعـني بالتعدد اللغوي في نطاق ورقـتنا هـذه تلك الخصائص اللغـوية اللسانية لمجتمع أو أمة ما وكل يتصل ما

بها من نمط فكري وفلسفة في الحياة وممارسات ثقافية ومميزات اجتماعية حيث يكون التأثر والتأثير متبادلا بينها.

ونتيجة للتفاعل بين المجتمعات الانسانية المختلفة منذ القديم بحكم أسباب مختلفة فقد وقع تأثير وتأثر متبادل بينها كان من بين نتائجه ما يعرف بالتعدّد اللغوي، والحديث عن وجود تعدد لغوي يستلزم وجود أحادية لغوية فكيف عرّف المختصون كلا من المفهومين ؟

يقول بسام بركة عن الأحادية اللغوية أنها (الاقتصار على لغة واحدة على مستوى التخاطب والقراءة، وهي فضاء رسمي وطني واحد على مستوى التخاطب والتعامل وبناء الهوية والوحدة الإدارية والثقافية) [(22)] أو يمكن القول ببساطة أن المجتمعات اللغوية تكون أحادية اللغة إذا كان أفرادها يشتركون في لغة واحدة ولا يتعامل جزء منهم بلغة غيرها مع التركيز على ما جاء في التعريف السابق من عدم الفصل بين اللغة كأداة تواصل وكأداة بناء للهوية وللوحدة الإدارية والثقافية في نفس الوقت أي دخول البعد الاجتماعي والثقافي في هذا النطاق.

أما التعدد اللغوي فيقصد به استعمال لغات عديدة في مؤسسة اجتماعية معينة فهو مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد [(23)].

بانتقالنا إلى تناول نموذج الدراسة من المهمّ أن نعرف أن الحالة اللغوية بالجزائر إبان الفترة العثمانية قد اتسمت بالتعدد والتنوع تبعا للواقع السائد آنذاك، فإذا كانت المازيغية والعربية حاضرتان في أرض الجزائر منذ قرون فإن اللغة التركية قد كان لها موضع قدم كذلك بحكم كونها لغة الحكام حينئذ، بالإضافة إلى تلك اللغات واللهجات الوافدة من الضفة الشمالية بفعل عدة عوامل كالعامل السياسي والعامل التجاري، فاللغة التي كان يتعامل بها الناس هي العربية والبربرية والتركية، وبرطانة هي مزيج من الفرنسية والإسبانية والإيطالية [(24)].

ولكي نستطيع تقريب تصوّر للحالة الحاصلة في المجتمع بمدينة الجزائر في تلك الفترة ننقل هذا النص حيث يقول الدكتور ناصر الدين سعيدوني (..ولعل

هـــندسة البناء وطريقة التأثيث ولغة التخاطب تعطي لنا صورة صادقة عن هـــــذا المجتمع إذ نجد الرخام الإيطالي بجانب الفيانس الهولندي، والزليج التونسي مختلطا بمرايا البندقية، وحرير ليون بجوار ساعات الحائط الإنجليزية، كما أن لغة الشارع والمرسى المعروفة بلغة الفرنكا هي في الواقع خليط من لهجات البروفانس وبـــلاد الإغريق الممزوجة بالتعابير العربية الشائعة والمفردات التركية والكلمات الإيطالية والإسبانية والمالطية والمحرفة ..)[25].

هـــكذا إذا كان يبدو المشهد اللغـــوي في العاصمة وهو متّسم كما هو واضـــح بالتنوع والثراء، ليس بتعـــدد اللغات والألسن فـــقـــط وإنما بالجوانـــب الثقافـــــية والانعكاسات الاجـــتماعـــية أيضا والتي كان من ضمنها التنـــوع المزابـــي الـــذي تجلّى وجوده وسط ذلك الزخم من خلال التجار والحرفـــــيين القادمين مـــن وادي مزاب والمستقرين بالعاصمة فكانوا أحد من ساهم فـــي تشـــكيل تلـــك الفسيفســـاء بتنوعهم، فازداد بذلك للمشهد العاصمي عنصر ثراء آخـــر مســـتقل بخصائصـــه ومميزاته، و حين نتأمّل التنظيم السائد حـــينـــئذ نجد من بين ما تضـــمّنه منصـــب أمين المزابيـــين[26]، وهـــو ما يشير إلى بروز تلـــك الجماعـــة ذات الخصـــائص والتنوع، وفي نفس الصدد سنجد أن النسبة للمواطن الأصلية للأشخاص عـــادة مـــا كانت تستعمل وتُـــلحق بأسمائهم في التعاملات اليومية فـــنجد مثلا فلان البســـكري وفلان الجيجلي ... فـــتضمنت بعض الوثائق الحاج علي المزابي وسيدي موســـى المزابي ودار الحاج حمد الحفاف لمزابي ودار حسن الحفـــاف المصـــابي[27]. ولا ريب أن تدوين وإثبات هـــذه الصيغ في العـــقـــود والوثائق يعـــتبر انعكاسا لمـــا كان عليه الواقع والتعامل اليومي، وهـــذا الـــوجود كعنصر ذي خصائص مميـــزة هو أول تجليات الـــتعـــدد اللغوي للمزابيين في العاصمة إبان تلك الفتـــرة، و مـــن الواضح أن أهم ما يميز تنوع بني مزاب هي لغـــتهم الخاصة التي قـــال عـــــنها القنصل الأمريكي في تلك الفترة (.. والمزابـــيون يتحدثون نفس اللغة التي يتحدّثها الشعب المسمى القبائل..)[28] فـــهذا المظهر اللساني هـــو مـــن أهـــم مظاهـــــر

الــتعــدد اللغــوي الذي نحن بصدد التطرق إليه ويمكــننا أن نستنتج من خــلال حديث القنصل عنه أنه كان مستعملا ومكرّسا في فضاءات معــينة فــفي الأحاديث البينيّة لاشكّ أن المزابيين استعــملوا لسانهم المزابي إضافة إلى استعماله أحـــــيانا في الفضاءات العامة عــند العــمل في وظائفهم المختلفة مثلا مع بقاء العــــربية الدارجة الوسيلة الرئيسية للتعامل بين مختلف مكوّنات المجتمع الجزائري بالعاصمة آنذاك ، وهــذا وجه آخر تجلى فيه تــعدد المزابيين لغويا، وتجــدر الإشارة إلـــى أننا حــين نتحــدّث عن المازيغية فــنحن نعــني عــدّة لهجات متقاربة وليســت متطابقة كما يمكن أن يوحي نص القنصل الأمريكي السابق الذكر، فــقــد وجـــد بالعاصمة القبايل والمزابيين وغيرهم وكذلك الحال بالنسبة للعربية من خلال وجود العاصميين والبساكرة والاغواطيين وغــيرهم مع اختلافات في بعض الألفاظ ولكنة الكلام وهــو ما يــعــدّ من أوجه التنوّع والثراء البارزة.

وضمن تلك الفــترة وتبعا لوجود تعــدّد لغوي نجــد العـــديد مــن الكلمــات المازيغية ذات الدلالات والاستعمالات المختلفة والتي كان لنـــا الحــظ أن تُـــمسّ بالتوثيق فــتصل إلينا وإن لم نجــد حسب اطلاعــنا على مـــا بــين أيــدينا مــن التوثيقات والكتابات ما يعــبّر على التنوع اللغوي المزابي بالذات إلا أن ما تحصّل لدينا يدلنا حتما عــلى وجود بصمات مزابية مماثلة، فلنا أن نطّلــع علـــى اللقــب العائلي (البربري) [29] الذي عرفــت به إحدى العائلات ذات الشأن فـــي المجـــال التجاري في تلك الفترة، كما نجد أمين البنّائين أحمد بن علي الذي عرف بـــــ(ابن تعابست) وهــو اسم ذو صيغة مازيغية، وعلى صعــيد تسميات الأماكن نجـــد العــديد منها على غــرار: فحص تاوملي وفحص تاجرارت ومناطق تقصـــرايين وتافورة وتمنفوست 336[30] إضافة إلى حومة تيبرغوتين التي كانت داخل أســوار القصبة وغير هــذا من أسماء المناطق والأماكن ، وعلى مستوى بعــض المـــواد التي كانت متداولة الاستعمال آنذاك نجد عشبة تانكوت[31]، وباعتبار اشتغال بنـــي مزاب بالحمامات مع ما يدخل ضمن هذا العمل من أغــراض استشــفائية كالــدّلك

والحجامة وغيرهما فإن الأعشاب المفيدة لذات الغرض والمجلوبة من وادي مزاب تكون حاضرة مع أسمائها الأصلية مثل تكـيلت، إحرمنن ، تيلولت... وبما أنهـم كانوا يجـلبون فيما يجلبون من سلع من وادي مزاب خاصة ومن الجنوب عامـة أنواعا من التمور والزرابي فـلا بد أن تلك السلع ستحتفظ بأسمائها الأصلية مبرزة بذلك أحد أوجه الـتنوّع اللغـوي فسنجد من أسـماء التمـور مـثلا : تزيـزاوت إغـس أوطشيضن، تدالت ...[32]، كما سنجـد من أسماء الزرابي المزابية علـى سبيل المثال: تجربيت، انّـيلت، أجرتيل ... وربما أسهم الدّلالون أثنـاء منـاداتهم على هذه السلع بأسمائها الأصلية في إبراز أحد أوجه التنوع اللغوي السائد آنذاك.

ولا تخلو الممارسات التجارية والمهنية التي تعاطاها المزابيون في ذلك الـزمن من مظاهر الـتـعدد اللغوي الـذي تميزوا بـه فـقـد كـان الـدلالون مـثلا يفـتتحون نشاطهم بتلاوة سورة الفاتحة ثم يرددون بعـدها بعـض الأقـوال المخصوصة من قبيل : يا فتاح يا رزاق ، العمل عليك والشدة ، الطلبة فيـك يـا ربي...[33] وذات الأمر نجده لدى رياس البحر الذين ينطلقون إلى عـرض البحـر بعد قولهم : يا لاسا يا لاسا ، خرجت ليلة من دزاير ، يا لا سا يا لاسا بحر كبيـر أو ريح فجـيع أو عـقـلي مخبل[34]، وعـليه فقد يكون للمزابيين أدعـية وأقوال معـينة تبعا لتميّزهم اللغوي مثل: أنتش تيمورا أنتش إجلوان أوشـيد أوي وشـين إباب نيغـزران[35]، ونجـد شيئا من هـذا القبيل يعـود إلى تلك الفترة مطبقا في مزاب وذلك أن الدلّال ملزم حين مناداته على أحد الأغراض التي تعـود ملكيتهـا لليهود أن ينبه بذكر لفظ (جوهـردا)[36] ليكون المشتري على بينة مـن أمـره فأضراب هـذا لابدّ وأنها كانت سارية لدى المزابيين بالعاصمة تبعا لما يمليه تأدية وظائفهم ويستدعـيه تنوعهم اللغوي.

ومن الأوجه التي يظهر فيها التعدد اللغـوي إقامة بـعض التظاهرات وإحيـاء المناسبات الدينية والمحلية ومن الطبيعي أن تنطبع الصبغة الخاصة بكلّ مجموعة ذات تنوّع على مظاهر تلك الاحتفالات، وإن كنا نفـتـقر إلـى وصـف مفصّـل

لإسهام أصحاب الحرف والصنائع في تلك التظاهرات[37] إلاّ أننا نعتــقـــد أنهــا مجال خصب لبروز مظاهر وتجليات التنوع و التــعــدد، فــقــد أفادنا القنصــل الأمريكي أنه خلال عيدي الفطر والأضحى يعلن المسلمون عن فــرحهم بطلقــات المدافع وإجراء الألعاب الشعبية [38]، وهو وإن لم يزدنا تفاصيل أخرى إلا أنه مــا من شك في حضور المزابيين بألعاب الفنتازيا والبارود وما يصاحبها من أهــازيج بلسانهم المزابي، إذ أننا نجــد أمثلة لإقامة بنـــي مــزاب تظــاهرات الفـــنتازيا والفروسية في مدن الشمال إبان الحــقبة الاستعمارية[39] فلا شك في انسحاب ذات الأمر على الفترة العثمانية، ومن المناسبات الاحتفالية التي وجــدنا لها شــيئا مــن التوثيق مناسبة ازدياد أحد أبناء السلاطين، فعندما ولد ابن للسلطان مصطفى(..أمر الباشا أهل البلاد بجعل الزينة بالأسواق سبعة أيام يزينون الدكاكين بأنواع الفــرش والتحف ويجعـــلون الآلات الفاخرة وأنواع الفرح، ثم وقع التنــافس بــين أهــل الأسواق فبالغوا في الاحتفال ..)[40]، فــقــد يقع التنافس في جلب وإظهار الأشياء الفــريدة التي تميّز منطقة كلّ جماعة من الجماعات ذات الحضور بالعاصمة ومن بينهم بنو مزاب.

ومن بين أوجه التنوع والتعــدد ما يميّز المزابي في سمته ولباسه بحيث أن لـــه ما يختصّ به رغم أن كثيرا من المظاهر في هــــذا الشأن كانت متشابهة في ذلك الوقــت خاصة بين السكان المحليين (غيــر الأتــراك والأوروبيــين) كــالبرنوس وغــيره ومع ذلك فإن قــــندورة اللــتــش المزركشة مثلا كانت مميــزة لبنـــي مزاب وهناك ما يؤكّــد ارتــداءها منذ بدايات الفترة العــثمانية في الجزائر علـــى الأقــل[41]، حتى أنّ أقــوالا محــلية ارتبطت بها في صدد الدلالة عــلى أنّ تلــك القــندورة نسجــت لمن يرتــديها قصد العمل فــليست من قــبيل التــرف فيقــال (اللّـــــتش سوبشّيس) [42] وبهذا فــقــد أسهمت في إبراز وجه آخر مــن أوجــه التــعــدد اللــغــوي.

وقد تجلى التعدّد والخصوصية اللغوية والاجتماعية للمزابيين كذلك من خلال العمل معا في مهن معينة وكذا الإقامة مع بعض – وهو حال الجماعات الأخرى أيضا– ولا يخلو هذا المظهر من تكريس التنوع وترسيخ جوانبه المختلفة، فتلك الجماعات إذا ليست إطار عمل فحسب وإنما إطارا لحياة اجتماعية بجميع أجهزة الالتحام والاندماج الضروريين أو هي تنظيمات اقتصادية واجتماعية ذات أسس أخلاقية خاصة(43). وهي تعطينا في الأخير فسيفساء من التنوع والثراء اللغوي.

هذا مجمل ما يمكن ذكره فيما يتعلق بأهمّ أوجه التعدد اللغوي للمزابيين بالعاصمة خلال الفترة العثمانية وقد رأينا ضمنها تعيّنهم كإحدى التنوعات المميزة بجملة من الخصائص وتجلى ذلك مثلا من خلال إفرادهم بأمين خاص كما تجلى ذلك من خلال إلحاق نسبة (المزابي) بأسماء المزابيين، وكان من ضمنها أيضا تداول ألفاظ مازيغية دالة على أماكن أو سلع أو غيرها، وكان من تجليات التنوع المزابي مشاركتهم في التظاهرات والأعياد بألعاب شعبية خاصة ومن ضمن مظاهر تنوعهم ما رأينا من تميزهم بسمت خاص، على أن اللسان المزابي يبقى أهمّ ما يبرز ذلك التعدد والتنوع .

بعد أن تطرقنا إلى هذه اللمحة عن التعدد اللغوي من خلال هذه الأمثلة لنا أن نتساءل عن أسس الانسجام الاجتماعي الذي بقي سائدا في ظل هذا التنوع وكذا عن نتائجه التي تحققت إذ ذاك .

- **الانسجام الاجتماعي للمزابيين بالعاصمة : الأسس والنتائج .**

إن أردنا وضع ملامح لتعريف الانسجام الاجتماعي فيمكن القول بأنه تلك الحالة التي يفهم فيها كل فرد دوره بدقة فيفهم مسؤولياته نحو الأطراف الأخرى كما يفهم الخدمات التي تقدّمها له الأطراف الأخرى، وبذلك فهو تلك الحالة التي يكون فيها أفراد الفريق متهيئين للعمل مع بعضهم البعض ومستعدّين لتأييد بعضهم بعضا وهو حالة الهدوء والاستقرار التي تطبع مجتمعا ما نتيجة

السلاسة التي تميزّ أداء كل فرد أو جماعة داخل المجتمع لواجباتها المنوطـة بهـا وحصولها في ذات الوقت على حـقوقها التي هي واجبات الآخرين، عاملين سويا على ما فيه المصلحة العامة .

أوّل ما يمكن ذكره من الأسس في هـذا الصّدد هـو العامل الـديني الـذي لاشكّ في كونه الركيزة الأساس لتثبيت جو يسوده التناغم، فأعـظم مـا يجمـع العـناصر التي شكّـلت المشهد العاصمي في تلك الفترة هـو دون شـك الـدين الاسلامي بتلك الفسيفـساء والتـعـدد المذهـبي: المالكي والحنفي والإباضي فالله تعالى يقول في كتابه العزيـز ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: 92) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «...أَلَا لا فَضْـلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى...» [44] هـذه التوجيهات الربانية والنبوية الواضحة والمتينة هي التي هـيّأت الجـو الذي يـعتبر فيه التنوع مصدر قـوة وثراء وأن التفاضل إنما يكون بالأعمال الصالحة لا غير، فإن حضور هـذا العامل الديني كان بارزا جـدا سيما وأن الحرب الصليبية الإسلامية كانت قائمة في تلك الفترة ولم تفتر أبدا حتـى وإن خـفتت في ظاهـرها أحـيانا وهو ما دعا المسلمين ليلتفـوا حول بعـضهم البعض وينسجموا ضدّ عـدو الإسلام المشترك، وفي هـذا المعـنى يقول الأستاذ عمر سعيـدان: (..تميزت حقا بلاد المغرب من المحيط إلى خليج قابس بتنوعهـا واختلاف عنصرها البشري من البربر إلى العـرب ومن سكان الجـبال إلى سكان السهول ومن الرحل المتنقلين إلى الحضر المقيمين، لكن هـذا التنوع والتوزع لـم يخلق الطباع المتنافـرة والعادات المتباعـدة بل كانت الحيـاة والتقاليـد متقاربـة وبالتالي عامل توحـيد القبيلة واستصراخ عند الشعور بالخطر، وكان الإسلام يمثّل حقائق ثابتة موفرة الحماية والمناعة...) [45].

وقـد أصاب الأستاذ في مقاله فهو الوضع الذي كان حاصلا فعلا، فـنجد مـن تجـلّيات ذلك مثلا العـبارات المثبتة في استهلال مخطوط قانون أسـواق مدينـة

الجزائر من تقييد متولي السوق: (الحمد لله هذا قانون على بركات الله خاص فـــي مدينة الجزاير أدامها الله للإسلام وما اتفـــــق عليه من تقعــيد المسائل بحـــق الله [حسب القوانين الشرعية]..)[46]، هذه العبارة الاستهلالية فيها ما فيها من الـــدلالات على أن الإسلام كان الركيزة الأساسية في تثبيت الانسجام الاجتماعي مـــن خـــلال إحلال صبغته على أوجه الحياة المختلفة كالأسواق وغيرهـــا وإذا كـــان الأســـرى المسيحيون يلقون أحسن معاملة من قبل المســـلمين كمـــا شـــهد بـــذلك القنصـــل الأمريكي[47] فمن باب أولى أن ينعم السكان المسلمون بواقع اجتماعي ممتاز تبعـــا لما تمليه التعاليم الإسلامية، وعلى الإجمال فقد شكّل الإسلام حصنا منيعا يضـــمن تآلف بنيه وهنائهم الاجتماعي.

إضافة إلى ذلك فـــقد كانت الحاجة الفـــطرية إلى التعايش عاملا مهمّـــا آخـــر أسهم أيما إسهام في إرخاء جوّ الانسجام فأصل طبع الإنسان أن يجنح إلـــى الســـلم ويرتاح إلى العافـــية فيبحث عنها ويسهم في تكوينها في أي مجتمع إنساني يكـــون ضمنه، وسيتضّح لنا هـــذا الهناء الاجتماعي في العاصمة آنذاك من خلال عـــــدة مظاهر خاصة وأنّ مجموعات مختلفة قـــد قـــصدت العاصمة من أجـــل العـــــمل وتأمين لقـــمة العـــيش ثم العـــودة إلى مواطنها بما فتح الله من رزق، فلاشكّ أنهم سيسعون جميعا إلى تـــحقـــيق انسجام اجتماعي بتوفـــير أقصى مـــا يمكـــن مـــن أسبابه، فمن صور ذلك تعاونهم على ما فـــيه الصالح العـــام بتشـــكيلهم لفـــــرق حراسة ليلية تتولى حفظ الأمن وقـــد روعي في ذلك أسهام كل الجماعات حســـب عـــدد كلّ منها[48] ولا يمكن إغـــــفال ما لذلك من أثر علـــى ازديـــاد الانســـجام واللحمة بين سكان العاصمة في تلك الفترة، وحتى فـــي مجـــال العمـــل المهنـــي ســـنجـــد حضورا للتعاون في الصالح العام من قبيل ما وقع من اتفاق بين جماعتي الجواجلة وبني مزاب حول بعض تفاصيل العمل في المطاحن[49]، وإن كان هـــذا الأمر من ضرورات التنظيم المهني فإنّه لا يخـــلو من إشارات عـــما كـــان مـــن سعي لإشباع الحاجة الفطرية للتعايش والأمثلة عـــــديدة في هـــــذا الصدد.

ومما أسس لجوّ الانسجام الاجتماعي أيضا التعـرّف على الآخر عن قـــرب فإن ضرورة العمل التي جمعت بين مجموعات متباعدة جغرافيا من حيث مواطنها الأصلية ومتنوعة لغويا واجتماعــيا وثقافيا جعلتهم يتعرفــون على بعضهم البعض من خلال الاحتكاك القريب والدائم ويجتمعون على المصلحة المشتركة فـــيسعون سويا لبلوغها، وما من شكّ في الأثر الطيب لهذا الأمر حيث يكتشف كــلّ فضــائل الآخر ومزاياه فــيستفيد منها ويكمّل أحدهم الآخــر، كما أن الخلفيات الوهـــمية والصور النمطية التي قــد يعتقدها أحدهم في الآخر سرعان ما تتلاشـــى وتختفـــي وربما يظهر عكسها حين مخالطته والاحتكاك به، وبالتالي ستتعزّز اللحمة والثقــة وينتج الشعور بالاعتراف بحق الآخر في التنوع والاختلاف، وفي ذلك بالغ الأثــر على الانسجام الاجتماعي.

فمن الأسس التي قام عليها الانسجام الاجتماعي إذا ذلك العامل الديني وكــذا الحاجة الفطرية المشتركة للانسجام وكذا العمل سويا في حلّ القضــايا المشــتركة والتي تهمّ الجميع وكذا الاحتكاك والمعاينة المباشرة والتعرف علـــى الآخـــر عـــن قـــرب، ذلك الانسجام والهناء الذي لابد لهما من نتائج وانعكاسات في حياة أفــراد المجتمع. فما هي تلك مظاهر الانسجام الاجتماعي في ظلّ التعدّد اللغوي للمزابيين في العاصمة إبان العهد العثماني؟

ما من شكّ في أن الأمن والهناء من أهم مقومات أي مجــتمع بشري مزدهــر ولاشك أن ذلك الأمن ما هو إلا نتاج تناسق واستقرار وانسجام اجتماعي وذلك هو حال مجتمع مدينة الجزائر في ظل التعدد اللغوي « فلا وجود للصوص إلا نـــادرا والجرائم والاغــتيالات تكاد تكون منعــدمة، ولا يمكن أن تفلت أيـــة جريمـــة ... وهو الشيء الذي وفّر الأمن والحماية للمواطن في منزله »[50]، بل كانت العاصمة تشهــد أحسن نظام أمن في العالم وتعــتبر أأمن مدينة في العالم [51]. هــذه النتيجة التي كانت ولاشك من ثمار حسن استغلال التعــدد اللغوي وما ينضوي تحته مـــن أبعاد ثقافية واجتماعية كما رأينا، ذلك التناسق الذي نتج عنه أيضا ترسّــخ مفهــوم

التسامح وصيرورته حقيقة مكرسة في الحياة اليومية لدى السكان بمدينة الجزائـــر بمختلف مشاربهم وتنوعاتهم وهـــو ما شهد به ونقله لنا القنصل الأمريكـــي وليـــام شالر إذ قال (..هؤلاء السكان أبعد ما يكونون عن الهمجية فإن في سلوكهم لياقـــة ومجاملة وأنا قد وجـــدتهم في المعاملات اليومية دائما مهذبين ومتمدّنين وإنسانيين وأنا لم أكتشف فيهم حتى أعراض التعصب الديني أو الكره للأشخاص الذين يدينون بدين آخر غير دينهم ...ولا يضمرون عـــداوة للأشخاص الآخرين الذين يســـلكون طريقا آخر للحصول على رضا الله) [52] بهذه العـــبارات الواضحة نقل لنا القنصل الذي عاش سنوات في ذلك المجتمع بعض الجوانب المتعـــــلقة بآثـــار الانســـجام الاجتماعي في ظل التـــعدد اللغوي .

ومن نتائج كذلك ما نجده من وجود مصلى خاص للمزابيين بحكـــم تنـــوعهم المذهبي يؤدون فيه واجباتهم الدينية ويحـــفظون خصوصياتهم على غرار القبائـــل الذين كانت لهم مدرسة خاصة بهم[53] وهو ما يوحي بوجود مظاهر وممارســـات أخرى في هـــذا الصدد بحـــيث تجد كل جماعـــة ذات تنـــوع فســـحة لممارســـة خصوصياتها وتكريس تنوعها في هناء وانسجام فنجد مثلا أن كلّ طائفة من الناس تركن إلى إيلاء المكانة لأحد الأولياء المعتبرين والموجودين بمدينة الجزائر فكـــان المزابيون يولون الأهمية لسيدي بنور والبحارة لا ينطلقون إلى البحر إلا بعـــــد أن يطلقوا مدافع سفنهم دليلا على ما يولون من أهمية لسيدي بتقـــة[54]، بـــل وســـعي بعضهم وإسهامه في تعزيز مقومات التنوع لدى الـــبعض الآخـــر فنجـــد كمثـــال (مجموعة معتبرة من الأملاك الموقّـــفة .. كانت تابعة لأفراد جماعة بني مـــزاب بالجزائر وخرجت عن أملاكهم ودخلت ضمن الوقف العـــام)[55] ولا ريـــب فـــي وجودّ نظائر لهـــذا السلوك الرائع ذي الأبعاد العميقة الدالة علـــى تنـــوع و متانـــة الأواصر .

ومن بين أهمّ نتائج وانعكاســـات الانســـجام الاجتمـــاعي أن الإشـــارات إلـــى الإشكالات الحاصلة بين الجماعات المختلفة معـــدودة وقـــليلة وهـــي ذات صـــبغة

مهنية وليست مما يتّصل بالتنوع اللغوي، وباستقراء بعض المصادر نجـدها توحي بأنها قد حُـلّت في عمومها بأيسر الجهود ، فعـندما وقع الإشكال بين بني مـزاب وأرباب الصنائع الأخرى بخصوص إحدى القضايا وترافعـوا بشـأنها إلـى ذوي الاختصاص قاموا وقـد « توافـقـوا بذلك وتراضوا وانقطع الخصام بينهم »[56] وهناك عـدة نماذج ضمن المصادر المتعلقة بتلك الحقبة.

وإذا كان البعد اللساني أهم مظاهر التعدد الذي نحن بصدد الحديث عنه فإن من بين أهم نتائج الانسجام الاجتماعي هو امتلاك بني مزاب لغة جديدة علـى الأقـل وهي العربية الدارجة مع احتفاظهم بلسانهم وفي ذلك ما فيه من الدلالات الإيجابيـة للتنوع والتعدد واستثماره كعنصر قوة وثراء فـلنا أن نتخيّل أن تلك الدارجة قـد أسهم في إثرائها العاصميون والجواجلة والأغواطيون والبساكرة والقبايـل وبنـي مزاب وغيرهم، حتى غـدت في ذاتها درسا لمن اعتبر وتمعّن، ونحسب أن هـذه اللهجة التي خرجت من رحم التعدد قد أسهم المزابيون في إثرائها ببعض المفردات خلال تلك المدة الطويلة التي ظلوا فيها بين جنبات الجزائر المحروسة وقد تكـون المواد المحلية المجلوبة من وادي مزاب كالزرابي المختلفة والتمـور المتعـددة وغيرها مما أتحف اللهجة العاصمية وبالمقابل فإن المـزابيين قـد حملـوا معهـم مفردات وتعابير إلى لسانهم بل ونجـد ألقابا عائلية في مزاب كان منشؤها ولاشكّ وجود المزابيين بالعاصمة إبان الفترة العثمانية كلقـب الأمـين وكاهيـة وحـوات وخواجة ... وكذلك ومن خلال البحث الذي أجرته الطالبة فطيمة حاج عمر والذي جمعت فيه نصوصا لأناشيد احتفالية في منطقة وادي مزاب فإن من بينها تظهـر فيه بصمة تأثر المزابيين باللغة العربية الدارجة من خلال وجـودهم فـي مدينـة الجزائر [57]وكل هذا مما يبرز ذلك الانسجام الاجتماعي .

ولعلنا نختم هـذا المبحث بإحدى النتائج الهامة للانسـجام الاجتمـاعي النـاتج عـن حسن استغلال التعدد اللغوي واعتباره مغنما ومكسبا وعنصر ثـراء وقـوة وتكامل، تلك النتيجة الهامة هي وقوفهم المشترك إزاء التهديدات التي ظلت تتهـدّد

مدينة الجزائر منذ فجر الفــترة العثمانية فهذا خير الدين بربروس يقود حروبا بعدد كبير من المجاهــدين من العرب والبربر[58]، وظلّ الأمر على هذه الحال خـــلال كامل الفــترة العــثمانية ثم ما بعــدها.

خاتمة : نتائج و توصيات

في آخر هــذه الورقة التي نرجو أنها قــد أفادت في موضــوعها نحــاول أن نجمل بعض النقاط التي نراها جديرة بالتنويه والإبراز علها تـــجد طريقــا إلـــى التجــسيد وعلها تكون مرتكزا لجهود لاحقة يبني عــليها الطلبة والمهتمون

التـــعـــدد اللغوي بما يتضمنه من أبعاد لغوية وثقافيــة واجتماعيــة حالــة طبيعية تقــتضيها الحكمة الإلهية وتتوافق معها الفطرة البشرية ؛

العامل الديني والحاجة الفطرية للتعايش والتعرف على الآخر عــن قــرب من أهم أسس استثمار التعــدد اللغوي إيجابيا ؛

إنبساط الأمن وفــشوّ الهناء ومنه حصول التقدم والازدهار من أهــم نتــائج الانسجام الاجتماعي الناتج عن استثمار التعــدد اللغوي إيجابيا ؛

للجزائر تجربة واقعية طويلة في التعايش والانسجام في ظل التعدد اللغــوي و وجود بني مزاب بالعاصمة خلال الفترة العثمانية مثال على ذلك ؛

نقــترح إعــداد فضاءات إعلامية مدروسة تستغــلّ فيها وسائل التواصــل الحديثة يتم من خلالها التعريف بالتنوعات الثرية التي تزخر بها الجزائر وتسهم في ترسيخ مفهومي التــعدد والانسجام ؛

نقترح تكثيف إقامة تظاهرات علمية وثقافية تصب في صدد ترسيخ مفهومي التــعدد والانسجام لدى الطبقة المثــقفة وغــيرها .

الهوامش

(1) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ن: بيت الأفكار الدولية، اعتنى بإخراجه: أبو صهيب الكرمي، د ط ، ص: 1835.

(2) يوسف بن بكير الحاج سعيد، الهوية الميزابية – أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ- ن: المطبعة العربية، ط 01، 1432هـ/ 2011م، ص 07.

(3) بكير بن سعيد أوعوشت، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية، ن: المطبعة العربية، ط 01، 1991م، ص 30.

(4) أبو زكرياء يحي الوارجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، بيروت – لبنان، 1982م، ص 175.

(5) الحياة الفكرية في مزاب خلال القرنين 9-10هـ/15-16م، مقال للأستاذ: يحي بن عيسى بوراس، نشر بمجلة المنهاج، العدد 02، 1434هـ/ 2013م، ص 98.

(6) ابن خلدون، العبر، ص: 1835.

(7) نفس المصدر السابق، ص: 1835.

(8) دليل المواقع والمعالم التاريخية لولاية غرداية، ن: ديوان حماية وادي مزاب وترقيته 2013م، ص 6.

(9) ابن خلدون، العبر، ص: 1863.

(10) MILLIOT, LOUIS: 9/10-Recueil de délibérations des djemaa du M' Zab, avec la collaboration de A. GIACOBETTI; revue des études .islamiques, (1930).

(11) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر – مقاربة اجتماعية/ اقتصادية- ، منشورات ANEP ، ص 30.

(12) VENTURE de Paradis ,Tunis et Alger au XVII eme siècle ;mémoire et observations rassemblés et présentés par Joseph cuoq, La bibliothèque Arabe ;sindbard (S/D).

(13) حمو بن محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج 04 ن: دار البعث، ط 01، ص 208.

(14) عبد الله بن محمد شويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر، تح: د. ناصر الدين سعيدوني، ن: دار الغرب الإسلامي، 1427هـ/2006م، ط 01، ص 26.

(15) محمد وقاد، جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر – قسم التاريخ –، س ج: 2009/2010م، ص 170.

(16) الحاج امحمد عمر بن عيسى، مذكرات ووثائق رسمية عن وادي مزاب، ن: مطبعة النهضة – تونس–، 1951م، ص 61.

(17) وليام شالر، مذكرات وليام شالر، تر: إسماعيل العربي، ن: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر–، 1982م، ص 112.

(18) شويهد، قانون، ص 50.

(19) الشيخ أبو اليقظان ابراهيم، ملحق السير، مخ مصور ،القسم الأول، ص81

(20) محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة المجالات والاتجاهات، ن: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 04، 2007م، ص 8.

(21) عبدالسلام المسدّي، اللسانيات من خلال النصوص، ن: دار الكتب التونسية للنشر، (د ط)، 1984م، ص 172.

(22) المصدر السابق ، ص 175

(23) صالح بلعيد، في الامن اللغوي، ن: دار هومة الجزائر، د ط، 2010م، ص 224.

(24) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر 1392هـ/1972م، ص 94.

(25) ناصر الدين سعيدوني – الشيخ المهدي البوعبدلّي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ن: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 114.

(26) شويهد، قانون، ص 91.

(27) وقاد، جماعة بني مزاب، ص 198.

(28) وليام شالر، مذكرات، ص 112.

(29) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 115.

(30) المصدر نفسه، ص 316– 336.

(31) شويهد، قانون، ص 49.

(32) المصدر نفسه، ص 42.

(33) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 123.

(34) المصدر نفسه، ص 124.

(35) يذكر جدي السيد الحاج يوسف بن قاسم باي أحمد أن هذا الدعاء مما أوصته والدته بترديـــده عند بداية العمل وهو ما طبقه فعلا وقـــد تبعه بعض العمال الذين كانوا معه في المتجـــر .ومعنـــى الدعاء بالتقريب (يا رب السماوات والأرض أرزقني يا من رزقت المنقطع في الصحراء).

(36) اتفاق علماء وادي مزاب بتاريخ: أواسط رجب 1249هـــ، نسخة مصورة بحوزتنا.

(37) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 124.

(38) وليام شالر، مذكرات، ص 67.

(39) انظر مثلا: https://gallica.bnf.fr

(40) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 125.

(41) حمو النوري، دور الميزابيين، ص 172

(42) عـــن السيد بعمارة بكير المهتم بتراث منطقة وادي مزاب .

(43) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 106.

(44) رواه أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم: 22391.

(45) عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني مـــن القـــرن 14م منشورات سعيدان، ط 1، 2002م، ص 44.

(46) شويهد، قانون، ص 39.

(47) وليام شالر، مذكرات، ص 99.

(48) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 188.

(49) شويهد، قانون، ص 61.

(50) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 73.

(51) وليام شالر، مذكرات، ص 78.

(52) المصدر نفسه، ص 80.

(53) المصدر نفسه، ص 112-117 .

(54) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، ص 124.

(55) وقاد، جماعة بني مزاب، ص 192.

(56) شويهد، قانون، ص 98.

(57) فطيمة حاج عمر، التماسك الاجتماعي والاحتفالية الدينية في الوسط النسوي بمنطقة غرداية . مذكرة ماجستير ، المركز الجامعي غرداية، الموسم الدراسي 2011/2010 . ملحق الرسالة .

(58) خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: د. محمد دراج، شـــركة الأصـــالة للنشر والتوزيع، ط 01، 1431هـــ/2010م، ص 77.

سؤال الهوية الوطنية
في ظل التعايش بين العربية والمازيغية في الجزائر

أ/ محمد حراث
جامعة خميس مليانة
momo.adab@gmail.com

المقدمة:

تتشكّل هوية الجزائر، على غرار غيرها من الدول، من الدين، واللغة والعادات والتقاليد، والتاريخ، وغيرها من مقومات الهوية الأساسية. وتتموضع اللغة أو اللسان في مقام أعلى، وشأنٍ أخطر، بين هاتيك المقومات. ذلك أنّ التنازع اللساني أو الصراعات اللغوية واللّهجية كفيلة بزعزعة الاستقرار والأمن الداخلي للدول والحضارات. كما أنّها بالمقابل عامل مهم في استقرار الحياة داخل الدول إذا تمت السيطرة عليها، والتعامل مع القضية اللغوية بمنهجية علمية، أو تحقيق ما يسمى بالتعايش اللغوي.

والناظر الممعن إلى حال الواقع اللساني في الجزائر، يرى أنّ الأمة الجزائرية على امتداد تاريخها، واختلاف الأمم التي تعاقبت عليها، ثم على اختلاف وتعدّد أجناسها وشعوبها، واختلاف الظروف السياسية التي مرّت بها؛ فإنه يرى أنّ الدولة الجزائرية استطاعت أن تحقق تعايشا لغويا، وشكّلت لنفسها فسيفساء لسانية متعدّدة فكأنها حضارات داخل أمة واحدة، تعايشت هذه الاستعمالات اللسانية مع بعضها، ولم تعرف تنازعا ذا بال.

فقد عاشت المازيغية والعربية جنبا إلى جنب كما عاش العرب الفاتحون مع البربر الأمازيغ. دون أن ننسى ما تناسل عن هاتين اللغتين من لهجات متنوعة متعدّدة، تشكّل زخما حضاريا تزخر به الجزائر ويفتخر به تاريخها، وينضاف إلى ما

تمتاز به الحضارة الجزائرية –إن صح هذا المصطلح. فهذا التعدّد اللساني: (اللغوي واللهجي) إنما هو تعدد تنوع وثراء لا تعدد اختلاف وتنازع. ومما حقق هذا التعايش بصورة أوضح هو ترسيم اللغة المازيغية إلى جانب اللغة العربية.

إنّ الغوص في جزئيات مسألة المازيغية غوصٌ خطير، والباحث فيها عن حلّ كباحثٍ عن إبرةٍ في كومةِ قشّ؛ ذلك أنّ الجزئيات كثيرة وعميقة، بعضها محلّ جدل عميق، وبعضها الآخر يدمي الأفئدة، والواقع الأمازيغي الجزائري مشحون بعد أن حصلت الأمازيغية على مكان في أوراق الدّستور الجزائري، وغابت في الواقع عن الحضور الفعلي، وغابت في أجندة التوظيف.

واقع المازيغية في الجزائر:

وأمّا واقع المازيغية، فيجب أن نفرّق بين المازيغية لغةً، وبين لهجاتها؛ فأمّا اللغة المازيغية الحديثة الأكاديمية؛ فموجودة في بعض المدارس ومعاهد الجامعات المتخصصة في اللغة المازيغية بشكل قليل إذا ما قورنت بغيرها. وأمّا اللهجات المازيغية في الجزائر فأشهرها أربعة: القبائلية والشاوية والميزابية والترقية. وهذه الأخيرة، أي الترقية: هي الأقرب إلى المازيغية الأولى، التي كانت هنا في الجزائر قبل قرون. وهذا ما جعل الباحث اللساني مولود معمري –رحمه الله– بعد أن نال شهادة الدكتوراه في فرنسا حول بحثه في اللغات الميتة وتخصيص بحثه في اللغة اللاتينية؛ حاول إحياء وبعث اللغة الأمازيغية البربرية الأولى، فذهب إلى الجنوب الجزائري، ودرس اللغة الترقية، فوضع قواعد اللغة المازيغية الحديثة بناء على ما استفاده من اللغة الترقية التي بقيت بعيدة عن الاحتلالات المتوالية والاحتكاكات الأجنبية من الشعوب والحضارات التي توافدت على الجزائر.

وأمّا القبائلية والتي يدعي أهلها اليوم أنها لغة الجزائريين الأولى، فهي بعيدة كل البعد عن المازيغية البربرية التي كانت لغة شفوية للجزائريين منذ قديم الزمن، ولم تكن المازيغية يوما لغة ديوان أو كتابة للبربر الأوائل. فاللهجة القبائلية اليوم هي خليط بين اللغة الأجنبية/ الفرنسية، وبعض بقايا المازيغية التي كان قد حافظ عليها

أهل القرى والمداشر في قمم الجبال، مع حفاظهم أيضا على لغة قرآنهم وصـــلاتهم. وأمّا الشاوية فبقيت منطوية على منطقة الأوراس، ولم يشارك أهلها في نشـــرها ولا في كتابتها، فبقيت منحصرة في شكلها الشفوي. وكذلك انحصرت اللهجـــة الميزابيـــة في ولاية غرداية وتفتقد فعليا إلى أدب مكتوب.

في الأخير نجد اللغة الترقية، بمنطقة الأهقار أقصى جنوب البلاد، والتي تفتقد إلى الدراسات اللسانية الكافية، إذْ تظل متصلة فقط بالشق الموسيقى منها، والتـــي نجهـــل عنها الكثير، إلا أنها تظل تتشبث بخيط الاستمرار من خلال فرض الحضـــور فـــي اللقاءات والمناسبات العائلية المختلفة[1].

سؤال الهوية في ظل التعدد اللغوي.

إنّ الناظر بعين بصيرته منصفا ليدرك جليا أنّ هوية الجزائري في لغتـــه هويـــة تحمل التعدد تنوعا لا اختلافا، فقد عاشت العربية إلى جنب المازيغيـــة قرونـــا مـــن الزمن، بَلْهَ الحديث عن خدمة الأمازيغ أجدادنا للغـــة العربيـــة، فوضـــعوا نحوهـــا وصرفها وشرحوا القرآن، وفسروه وفتحوا الزوايا لتعليم القرآن والعربية.

إن هوية الجزائري اللغوية تظهر حين أبقى اللغة المازيغيـــة عبـــر قـــرون مـــن الزمن، لغة مشافهة فقط، للتواصل، وجعل من العربية منذ الفـــتح الإســـلامي لغتـــه الرسمية، فأدخلها الإدارة والديوان والمسجد والقضاء. لقد ارتضاها أجدادنا لغةً لدينهم كما ارتضوا الإسلام. فالإسلام دخل دولا كثيرة، فبقي الإسلام فيها، وعادت العربيـــة إلى بلاد المغرب الإسلامي، فقد حافظت عليهما معا، ونشرتهما معا، وهذا بُعدٌ عميقٌ فهمه أجدادنا في إيمانهم بالوحدة الضّروريّة، فتخلّوا عن أنانيّتهم، وعن الفهم الضّـــيّق لحدود الهويّة الوطنيّة بمختلف أبعادها، وأسهموا في ترقية اللغة العربية، وفي نشرها وتعليمها، وبرزت في السّاحة أسماء لامعة عدّة، أمازيغيّة الأصـــل، خـــدمت اللغـــة العربية إلى جانب خدمتها الإسلام. وإلا فالأمازيغ كانوا قادرين على طرد المســـلمين وطرد لغتهم كما فعلوا مع الرومان والوندال وغيرهم من الحضارات التـــي تعاقبـــت

على هذه الرقعة الجغرافية. لذا لا ينبغي لأحد منا اليوم أن يحاسب أجدادنا على هذا الاختيار الارتضائي الذي جبلوا أنفسهم عليه.

إنّ الأمازيغيين هم من فتحوا أذرعهم مرحّبين بإخوانهم العرب الفاتحين، إذْ وجدوا فيهم كلّ ما لم يجدوه مع الغزاة السابقين، وإلا فبماذا نفسّر عدم ترجمة معاني القرآن العظيم إلى الأمازيغية؟ مع العلم أنه ترجم إلى أكثر من 600 لغة على الرّغم من بعض الرّوايات التي تقول إنّه ترجم إلى المازيغيّة، إلاّ أنّ هذه الرّواية لا تستند إلى دليل يثبت حقيقة المسألة. لقد ظلّ المازيغيون يقرؤون القرآن العظيم باللغة العربية دون أيّ حرج، ولم تبدأ عمليات الترجمة إلا في أوائل القرن الواحد والعشرين.

إن هوية الجزائري اليوم: أمازيغي عرّبه الإسلام ورضي بالعربية كما رضي بالمازيغية، وجعل من العربية لغة تجمع بين الشعب كله باختلاف أطيافه وأعراقه ولهجاته، فلا ينبغي لأحد أن يميز فردا على فرد، فالفاتحون كانوا (10) آلاف، بقي منهم ألف ورجع منهم (9) آلاف؛ فهل هذه الألف وحدها هي التي نشرت الإسلام في كامل شمال إفريقيا؟ وهل هذه الألف وحدها ولدت هذه الملايين من الجزائريين العرب؟ إنّهم أمازيغيون تعرّبوا بمحض إرادتهم، فليس من حقّ من أراد أنْ يحافظ على لغته المازيغية، أن يلوم من أراد أنْ يتخذ له لغة أخرى كالعربية. لا أحد منا يملك السند القاطع على أمازيغيته ولا على عروبته. إنّ قرونا من الزّمن مرّت كانت كافيةً لردم كلّ الأسوار العرقية بيننا. فكلنا أمازيغ عرّبنا الإسلام، ذلك أنّ العربي هو عربيّ اللسان لا العِرق.

إنّ هويّة الشّعوب -كما يقول الدّكتور صالح بلعيد- هي عبارةٌ عن تراكم من التجارب والمكتسبات والتّفاعلات مع أدوار التّاريخ. ولقد احتضنت بلاد الشّمال الإفريقيّ القرآن العظيم ولغته، وجعلوها جزءا من هُويّتهم وشخصيّتهم، وصار استعمال اللسان العربيّ من شعائر الإسلام في بلاد المغرب والأندلس. وهذا بُعدٌ عميقٌ فهمه أجدادنا في إيمانهم بالوحدة الضّروريّة، فتخلّوا عن أنانيّتهم، وعن الفهم

الضّيّق لحدود الهويّة الوطنيّة بمختلف أبعادها، وأسهموا في ترقية اللغة العربية وفي نشرها وتعليمها، وبرزت في السّاحة أسماء لامعة عدّة، أمازيغيّة الأصل خدمت اللغة العربية إلى جانب خدمتها الإسلام.

أخوة العربية والمازيغية.

إن اللغة العربية في الجزائر -كما يقول الدكتور صالح بلعيد- لغة موحِّدة لا آحادية، اعتمادها لا يعني إقصاء غيرها، فلا ينبغي بحال من الأحوال الانقياد إلى هذه الحرب البسوسية التي افتعلتها الفرنسية بين المازيغية والعربية، هذا الثّنائيّ الذي أعبّرُ عنه بقولي: التّسامح أثبته التّاريخ، والصّراع أوجده العملاء. ذلك أنّ الرّائي الممعن في تاريخ التلاقي المازيغي العربي في مجال التلاغي يرى أنّ الأمازيغية عايشت العربية قرونا من الزّمن، ولم يسجّل عليها التّاريخ منذ ما يقارب الخمسة عشر قرنا مواجهة أو مضايقة من اللغة العربية، بل كانتا متضامّتين، ولم يحدث بينهما تمييز اجتماعيّ قطّ. "فالتّمييز الاجتماعيّ أحدثته الفرنسيّة التي خلقت نوعا من النّخبة الوطنيّة المتعالية والتي أضحت تعتدي على الثوابت"[2]، ولا ترعى لجزائريٍّ حرمةً؛ لا في لغته ولا في دينه ولا في هويته الحضارية.

فاللغة الفرنسية يجب أن تُعامل كما تعامل جميع اللغات الأجنبية، على مبدأ المنفعة، نأخذ منها ما ينفعنا، ولا نسمح لها في الوقت نفسه باحتلال مساحات تكون العربية أولى بها. ولا ضير في استعمال العاميات، لأن مستعمل العامية إنما يعرف مقام الفصحى منها، وأنها أعلى من العاميات، ولكن خطر العاميات والدوارج يكمن في الدعوة إلى اعتمادها لغة على حساب العربية الفصحى.

إنّ الأمازيغيين كانوا يقدّسون اللغة العربيّة، بل ويعلونها على المازيغية، بَلْهَ الحديثُ عن تسابقهم في مناسبة العرب ومصاهرتهم، وحتّى تلفيق الأنساب والتّفاخر بالانتساب إلى العرب، ولقد كان المازيغيون يتكلمون بالمازيغية ويتكاتبون بالعربية. وكان الخطّ المازيغي يعتمد الحرف العربي حتى الاستقلال، ثمّ جاء جماعة من الباحثين المُغَرَّر بهم ودعوا إلى الاستغناء عن الحرف العربي. "ولم يسجّل لنا التّاريخ

كذلك أنّه حدث صراع حول الامتياز الذي حظيت به العربية في الشّمال الإفريقي عامة، وفي الجزائر خاصّة. ولذا يمكن قطع الطّريق أمام حَرَشَة الصّراعات ومثيري النّعرات، بالنّظر إلى المسألة اللغويّة في إطار الاحترام اللغويّ، وتوزيع مختلف الأدوار والوظائف بين اللغتين: العربية والمازيغيّة بالشّكل الذي يناسب كلاًّ منهما والبعد كلّ البعد عن التّبعيّة اللغويّة الأجنبيّة"[3].

إنّ الجزائر ليس فيها تعدّدية لغويّة، وإنّما هو تكاملٌ وتعايش لغويّ، فالمجتمع الجزائريّ -كما يقول الدّكتور صالح بلعيد- له عينان: عين العربية وعين المازيغية فدون العربية أعمى، ودون المازيغيّة أعور، وما يأتي خارج هاتين اللغتين فهو خطر بل هو الرّمد. وإنّ العلاقة بين المازيغية والعربية في الجزائر لا تحتاج إلى برهنة فالتّسامح أثبته التّاريخ والصّراع أوجده العملاء. وأمّا علاقة الفرنسيّة بالعربيّة فكانت علاقة تعالٍ وإقصاء، وكانت علاقة الفرنسيّة بالمازيغية محاولةَ احتواءٍ، وتحريضا وتلبيسا للحقائق.

الحرف المازيغي الذي يحقق التعايش.

ومن شروط تحقيق التعايش اللغوي أو الوحدة اللغوية، أن تكتب المازيغية بالحرف العربي، لأنها كانت كذلك تكتب من قبل، ولم تعانِ من أي مشكلة ولم تتعرض إلى أي عائق، ولأنها ستكون أقرب للمتكلم بالعربية حتى يسهل عليه تلقنها وتعلمها وتعليمها. فكتابتها بالحرف اللاتيني يجعلها تقف إلى جنب اللغة الفرنسية ضد العربية. دون أن ننسى النية السيئة المبيتة للذين يدعون إلى كتابتها بالحرف اللاتيني. دون أن ننسى كذلك تواؤمها مع الحرف العربي صوتيا أكثر من تواؤمها مع الحرف اللاتيني. مع أننا نذكر بأن هذا الحل يجب أن يكون حلا اضطراريا مؤقتا، لأنه لا مكان للغة إلا بحروفها الأصلية، فيجب أن تكتب المازيغية بحرف التيفيناغ، ويجب أن ننظر إلى مشروع تطوير هذا الحرف بجدية وحزم، وإلا بقيت المازيغية حبيسة التراجع الذي تعيشه عاما بعد عام.

إنّ كتابة المازيغيّة بالحرف اللاتيني هو تكريس للتبعيــة والتعصــب والتطــرف تعصّبٌ وتطرّفٌ في إقصاء العربيّة، وتبعيّة عمياء للمحتــلّ الأجنبــيّ، وإذْ أحــاول انتشال المازيغيّة من براثن الحرف اللاتيني، فإنّي لا أزجُّ بهــا فــي إنــاء الحــرف العربي، بل أقول إنّ رقيَّ اللغة مرهون برقيّ خطّها، وترسيمة حروفها؛ وإنّما دعــا بعض المنصفين إلى اعتماد الحرف العربي لأنّه يؤدّي إلى الوحدة الوطنيّة والتعــايش اللغوي، ويرسّخ الهويّة الجزائرية، أكثر من الحرف اللاتيني؛ ولأنّه أيضــا لا فــرق بين الهوية العربية والمازيغية في الجزائر؛ فالعربيّ الجزائريّ أمازيغيٌّ بالضّــرورة والأمازيغيّ الجزائريّ عربيٌّ بالضّرورة كذلك.

إنّ كتابة المازيغية بالحرف العربي تقرّبها منا، وتجمعنا عليهــا، خاصــة وأنهــا تقدّست حين ترجمت معاني القرآن العظيم، وكتابةُ هذه الترجمــة كانــت بــالحرف العربي. وصدق القائل: "إنّ الأمازيغية التي توحد بيننا، وتقربنا من الدين فمرحبا بها وهي على الرأس والعين. أما الأمازيغية التي تفرّق بيننا، وتبعدنا عــن الــدين فــلا مرحبا بها، ولا كانت، ولا كنّا"[4].

ومن خلال الدراسة العلمية للحروف الثلاثة المحتملة لكتابة المازيغيــة: حــرف التيفيناغ، والحرف العربي، والحرف اللاتيني، فإنّ حرف التيفيناغ مــا زال يحتــاج دراسة وتهيئةً، واهتماما جدّيا. وأما الحرف اللاتيني "فهو قاصر وبعيد كلّ البعد عــن أداء أصوات الأمازيغية". على عكس الحرف العربي الذي استطاع تغطيــة معظــم الأصوات المازيغية. والقليل جدا يسهل تغطيته بتغييــر طفيــف جــدا فــي بعــض الحروف. لذا فإنّ أولوية الحرف العربي هي أولوية علمية منطقية، قبــل أن تكــون أولوية وطنية وهوياتية.

وممن درس موضوع الخط المازيغي الشيخ المترجم سي حاج محند طيب حفظه الله. كما لا ننسى دراسات الدكتور صالح بلعيد في كتاباتــه ومقالاتــه، منهــا كتبــه الثلاثة: المازيغية في خطر[5]، المازيغيات[6]، في المسألة المازيغية[7]. حيث تطرق إلــى مسألة الحرف الأنسب لكتابة المازيغية، وتحدث عن تــاريخ العلاقــة بــين اللغتــين

والحرفين، أن 70% من الألفاظ المازيغية من أصول عربية. كما تحدث عن معركة الحرف المازيغي المفتعلة، وعرج أيضا على واقع حال حرف التيفيناغ.

الخاتمة.

في الختام أقول: حتى نحقق هذا التعايش اللغوي المنشود، وحتى تستمر شعلة فتيلته وثمرة فسيلته، يجب أن لا نستمع لشخصين: الأول متكلم بالعربية يرفض المازيغية إطلاقا، ومتكلم بالمازيغية يرفض العربية إطلاقا. وقد قلتً: متكلما بالعربية أو المازيغية لم أقل: عربيا أو مازيغيا؛ لأنه لا أحد منا اليوم على الإطلاق يملك الدليل القاطع على عروبته أو مازيغيته، فنحن عرب لسانا ومازيغ لسانا، قد ذابت الفروق العرقية منذ مجيء الإسلام. وقد فتح العرب الفاتحون أيديهم وقلوبهم لسكان الجزائر آنذاك، وفتح المازيغيون قلوبهم للعرب وللغتهم، بل إنّ من خدم العربية ونشرها في الجزائر لم يكونوا العرب، وإنما هم أجدادنا الأمازيغ الأحرار الذي فقهوا وفهموا عمق المسألة، ولم يتلقوا الأوامر من وراء البحار.

إنّ هؤلاء الذين ينصبون العداء للغة العربية ممّن يُحسبون على المازيغية تكتنف دعوتهم أهداف مُبَيَّتة، وكأنّي بهم يريدون "محاسبة الأجداد على هذا الاختيار وكأنّهم لم يحسنوا الاختيار"[8]. وهيهات لهم أنْ يزيلوا هذا الطّبع من الذّات التي انطبعت به عبر قرونٍ أربعة عشر.

وإنْ كان هؤلاء الذين يُحسبون على المازيغية يستنجدون بالفرنسية وبفرنسا بزعمهم أن الفرنسية أنصفتهم والعربية أقصت المازيغية. فأسألهم: لماذا فرنسا أبادت أهلكم في الماضي، ولم تشجّع استعمالكم للمازيغية؟ ولماذا منعتكم من التكلم بالمازيغية، وفرضت عليكم الفرنسية فرضا قاهرا؟ واليوم بعد أنْ رأت فرنسا أنّ المازيغية تحالفت وتآخت مع العربية بعد الاستقلال، حاولت -بمكرها المعهود فيها- فَصْمَ عُرَى هذا التآخي بحجّة المطلب الهُويّاتي، وسار وراءها شرذمةٌ من الباحثين وكانت انطلاقتهم من فرنسا لا من الجزائر، وحسبنا بذلك دليلا يجعلنا نطعن في هويتهم المازيغية الصّادقة.

الهوامش

[1] – تــمّ نشر هذا الموضوع على صفحات جريدة الخبر الجزائرية بتاريخ 14 ماي 2009 http://www.algeriachannel.net/?p=82

[2] – في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، 2008م، ص13.

[3] – في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، صالح بلعيد، ص 14، 15.

[4] – ما هو الحرف الأنسب لكتابة الأمازيغية؟ حرف تيفيناغ؟ الحــرف اللاتينــي؟ الحــرف العربي؟، سي حاج محند طيب، أعمال ملتقى دولي: جهود ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية الواقع والآفاق، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1438هـــ/ 2017م منشــورات المجلس الأعلى للغة العربية 2017، ص361.

[5] – المازيغية في خطر، صالح بلعيد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، تيزي وزو، 2011.

[6] – المازيغيات، صالح بلعيد، منشورات مخبر الممارات اللغوية في الجزائــر، تيــزي وزو 2012.

[7] – في المسألة المازيغية، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، ط2.

[8] – في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، صالح بلعيد، ص 45.

آفاق الجزائر الرائدة في التعايش اللغوي

Algeria's leading prospects in the linguistic coexistence

د.م كاكي محمد

جامعة الجلفة (قسم العلوم الإنسانية)

mohamed.kaki@ymail.com

الملخــص

سأتناول في هذه الدراسة أحد مواضيع الملتقى الموسوم بعنوان(التّعايش اللّغــويّ في الجزائر بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التّعــديل الدّســتوريّ الجديــد)، حيــث سأتطرق لمختلف العناصر التي يتناولها موضوع التعايش اللغوي، مع التركيز علـــى الظاهرة في الدولة الجزائرية، وفق ما تتوفر عليه من ثراء لغوي ولهجـــي يعكــس تنوع بنيتها البشرية، وعمقها التاريخي، وتراثها الحضاري الزاخر بمقومات التـــداول السياسي، والتراكم اللغوي، والتداخل بين مختلف العائلات اللغوية، مع التميــز بـــين اللغات الكبرى التي تخدم الوحدة القومية والوطنية، بكل لهجاتها ومفرداتها ومعانيهـــا وثرائها اللغوي، والقصصي، والأدبي، المتواصل عبر التاريخ..

سأتناول الدراسة انطلاقا من الإشكال العام لموضوع الملتقى، والمتعلــق بواقـــع التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والأمازيغيّة وذلك في ظل الترسيم النهـــائي للأمازيغية، وعلى ضوء المعطيات الواقعية لا ننسى أن اللغة أصلا سمة بشـــرية لا يمكن فصلها، أو إهمالها ، وهي تحمل أقدم وأعرق مقومات البشر، وتؤكد جـــذورهم وأصولهم، كما تعكس مستوى رقيهم الحضاري، ونشاطهم المعرفي، لأن اللغة كمـــا ورد في قوله تعالي دلالة على تنوع البشر، وقوة الخالق، (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَــاتٍ لِلْعَــالِمِينَ/ الــرّوم: 22)

فهي من السنن الكونية، وتعددها يدل على تعدّد المجتمعات، وتنوّع الأعراق وهو ما يطرح قصة الاختلاف بين البشر قبائل وشعوب، والتي يتوجب التعامل معها حضاريا، وأخلاقيا، والتّعايش الأخوي بفضلها، لأنها تصبح عامل وحدة وانسجام وتكامل كما هو الحال في اللغة العربية التي وحدت بفضل القرآن شعوب العرب المستعربة(في اليمن والحجاز والخليج..) وشعوب العرب المستعجمة(في شمال إفريقيا، وآسيا الصغرى، وإفريقيا..)، ولعل قولة العلامة الرائد عبد الحميد بن باديس لدليل على ذلك بقوله شعب الجزائر مسلم، وإلى العروبة ينتسب، أي الانتساب اللساني..

إن هذا التعايش كفيل بأن يضمن البقاء لكلّ منّا على اختلاف لغته، أو هويّته، أو دينه، طالما أنّ الوطن يسع الجميع، ويضمن للّغة مثلما يضمن للبشر، البقاء والصّمود أمام كلّ الحروب اللّغويّة، والنّعرات الطّائفيّة الّتي يمكن أنْ تثيرها مشكلة التّعدّد.

ولكي أقدم الموضوع وفق هذا السياق، وعلى ضوء الإشكال العام، اخترت المحور الثالث من محاور الملتقى منطلقا لتحليل حيثياته، وتقديم الإجابات الملائمة له، وهو المحور المتعلق بـ: (تجارب ناجحة لدول أجنبيّة في تحقيق التّعايش اللّغويّ)، حيث سأقدم نماذج من الواقع المعيش لبلدان تضم العديد من القوميات والأعراق، وتعيش سويا بمعية لغة وطنية واحدة، لغة تجمعها أكثر مما تفرقها كالصين وروسيا والهند، وأثيوبيا، ونيجيريا، وبلدان أخرى احترمت خصوصيات وتركيبة مجتمعها فألفت بين لغاتها الوطنية، وتعاملت بها جميعا، مثل سويسرا التي تضم الجرمانية والفرنسية والإيطالية والرومانية، وكندا التي تتعامل سويا بلغتين رسميتين هما الفرنسية والأنجليزية..، وهكذا بفضل التجارب الناجحة للدور الرائد في استثمار لغاتها الوطنية كعناصر قوة وحضارة وتراث..

ولذا يمكن تحقيق التعايش اللغوي في الكثير من البلدان التي تمزقها الضغائن والمحن، وتتصارع فيها الأقليات والإثنيات، وسيكون موضوعنا مركّزا على الجزائر التي أعطت القدوة ولو بشكل متأخر، وأولت ملفها اللغوي والثقافي عناية بعد تأكدها

أن الواقع المعيش يفرض التعايش والتعاون سويا، وأن التراث الوطني هو نسيج كل اللغات والثقافات والأعراق التي جمعتها حضارة واحدة حولت العالم من الجهل إلى النور، وهي الحضارة الإسلامية التي تتحمل وتنسجم مع كل اللغات والفنون والأعراق **(لا فرق بين عربي و لا أعجمي و لا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى)**، **(إن هذه أمتكم أمة واحدة/الأنبياء:92)**، **(المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص/ الإمام النووي)**، وقد سارت الدّولة الجزائريّة فعلا خطوات جادّة في سبيل تحقيق التّعايش اللّغويّ بين اللّغات الوطنيّة المتعايشة على أرض الوطن، في إعادة رسم سياستها اللّغويّة من خلال التّعديل الدّستوري الجديد المؤرّخ في 06 مارس 2016م والقاضي في مادّته الرّابعة بأنّ "تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة" والذي تمّ من خلاله للأمازيغيّة اعتلاء منزلة الرّسمية جنبا إلى جنب مع العربيّة.

وقد اخترت لدراستي عنوانا يتضمن كل الخطوات التي سبق ذكرها، وهو**(آفاق الجزائر الرائدة في التعايش اللغوي)**، حيث سأركز بالإضافة لما سبق ذكره على مشكلّة التّعدّد اللّغويّ في الجزائر كونها أفضل حالا من غيرها في المجتمعات التي تعيش التّعدد بشكل أكبر، لأن هذا التعايش اللغوي يعتبر موضوعا إنسانيا وحضاريّا وأساسيا في حياة المجتمعات المتعدّدة اللّغات، ولذا يجب العمل على تحقيقه، ومن ثمة استثمار اللّغتين الرّسميتين في الجزائر في التّطوير في مختلف مجالات الحياة والوصول لتحقيق الأهداف التي يترجاها الجميع، والتي من بينها: التّعريف بجهود الدّولة الجزائريّة في تحقيق التّعايش اللّغويّ، واستشراف مستقبل اللّغتين الرّسميّتين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد، بل ووضع تخطيط تربويّ مُحْكَم لتعليم اللّغتين العربيّة والأمازيغيّة، يتماشى وإمكانات الدّولة الجزائريّة، مع وضع مخطّط عمليّ لحركة التّرجمة من اللّغات الأجنبيّة إلى اللّغتين العربيّة والأمازيغيّة من جهة، وبين العربيّة والأمازيغيّة من جهة أخرى، هذا بالإضافة للاستفادة من خبرات الدّول في وضع المُخطَّطات التّربويّة لتعليم اللّغات الوطنيّة..

Abstract

In this study, I will address one of the topics of the seminar titled (**the linguistic coexistence in Algeria between Arabic and Amazigh in light of the new constitutional amendment**), I will address the various elements dealt with in the subject of linguistic coexistence, with a focus on the phenomenon in the Algerian state, Reflects the diversity of its human structure, its historical depth and its rich cultural heritage with the elements of political deliberation, linguistic accumulation, and the interplay between the different linguistic families, with the distinction between the major languages that serve the national and national unity, with all their dialects, vocabulary, meanings and richness. Linguistically, nonverbal, and literary, continuous throughout the history...

the study will be based on the general issue of the topic of the forum, concerning the reality of linguistic coexistence in Algeria between Arabic and Amazigh in light of the final demarcation of Amazigh, and In the light of factual data, we do not forget that language is originally a human trait that can not be separated, and It carries the oldest and most basic human elements, and stresses their roots and origins, As well as reflect the level of cultural advancement, and their knowledge,

Because the language as stated in his saying(The holy god) , is a sign of the diversity of people, and the power of the Creator,(Among his signs is the creation of the heavens and the earth, and the difference of your tongues and colors)(Al-Rum, verse 22), It is a universal Sunan, and its multiplicity indicates the multiplicity of societies, and the diversity of races, which is the story of the difference between human tribes and peoples, which must be dealt with civilized, And brotherly co-existence thanks to it, because it becomes a factor of unity, harmony

and complementarity, as in the Arabic language, which has been limited by the Arab peoples (Yemen, the Hijaz and the Gulf) and the Arab peoples in North Africa, Asia Minor and Africa. The leading scholar Abdelhamid Ben Badis is proof of this by saying that the people of Algeria are Muslims, and that Arabism belongs to them, ie, linguistic affiliation.

This coexistence can ensure that each one of us can maintain his or her own language, identity or religion, as long as the homeland is for everyone, and guarantees language as it guarantees human beings to survive and withstand all linguistic wars and sectarian strife that can be raised by the problem of pluralism.

and In order to present the subject in this context, and in the light of the general problem, I chose the third axis of the adjacent forum as a starting point to analyze its merits, and provide appropriate answers to it, which is related to: (**Successful experiences of foreign countries in the achievement of linguistic coexistence**), Where I will present models of the realities of countries with many nationalities and ethnicities living together in one national language, a language that brings together more than they divide, such as China, Russia, India, Ethiopia, Nigeria and other countries that respected the peculiarities and composition of their society. Switzerland, which includes German, French, Italian and Romanian, and Canada, which deal in two official languages, French and English,

Thus, it is possible to achieve linguistic coexistence in many countries that are torn by hatred and tribulations, where minorities and ethnic groups will struggle. Our focus will be on Algeria, which gave the example even later, and its language file And the cultural heritage after it is sure that the reality of living and coexistence necessitates co-

existence, and that the national heritage is the fabric of all languages, cultures and ethnicities collected by one civilization that transformed the world from ignorance to light, an Islamic civilization that bears and complies with all languages, For races, (There is no difference between Arab and non-Ajami and not white or black except piety), (this is your nation one nation / the prophets: 92), (the believer of the believer is such as the compact construction/ Imam al-Nawawi), the Algerian state has already taken serious steps towards coexistence The language of the national languages living together in the homeland, in redrafting its language policy through the new constitutional amendment of March 6, 2016, the judge in the fourth article that "Tamazight is also a national language and official" in which the Tamazight took the status of official along with Arabic.

and I have chosen for my study a title that includes all the steps mentioned above, namely (**Algeria's leading prospects of linguistic coexistence**), In addition to the above, I will focus on the problem of multilingualism in Algeria as it is better off than others in communities that live in greater diversity, Because this linguistic coexistence is a human, civilized and fundamental theme in the lives of multilingual societies, And therefore must work to achieve, and hence invest the two official languages in Algeria in the development in various areas of life, and to achieve the goals that come out of everyone..

آفاق الجزائر الرائدة في التعايش اللغوي

Algeria's leading prospects of linguistic coexistence

المبحث الأول : التعايش اللغوي..المفهوم..والآليات

1) مفهوم التعايش

= التعايش أن نتعلم للعيش المشترك، وقبول الاختلاف، وجعل العالم مكانـــاً آمنـــاً له..

التعايش علاقته بكلمة الآخرين، والاعتراف بأن الآخرين موجودون

= التعايش التعلم للعيش المشترك، والقبول بالتنوع، بما يضـــمن وجـــود علاقـــة إيجابية مع الآخر. لتعزيز الكرامة والحريـــة والاســـتقلال بـــين الفـــرد والجماعـــة والعلاقات بين الدول..

= هيغل: فإن جوهر فكره قائم على مصطلح وجود(**Existenz**) وهو في الأساس تعايش(**Koexistenz**)، وينطبق ذلك على الأفراد والجماعات والطبقات فالمطلوب هو الاعتراف المتبادل، كشرط ضروري من أجل الحرية والاستقلال.

2) التعايش كنموذج في العلاقات بين الدول:

= فالتعايش السلمي في هذا السياق يعني علاقة سلمية بين الدول، فـــي حـــين أن التنمية المركزية لكل دولة تتطلب التعايش داخل الدولة، وعدم التدخل فـــي الشـــؤون الداخلية للدول الأخرى، وقد كان ذلك أحد أهم الركائز الأساسية لدبلوماسية الدولة.

= وكان لينين أول من أعلن التعايش السلمي باعتباره سياسة الدولة للثورة كتكتيك ثوري مع الغرب خلال المرحلة الأولى من الثورة الروسية..

= وفي سياق الحرب الباردة فإن خروتشوف جعل من التعايش السلمي تحولاً استراتيجيًّا ضد التدمير المتبادل للنظامين الغربي والشرقي.

= وأما التعايش وفقاً لغورباتشوف فهو يعني استمرار الصراع بين النظم الاجتماعية ولكن بالطرق السلمية، من دون حرب..

= واستخدم مؤتمر باندونغ مفهوم التعايش، وذلك بهدف خلق بيئة دولية أكثر سلمية

= ودعا جواهر لال نهرو لمفهومه للتعايش السلمي بين القوتين العظيمتين من حيث المبادئ الخمسة: الاحترام المتبادل لسلامة الأراضي وسيادتها، وعدم الاعتداء وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضها البعض، والمساواة، والمصالح المتبادلة .

= وكانت فكرة التعايش متجذرة في استراتيجية غاندي (ساتياغراها)، أو نبذ العنف.

3) التعايش داخل الدول:

فالتعايش بين مختلف الشعوب والأعراق والجماعات الدينية والعشائر والقبائل وطيف من الهويات هو التحدي الكبير، كما أن التعايش بين الشعوب أصبح ضرورة ملحة في المرحلة المقبلة من تطور الحضارة.

= **جان مونيه(Jean Monnet)**: عمل على صياغة إطار معياري لتطوير التعايش السلمي بين فرنسا وألمانيا، من خلال التعاون الاقتصادي، ومن ثم إلى توسيع مفهوم أوروبا ككل، والذي يقدم مثالاً ممتازاً على الاعتراف بالتنوع والمحافظة على التعايش [(1)] .

4) الهوية والانتماء العرقي والتعايش:

إن الغالبية الساحقة من الدول القومية في مجتمعنا العالمي تكشف عن انقسامات داخلية كبيرة، على أساس العرق والجنس والدين، كما أن نوعية هذه الاختلافات في العملية الاجتماعية والسياسية تختلف على نطاق واسع، وكذلك مدى شدة أهميتها في تسييس الشرائح الاجتماعية، سواء داخل الدول أم فيما بينها، كما أن الافتراض

الأساسي بعد انتشار صراعات الهوية والعرقية، لاسيما بعد الحــرب البــاردة، هــو إدراك أن التعددية الثقافية هي سمة دائمة في الحياة السياسية المعاصرة، فلم يعد هناك أي مبرر للتشبث في الاعتقاد بأن مجموعة من العمليات المعروفة باســم «تحــديث» من شأنها أن تؤدي تلقائيًّا إلى فكرة أمة واحدة، أو أن تؤدي إلــى تآكــل التضــامن الثقافي أو العرقي أو الديني، بل قد يحدث عكس ذلك فالتغيير الاجتماعي يميل إلــى إنتاج أقوى للهويات الطائفية، والدراسات التي تركز علــى أن الفــرد هــو الوحــدة الأساسية في تحليل الصراعات، تشير إلى الحاجة إلى الهوية، باعتبار أن ذلك أمــرٌ أساسيٌ لبقاء رفاهية الفرد والمجتمع الذي يوجد فيه هذا الشخص.

5) التعايش بين الطوائف والمجموعات:

هو في الأساس علاقة تحويلية، ديناميكية وايجابية، ومصطلح التعايش يعنــي أن الهوية هي القوة الدافعة الأساسية في التنمية البشرية التي تتطور مــن حالــة الحــد الأدنى من الاعتراف بالاختلاف وقبول التنوع والاعتراف المتبادل من جهة أخــرى إلى وجود علاقة تحويلية في المجتمعات، ربما على مرور الزمن قد تجــد الآليــات والمؤسسات المناسبة لتلتحم ومستوى أعلى في ذلك المعنى.

6) بناء أساس للتعايش..نموذج التربية والتعليم:

إن محاولة إطلاق سراح الطفل من الحدود العرقية المقيدة، وإعادة توجيه وعيــه إلى حقيقة وجود ثقافات ومجتمعات أخرى وأساليب متعددة للتفكير وللحياة كمــا هــو الحال في التعدد اللغوي، ولأن المقصود هو إعادة تكييف الطفل إلى أقصى حد ممكن من أجل أن يتمكن من الخروج إلى العالم وهو خالٍ من التحيــز والتحامــل، ولديــه القدرة والرغبة لاستكشاف العالم بكل تنوعه، وباعتبار أن العشرية الأولــى للقــرن الحادي والعشرين قد اقتربت من نهايتها، فإن البلدان في جميع أنحاء العالم منشــغلة بالتحدي المتمثل في إيجاد طرق جديدة ومحسنة لتثقيف المواطنين للعيش فــي ظــل التنوع على التعايش والحوار في ظل التعدد اللساني والاختلاف العرقي والديني، في الألفية القادمة، فهناك أكثر من(2) مليار من الأطفال الذين سوف يرثون الأرض وإن

الحق في التعليم هو حق أساس معترف به من قبل جميع البلدان، غير أنه في الحقيقة لا يزال غالبية أطفالنا من دون مرافق تعليم مناسبة، وبناء على ذلك يجب تبني أسس للتعايش قائمة على أن يتمكن كل طفل من الحصول على التعليم والمشاركة في صنع القرارات التي تضمن تعليمه بشكل أفضل، ولأن التعليم والتعلم والتربية والتكوين تعتبر من أقدس المبادئ ومن بين أهم الوسائل لتعلم كيفية العيش المشترك، وتقبل الآخر، وهذا يعني أن المدرسة تصبح مؤسسة كبرى لتعليم التعايش متعدد الثقافات وأن اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن21 في تقريرها عن التعليم في القرن 21 كانت قد وضعت مخطط الأعمدة الأربعة للتعليم، والتي منها التعلم للعيش المشترك وعرفته كتحدٍّ مركزي [2] .

7) غرس الاحترام والحاجة إلى التعايش بين الأجيال:

كما أن عملية التثقيف حول التعايش تحتاج إلى أن تحدث على كل المستويات، من المستوى غير الرسمي بدءاً من كليات المعلمين، والمدارس ذاتها، إلى الجماعات المحلية، والمنظمات غير الحكومية إلى وسائل الإعلام والشركات، وجميع الوسائل غير الرسمية بما في ذلك الأسر والمشاهير والكتاب والشعراء، وإنه لتحدٍّ واضح في المجتمعات المتنوعة ثقافيًّا والتي تعكس بصورة مرضية احتياجات جميع الفئات الاجتماعية والثقافية في المناهج الدراسية، وضرورة تكييف المناهج الدراسية الأساسية المشتركة لتلبية الاحتياجات المحلية وإعادة صياغة التقاليد، وهو أمر ذو أهمية وحيوية، والتي يمكن أن تكون حاسمة، إذا ما كانت العلوم الاجتماعية ومناهج العلوم الإنسانية موضوعية وتصاغ لأجل ذلك، والتي تعكس على نحو متزايد اهتماماً دوليًّا ووطنيًّا ومحليًّا بالتعددية وبالمجتمعات المتعددة الثقافات..

8) دعم التعليم القائم على التعدد اللساني والعرقي والثقافي:

إن عمود مبدأ التعايش هو نظام التعليم، ونظام التعليم يتطلب تحولاً كبيراً في التركيز، حيث العيش المشترك ضمن التنوع والذي يجب أن يصبح قيمة مبدئية في تعليم الطفل. فنحن بحاجة إلى الاستثمار بكثافة في أطفالنا، وهذا يعني أن مواقفنا

تجاه التعليم تتطلب إعادة تقييم أساسية، حيث حضور التعليم الذي ينبغي أن يكون تفاعليًّا بين المجتمع والمدرسة والطفل، وهذه هي العلاقة التي يمكن أن تخلق فضاءً للتسامح وقبولاً للتنوع. كما أن الاستثمارات في تعليم الأطفال هي في صلب عملية الاستثمار في ضمان عالم آمن للاختلاف.

إن التعليم القائم على التعدد الثقافي هو وسيلة ناجعة للطلاب، لرسم الهندسة الاجتماعية التي تقوم على تقدير المجتمعات التعددية التي ينتمون إليها، فالتعليم والتعلم هما دائماً العمليتان الثقافيتان اللتان تشتملان على محركات النسج الاجتماعي المحدد، فعلى الرغم من تعلم الطلاب استخدام أفضل الأمثلة المستمدة من ثقافاتهم الخاصة، والاحتفاظ بخصوصية تلك الأمثلة المحددة ثقافيًّا، إلا أن هناك حاجة متزايدة للتعليم متعدد الثقافات وذلك للمساعدة في نزع فتيل العقليات النمطية الراسخة، والتحيزات التي قد غرست لتكييف بيئة ثقافية خاصة باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من هذه التصورات الشخصية والأحكام الذاتية وغيرها، ومع ذلك إذا ما كان للتعليم المتعدد الثقافات في أن ينجح في تحقيق أهدافه، إلا أنه لا يمكن أن يكون مجرد برنامج مخصص للتنفيذ في المراحل الحاسمة من الصراع في محاولة عرجاء لتسوية الخلافات بين الفئات الاجتماعية المتضاربة، ولكن ينبغي أن يكون هناك مشروع طويل الأجل يتناول التعليم متعدد الثقافات مباشرة مع الحفاظ على الهوية وينبغي أن ينظر للتعليم المتعدد الثقافات بوصفه أداة أساسية وضعت للحد من الصراع العرقي، وهو أداة مهمة في تعزيز التعايش من خلال التعليم والمناهج الدراسية. ففي نهاية القرن 20 كان قد تم الاتفاق على أن تكون المناهج المعترف بها عالمية، وينبغي أن تكون مفتوحة ونشطة ومرنة ومتعددة الثقافات، لكن ترجمة هذه المثل العليا إلى حقيقة واقعية وذات مغزى في المدارس والفصول الدراسية يشكل تحدياً هائلاً في جميع البلدان [3].

المبحث الثاني : التعايش من خلال دور السياسات الحكومية

1) ضرورة تكييف السياسات الاجتماعية، والمناهج التعليمية على التعايش مع التعدد:

إن المناهج الدراسية الأساسية تحتاج إلى التكييف مع الظروف الداخلية وتأخذ في الاعتبار الهويات المحلية، كما أن ذلك يتطلب وجود نهج تشاركي لتطوير المناهج الدراسية، فأصحاب المصلحة يجب أن يتم توسيعهم إلى ما هو أبعد من واضعي السياسات في وزارات التربية والتعليم، بل ويجب إشراك العاملين في مجال التعليم المتخصص والآباء والمعلمين وقادة المجتمع والزعماء الدينيين والطلاب أنفسهم فالصراع موجود على جميع مستويات السلوك البشري ولكن هذا لا ينعكس دائماً كعامل محدد في صنع السياسات، فتضارب وجهات النظر يؤكد على ضرورة شرعية حقيقة وجود الحاجة إلى وسائل العيش المشترك، والذي لا بد من إيجادها على الرغم من هذه الخلافات..

2) دور الساسة والقادة في مجال التعايش:

في حين ينخرط العديد من الناس في عمل التعايش، فإنه ليس بالضرورة أن تنعكس هذه المبادرات دائماً على مستوى السياسة العامة، فالساسة والحكومات وقادة الرأي يجب أن يقبلوا بأن يكون التعايش هدفاً مشروعا، وهناك اقتراح لإقامة إدارة أو وزارة خاصة للتعايش في جميع البلدان كوزارات البيئة التي أنشئت في1970.

3) تعلم العيش المشترك والتعايش المحترم:

إن تعلم العيش المشترك لا يسقط من الفضاء، ومن الواضح أن التعايش هو سلوك مكتسب، وهو ما يتطلب عملية مستمرة من التعلم في المدرسة وعلى حد سواء داخل المجتمع ككل، وهذا يتطلب الهياكل والمؤسسات التي تدعم وتعزز التعايش من خلال العديد من المشاريع والبرامج، وعلاوة على ذلك، فإنه يتطلب تمويل هذه الجهود والالتزام من قبل الحكومة المركزية، والمثال الممتاز على هذه الجهود هو

عمل مجلس العلاقات المجتمعية في إيرلندا الشمالية، والتي التزمـــت فيـــه الحكومـــة بموارد للمجلس لتعزيز التعايش الاجتماعي، ومثل هذا النموذج يجب أن يتكرر فـــي بلدان أخرى، كما يجب أن يكون هناك التزام حكومي بالموارد المقدمة للمجلس لكـــي يكون فعالاً (4)

4) التعايش اللغوي في الإسلام:

تأسس المجتمع الإسلامي الجديد على التضامن والتكافل الاجتماعي، فالأفراد كلهم جسدٌ واحد، وروح واحدة في الإحساس بالألم والشعور بالمشاركة فيه، فضـــلاً عـــن أنهم سواسية في تحقيق التضامن والتكافل، وهذا ما دفع "ابن حزم الأندلسيّ (456ه)" ومن وافقه من فقهاء الإسلام إلى القول بتحميل سكان كل بلد المسئولية الجنائية فـــي موت فرد من أفراد هذا البلد جوعاً (5)

المبحث الثالث: التعايش اللغوي في ظل التعدد اللساني

1) التّعايش اللّغويّ واللّغات الوطنيّة:

إن اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، وأداة أساسية يتواصل بهـــا أفـــراد المجتمـــع توجب على الناطقين بها ومستعمليها، ضبط قواعدها، وصيانة قوانينها. لكـــن فعـــل الممارسة اللغوية، غالبا ما يصطدم بمجموعة مـــن الإيـــديولوجيات والثقافـــات فـــي المجتمع الواحد، والذي يتبنى بدوره مجموعة من اللغـــات المختلفـــة فـــي أنظمتهـــا الصوتية والصرفية والتركيبية، وهو حال مجتمعنا الجزائري الذي يتجلى فيه التعـــدد اللغوي بوضوح، داخل البيت وخارجه.

2) اللغات المتداولة في الجزائر وواقع تعايشها:

إن هذه اللغات المتداولة في مجتمعنا الجزائري، وإن بدت متعايشة مـــع بعضـــها ومنسجمة مع واقع مستعمليها، إلا أنها تحمل في مضامينها مجموعة من الإشـــكالات ومعالجتها والتخطيط لها، حتى لا تتحول إلى عاهات لسانية تعيـــق رقـــي المجتمـــع وتحول دون تحقيق الانسجام الفكري والثقافي بين أفراده الذي لا يكون إلا بتعايشـــهم مع بعضهم البعض.

إذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية فكرية نطقية، فإنها تعبر عن المجتمع الناطق بها وتسايره، وهنا تقوم نظرتان، مفاد الأولى أن اللغة نوعان: أصلية أصـــيلة وواقعيـــة مبتكرة، وهذه النظرة تقابلها الفصحى والعامية وهي نظرة تفضيلية تفاضلية اقصـــائية الأصل فيها ثابت عليه المعول، وغيره فرع متغير هو دون الأول مكانة.

والنظرة الثانية، تجعل اللغة صورة للمجتمع الذي هو خليط من الأجناس والأنواع والكل يعمل في مجاله المختص به، ولكن منتوج الجميع يعود للمجتمع العام كل فـــي موضعه وبجهده، يعمل لذاته بالأخذ لما يحتاجه هو، وبالعطاء لما يحتاجه غيره.

3) وظائف اللغة في المجتمع:

الوظيفة التعاملية للغة ولكن ليس من اليسير علينا دائما أن نرى الوظيفة التنفيســـية "فلغتنا ترجمة لأفكارنا وأحاسيسنا. ولما كانت اللغة ظاهرة فكرية، والمجتمع خلـــيط من الأفكار، كانت التراكيب اللغوية أشتات مجتمعات في هياكل وتراكيب، إذ يمكـــن أن يجتمع في التركيبة اللغوية، فللغة وظائف هامة في المجتمـــع ومـــن أهـــم هـــذه الوظائف وظيفتان هما:

= أنها وسيلة للاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ؛

= تعد اللغة وسيلة للتعبير عن الحضارة التي تعيش بين ظلاليها (6):

= أنها وسيلة للتواصل والاتصال بين الناس؛

= أنها وسيلة للتعبير عن مشاعر وأفكار وآراء الإنسان للآخرين؛

= أنها وسيلة للتعبير عن احتياجات ومطالي ومشكلات الإنسان للآخرين؛

= أنها وسيلة لتحقيق الفهم المشترك بين الإنسان والآخرين؛

= اللغة لها تأثير كبير على نظرة الإنسان للعالم؛

= أنها وسيلة للتعبير عن مشاعر وأفكار وآراء الإنسان للآخرين؛

= أنها وسيلة لتحقيق الفهم والمشترك بين الإنسان والآخرين؛

= اللغة لها تأثير كبير على نظرة الإنسان للعالم.

وتعتبر اللغة جزءا من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت.

ومن بين وظائف اللغة نجد:

4) دور اللغة في المجتمع:(التواصل والتعايش):

تتحول الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل إلى آخر، فاللغة نتاج اجتماعي تمثل التجارب المتراكمة والراهنة، والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي، والتفكير، ومعرفة الذات، ومعرفة الآخرين، وهي لذلك ضرورية للوجود الاجتماعي.

5) الصفات الجيدة التي يجب أن تتوفر في اللغة حتى تستمر وتنتشر وتؤدي وظائفها:

1. الأصالة.، 2. المرونة.، 3. المعاصرة.، 4. التراكم.، 5. التطور.، 6. الاستفادة من اللغات الأخرى. 7. استفادة اللغات الأخرى منها.، 8. تأثر اللغة بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها العقلية

4) اكتساب اللغة اكتساب بالضرورة لطرق التفكير:

فيتحول سلوك الإنسان من سلوك فردي إلى سلوك جماعي، فإذا كان السلوك الفردي كلاما داخليا، كما يقول أفلاطون، فمما يساوي ذلك في الصدق أن التفكير الجماعي كلام خارجي، وعندما يشترك الفرد في التفكير الجماعي لابد أن يصطبغ تفكيره الخاص بصبغة هذه التجربة الاجتماعية.

6) الوظيفة الأساسية للغة:

المتمثلة في إعانة الفرد على الاختلاط في المجتمع، ومن هنا يبدأ الإشكال، فقد يحصل اختلاط وامتزاج وتكامل بين العناصر وهذا تعايش، وقد يحصل تفكك وتنازع وتنافر وهذا انفصال وانفصام، والملاحظ هنا أن النتيجتين التنافر والتعايش صورتان من التصور الفكري للمجتمع.ولهذا التصور خلفياته وأبعاده النفسية التي يطرحها النفسانيون في هذا النص بقولهم: (فكلما زاد المرء من شعوره بنفسه، أي كلما ازداد تعبيره بالكلمات أو الرموز الأخرى) [7]، فاللغة تنقسم من حيث وظائفها عموما إلى:

= **القسم الأول هو الموضوعي:** الوظيفة الصّوتيّة، الوظيفة الصــرفية، الوظيفــة المعجميّة، الوظيفة الدّلالية، الوظيفة البلاغيّة أو الأسلوبيّة. وهـــي بمجملهـــا تتعلــق بتطبيق أمور النطق والأسلوب والبلاغة وقواعد النحو والصرف والكتابــة والقــراءة وما إلى ذلك من أمور متداخلة لهذه أو تلك من اللغات، أي بحديث اللغة عن نفسِــها أو الوصف اللغوي للغة ذاتها ولعلاقاتها الداخلية).

= **القسم الثاني الذاتي:** (الوظائف الاجتماعية للغة، باعتبارها أكبر وسيلة للتفــاهم بين البشر على مرّ العصور، فهي ضيفٌ لا يمكن الاستغناء عنه في كافة مجــالات الحياة الاجتماعية سواء للفرد أم للمجتمع، وهي بهذا تقوم بتأديــة سلســلة متداخلــة ومتكاملة من الوظائف الاجتماعية الهامة وتشبع بذلك حاجيّات الفرد والمجتمع علـــى السواء، وقد اهتم علماء اللغات والاجتماع والفلسفة ومنذ وقت مبكر بدراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها اللغة وتقديم النماذج المختلفة لكيفية تأدية هذه الوظــائف، ولا زالت الأبحاث مستمرة في هذا المجال ومرافقة للتطورات العملاقة التي تجري فـــي مختلف ميادين المعرفة ومنها في باب اللغات، وبالاعتماد على هذه الدراســات تــم التوصل إلى وضع نموذج عام يتضمن مجموعة من الأسس التي يتوجب توفرها في أي نوع من أنواع الكلام المتعارف عليها والمستخدمة في اللغة مثل توجيه نــداء أو الحديث الاعتيادي بين شخصين أو تقديم محاضرة أو إلقاء شعر أو القيــام بــإجراء مكالمة تلفونية وما شابه ذلك من أمور الكلام المختلفة..

ويمكن حصر أهم الوظائف الاجتماعية البنيوية للغة في (وظيفــة دعــم عمليــة التفكير وظيفة تعبيرية، وظيفة وصفية أو استعراضية، وظيفــة تأثيريــة أو اقناعيّــة وظيفة تقييميَّة، وظيفة إجرائية، وظيفة تواصلية، وظيفة تفاهمية، وظيفة نقل التــراث وظيفة إنمائية، وظيفة نفسية، وظيفة شِعريّة، وظيفــة مرجعيّــة، وظيفــة الكشــف والإظهار، وظيفة الإخفاء والإضمار، وظيفــة ســلطوية **"Roland Part"** وظيفــة معرفية، أما وظائف اللغة عند هاليــدي:(الوظيفــة النفعيــة (الوســيلية)، الوظيفــة

التنظيمية، الوظيفة التفاعلية، الوظيفة الشخصية، الوظيفة الاستكشافية، الوظيفة التخيلية، الوظيفة الإخبارية (الإعلامية)، الوظيفة الرمزية..

المبحث الرابع : التعايش ّاللغوي فّي ّالجزائر بّين ّالعربية وّالأمازيغيةّ فـي ظّل ّالتعديل ّالدستوريّ ّالجديد

1) القصور اللغوي في المجتمع الجزائري:

من المسؤول عن هذا القصور اللغوي الذي يميز مجتمعنا، ربما تكون الأسرة هي المسؤول الأول عن ذيوع هذه الثقافة، أو ربما هي المدرسة التي لم تمنح التلميذ المعطيات التي تتلائم مع احتياجاته الاجتماعية، ولا نريد هنا أن نلقي اللوم على أحد أو نحاسب أحدا، لأننا جميعا جدنا فيه ُ مسؤولون عن هذا الواقع ومطالبون بترميمه وتجديده، وإذ نحاول في هذا المقام أن نتقصى أسباب تأزم واقعنا اللغوي، والبحث في خلفياته الفكرية والثقافية، لعلنا نجد له بعض الحلول الممكنة.

2) التّعدد اللّغوي في الجزائر:

أ) الأمازيغية بين التعايش والتنافر:

تمثل واحدة من أهم التشكيلات اللغوية في الثقافة الجزائرية، وينسب المستغربون سكان شمال إفريقيا عرقيا إلى العنصر الأوروبي وعليه يحكم على أجنبية هذه اللغة المتحدّث بها، وبالتالي يعمل على عدم التعايش وإثارة النزعة البربرية، وهناك تيار آخر يرجع البربر إلى أصول سامية حامية، ومن ثمّ ينسبونهم إلى العرب أصلا ولغة.

إنّ هذه الإشكالية التي تقوم على ربط الأمازيغية بالعربية أو تبيان التنافر بينهما ستبتعد قدر الإمكان عن التأصيل للمجتمع الأمازيغي، نظرا لأنّ الإجابة لم تصل إليها الدراسات الأنثروبولوجية أو تلك المتخصصة في علم الآثار بعد وإلى يومنا هذا وإنّما ستحاول تقديم قراءة ثنائية لتحقق الانسجام أو التنافر بين اللّغتين، لأننا أصبحنا في واجهة أزمة مجتمع وأزمة ثقافة وأزمة تطور[8].

ب) واقع التعايش اللغوي بين العربية والأمازيغية(الأبعاد..والعلاقة):

= تسمية الأمازيغ:

فالأمـــازيغية كلمة ظهرت في العهد الإسلامي للمغرب، أما بربـــر فهـــي كلمـــة سابقة، وهي كوصف أطلق على سكان شمال إفريقيا، وسبقتهما تسميات أخرى منها تسمية لوبي التي كانت شائعة لدى اليونانيين، وتسمية إفري، التي هي من مبتكـــرات الفينيقيين، ثم كلمة بربر والتي هي تسمية الرومان بتأثير من اليونـــان **(Varvaros)** وتعني اللّفظ وتداخل الأصوات في الكلام، بذلك فهم ينعتون بها كـــل نـــاطق بغيـــر لغتهم، كما عدّت عندهم مصطلحا يقال استخفافا وتحقيرا لهذه الشعوب التي خرجـــت عن نفوذهم فيقولون عنها بارباريسي أو باربارجيا وتوجـــد بمصـــر مدينـــة ســـميت (بارباري)، وفي الصومال توجد منطقة (بربرة)، كما ســـميت الشـــعوب الجرمانيـــة (بربار) بمعنى القساة والهمج والجهلة، وقد أجمع الدارسون على أنّ كلمة (بربـــر) لا تخرج عن سياق دلالتين، إمّا أنّها تعني الشخص الغريب الذي يتكلم لغـــة لا يفهمهـــا الرومان، وإما هي من باب التنابز بالألقاب تحقيرا لهؤلاء الأقـــوام، أمـــا الباحـــث **(Bousquet)**فقد فسّر الكلمة بقوله: أنّها مشتقة من كلمة بربـــاروس **(Barbarus)** وهي كلمة لاتينية تنعت بها فئات مختلفة، ليست خاضعة لسلطان الرومان، والقصـــد منها هو وصف تلك الفئات بالتّخلف، وهذا يعنـــي أنّ الكلمـــة لا تخـــص المجتمـــع المغربي الكبير في شمال إفريقيا، إنما أطلقت على شعوب كثيرة اختلفت لغة وجنســـا وعادات وتقاليد عن المجتمع الروماني، ولكنها أضحت لصيقة بهذه الفئة البشرية لأنّ الفتح الإسلامي أقرّها بدلالة أخرى حيث إنّها تعني الرّجال الأحرار الأقوياء (9).

= أصول الأمازيغ:

إن الأصول الحقيقـــة للبربـــر تقودنـــا لآراء وروايـــات مختلفـــة، واقتراضـــات أنثروبولوجية، فعلم الحفريات عن الجماجم البشرية اكتشف أربع جماجم في منـــاطق مختلفة من البلاد العربية (الجزائر، ليبيا، اليمن وفلسطين)، تتطابق كليا وعمرها مـــا يقارب 50.000 ق.م سنة وهذا يؤكد الأصل المشترك لتلـــك الســـلالات البشـــرية

وتوصلت دراسات أخرى من خلال الأبحاث الأثرية التي تمت في مناطق عديدة من المغرب العربي إلى اكتشاف أقدم أثر لإنسان الأطلس **(Atlanthropes)** الذي حدّدت الفترة الزمنية التي عاش فيها إلى 400.000سنة ق.م، ويعتقد المختصون أنّه شبيه بالأثر المكتشف في الصّين، **(Sinnanthrope)**، والذي عثر عليه في جاوة وتانزانيا **(Pithecanthrope)**

وهذا في العصر الحجري السفلي، يضاف إلى ذلك تلك البقايا المكتشفة في مناطق عدة في شمال إفريقيا، والتي صعب على العلماء تحديد إنسانيتها لأنّها أقرب إلى البهيمية، وهذا دليل آخر على أنّ هذه العيّنات لم تحدّد كيف ظهر الإنسان في شمال إفريقيا وما هو موطنه الأصلي، ومن أي سلالة هو، ويرى الباحث "بوزياني الدّراجي" أن سكان البلاد المغربية مشكلين من مزيج بشري تكوّن عبر قرون قديمة قد خلت من سلالات مختلفة، وأجناس متباينة هاجرت من مناطق عديدة واستقرّت في شمال إفريقيا، ولا تزال الدراسات إلى يومنا هذا لم تصل إلى الحقائق العلمية الدقيقة.

= أما الطرف الثاني من تسمية شعوب شمال إفريقيا (الأمازيغ) أو(تامازيغت) فينسبها الدارسون إلى جدّهم (مازيغ) الوارد في الخبر الذي مفاده: فسألهم –كما جرت عادة العرب– عن نسبهم، فأجابوا: أنّ جدهم هو مازيغ، فالأمازيغية إذن هي إحدى اللغات الشفوية الحيّة المنتشرة في شمال إفريقيا، وهي لها هويتها التي تميّزها عن بقية اللّغات تبعا للمنطق القائل لا وجود لهوية خارج المجتمع وخارج التاريخ وقد أثبتت القواميس اللّغوية عروبة المصطلح المشتق من "الأمازر" وهم الرجال الأقوياء أشداء القلوب[10]

3) مناطق انتشار اللغة الأمازيغية:

تنتشر هذه اللغة بأشكالها المختلفة في المغرب الأقصى، الجزائر، تونس، ليبيا غرب مصر، شمال السودان، مالي، النيجر، بوركينافاصو، جزر الكناري، الأندلس

وجزر صقلية بإيطاليا. وسنركز في دراستنا على الجزائر التي تضم مجموعات من المتكلّمين الذين تتمايز لغاتهم..

= **الشاوية:** تطلق على سكان الشرق الجزائري نسبة إلى الشاة..

= **الميزابية:** متواجدون بمنطقة غرداية نسبة إلى وادي ميزاب الذي يقيمون به..

= **القبائل** : فهي الكلمة العربية التي تطلق على المتواجدين في شمال الجزائر.

***) اللّغة الأمازيغية:**

تعرف الجزائر تلوينات لغوية كثيرة في مناطق عدّة منها، وهذا يرجع أساسا إلى تعدد القبائل التي تقطن هذه المنطقة، ومنهم:

= **قبيلة كتامة:** مثل قبائل بني خطاب في القل وبجاية ومجانة أو قبائل بني سيلين قرب الميلية وأولاد محمد قرب جيجل أو قبائل عياد قرب أقبو وغيرها.

= **قبيلة صنهاجة:** حيث نجد منها نجدا مزتية، عجيصة، واسيني، بني يفرن في جبال الأوراس، وجبال جرجرة المسماة القبائل الكبرى، أما في منطقتي شرشال والتنس نجد زوارة، فليسة، بني راتن، بطرون، عمور، وغيرها.

= **قبيلة زناتة:** في الغرب الجزائري خاصة في شمال غرب تلمسان مع الطرارة ولهاصة، ومديونة في مستغانم، أما في الجهة الشرقية على مقربة من قسنطينة تنتشر قبائل أولاد عبد النّور، تالَغْمَهْ امتدادا إلى سطيف، وزردانة بين عزابة والحروش وصنهاجة بالقرب من عنابة وبني ولبان في السمندو، النمامشة بتبسة، والحنانشة في سوق أهراس وغيرها [11]

4) التعايش بين القبائل الأمازيغية والعربية في الجزائر:

إن القاسم المشترك بين القبائل هو لغتها الأمازيغية رغم تباينها من منطقة إلى أخرى، هذه الأخيرة التي أرجعها المؤرخون إلى أصول حامية من خلال جنس الأمازيغ المنتمي إلى حام، حيث إنّ هؤلاء السكان كانوا من القوم السمر البشرة سكنوا إفريقيا الشمالية قبل الإسلام وكذا تعلموا العربية بسرعة، وقد كان هذا مبعث تساؤل وتأويل بين المؤرخين، وقد علّل المؤرخ **"بيروني"** هذا الاتساق والانسجام

بين العربية والأمازيغية إلى تقارب العربية من الفينيقية فضلا عــن تشــابه العــرب والبربر في العادات والأخلاق، والاتحاد في النّسب الذي يقرّب الطبائع، لهــذا نجــد الأمازيغ يشيدون قصورهم على النّمط العربي، ولم يرفضوا لغة العرب، ولم يكتبــوا بغيرها، وقد خدموا الإسلام بإخلاص، فتطوّعوا في جنود حسان بن النّعمــان، وكــذا مع موسى بن نصير، وفتحوا الأندلس بقيادة طارق بن زياد البربري تأييدا للخلافــة بدمشق، والسؤال المطروح هنا: هل تلتقي العربية بالأمازيغية في بعض الخصــائص اللغوية [12] .

5) التقاطع اللّغوي بين العربية والأمازيغية :

إن التقاطع اللّغوي أو التقارب الحاصل بين اللّغات يمثل أحد المواضــيع الهامــة لدى الدارسين منذ القديم، فقد فطن ابن حزم الأندلسي(ت 564هـــ) إلى علاقة القربى بين العربية والعبرية والسريانية حيث جعلها من الأسرة السامية إذ يقول: «فمن تدبّر العبرانية والعربية والسريانية، أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبــديل ألفاظ الناس على طول الزّمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنّها لغة واحدة فــي الأصل» ، كما كشف النقاب أبو حيان (ت 754هـــ) الأندلسي على أواصر القرابــة والتقاطع القواعدي بين اللّغة العربية واللغة الحبشــية حيــث تتفقــان فــي حــروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التّعدية، وهو الخط نفسه الذي ســارت علــى إثــره دراسات المحدثين من علماء اللغة، كالاكتشاف الذي تقدم به الســير ولــيم جــونز **(w.jones)**عندما كشف أوجه التشابه بين اللغة السنســكريتية واللّغتــين اللاتينيــة واليونانية [13]

6) مبدأ التشابه والتباين بين اللغات:

ولم يكن مبدأ التشابه بين اللّغات هو محور هذه الدراسات فحسب، بل إن منها مــا اتجه عند الدّارسين في سياق الكشف عن التنوعات اللغوية، مركّزين على العناصــر الاختلافية ومواطن التباين بين اللّغات، وهذا لأنّ اللّغات البشرية عموما تشهد تنوعــا إمّا داخل الإطار العام للغة، وهذا يكون في الشكل والرّموز الصوتية، حيــث يمكننــا

التمييز بين اللّغات الإنسانية بصريا وفق نوع الخط المستخدم كالاختلاف العربية عن الروسية والفرنسية، أمّا التنوع الثاني فيقع داخل اللغة الواحدة جغرافيا وهو ما يصطلح عليه اللهجة، حيث يتجلى لنا بوضوح في « التباين الفونيمي والصرفي والتركيبي للغة الواحدة، وهو إما تباين كلّي وإما تباين جزئي » . مثال ذلك مثلا نطق كلمة (بطاطا) بطرق مختلفة في الأقطار العربية، فتسمى (بطاطا) في الشام وشمال إفريقيا، وتسمى (بطاطس) في مصر والخليج [14]

7) نقاط التعايش والتقارب والتشابه بين الأمازيغية والعربية:

من خلال دراسة نقاط التلاقي والتشابه والاختلاف والتباين بين العربية والأمازيغية يمكن أن ننطلق لمعرفة نقاط التقاطع بين العربية والأمازيغية، فاللّغتان تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة، وهذا إذا سلّمنا بصحة ما ألمح إليه ماكس مولر (**Max Muller**)الذي ذهب إلى أن اللّغة البربرية (الأمازيغية) تنتمي إلى اللغة الحامية، وتنتمي العربية إلى اللغة السامية وكل منهما جزء من أسرة اللغات السامية الحامية، ويستند دارسون آخرون على الموطن المشترك للساميين والحاميين مما يدعّم فكرة المشابهة بين النظامين اللغويين، فالمستشرق الألماني (**Theodor Nöldeke**) يقول في هذا السياق نفسه: « والقرابة الكائنة بين اللّغتين: السامية والحامية، تدعو إلى الاعتقاد بأنّ الموطن الأصلي للساميين، كان في إفريقيا، لأنّه من النّادر أن يظنّ أن الحاميين، كان لهم موطن أصلي، غير القارة السوداء»، وعليه فقد استند هذا الباحث في تعميق افتراضه على التشابه الخلقي بين الحاميين والساميين وعلى الأخص بين سكان جنوبَيْ الجزيرة العربية وسكان إفريقيا الأصليين.

نجد إشارة إلى نسبة البربر إلى العرب أصلا ولغة حيث ورد أن « أكثر طريق إلى الحقيقة إعادة البربرية إلى أصول حامية سامية التي تجمع في بوتقة واحدة البربرية، والمصرية القديمة، والكوشية، والسامية »، ويقر أصحاب هذه الموسوعة بأن جميع اللّهجات البربرية مطبوعة بطابع اللغة العربية، وفي دائرة المعارف الفرنسية (**Encyclopedia Universalis**) ، ويرى من ناحية أخرى الباحث (ويليام لا

نغر) بأن العربية والبربرية تتصلان بأصل سام، ومن ثمّ فهما تنتميـان إلـى أصـل واحد، وهذا في قوله « وتتصل اللغة المصرية القديمة باللغات السامية ولغات البربر بأصل واحد«تسير الأمازيغية أيضا باتجاه الشرق الأدنى فهي لغة الكنعانيين الـذين هاجروا في عصور ما قبل التاريخ، كما هاجروا إلى شمال إفريقيا خـلال اجتيـاح الإسرائيليين بقيادة يوشع لبلادهم واستقروا في ليبيا والجزائر، تونس، وليبيا ، حيـث صنّفها (مرسيل كوين) العالم اللغوي مع اللغات الحامية الكنعانية وهي فرع من اللّغة السامية الأصل، وذكر منها الكنعانية الفينيقية العبرية، المصرية، الليبيـة، البربريـة ولغة الزنوج (الأثيوبية) [15]

ويؤكد هذا الطرح المقولة الآتية : «وقد ظلّت اللّهجات الكنعانية حيّة بين سـكان شمالي إفريقيا حتى القرن الخامس الميلادي، وإلى ما بعد دخول الفـاتحين العـرب ولكن اللّغة العربية طغت على اللّغة الكنعانية عندما أصبحت اللّغة الرّسمية ابتداء من عهد الأدارسة ومع ذلك فقد ظلّت الكنعانية موجودة في الصدور وعلى ألسنة سـكان السهول والجبال خصوصا بين قبائل صنهاجة ومصمودة وزناتة »، وهذا إنمـا يـدل على الاحتكاك المستمر بين العربية والكنعانية لقرون خلت، وهذا يفسر نقاط التشـابه بينهما.

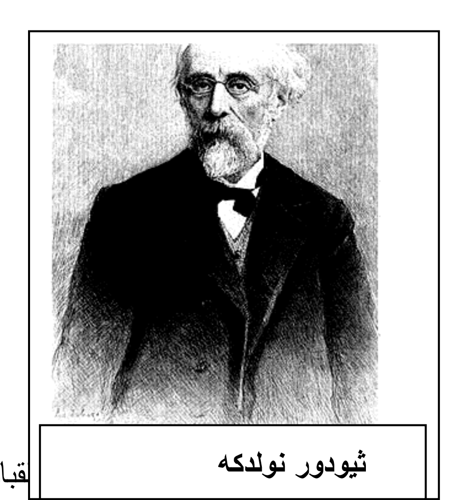
يضيف "عثمان سعدي" المؤرخ الجزائري من ناحية ثانية دليلا آخر على عروبة الأمازيغ، عندما قال بأن البربر من العرب العاربة استقروا بالمغرب العربي بسـبب الهجرات السابقة للفتح الإسلامي، حيث أكّد على ذلك التعايش بـين اللغـة البونيقيـة (عربية قديمة) وبين العربية الحديثة ومنها البربرية وهو ما ذهب إليـه الكثيـر مـن الدارسين أمثال (**Marcais**) و (**Grantier**) اللّذين قدما الدلائل على أن البربر عرب في أصولهم وأن البربرية لهجة من لهجات العربية القديمة (اللغات السامية).

وإلى هذه الفكرة ذهب المؤرخ التونسي "عثمان العكاك" الذي أشار إلى«أن البربر قدموا من الجزيرة العربية في زمن لا يقل عن ثلاثين قرنا قبل الميلاد، وأن الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الإفريقية المغربية في القرن الثاني عشـر قبـل

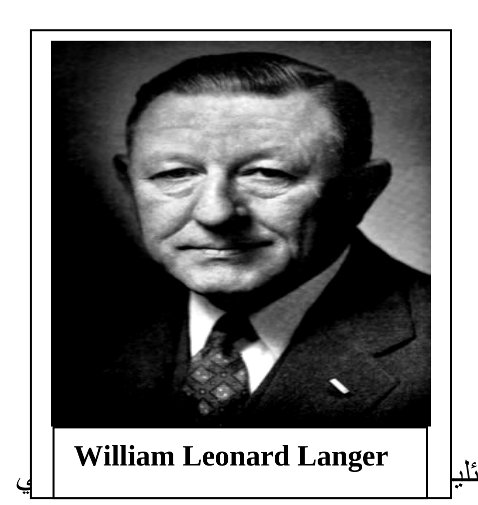
الميلاد، ولما كان البونيقيون عربًا من بني كنعان، فقد اختلطوا بالبربر الذين هم من العرب القحطانية) (16)

إنّنا أمام هذه الدلائل التاريخية نستنتج أن "الأمازيغية" ذات أصول عربية ماضية في القدم، ليس من السهل التعرف عليها أمام هذا التعدد اللّغوي للأمازيغية حتّى أنّه لا يكتشف لنا المصدر اللغوي الرئيس لها.

***) البربرية في الجزائر:**



ثيودور نولدكه



William Leonard Langer

قبائلي

الطوارقية، وليست هي الميزابية، مما يجعلنا نتساءل أين هي اللّغة الأم في كل هذا؟ إننا أمام واقع لهجوي محيّر سنقف مع ما اتصل منه باللّغة العربية في هذه الدراسة ونترك الباقي لدراسات أكثر عمقا وأكثر استقصاء، حتى لا نحكم على اللغة البربرية بأنّها لم تكن ولن تكون لغة الحضارة لأنّها لم تقدم لغة واحدة موحّدة كما يقول الباحث أندريه باسي (**Besset**) في كتابه "اللّغة البربرية" المنشور سنة 1929م (17).

8) التقاطع بين العربية والأمازيغية في المستوى القواعدي:

تحقيقا للمقولة التي تؤكد الطابع العربي لبعض القواعد في اللغة الأمازيغية مع مشابهتها لها، هناك بعضٌ من هذه القواعد الصرفية والنحوية لتعيين سمات التشابه بين الأمازيغية والعربية.

= تاء التأنيث:

المعروف في اللغة العربية أنّ التّاء تأتي حرف بناء في الكلمة، كما تأتي حرفا زائدا. فقد تجيء اسما إذا كانت ضميرا متصلا له محل من الإعراب باعتبارها فاعلا مثل كتبتُ. وقد تكون حرفا مثل: ذهبتْ. فقط لأجل الدلالة على التأنيث.

وللتاء وظائف دلالية كثيرة بحسب موقعها داخل السياق، وما يهمنا منها فقط هو دلالتها على التأنيث، وتكتب التاء في آخر الأسماء بغرض التفرقة بين المذكّر والمؤنث كقولنا: معلم/ معلمة. وهي تحذف في الجمع المؤنث وتحل محلها ومقامها الألف والتاء فنقول معلمة/ معلمات.

نجد الحالة نفسها أو القاعدة نفسها في الأمازيغية حيث تستبدل التاء بالثاء في تحديد المؤنث من الأسماء أحيانا، وتبقى تاء أحايين كثيرة، مثال ذلك [18] .

العجوزة ⇐ امْغَارِثْ أي العجوز⇐ إمْغَارِ: وقد لا تستبدل بالثاء مثل قولهم: لَحْبِيبَتْ: حَبِيبَةٌ، تاجنانت: الحديقة/ تونزّارتْ: الأحجية/ تودمِتْ: المحسوبية/ تاحْقْرنت: المرأة المحقورة/ تابَحُّوتْ: حنجرة/ تاحْنِيتْ: شاوية بمعنى نافذة/ تام حّارتْ: المحارة/ أسَتُّوتْ: امرأة خبيثة (قبائلية شاوية)/ توغريفتْ: خبزة، كسْرة (رغيف)/ تيمخدَّت: مِخدّة/ تاقرنيت: ركن أو زاوية (شاوية) أخلخال – تاخَلْخالتْ: خلخال (شاوية)/ تازْلافت: القصعة ، الزّلفة: الصحفة ممتلئة: (عربية + قبائلية=/ أوشن:الذئب/ توشنّت: الذئبة/ الثاء – تافلكوث: سفينة/ الفلك (قبائلية)/ إحلاوث: حلوى/ تازربيث: زربية (قبائلية) [19].

والغريب أن هذه ليست قاعدة قارة حيث وجدنا مذكرا به تاء وثاء من مثل : تازُّولاَّتْ: عبث (شاويه)/ تازِمَّارْثْ: مزمار (قبائلية=/

وهنا نرد على الباحث "عثمان سعدي" لنقول أن الأسماء المؤنثة في الأمازيغية نعم تقع بين تاءين في أغلبها وكما وضح ذلك في معجمه، ولكنها قد تكون بين تـــاء وثـــاء وقد تكون هذه قاعدة للمذكر أيضا، وهنا نتساءل لماذا؟ أهو من الشاذ الـــذي يحفـــظ ولا يقاس عليه؟ أم نحن بحاجة إلى نظرة أكثر عمقا لمعرفة القواعد في اللّغة الأمازيغيّة ؟

أ) الاسم المذكر: المشهور في الأسماء الأمازيغية بصيغة التذكير أن تبتدئ بهمـــزة مفتوحة في الغالب الأعم، ويجيء على أوزان متنوعة، مثل [20] :

الكلمة الأمازيغية مقابلها بالعربية:

أمازيغ= أمازيغي/ أزّاغار= السهل/ أمْغار= الشيخ/ أمالو= الظل/

أكاز= الرجل/ أضو= الهواء/

أدرار= الجبـــل/ أعـــلاّو= البرنـــوس/ أسلـــم= السمكـــة/ أقْدُوحْ= القـــدح/ .

وقد تأتي الهمزة مضمومة مثل: أوشّن= الذئب/ أو مكسورة مثل:

إخَفْ= الرأس.

ب) التثنيـــة: لا توجد صيغة التثنية في اللّغة الأمازيغيـــة، وهـــذا شـــبيه بالعاميـــة الجزائرية ...، وفي حالة ما إذا ثنيّ الاسم أضيف له (سنت) أي اثنـــان مثـــل: "ســـنت إيركازن" أي رجلان

ج) الجمـــع: ينقسم الجمع في العربية إلى ثلاثة أقســـام (مـــذكر، مؤنـــث، وجـــع تكسير)، وهي الحالة ذاتها في قواعد اللغة الأمازيغية، حيث نلمس تشابها في صـــياغته فالجمع المذكر السالم فيها تكون علامته النون، أو الألـــف والنّـــون أو الـــواو والنـــون ونلاحظ هنا أنّ علامة المثنى والجمع المذكر في العربية هي نفسها علامة الجمع فـــي الأمازيغية، مثال ذلك:

إفـــاون= (الرجل – الرجال←.(أركـــاز)/

أفـــاون = (الضياء – الأضواء←.(أفّـــاو)

ئِفـــران= (الغـــار – الغيران←.(إِفـــري)/

إثـــران= (النجم – النجوم←.(إتـــري)/ ؤدمـــان= (الوجه – الوجوه←.(أُدَم)/

د) **علامة جمع المؤنث:** فهي متحدة قد تكون شبيهة بالمذكر (ون) مثل: تيط= العين الباصرة تجمع على (تيطاون).

هـ) **جمع التكسير:** ويتشابه جمع التكسير مع اللغة العربية بصيغة مختلفة مثل: أغْبَالو: العين الجارية تجمع على (إِغْبُولاَ).

و) **المبني للمعلوم والمبني للمجهول:** يصاغ المبني للمجهول في الأمازيغية بإضافة (إ) أو بإضافة السابقة

(تُو)، وهي تقابل الضمّة في العربية الدالة على المجهولية مثال ذلك:

إِيتُوزطَّا= (طَحَن / طُحِن ←(إزطَّا)/ إِيُوكر(سَرَق / سُرق ←.(يوكر)/

ي) **الأفعال:** الأفعال في البربرية كالأفعال في العربية منها الثنائي والثلاثي المجردة والمزيدة: والرباعي، مثال ذلك الأفعال المجردة الآتية [21]

يَطَسْ: نام (جذره ثنائي طس)/ إكرَّزْ: حرث (جذره ثلاثي كرز)/ إكركب: دحرج (جذره رباعي كركب)/

ن) **الأفعال المزيدة:** تكون بزيادة الشدة أو زيادة أحرف أخرى بغرض التكثير أو المبالغة، وهذا شبيه بقواعد العربية نوضحه بالأمثلة الآتية:

الفعل المجرد		مدلوله	الفعل المزيد	مدلوله
ئِسَّنْ	=	عَلِم	ئِسيسَّن	علَّم
ئِرْوَل		هرب	ئِسَّرْول	هرَّب
ئِنكَرْ		قام	ئِسَّنكر	أقام
ئكشَمْ		دخل	ئِسَكشَمْ	أدخل

نلاحظ زيادة السين للفعل المزيد إما بصياغته على فعّل أو أفعل وهو المقابل العربي.

كما يلاحظ القارئ للغة الأمازيغية أو سماعها، ظهور بعض الصّيغ الصرفية البارزة في أغلب ألفاظها من ذلك (أفعيل، وأفعال، وأَفعُول) ، فهي دائما مستفتحة بالألف.

فصيغة (أَفْعَالْ) مثلا نجدها بكثرة في أسماء الأماكن، مثل:

الأوراس (فالأوراس تعني بلاد الأرز ذو اللّون الأشقر)

الأبيار (أما لفظة أبيار فهي أمازيغية من (**Irdhen**) بمعنى موطن القمح)

أدرار : (تعني الجبل، وتنطق**Adhrer**) ، وكذلك (**Arguez**) الذكورة.

وقد فسّر الباحث "عبد الحميد زوزو" ذلك وأرجع دلالات هذه الكلمات إلى القوة والصلابة والشدة وهذا لأنّ هذه الألفاظ البربرية فيها حرف الراء اللّينة أو المشدّدة لهذا رأى تقاربا دلاليا بين كلمتي (أوراس / أرّيس) ففسّرهما قائلا: « الواقع أن لفظتي أوراس وأرّيس القريبتين من بعضهما من حيث النّطق ومن حيث الموقع الجغرافي تعملان ما يوحي بمعنى الحيوانات غير الأليفة والمتوحشة وخصوصا منها الأسد» ليصل أخيرا إلى نتيجة مؤداها أن أوراس تعني الجبل أو الغابة المأهولة بالأسود ذات الجلدة الصّهباء، وهذا يعني أن الكلمة تدل على اسم مكان. إن دليلنا على أن هذه الصيغة (أفعال) هي عربية هو اتفاق دلالتها على المكان مع ما أشار إليه البكري في القرن الخامس الهجري (ت 487هـ)، حيث أورد كلمات كثيرة كلها عربية تدل على أماكن من ذلك:

أحْجَاءْ: اسم موضع/ أحْجَار: جمع حجر (موضع كثير الحجارة=/ أحراضْ:

ماء بالمدينة/ أحقاف: قيل جبل بالشام، قبر هود بحضر موت/ أخْراب: موضع ما بين مصر والمدينة/ أخْراص: موضع بِتهامة/

كما أن البكري أشار في معجمه أيضا إلى صيغة (أفعيل) التي جاءت على وزنها (أرّيس) التي قال عنها: «بئر بالمدينة معروفة».

فهذه الصّيغ المذكورة آنفا كلها عربية أصيلة، وحتى (أفعول) ذكر عثمان سعدي إلى أنها لا تزال موجودة في اليمن إلى يومنا هذا مما يزيد من صحة التأكيد على عروبة الأمازيغية [22] .

9) التقاطع بين العربية والأمازيغية في المستوى التأصيلي:

من خلال استطلاع اللّغتين العربية والأمازيغية نجد بعض الكلمات التي تشترك في الأصول العربية فاستقينا بعضها من معجم الجذور العربية للباحث عثمان سعدي وأخرى من المعجم العربي الأمازيغي لصاحبه محمد شفيق ندرجها في الجدول الآتي :

الكلمة الأمازيغية	الأصل العربي
تَافِيّاوت	(مجمع الناس في حزن وهو المأتم قال عنها شفيق مشتقة من أتمم ، ونرى غير ذلك بل هي من الوفاة، وقد حدث قلب بين أصواتها)
بَتّكْ	قطّع، بتك الشيء قطعه
بيــر	من المادة (بأر) بمعنى بئر.
أفيغَــرْ	ثعبان، الفاغر في العربية دويبة تعض
إلِيّ	بمعنى ابنتي، عربية من الإلّ القرابة، بالعامية ولية أنثى.
تَاجَرَّارْتْ	
الجـرّار	الحلقة التي تسحب أو تجر المواد أو الماء.
مانْرَاكْ	ما نراك أين أنت؟
إنُّوغب	جشع، النّغب الابتلاع
تَاوْسَا	الجلوة : هدية العريس للعروس يوم الزفاف، في العربية أسا:
أعطى	والهدية عطية.
جمعــه	الجمعة: عربية
تاربيعت	جماعة صغيرة من الناس في العربية: الربع: جماعة الناس
جــوم	أسفل الشيء في العربية المجمُّ: مستقر الماء.
غــاشي	جمهور، عربية: الغاشية الزوار والأصدقاء ينتابونك .
إخطــا	تجنب ، تخطّاه
تُمَهْبِلْتْ	من أصابه خلل في عقله، جن.
أجهرور	صوت الرجل الغشن جَهُورِيٌّ: في العربية الصوت العالي [23]

10) واقع الانسجام والتعايش اللغوي والاجتماعي بين الأمازيغية والعربية:

أ) الانسجام اللغوي:

أثبتت الدّراسة من خلال الطروحات المقدمة سابقا أن الانسجام اللّغوي بين العربية والأمازيغية يظهر بشكل قوي على مستوى بناء القواعد من جهة، وعلى مستوى أصول الكلمات من جهة ثانية، ونستثني في ذلك بعض الكلمات ذات الأصول الأجنبية مثل كلمة: (أكــروجوٌ) التي تعني الوجع في العنق فهي من الكلمة الفرنسية(**gorge**) لأنّه بالعربية يسمع (الإجْل) ولا علاقة بين الكلمتين وغيرها كثير، ونظنها كلمات مستحدثة ظهرت بعد الاستعمار حيث يوجد الشبيه بها في اللهجة الجزائرية عموما مثل (كارطابل)، توافق الفرنسية ...(**Cartable**) باله : يعني مجرفة.

ب) الانسجام الاجتماعي:

الواقع المعيش يقول أنّ هذا الانسجام نادر جدا وسببه الرئيس انعدام التواصل اللغوي بين متكلمي العربية والأمازيغية، رغم أن البرلمان قد صادق سنة 1998م على قانون تعميم استعمال اللغة الأمازيغية، إلا أن الواقع لا يترجم هذه الحقيقة وهذا ما جعل مسؤولا على اللغة العربية مثل "محمد العربي ولد خليفة" يؤكد أن المسألة اللغوية في الجزائر « تُطرح من موقف سياسي وتوجه إيديولوجي ومن النادر أن تحظى بدراسات مسعية للمعجمية والرصيد المتداول، ومسارد الكلمات وحقولها الدلالية من الوجهة الاجتماعية، وتواترها الصّوتي فيها وأسباب استعمال مفردات دون أخرى حسب المناطق..»، وقد أصاب الباحث فيما دعا إليه لأنّ الأمازيغية لا تحظى بدراسة معمقة في الجزائر، وهذا الخلل سيؤدي لا محالة إلى وجود تنافر بين أبناء الوطن الواحد وهذا ما لا يجب أن يكون [24]

المبحث الخامس : الجزائر بين النفور من اللغات الأم..وغياب قوانين الثوابت

1) النفور الجزائري من اللغات الأم:

إنّ الجزائري لم يهجر الأمازيغية فحسب –رغم ظهور ألفاظ أمازيغية في كل العاميات الجزائرية– بل هجر العربية اللغة الأم حيث أضحت عامية الجزائريين هجينا

على شاكلة (**créole**) المتداولة في الجزر الأمريكية، حيث إننا نجد كل اللاّفتات الدعائية الموضوعة على المحلاّت التجارية وغيرها مدوّن بالفرنسية(**Pizzeria**) (**Bijouterie**) رغم سياسة التعريب المطبقة في الجزائر، فالفرد الجزائري فوق القانون دائما، وهذا يدلل ربّما على عدم وجود توازن نفسي فيما يتعلق بمسألة الهويّة، لأنّ الارتباك في التعبير والجمع بين كل هذا الكم من اللّغات إنما يدلل على حالة نفسية معينة، لأنّ همّ الفرد الجزائري الوحيد هو خلق لغة تواصلية للتفاهم، ولا يهمه أن يحافظ على العربية أو على الأمازيغية لأنّه ليس معنيا بهما وهنا نتساءل من المعني بهذه المسؤولية إذن؟ كما أن هذا الفرد الجزائري قد نجح بامتياز في توصيل بعض الكلمات من لغته الجديدة إلى خارج الوطن، كقوالب لغوية جديدة تعبّر عن جزائريته مثل: (كيف كيف) بمعنى (سيّان) أو بزّاف (كثير)، أو مشوي (مشوي)، حيطيست.. وغيرها التي دخلت القاموس الأكاديمي الفرنسي من خلال جاليتنا في فرنسا [25]

2) النفور من اللغة الأم نتيجة التكبر والإحساس بالتفوق:

ومن العقد اللغوية التي تعرقل الانسجام اللّغوي داخل الجزائر، إحساس الأمازيغيين بأن لغتهم (لغتنا) أرقى وأجود وأكثر أصالة من العربية، وهذا يجعلهم يتكبرون ويترفعون بها في المجالس عندما يتحدثون بها فيما بينهم مع إقصاء العربي من نظرهم الذي لن يفقه شيئا مما يقولون أليست هذه عقدة لغوية؟ كيف يتحقق الانسجام الاجتماعي بهكذا سلوكات غير واعية؟

3) ضرورة نشر المصالحة اللسانية:

أظن أن الجزائريين بحاجة إلى (مصالحة لسانية) وهو المصطلح الذي قال به رئيس المجلس الأعلى للغة العربية (محمد العربي ولد خليفة في إحدى حواراته مع جريدة الخبر)، لأنّ العربية قادرة على تحقيق الانسجام الاجتماعي بين الجزائريين كما أن السلطة السياسية أسست مجموعة من العقد النفسية لأن المختصين في إصلاح المنظومة التربوية لا يفهمون بعضهم البعض.

4) من أجل خلق الانسجام الاجتماعي والتعايش اللغوي:

= يجب فتح آفاق للدارسين كي يقدموا دراسات سوسيولغوية تقف عند تحديد طبيعة اللّغة المتكلمة لدى الجزائريين.

= تعميم تدريس الشاوية والقبائلية والميزابية والطوارقية في كل ربوع الوطن فمن غير المعقول أن يتحاور جزائريان ولا يفهم أحدهما الآخر إلا بوجود وسيط هو الفرنسية، أو فتح مدارس خاصة لهذا الشأن حتى تكون العملية اختيارية أكثر منها إجبارية.

= الدعوة إلى إنشاء مراكز بحوث لغوية، تناقش فيها المسائل اللغوية بعيدا عن العاطفة والسياسة بكل موضوعية.

= اللّغة هي السلطة الرمزية والمعنوية وعنوان الهوية في كل مجتمع، بها يهمّش خارج خارطة التاريخ ، وبها يحدد قنوات الترقية الاجتماعية.

= نوصي بعقد مؤتمر دولي أو مغاربي حول الأمازيغية حتى نستمع لكل وجهات النّظر، وهذا سيساعدنا على خلق سياسة لغوية مضبوطة في الجزائر وفي الدول المجاورة المعنية بالأمازيغية [26]

المبحث السادس: اللغة الأمازيغية.. الواقع والآفاق

1) ترسيم الأمازيغية:

هي قرارات سياسية شجاعة وجب العمل من أجل ارتقائه واسترجاع مكانتها فكان معه هذا اللقاء بداية كلمة حول الملتقى الذي تزامن واليوم العالمي للغة الأم فالمبادرة تطرح إشكالية اللغة الأم، أمام التزام الدولة الجزائرية للاعتراف والاحتفال باليوم العالمي للغة الأم وفق توصية منظمة اليونيسكو وكل الدول الملتزمة لابد أن تجسد ذلك بأشياء ملموسة، كما أن المحافظة السامية للغة الأمازيغية بادرت منذ خمس سنوات بالاحتفال الرسمي في إطار مؤسساتي مع دوائر وزارية بداية في 2015 مع وزارة التربية باتفاقية لإدراج مكانة وتعزيز وتثبيت اللغة الأمازيغية، في فيفري الماضي الاحتفال الدولي باللغة الأم بتمنراست للتكفل بالمتغيرات الأمازيغية بمنطقة أقصى

الجنوب، والاحتفال أيضا باللغة الأم كان من خلال تأطير خرجات ميدانية للجامعيين لإعطائهم فرصة للاطلاع على حقيقة الميدان والاطلاع على الأطلس اللساني في الجزائر في كثير من المناطق لأننا لابد أن نرافق هذا المجهود ويكون عمل شبكة في إطار منسق لإعطاء فرصة للجامعيين لجمع معطيات اللغة وتدوينها ليكون بذلك الاستغلال في إطار تقاسم هذه المعطيات كصيغة أنجح للاحتفال باللغة الأم

2) التعايش اللغوي بين الأمازيغية والعربية:

من خلال تمرير رسالة أن هناك تعايشا لغويا بين اللغة العربية واللغة الأمازيغيـــة ولا وجود لتنافر أو انقسام وهو ما نتمنى أن تسعى مؤسسات الدولة إليه. العام الماضي احتفلنا باليوم العالمي للغة الأم مع المجلس الأعلى للغة العربية أين كان هناك لقاء فـــي المكتبة الوطنية وكان إصدار بصيغة النشر المشترك هذه هي الرسالة أن يكون تواجـــد اللغتين أولا في المدرسة والجامعة وفي كل مؤسسات التنشئة الاجتماعيـــة لأن رســـالة التنوع اللساني والتعايش اللغوي في الجزائر حقيقة سوسيولوجية لابد أن نعتز ونفتخـــر بها.

3) واقع اللغة الأمازيغية في الجزائر:

اللغة الأمازيغية في الجزائر لغة متواجدة ولغة حية، كما أن معجزة الأمازيغية أنهـــا عاشت منذ قرون ومازال اللسان الأمازيغي متواجد، كما أن هناك تعددا لسانيا لســـبب واحد وهو تواجد فضاء جغرافي واسع وقطر كبير فالجزائر قارة، هذا التنوع اللســـاني اعتبره ثراء للغة الأمازيغية لأن تنوع المفردات يقوي الأمازيغية.

4) تمازيغت والتّعدّد اللّغويّ:

اللغات البربرية أو الأمازيغية أو الأمازيغية [27]، (الإســـم الإمـــازيغي: تمازيغـــت نيو– تيفيناغ: ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖ، تيفيناغ تارقية: ⵜ :ⵣⴰⵎⴰⵜⵅ :ⵣⴰⵎⴰⵅ) هي فرع من عائلة اللغات الأفروآسيوية. وهي تتألف من مجموعة من اللهجات ذات الصـــلة التـــي يتحدث بها الأمازيغ [28]، ولأنها أكثر التقسيمات تجانسا في الأفروآســـيوية، فقـــد تـــم

الإشارة للغات البربرية غالبا كلغة واحدة في الماضي (خاصة من طـرف الدراسـات الفرنسية التقليدية) [29] .

يتحدث بالبربرية عدد كبير من سكان المغرب والجزائر وليبيا، مـن قبـل سـكان أصغر في تونس وشمال مالي وغرب وشمال النيجر وشمال بوركينا فاسو وموريتانيـا وفي واحة سيوة في مصر. يعيش عدد كبير من المهاجرين الناطقين باللغـة البربريـة يبلغ عددهم اليوم 4 ملايين نسمة، في أوروبا الغربية، ويمتد على مدى ثلاثة أجيال منذ خمسينيات القرن العشرين، عدد الأمازيغ أعلى بكثير من عدد المتحدثين بالبربرية [30] .

5) اللغات البربرية – الأمازيغية – الرئيسية في الجزائر:

تشمل اللغات البربرية الرئيسية:

* الشلحية أو تاشلحيت الظهرة: في تيبازة، الشلف وعين الدفلى..

* شلحية الأطلس البليدي: البليدة، المدية..

* شلحية جبال القصور: البيض والنعامة

* شلحية الساورة : ولاية بشار

* القبايلية أو تقبايليث: تستعمل في ولايات تيزي وزو، بجاية، البـويرة بـومرداس سطيف، برج بوعريريج، جيجل..

* الريفية:

* الشاوية أو تشاويث: تستعمل في ولايات: تبسة، باتنة، خنشلة، أم البواقي بسـكرة ميلة،سطيف، قالمة، سوق أهراس..

* التارقية: ولاية تامنغست، إليزي، أدرار

– الميزابية : ولاية غرداية

–زناتية الونشريس: ولاية عين الدفلى، تيسمسيلت، المدية و الشلف

–زناتية قورارة: أدرار (تيميمون)

–زناتية تيديكلت: تامنغست (عين صالح) و أدرار

-تاريغيت واد ريغ: ورقلة (تقرت)

- تغارغرنت: ورقلة

-شلحية بني سنوس وبني بوسعيد: تلمسان

6) انتشار اللغات الأمازيغية وأسماء الأعلام الأمازيغية في مختلف ربوع الجزائر:

يتكلم الأمازيغية اليوم أكثر من 10 ملايين جزائري، حيث أن 31 ولاية من 48 تحمل اسم أمازيغي، وأنه في 30 ولاية من 48 تستعمل لهجة أمازيغية، كما أنه لا توجد لا ولاية ولا بلدية واحدة تخلو من اسم أمازيغي، وأغلب السلاسل الجبلية: أهقار وارسنيس (الونشريس)، الأوراس، طرارا، جرجرة ...إلخ كلها هي أسماء أمازيغية كما أن أعلى قمة في الجزائر: تاهات بجبال أتاكور بالهقار، 2918م تحمل إسم أمازيغي

-أخفض مكان في الجزائر، شط ملغيغ في وادي سوف : 40م تحت سطح البحر إسمه أمازيغي

الأمازيغية إذن هي ملك ومصدر فخر لكل الجزائريين..

7) دسترة الأمازيغية:

في عام 2001، أصبحت الأمازيغية لغة وطنية في الجزائر، وفي عام 2011 أصبحت اللغة الأمازيغية لغة رسمية دستورية في المغرب. في عام 2016، أصبحت لغة الأمازيغية لغة رسمية دستورية للجزائر [31]

الهوامــش:

(1)Pascal Fontaine, Jean Monnet l'inspirateur, Paris, Jacques Grancher, 1988, P.176.

(2) سلوى عبد الله الجسار، التربية من أجل التعايش السلمي، 03/03/2012، جريــدة الــوطن الكويتية، ص.3.

(3) محمد الأمين خلادي، التعدد اللغوي في الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، سعد بن طفلة، التسامح الغوى، الشرق الأوسط، السبت:2005/4/2، العدد:9622، السيد ،محمود، طرائــق تعليم اللغة للأطفال (مقال)، مجلة الم، الجزائر، 2010، السيد محمود، لغتنا الأم العربية الفصــيحة (مقال)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج. 84، ج. 1، 2009، سوريا، مطابع دار البعث

(4) عبد الحليم عويسي، أخلاق التعايش في الإسلام، شبكة الألوكة، السيد أحمد المخزنجي: العدل والتسامح في ضوء الإسلام، ص: 9 14، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مشروع مكتبــة الأســرة 2006، ص ص. 13 – 26.

(5) السيد أحمد المخزنجي: العدل والتسامح في ضوء الإسلام، ص: 9 14.

(6) إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، ص ص. 14 – 15 ،صلاح الــدين صـــالح حســنين دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ص ص. 35 – 41 ، رمضان عبد الوهـــاب المدخل إلى علم اللغة، ص ص. 7 – 8، عبد العزيز أحمد علام، علم اللغة العام، ص. 12.

(7) سميرة رفا س، إشكالية التعايش اللغوي في المجتمع الجزائري، جامعة سيدي بلعباس

(8) أحمد بن سودة، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأميــر للثقافــة والعلــوم بيروت، ط1، 1995م.

(9) أحمد درّاج، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات اللسانية، مكتبة الآداب، القــاهرة، ط1، ص 2009م.

(10) أديب عبد الله النّوايسة، المعجم الشامل للقبائل العربية والأمازيغيــة، دار كنــوز المعرفــة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ج1.

(11) البكري الأندلسي أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أســماء الــبلاد والمواضع، تح : جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1 .

(12) بوزياني الدّراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، دار الكتاب العربــي، القبــة الجزائر، (د.ط)، 2007م.

(13) حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللّغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 2003م.

(14) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999م.

(15) عبد الحميد زوزو، الأوراس إبّان فترة الاستعمار الفرنسي (التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، 1837–1939، دار هومة، الجزائر د.ط، 2009م، ج1.

(16) عثمان سعدي، الأمازيغ عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، 1996م.

(17) عثمان سعدي : عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنيـــة للنشـــر، الجزائـــر، (د.ط) 1982م.

(18) عثمان سعدي : معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، منشورات مجمع اللغة العربية، طرابلس، ط1، 2007م.

(19) محمد رشدي الجندي : تاريخ الشعوب القديمة، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغـــرب ط1 1963م.

(20) محمد شفيق : المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط، د.ط 1990م ج1 .

(21) محمد العربي ولد خليفة : المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالـــة الأبيـــار الجزائر، 2007م.

(22) عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها، مقارنة بـــين عاميـــة الجزائـــر قبـــل الاستقلال وبعده،

(23) عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها، مقارنة بـــين عاميـــة الجزائـــر قبـــل الاستقلال وبعده،

(24) عثمان سعدي، اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها، مقارنة بين عاميـــة الجزائـــر قبـــل الاستقلال وبعده،

(25) صالح بلعيد، األمازيغية والعربية تكامل ال تصادم، 19

(26) عصام عيد أبو غربية، التهجين اللغوي لدى طالب الجامعات العلمية، ة، 119 ، مقال بمجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد الثامن، جانفي ،مطبعة المعارف عنابة

(27) H. Ekkehard Wolff (2013-08-26). "Amazigh languages". Britannica.com. Retrieved 2015-07-14

(28) شبح العنصرية نسخة محفوظة 25 فبراير 2014 على موقع واي باك مشين.

(29) Hayward, Richard J., chapter Afroasiatic in Heine, Bernd & Nurse, Derek, editors, African Languages: An Introduction Cambridge 2000.

(30) BBC NEWS. Q&A: the Berbers". BBC News. 2004-03-12. Retrieved 2013-04-30

(31) Algeria reinstates term limit and recognises Berber language". BBC News

تمّ إخــــرَاج وطبـــع بـ :

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة-الجزائر

الهواتف: 05.42.72.40.22-021.68.86.48-021.68.86.49

البريد الإلكتروني: khaldou99_ed@yahoo.fr